

كتاب

﴿رحلة ابن بطوطة﴾

المسماة

تحفة النظار في غرائب الأمصار

وعجائب الاسفار

الطبعة الاولى

بالمطبعة الخيرية

لما لكها ومديرها السيد (عمر حسين الحشاش)

سنة ١٣٣٢

هجريه

﴿ فهرست الجزء الاول من كتاب رحلة ابن بطوطه ﴾

صفحة	موضوع	صفحة	موضوع
٦٦	ذكر الائمة بهذا المسجد	٢	خطبة الكتاب
٦٧	ذكر المدرسين والمعلمين به	٧	ذكر سلطان تونس
	ذكر قضاة دمشق	١٠	ذكر أبواب سكندرية ومراسها
٦٩	ذكر مدارس دمشق	١٠	ذكر المنار
٧٠	ذكر أبواب دمشق	١١	ذكر عمود السواري
	ذكر بعض المشاهد والمزارات بها	١١	ذكر بعض علماء الاسكندرية
٧٢	ذكر رياض دمشق	٢٥	ذكر نيل مصر
	ذكر قاسيون ومشاهده المباركة	٢٦	ذكر لا هرام والبراني
٧٣	ذكر الروبة والقري التي تواليها	٢٧	ذكر سلطان مصر
٧٥	ذكر الاوقاف بدمشق وبعض فضائل	٢٧	ذكر بعض أمراء مصر
	أهلها وعوائدهم	٢٩	ذكر القضاة بمصر
٧٨	ذكر سماعي بدمشق ومن أجازني من	٣٠	ذكر بعض علماء مصر وأعيانها
	أهلها		ذكر يوم الحمل بمصر
٨٢	طية مدينة رسول الله صلى الله عليه	٣٨	ذكر المسجد المقدس
	وسلم وشرف وكرم	٤٤	ذكر قبة الصخرة
	ذكر مسجد رسول الله صلى الله عليه		ذكر بعض المشاهد المباركة بالقدس
	وسلم ووروشته الشريفة		الثبريف
٨٣	ذكر ابتداء بناء المسجد الكريم		ذكر بعض فضلاء القدس
٨٤	ذكر المنبر الكريم	٦٢	ذكر جامع دمشق المعروف بجامع بني
٨٧	ذكر الخطيب والامام بمسجد رسول		أمية

صحيحة	صحيحة
١٠٧ ذكر أمير مكة	الله صلى الله عليه وسلم
١٠٨ ذكر أهل مكة وفضائلهم	ذكر خدام المسجد الشريف
ذكر قاضي مكة وخطبها و امام	والمؤذنين به
الموسم وعلماؤها وصلاحاتها	٨٨ ذكر الجاورين بالمدينة الشريفة
١١١ ذكر الجاورين بمكة	٨٩ ذكر أمير المدينة الشريفة
١١٧ ذكر عادة أهل مكة في صلواتهم	ذكر بعض المشاهد الكريمة بخارج
ومواضع أئمتهم	المدينة الشريفة
١١٨ ذكر عاداتهم في الخطبة و صلاة الجمعة	٩٥ ذكر مكة المعظمة
ذكر عاداتهم في استهلال الشهور	ذكر المسجد الحرام
١١٩ ذكر عاداتهم في شهر رجب	٩٦ ذكر الكعبة المعظمة الشريفة زاداها
١٢١ ذكر عاداتهم في ليلة النصف من شعبان	الله تعظيما وتكريما
١٢٢ ذكر عاداتهم في شوال	٩٧ ذكر الميزاب المبارك
١٢٣ ذكر أحرار الكعبة	٩٨ ذكر الحجر الأسود
ذكر شعائر الحج وأعماله	ذكر المقام الكريم
١٢٥ ذكر كسوة الكعبة	٩٩ ذكر الحجر والمطاف
١٢٦ ذكر الانفصال عن مكة شرفها الله	ذكر زمزم المباركة
١٢٩ ذكر الروضة والقبور التي بها	١١٠ ذكر أبواب المسجد الحرام وما
١٣١ ذكر تعقيب الاشراف	دار به من المشاهد الشريفة
١٣٤ مدينة واسط	١٠٢ ذكر الصفا والمروة
	١٠٣ ذكر الحياة المباركة
	١٠٤ ذكر بعض المشاهد خارج مكة
	١٠٥ ذكر الحياض المطيعة بمكة

صحيفة	صحيفة
١٣٦ مدينة البصرة	١٩٧ ذكر التنبول
١٣٨ ذكر المشاهدة المباركة بالبصرة	ذكر التارجيل
١٤٣ ذكر كرمك ايدج وستر	١٩٩ ذكر سلطان ظفار
١٥٠ ذكر سلطان شيراز	٢٠٠ ذكر ولي لقيناه بهذا الجبل
١٥٧ ذكر بعض المشاهد بشيراز	٢٠٤ ذكر سلطان عمان
١٦٢ مدينة الكوفة	٢٠٥ ذكر سلطان هرمز
١٦٤ مدينة بغداد	٢٠٨ ذكر سلطان لار
١٦٧ ذكر الجانب الغربي من بغداد	٢٠٩ ذكر مفاص الجوهر
ذكر الجانب الشرقي منها	٢١٣ ذكر سلطان العلايا
١٦٨ ذكر قبور الخلفاء ببغداد وقبور	٢١٤ ذكر الاخيه الفتيان
بعض العلماء والصالحين بها	٢١٥ ذكر سلطان انطاكية
١٦٩ ذكر سلطان العراقين وخراسان	٢١٦ ذكر سلطان اكريدوز
١٧٢ ذكر المتغلبين على الملك بعد موت	٢١٧ ذكر سلطان قل حصار
السلطان أبي سعيد	٢١٨ ذكر سلطان لاذق
١٧٥ مدينة الموصل	٢٢٠ ذكر سلطان ميلاس
١٧٨ ذكر سلطان ماردين في عهد	٢٢١ ذكر سلطان اللارندة
دخولي اليها	٢٢٦ ذكر سلطان بركي
١٨٣ ذكر سلطان جزيرة سواكن	٢٣٠ ذكر سلطان مفتيسية
١٨٤ ذكر سلطان حلي	٢٣١ ذكر سلطان برغمة
١٨٧ ذكر سلطان البين	٢٣٢ ذكر سلطان بلي كسرى
١٩٠ ذكر سلطان مقدشو	٢٣٣ ذكر سلطان برصي
١٩٣ ذكر سلطان كلوا	٢٣٨ ذكر سلطان كردى بولي

صفحة	صفحة
٢٦٨ ذكر الكنيسة العظمى	٢٤٠ ذكر سلطان قسطنطين
٢٦٩ ذكر الماستارات بقسطنطينية	٢٤٥ ذكر المعجلات التي يسافر عليها
٢٧٠ ذكر الملك المترهب جرجيس	حضرة السلطان محمد أوزبك بهذه
٢٧١ ذكر قاضي القسطنطينية	البلاد
ذكر الانصراف عن القسطنطينية	٢٥١ ذكر السلطان محمد أوزبك خان
٢٧٦ ذكر أمير خوارزم	٢٥٣ ذكر الخوانين وترتيبهم
٢٧٨ ذكر بطيخ خوارزم	٢٥٦ ذكر بنت السلطان المعظم أوزبك
٢٨٠ ذكر أولية الترتيب وتخریبهم بخارى	٢٥٧ ذكر ولدي السلطان
وسواها	ذكر سفرى الى مدينة بلغار
٢٨٣ ذكر سلطان ماوراء النهر	ذكر أرض الظلمة
٢٩٣ ذكر سلطان هرات	٢٥٨ ذكر ترتيبهم في العيد
حكاية الرافضة	٢٦٢ ذكر سفرى الى القسطنطينية
٣٠٢ تمة هذا الجزء	١٦٦ ذكر سلطان القسطنطينية
٣٠٣ تذييل	٢٦٧ ذكر المدينة

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قال الشيخ الفقيه العالم الثقة النبيه الناسك الابن وفدائه المعتمد شرف الدين المعتمد
 في سياحته على رب العالمين أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن محمد بن ابراهيم اللواتي تم الطنجي
 المعروف بابن بلوطه رحمه الله ورضي عنه بمهنة وكرمه آمين
 الحمد لله الذي ذلل الارض لعباده ليسلكوا منها سبيل الجحاجا وجعل منها واليه تاراتهم
 الثلاث نياتا واعادة واخراجا دحاما بقدرته فكانت مهادا للعباد وأربابا بالاعلام
 الراسيات والاطواد ورفع فوقها سمك السماء بنير عماد وأطلع الكواكب هداية في
 ظلمات البر والبحر وجعل القمر نورا والشمس سراجا ثم أزل من السماء ماء فأحياه
 الارض بمداومات وأبنت فهمان كل الثمرات وفطر أقطارها بصنوف النبات وفجر
 البحرين عذبا فراتا وملحاً أجاجا وأكمل على خلقه الانعام بتدائيل معانيها الأنعام
 وتسخير المنشآت كالاعلام لتنتظر من صهوة القفر ومتن البحر أثابجا وصلى الله على
 سيدنا ومولانا محمد الذي أوضح للخلق منهاجها وطلع نور هدايته وهاجا بئنه الله تعالى
 رحمة للعالمين واختاره خاتما للتبيين وأمكن صوارمه من رقاب الشركين حتى دخل
 اناس في دين الله أفواجا وأيده بالمجزات الباهرات وأنطق بتصديقه الجادات
 وأجاب دعوته الرزم الباليات وفجر من بين أنملة ما تنجها ورضى الله تعالى عن المتشرفين
 بالانتماء اليه أصحابا وآلوا وأزواجا المقيمين قناعاتهم فلا تخشى بعدهم اعواجا فاهم الذين
 أزروه على جهاد الاعداء وظاهروا على اظهار الملة ليضاء وقاموا بحقوق الكريمة من
 الهجرة والنصرة والايواء واقتمحوا بدوته نار البأس حامية وخاضوا بحر الموت عجاجا
 ونستوهب الله تعالى لمولانا الامام الخليفة أمير المؤمنين المتوكل على رب العالمين المجاهد
 في سبيل الله المؤيد بنصر الله أبي عنان فارس ابن موالينا الامنة المهتمدين الخلفاء
 الراشدين نصر ابوسع الدنيا وأهلها ابتهاجا وسعدا يكون لزمانة الزمان علاجا كما

وهبه الله بأسا وجودا لم يدع طاغيا ولا محتاجا وجعل بسيفه وسيفه لكل ضيقة اقتراجا
﴿وبعد﴾ فقد قضت المقول وحكم المعقول والمنقول بأن هذه الخلافة العلية المجاهدة
التوكلية الفارسية هي ظل الله الممدود على الانام وجبله الذي به الاعتصام وفي سلكه
طاغته يجب الانتظام فهي التي أبرأت الدين عند اعتلاله وأعدت سيف العدوان عند
انسلاله وأصلحت الايام بعد فسادها ونفقت سوق العلم بعد كسادها وأرشدت طرق
البر عند انماجها وسكنت أقطار الارض عند ارتجاجها وأحيت سنيننا كآدم بعد عاثها
وأما ترسوم المظالم بعد حياتها وأخذت نار الفتنة عند اشتعالها وتقتضت أحكام البنى
عند استقلالها وشادت مباني الحق على عمد التقوى واستمسكت من التوكل على الله
بالسبب الاقوى فلها العز الذي عقدناه على مفرق الجوزاء والمجد الذي جردناه
على بحيرة السباء والسعد الذي رد على الزمان غض شبابه والعدل الذي مد على أهل
الايمان مديداً طنابه والجود الذي قطر سحابه اللجين والنضار والبأس الذي فيض
غمامه الدم الموارد والنصر الذي نفخ كتابه الاجل والتأييد الذي بعث شنائمه الدول
والبطش الذي سبق سيفه العذل والانه التي لا يعمل عندها الامل والحزم انذى يسد على
الاعداء وجوه المسارب والعزم الذي يفل جوعها قبل نراع الكتاب والحلم الذي
يجي العفو من ثمر الذنوب والرفق الذي جمع على محبة بنات القلوب والعلم الذي يجنو
نوره دياجي المشكلات والعمل المقيد بالاخلاص والاعمال بالنيات ولما كانت
حضرة العلية مطمح الآمال ومسرح همم الرجال ومحط رحال الفضائل و...
أمن الخائف ومنية السائل توخي الزمان خدمتها ببديع تحفه وروائع له في فائز
عابها العلماء انثيال جوده على الصفات وتسابق اليها الادباء تسابق شرماتها الى الامانات
وحجج العارفون حرمة الشريف وقصد السامعون استطلاع معناها التيف والجلال
الخائفون الى الامتاع بمن جنابها واستجارت الملوك بخدمة أبوابها فهي التي طلب انذى
عليه مدار العالم وفي القطع بتفضيلها تساوت بديعة عقل الجاهل والعالم وعن ما ترها
الفائقة يستند صحاح الآثار كل مسلم وبإكمال محاسنها الرائقة يفصح كل معلم وكان ممن

وفد على بابها السامى وتعدى أو شال البلاد الى بحرها الطامى الشيخ الفقيه السامخ الثقة
 الصدوق جوال الارض وغترق الاقاليم بالطول والعرض أبو عبد الله محمد بن عبد الله
 ابن محمد بن ابراهيم اللواتي الطنجي المعروف بابن بطوطة المعروف في بلاد الشرقية بشمس
 الدين وهو الذى طاف الارض مقبرا وطوى الامصار مختبرا وباحث فرق الامم
 وسير سير العرب والعجم ثم أتى عصا التسيار بهذه الحضرة العليا لما علم أن لها منزلة
 الفضل دون شرط ولا نثيا وطوى المشارق الى مطلع بدرها بالغرب وآثرها على
 الاقطار ايثار التبر على الترب اختيارا بعد طول اختبار البلاد والحق وورغبة في اللحاق
 بالطاقفة التي لا تزال على الحق فغمره من احسانه الجزيل وامتنانه الخفى الحفيل
 ما أنسا الماضى بالحال وأغنام عن طول الترحال وحقر عنده ما كان من سواه يستعظمه
 وحقق لديه ما كان من فضله يتوهمه فنتسي ما كان الفهم من جوالان البلاد وظفر بالمرعى
 الحصب بعد طول الارتداد ونفذت الاشارة الكريمة بأن يعلى ماشاهده فى رحلته من
 الامصار وماعلق بحفظه من نوادر الاخبار ويذكر من لقيه من ملوك الاقطار
 وعاماتها الاخبار وأوليائها الابرار فأملى من ذلك ما فيه زهرة الخراطر وبهجة المسامع
 والنواظر من كل غريبة أفاد باحتلاتها وعجبية أطرف بانتحائها وصدر الامر العالي
 أميد مقامهم الكريم المنقطع الى بابهم المتشرف بخدمة جنابهم محمد بن محمد بن جزی
 الكلبي أعانه الله على خدمتهم وأوزعه شكر نعمتهم ان يضم أطراف مآمله الشيخ
 أبو عبد الله من ذلك فى تصنيف يكون على فوائده مشتملا ولئيل مقاصده مكملا
 متوخيا تنقيح الكلام وتهذيبه معتمدا أيضا حقه وتقريبه ليقع الاستمتاع بملك الطرف
 وبظم الانتفاع به ها عند تجريده عن الصدف قامثل ما مر به مبادرا وشرع فى
 مهله ليكون بمونة الله عن توفية الغرض منه صادرا وتقلت معاني كلام الشيخ أبي عبد
 الله بالفاظ موفية للمقاصد التي قصدتها موضحة للمناحى التي اعتمدها وربما أوردت
 لحفظه على وضحه فلم أخل بأصله ولا فرعه وأوردت جميع ما أورده من الحكايات
 والاخبار ولم أترس ببحث عن حقيقة ذلك ولا اختبار على أنه سلك فى اسناد

صحاها أقوم المسالك وخرج عن عهدة سائرهما بما يشعر من الالفاظ بذلك وقيدت
المشكل من أسماء المواضع والرجال بالشكل والنقط ليكون أنفع في التصحيح والضبط
وشرحت ما أمكنني شرحه من الاسماء العجمية لأنها تلتبس بمعجمتها على الناس ويخطئ
في فك معماها منهم ود القياس وأنا أرجو أن يقع ما قصدته من المقام العلى أيده الله بمحل
القبول وأبالغ من الاغضاء عن تقصيره المأمول فعواندهم في السماح جيله ومكارمهم
بالصقح عن المفوات كفيله والله تعالى يديم لهم عادة التصرو والتكفين ويعرفهم
عوارف التأييد والفتح المبين

قال الشيخ أبو عبد الله كان خروجي من طنجة مسقط رأسى في يوم الخميس الثاني من
شهر الله رجب الفرد عام خمسة وعشرين وسبع مائة هـ حج بيت الله الحرام وزيارة قبر
الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام منفردا عن رفيق آانس بصحبته وركب أكون في
جملته لباعث على النفس شديد العزائم وشوق الى تلك المعاهد الشريفة كما من في
الحيازم فجزمت أمرى على هجر الاحباب من الاناث والذكور وفارقت وطنى
مفارقة الطيور للو كور وكان والدي بقاء الحياة فتحملت بعدهما وصبا ولقيت كالمقيا
من الفراق نصبا وسنى يومئذ ثمان وعشرون سنة قال ابن جزى أخبرني أبو عبد الله
بمدينة غرناطة ان ولده بطنجة في يوم الاثنين السابع عشر من رجب الفرد سنة ثلاث
وسبع مائة

(رجع) وكان ارتحالي في أيام أمير المؤمنين وناصر الدين المجاهد في سبيل رب العالمين
الذى رويت أخبار جوده و وصوله الاسناد بالاسناد وشهرت آثار كرمه شهرة واضحة
الاشهاد وتحلت الايام بحلى فضله وترفع الانام في ظل رفقته وعدله الامام المقدس أبو
سعيد ابن مولانا أمير المؤمنين وناصر الدين الذى قل حد الشرك صدق عزائمهم وأطفأت
نار الكفر جداول صوارمه وفتكت بعباد الصليب كتابه وكرمت في اخلاص الجهاد
مذاهبه الامام المقدس أبو يوسف بن عبد الحق جد الله عليهم رضوانه وسقى ضرائحهم
المقدسة من صوب الحيا طله وتهناته وجزاهم أفضل الجزاء عن الاسلام والمسلمين

وأبقى الملك في عقبهم إلى يوم الدين فوصلت مدينة تلمسان وسمطانها يومئذ أبو تاشفين
عبد الرحمن بن موسى بن عثمان بن يعمراسن بن زيان ووافقت بهار سولي ملك إفريقية
السلطان أبي يحيى رحمه الله وهما قاضى الانكحة بمدينة تونس أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن
علي بن إبراهيم النزاوى والشيخ الصالح أبو عبد الله محمد بن الحسين بن عبد الله القرشي
الزبيدي (بضم الزاى نسبة إلى قرية بساحل المهدية) وهو أحد الفضلاء ووفاته عام أربعين
وفي يوم وصى إلى تلمسان خرج عنها الرسولان المذكوران فأشار علي بعض الإخوان
بمرافقتهم فاستخرت الله عز وجل في ذلك وأقت بتلمسان ثلاثين في قضاء ما ربي وخرجت
أجد السير في آثارهما فوصلت مدينة مليانة وأدركتهما بها وذلك في إبان القيظ فاحق
الفقيرين مرض أفتاب سبعة عشر شهرا ثم ارتحلنا وقد اشتد المرض بالقاضي منهما فاقتنا بعض
المياه على مسافة أربعة أميال من مليانة ثلاثا وقضى القاضي نحبه ضحى اليوم الرابع فماد ابنه
أبو الطيب ورفيقه أبو عبد الله الزبيدي إلى مليانة فقبروه بها وتركتهم هنالك وارتحلت مع
وقفة من تجار تونس منهم الحاج مسعود بن المنتصر والحاج العدولي ومحمد بن الحجر
فوصلنا مدينة الجزائر وأفتابنا بخارجها أياما إلى أن قدم الشيخ أبو عبد الله وابن القاضي
فتوجهنا جميعا على متبجة إلى جبل الزان ثم وصلنا إلى مدينة بجاية فنزل الشيخ أبو عبد الله
يدار قاضيها أبي عبد الله الزواوى ونزل أبو الطيب ابن القاضي بدار الفقيه أبي عبد الله
المفسر وكان أمير بجاية إذ ذاك أبا عبد الله محمد بن سيد الناس الحاجب وكان قد توفي من
تجار تونس الذين يحبهم من مليانة محمد بن الحجر الذي تقدم ذكره وترك ثلاثة آلاف
دينار من الذهب وأوصى به الرجل من أهل الجزائر يعرف بابن حديدة ليوصلها إلى
ورثته بتونس فأتيتني خبره لابن سيد الناس المذكور فأنزعها من يده وهذا أول
ما شاهدته من ظلم عمال الموحدين وولاتهم ولما وصلنا إلى بجاية بكذرت أصابني
الحمل فأشار علي أبو عبد الله الزبيدي بالإقامة فيها حتى يتمكن البرء منى فأبيت وقلت إن
قضى الله عز وجل بالموت فتكون وفائي بالطريق وأنا قاصد أرض الحجاز فقال لي إيمان
حينئذ فبع دابتك وثقل المتاع وأنا أعيرك دابة وخباء وتصحبنا خفيفا فاتنا نجد السير

خوف غارة العرب في الطريق ففعلت هذا وأعارني ما وعد به جزاء الله خيرا وكان ذلك أول ما ظهر لي من الاطاف الالهية في تلك الوجهة الحجازية وسرنا الي ان وصلنا الي مدينة قسنطينة فزلنا خارجا واصلنا بمطر جود اضطرنا الى الخروج عن الاخيرة ليلا الى دور هنالك فلما كان من الغد تلقانا حاكم المدينة وهو من الشرفاء الفضلاء يسمى بأبي الحسن فنظر الي ثيابي وقد لونها المطر فأمر بفسلها في داره وكان الاحرام منها خالقا فبعث مكانه احراما بعلبكيا وصرفني أحد طر فيه دينارين من الذهب فكان ذلك أول ما فتح به علي في وجهتي ورحلنا الي ان وصلنا مدينة بونة ونزلنا بداخلها وأفتنا بها أياما ثم تركنا بهامن كان في صحبتنا من التجار لاجل الخوف في الطريق وتجردنا للسير وواصلنا الجسد واصابتني الحمى فكنت أشد نفسي بعمامة فوق السرج خوف السقوط بسبب الضعف ولا يمكنني النزول من الخوف الي ان وصلنا مدينة تونس فبرزأها باللقاء الشيخ أبي عبد الله الزبيدي ولقاء أبي الطيب ابن القاضي أبي عبد الله التفاضلي فأقبل بهنفسهم علي بعض بالسلام والسؤال ولم يسلم علي أحد لعدم معرفتي بهم فوجدت من ذلك في النفس مالم أملك معه سوا بق العبرة واشتد بكائي فشعر بحالي بعض الحجاج فأقبل علي بالسلام والاياناس وما زال يؤنسني بحديثه حتى دخلت المدينة ونزلت منها بمدرسة الكتبيين قال اين جزي أخبرني شيخي قاضي الجماعة أخطف الخطباء أبو البركات محمد بن محمد بن ابراهيم السلمي هو ابن الحاج البلقيني انه جرى له مثل هذا الحكاية قال قد مدت مدينة باش من بلاد الاندلس في ليلة عيد برسم رواية الحديث المسلسل بالعيد عن أبي عبد الله ابن الكمامد وحضرت المصلي مع الناس فاما فرغت الصلاة والخطبة أقبل الناس بعضهم علي بعض بالسلام وأنا في ناحية لا يسلم علي أحد فقصد الي شيخ من أهل المدينة المذكورة وأقبل علي بالسلام والاياناس وقال نظرت اليك فرأيتك منتبذا عن الناس لا يسلم عليك أحد فمررت أنك غريب فأحببت اياناسك جزاء الله خيرا (رجع)

﴿ذكر سلطان تونس﴾

كان سلطان تونس عند دخولي اليها السلطان أبو يحيى ابن السلطان أبي زكريا يحيى

ابن اسلمطان أبي اسحق ابراهيم ابن السلطان أبي زكريا يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص
رحمه الله وكان بتونس جماعة من اعلام العلماء منهم قاضي الجماعة بها أبو عبد الله محمد بن
قاضي الجماعة أبي العباس أحمد بن محمد بن حسن بن محمد الانصارى الخزرجى البلسنى
الاصل ثم اتونسي هو ابن القماز ومنهم الخطيب أبو اسحق ابراهيم بن حسين بن على بن
عبد الرقيق الربى وولى أيضا قضاء الجماعة في خمس دول ومنهم الفقيه أبو على عمر بن على
ابن قداح الهوارى وولى أيضا قضاءها وكان من اعلام العلماء ومن عوايده انه يستدكل
يوم جمعة بعد صلاتها الى بعض اساطين الجامع الاعظم المعروف بجامع الزيتونة ويستتقيه
الناس فى المسائل فلما أفتى فى أربعين مسألة انصرف عن مجلسه ذلك واظلم فى بتونس
عبد الفطر فحضرت المصلى وقد احتفل الناس لشهود عيدهم وبرزوا فى أجمل هيئة
وأكمل شارة وو فى السلطان أبو يحيى المذكور راكبا وجميع أقاربه وخوادم وخدام
مملكته مشاة على أقدامهم فى ترتيب عجيب وصليت الصلاة وانقضت الخطبة وانصرف
الناس الى منازلهم بعد مدة تعين لركب الحجاز الشريف شيخه يعرف بأبي يعقوب
انسوسى من أهل أقل من بلاد أفريقية وأكثره المصامدة فقد مو فى قاضيا بينهم
وخرجنا من تونس فى أواخر شهر ذى القعدة سالكين طريق الساحل فوصلنا الى
بلدة سوسة وهى صغيرة حسنة مبنية على شاطئ البحر بينها وبين مدينة تونس أربعون
ميلا ثم وصلنا الى مدينة صفاقس وبخارج هذه البلدة قبر الامام أبي الحسن اللخمي
المالكي ءؤلف كتاب التبصرة فى الفقه قال ابن جزى فى بلدة صفاقس يقول شئى بن
حياب التنوخى (كامل)

سقبلا لارض صفاقس * ذات المصانع والمصلى
محى القصير الى الخايج * فقصرها السامى المعلى
بلد يكاد يقول حين * زوره أهلا وسهلا
وكأنه والبحر يحسرتارة عنه ويملا
صوب يريد زيارة * فاذا رأى الرقباء ولى

وفي عكس ذلك يقول الاديب البارع أبو عبد الله محمد بن أبي نعيم وكان من الحجة من المكثرتن (رجز)

صناقص لاصفا عيش لساكنها * ولاسقى أرضها غيثا اذا انسكبا
ناهيك من بلدة من حل ساحتها * عانى بها العاديين الروم والعربا
كمضل في البر مسلوبا بتناعته * وبات في البحر يشكو الاسر والعنبا
قدعين البحر من لوم لقاطنها * فكما هم ان يدنو لها هربا
(رجع) ثم وصلنا الى مدينة قابس ونزلنا بداخلها وأقمتنا بها عشرة لتوالى نزول الامطر
قال ابن جزى في ذكر قابس يقول بعضهم (رجز)

لهفي على طيب ليال خات * بجانب البطحاء من قابس
كان قلبي عند تذكارها * جدوة نار بيد قابس

(رجع) ثم خرجنا من مدينة قابس قاصدين طرابلس وصحبنا في بعض المراحل البهائم
مائة فارس أو يزيدون وكان بالركب قوم رماة فيها بهم العرب وتحامت مكانهم عصمنا الله
منهم وأظلمنا بعد الاحجبي في بعض تلك المراحل وفي الرابع بعد وصلنا الى مدينة طرابلس
فاقمتنا بها مدة وكنت عقدت بصفاقس على بنت لبعض أمراء تونس فبينت عليها بطرابلس ثم
خرجت من طرابلس وأخر شهر المحرم من عام ستة وعشرين ومعي أهلي وفي صحبتي
جماعة من المصامدة وقد رقت العلم وتقدمت عليهم وأقام الركب في طرابلس خوفا من
البرد والمطر وتجاوزنا مائة ليلة ومسراته وقصور سرته وهنالك أرادت طوائف العرب
الايقاع بنا ثم صرقتهم القدرة وحالت دون مارا موهمنا اذ ايتنا ثم توسطنا الفاقة وتجاوزناها
الى قصر بر صيص العابد الى قبة سلام وأدركنا هنالك الركب الذين تخافوا بطرابلس
ووقع بيني وبين صهرى مشاة برة أوجت فراق بنته وتزوجت بنتا لبعض طلبة فاس وبنت
بها بقصر الزعافية وأولمت ولمية حبست لها الركب يوما وأطعمتهم ثم وصلنا في أول جمادى
الاولى الى مدينة الاسكندرية حرسها الله وهى الثغر المحروس والقطر المانوس
العجيبة الشأن الاصيله البنيان بها ما شئت من تحسين وتحسين وما تردنيا ودين

كرمت مبانها ولطفت معانيها وجمت بين الضخامة والاحكام مبانها فهي الفريدة
تجلى سناها والخريدة تجلى في حلاها الزاهية بجمالها المغرب الجامعة لمفترق المحاسن
لتوسطها بين المشرق والمغرب فكل بديعة بها اجتلاؤها وكل طرفة فاليها اتهاؤها وقد
وصفها الناس فأنطبوا وصفوا في عجائبها فأغربوا وحسب المشرف الي ذلك ما سطره
أبو عبيد في كتاب المسالك

﴿ذكر أبوابها ومرسأها﴾

ولمدينة الاسكندرية أربعة أبواب باب السدرة واليه يشرع طريق المغرب وباب رشيد
وباب البحر والباب الاخضر وليس يفتح الا يوم الجمعة فيخرج الناس منه الي زيارة القبر
وله المرسى العظيم الشأن ولم أرفي مرسى الدنيا مثله الا ما كان من مرسى كولموقلي قوط
ببلاد الهند ومرسى الكفار بسوداق ببلاد الراك ومرسى الزيتون ببلاد الصين
وسيقع ذكرها

﴿ذكر المنار﴾

قصدت المنار في هذه الوجهة فرأيت أحد جوانبه مهذباً ووصفته أنه بناء مربع ذاهب في
الهواء وبابه مرتفع على الأرض وازاء بابه بناء بقدر ارتفاعه وضعت بينهما ألواح خشب
يعبر عليها إلى بابه فإذا ازيات لم يكن له سبيل ودخل الباب موضع الجلوس حارس المنار
ودخل المناريون كثيرة وعرض المعرض المرصداً له تسعة أشبار وعرض الحائط عشرة
أشبار وعرض المنار من كل جهة من جهاته الأربع مائة وأربعون شبراً وهو على تل
مرتفع ومسافة ما بينه وبين المدينة فرسخ واحد في بر مستطيل يحيط به البحر من
ثلاث جهات إلى أن يتصل البحر بسور البلد فلا يمكن التوصل إلى المنار في البر إلا من
المدينة وفي هذا البر المتصل بالمنار مقبرة الاسكندرية وقصدت المنار عند عودي إلى
بلاد المغرب عام خمسين وسبع مائة فوجدته قد استولى عليه الخراب بحيث لا يمكن دخوله
ولا الصعود إلى بابه وكان الملك الناصر رحمه الله قد شرع في بناء منار مثله بازائه فعاقه
الموت عن إتمامه

﴿ذكر عمود السواري﴾

ومن غرائب هذه المدينة عمود الرخام الهائل الذي بنى بجوارها المسمى عندهم بعمود السواري وهو متوسط في غاية التحل وقد امتاز عن شجراتها سموا وارتفاعا وهو قطعة واحدة محكمة التحت قد أقيم على قواعد حجارة مربعة أمثال الدكاكين العظيمة ولا تعرف كيفية وضعه هنالك ولا يتحقق من وضعه قال ابن جزى أخبرني بعض أشياخي الرحالين إن أحد الرماة بالأسكندرية صعد إلى أعلى ذلك العمود ومعه قوسه وكناته واستقر هنالك وشاع خبره فاجتمع الحزم الغفير لمشاهدته وطال العجب منه وخفي على الناس وجه احتياله وأظنه كان خائفا وطالب حاجة فأتيج له فعله الوصول إلى قصد الغرابة ما أتى به وكيفية احتياله في صعوده أنه ربحي بنشاب قد عقد فوقها خيطا طويلا وعقد بطرف الخيط حبالا وثيقا فتجاوزت النشاب إلى أعلى العمود معتزضة عليه ووقعت من الجهة الموازية للرامي فصار الخيط معتزضا على أعلى العمود فحذبه حتى توسط الجبل أعلى العمود مكان الخيط فأوسطه من إحدى الجهتين في الأرض وتعلق به ساعدا من الجهة الأخرى واستقر بأعلاه وجذب الجبل واستصحب من احتمله فلم يمسد الناس لحيلته وعجبا من شأنه (رجع) وكان أمير الأسكندرية في عهد وصولي إليها يسمى بصالح الدين وكان فيها أيضا في ذلك العهد سلطان أفريقية المخلوع وهو زكرياء أبو يحيى بن أحمد بن أبي حفص المعروف بالأحياني وأمر الملك الناصر بأنزاله بدار الساهنة من أسكندرية وأجرى له مائة درهم في كل يوم وكان معه أولاده عبد الواحد ومصري وأسكندري وحاجبه أبوزكرياء ابن يعقوب ووزير أبو عبد الله بن ياسين وبالإسكندرية توفي الأحياني المذكور وولده الإسكندري وبقى المصري بها إلى اليوم قال ابن جزى من الغريب ما اتفق من صدق الزجر في اسمي ولدي الأحياني الإسكندري والمصري فبات الإسكندري بها وعاش المصري دهر أطول باليهام وهي من بلاد مصر (رجع) وتحول عبد الواحد لبلاد اندلس والمغرب وأفريقية وتوفي هنالك بمجربة جربة

﴿ذكر بعض ملهء الاسكند

فمنهم قاضها عماد الدين الكندي امام من أئمة علم اللسان وكان يعم بعمامة خرقت المعتاد
لعمائمهم لم أر في مشارق الارض ومغاربها عمامة أعظم منها رأيت يوم أقاعد في صدر محراب
وقد كادت عمامة ان تعاذل المحراب ومنهم نضر الدين بن الريني وهو أيضاً من القضاة
بالاسكندرية فاضل من أهل العلم (حكاية)

يذكر ان جد القاضي نضر الدين الريني كان من أهل ريفعة واشتغل بطلب العلم ثم رحل الى
الحجاز فوصل الاسكندرية بالعشي وهو قليل ذات اليد فأحب أن لا يدخلها حتى يسمع
فألا حسناً فعد قريبا من بابها الى ان دخل جميع الناس وجاء وقت سد الباب ولم يبق هناك
سواه فاغتاظ الموكل بالباب من ابطائه وقال متعكبا ادخل يا قاضي فقال قاض ان شاء الله
ودخل الى بعض المدارس ولازم القراءة وسلك طريق الفضلاء فعظم صيته وشهر اسمه
وعرف بالزهد والورع واتصلت أخباره بملك مصر واتفق ان توفي قاضي الاسكندرية
وبها اذذاك الحزم الفقير من الفقهاء والعلماء وكلهم منشوف لاولايتة وهو من بينهم لا يشوف
لذلك فبعث اليه السلطان بالتقليد وهو ظهير القضاء وأناه البريدي بذلك فأمر خديعه أن
ينادي في الناس من كانت له خصومة فليحضر لها وقعد للفصل بين الناس فاجتمع الفقهاء
وسواهم الى رجل منهم كانوا يظنون ان القضاء لا يتعداه وتفاوضوا في مراجعة السلطان
في أمره ومخاطبته بأن الناس لا يرتضونه وحضر لذلك أحدا الخذاق من المنجمين فقال لهم
لا تفعلوا ذلك فاني عدلت طالع ولايته وحققته فظهر لي انه يحكم أربعين سنة فأضربوا
عمامه وابه من المراجعة في شأنه وكان أمره على ما ظهر للمنجم وعرف في ولايته بالعدل
والنزاهة ومنهم وجه الدين الصنهاجي من قضائهم مشتهر بالعلم والفضل ومنهم شمس الدين
ابن بنت التيسري فاضل شهير الذكرو من الصالحين بهما الشيخ أبو عبد الله الفاسي من كبار
أولياء الله تعالى يذكر انه كان يسمع ودائلا سلام عليه اذا سلم من صلاته ومنهم الامام العالم
الزاهد الخاشع الورع (خليفة) صاحب المكاشفات (كرامة له)

خبرني بعض الثقات من أصحابه قال رأى الشيخ خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم
فقال يا خليفة زرننا فرحل الى المدينة الشريفة وأتى المسجد الكريم فدخل من باب

السلام وحياء المسجد وسلم علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقعد مستنداً الي بعض
سوارى المسجد ووضع رأسه علي ركبته وذلك يسمى عند المتصوفة الترفيق فلما
رفع رأسه وجد أربعة أرغفة وآنية فيها لبن وطبقا فيه تمر فأكل هو وأصحابه وانصرف
عائداً إلى الاسكندرية ولم يحج تلك السنة * ومنهم الامام العالم الزاهد الورع الخاشع برهان
الدين الاعرج من كبار ائمه افراد العباد لقيته أيام مقامى بالاسكندرية وأقت في
ضيافته ثلاثاً (ذكر كرامته)

دخلت عليه يوماً فقال لي أراك تحب السياحة والجولان في البلاد فقلت له نعم اني أحب ذلك
ولم يكن حينئذ خطر بخاطري التوغل في البلاد القاصية من الهند والصين فقال لا بد لك ان
شاء الله من زيارة أخي فريد الدين بالهند وأخي ركن الدين زكرياء بالسند وأخي برهان
الدين بالصين فاذا بلغتهم فأبلغهم منى السلام فعمجت من قوله وألقي في روعي التوجه الي
تلك البلاد ولم أزل أجول حتى لقيت الثلاثة الذين ذكرهم وأبلغتهم سلامه ولما وادعته
زودني دراهم لم تزل عندي محوطة ولم أحتج بعد الي اتفاقها الي ان سلمها مني كفار الهندود
فيما سلبوه لي في البحر * ومنهم الشيخ ياقوت الحبشي من افراد الرجال وهو تلميذ أبي
العباس المرسى وأبو العباس المرسى تلميذ ولي الله تعالى أبي الحسن الشاذلي الشهير ذي
الكرامات الجليلة والمقامات العالية

(كرامة لأبي الحسن الشاذلي) أخبرني الشيخ ياقوت عن شيخه أبي العباس المرسى
ان أبا الحسن كان يحج في كل سنة ويجعل طريقه على صعيد مصر ويمجاور بمكة شهر
رجب وما بعده الي انقضاء الحج ويزور القبر الشريف ويعود على الدرب الكبير الي
بلده فلما كان في بعض السنين وهي آخر سنة خرج فيها قال لحديمه استصحب فأسا وقفة
وحنوطاً وما يجهز به الميت فقال له الحديم ولم ذابسيدي فقال له في حيترا سوف ترى
وحيترا في صعيد مصر في صحراء يذاب وبها عين ماء زعاق وهي كثيرة الضبايع فلما بلغنا
حيترا اغتسل الشيخ أبو الحسن وصلى ركعتين وقبضه الله عز وجل في آخر سجدة من
صلاته ودفن هناك وقد زرت قبره وعليه تبرية مكتوب فيها اسمه ونسبه متصلاً بالحسن.

الثوب شديد العقاب ذى الطول لا اله الا هو اليه المصير باسم الله بابتا تبارك حيطا تايست
 سققنا كهمص كفايتا حم عسق حمايتا فسيكفيكم الله وهو السميع العليم ستر العرش
 مسبول علينا وعين الله ناظرة الينا بحول الله لا يقدر علينا والله من ورائهم محيط بل هو
 قرآن مجيد في لوح محفوظ فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين ان ولى الله الذى نزل
 الكتاب وهو يتولى الصالحين فان تولوا فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب
 العرش العظيم باسم الله الذى لا يضره مع اسمه شئ في الارض ولا في السماء وهو السميع
 العليم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه
 وسلم (حكاية)

ومما جرى بمدينة الاسكندرية سنة سبع وعشرين وبلغنا خبر ذلك بمكة شرفها الله انه
 وقع بين المسلمين وتجار السارى مشاجرة وكان والى الاسكندرية رجلا يرف بالكركى
 فذهب الي حماية الروم وأمر بالمسلمين فحضروا بين نصلى باب المدينة وأغلقت دونهم
 الابواب نكالا لهم فانكر الناس ذلك وأعظموه وكسروا الباب وناروا الى منزل والى
 فتحصن منهم وقتانهم من أعلاهم وطير الحما بالخير الى الملك الناصر فبعث أميراً يعرف
 بالجمالى ثم اتبعه أميراً يعرف بطوغان جبار قاسى القلب متهم في دينه يقال انه كان يعبد
 الشمس فدخل الاسكندرية وقبض على كبار أهلها وأعيان التجار بها كاولاد الكرك
 وسواهم وأخذ منهم الاموال الطائلة وجعلت في عنق عماد الدين القاضى جامعة حديد ثم
 ان الاميرين قتلا من أهل المدينة ستة وثلاثين رجلا وجعلوا كل رجل قطعتين وصلبوه
 صفين وذلك في يوم جمعة وخرج الناس على عادتهم بعد الصلاة لزيارة القبور وشاهدوا
 مصارع القوم فعمظت حسرتهم وتضاعفت أحزانهم وكان في جملة أولئك المصلوبين تاجر
 كبير القدر يعرف بابن راحة وكان له قاعة معدة للسلاح فتي كان خوف أو قتال جهر منها
 المائة والمائتين من الرجال بما يكفيهم من الاسلحة وبالمدينة قاعات على هذه الصورة لكثير
 من أهلها فزل لسانه وقال للاميرين أنا أضمن هذه المدينة وكل ما يحدث فيها أطلب به
 وأحوط على السلطان مرتبات العساكر والرجال فانكر الامير ان قوله وقال انما تريد

الثورة على السلطان وقتلاه. وإنما كان قصده رحمه الله اظهار النصيح والخدمة لاسلطان
فكان فيه حنقه وكنت سمعت أيام اقامتي بالاسكندرية بالشيخ الصالح العابد المنقطع
المتفق من الكون أبي عبد الله المرشدي وهو من كبار الاولياء المكشفين انه منقطع بنية
بني مرشد له هناك زاوية منفردة فيها اخديم له ولا صاحب ويقصده الامراء والوزراء
وتأتيه الوفود من طوائف الناس في كل يوم فيطعمهم الطعام وكل واحد منهم ينوي أن
يأكل عنده طعاماً أو فاكهة أو حلوى فيأتي لكل واحد بما نواه وربما كان ذلك في غير ابانه
ويأتيه الفقهاء لطلب الخطبة فيولى ويعزل وذلك كله من أمره مستفيض من أرو وقد قصده
الملك الناصر مرات بموضعه فخرجت من مدينة الاسكندرية قاصداً هذا الشيخ فمعا الله به
ووصلت قرية تروجة (وضبطها بفتح التاء المملوءة والراء وواو جيم مفتوحة) وهي على
مسيرة نصف يوم من مدينة الاسكندرية قرية كبيرة بها قاض ووال وناظر ولأهلها
مكارم أخلاق ومروءة صحبت قاضيها صفي الدين وخطيبها خنز الدين وقاضيا من أهلها
يسمي بمبارك ونبعت بزين الدين ونزلت بها على رجل من العباد الفضلاء كبير القدر
يسمى عبد الوهاب وأضافني ناظرها زين الدين ابن الواعظ وسأني عن بلدي وعن مجباه
فأخبرته أن مجباه نحو اثني عشر ألفاً من دينار الذهب فعجب وقال لي أيت هذه القرية فإن
مجاها اثنتان وسبعون ألف دينار ذهباً وأما أعظمت مجابى ديار مصر لان جميع أملاكها
ليت المال ثم خرجت من هذه القرية فوصلت مدينة دمهور وهي مدينة كبيرة جبايتها
كثيرة ومحاسنها اثيرة أم مدن البحيرة بأسرها وقطبها الذي عليه مدار أمرها (وضبطها
بدال مهملة وجم مفتوحة) ونون ساكنة وهاء مضمومة وواو وراء) وكان قاضيها في ذلك
العهد خنز الدين بن مسكين من فقهاء الشافعية وتولى قضاء الاسكندرية لما عزل عنها عماد
الدين الكندي بسبب الواقعة التي قصصناها وأخبرني الثقة أن ابن مسكين أعطي خمسة
وعشرين ألف درهم وصرفها من دنائير الذهب ألف دينار على ولاية القضاء
بالاسكندرية ثم رحلنا إلى مدينة فوا وهذه المدينة عجيب المنظر حسنة المنحجب بها البساتين
الكثيرة والفوائد الخطيرة الاثيرة (وضبطها بالفاء والواو المفتوحة) مع تشديد الواو

بها قبر الشيخ الولي أبي النجاة الشهير الاسم خير تلك البلاد وراوي الشيخ أبي عبد الله المرشد الذي قصده به بحقرة من المدينة يفصل بينهما خليج هنالك فلما وصلت المدينة تمديتها وصلت أبي زاوية الشيخ المذكور قبل صلاة العصر وسلمت عليه ووجدت عنده الأمير سيف الدين يملك وهو من الحاصكية (وأول اسمه ياء آخر الحروف ولامه الأولى مسكنة والثانية مفتوحة مثل الميم والعامية تقول فيه الملك فيخطون ونزل هذا الأمير بسكرة خارج الزاوية ولما دخلت على الشيخ رحمه الله قام إلي وعانقني وأحضر طعاما فواكفني وكانت عليه حبة صوف سوداء فلما حضرت صلاة العصر قدمني للصلاة أماما وكذلك لكل ما حضرني عنده حين أقامني معه من الصلاة ولما أردت النوم قال لي اصعداني سطح الزاوية ثم هنالك وذلك أوان القبط فقلت للأمير باسم الله فقال لي وما منالاله مقام معلوم فصعدت السطح فوجدت به حصيرا ونطما وآنية للوضوء وجرة ماء وقد حال شرب فمعت هنالك

(كرامة لهذا الشيخ) رأيت ليلتي تلك وأنا نائم بسطح الزاوية كأني على جناح طائر عظيم يطير بي في سمت القبلة يتيان من ثم يشرق ثم يذهب في ناحية الجنوب ثم يبعد الطيران في ناحية الشرق وينزل في أرض مظلمة خضراء ويتركني بها فمجت من هذه الرؤيا وقلت في نفسي إن كاشفني الشيخ برؤياي فهو كما يحكي عنه فلما غدوت لصلاة الصبح قدمني أماما لهم أناد الأمير يملك فوادعه وانصرف ووادعه من كان هناك من الزوار وانصرفوا أجمعين من بعد أن زودهم كميات صفارا ثم سبحت سبحة الضحى ودعاني وكشفني برؤياي فقصصتها عليه فقال سوف تحج وتزور النبي صلى الله عليه وسلم وتجول في بلاد اليمن والعراق وبلاد الترك وبلاد الهند وتبقى بها مدة طويلة وستلقى بها أخي دليشاد الهندي ويخلصك من شدة تقع فيها ثم زودني كميات ودرهم ووادعته وانصرفت ومنذ فارقت لم ألق في أسفار الأخرى وظهرت على بركاته ثم لم ألق فيمن لقيته مثله إلا الولي سيدي محمد الموله بأرض الهند ثم رحلت إلى مدينة الحرارية وهي رجة الفناء حديثة البناء أسواقها

حسنة الرؤية (وضبطها بفتح التون وحاء م ل مسكن وراءين) وأميرها كبير القدر يعرف
 بالسعدى وولده فى خدمة ملك الهند وسنذكره وقاضيا صدر الدين سايمان المالكي من
 كبار المالكية سافر عن الملك الناصر الى العراق وولى قضاء البلاد الغربية وله ديعة بـقيلة
 وصورة حسنة وخطيبها شرف الدين السخاوي من الصالحين ورحلت منها الى مدينة
 أبيار وهي قديمة البناء أرجة الأرجاء كثير المساجد ذات حسن زئد (وضبط اسمها
 بفتح الهمزة واسكان الباء الموحدة ويا آخر الحروف وألف وراء) وهي بمقربة من
 النحرارية ويفصل بينهما النيل وتضع بأبيار ثياب حسان تعلوقها بالشام والعراق ومصر
 وغيرها ومن الزريب قرب النحرارية منها والثياب التي تصنع بها غير معتبرة ولا مستحسنة
 عند أهلها ولقيت بأبيار قاضيا عز الدين المليحي الشافعي وهو كريم انتمائل كبير القدر
 حضرت عنده مرة يوم الركبة وهم يسمون ذلك يوم ارتقاب هلال رمضان وعادتهم فيه ان
 يجتمع فقهاء المدينة ووجوهها بعد العصر من اليوم التاسع والعشرين لشعبان بدار القاضي
 ويقف على الباب نقيب المتعمدين وهو ذو شارة وهيئة حسنة فاذا أتى أحد الفقهاء أو
 الرجوة تاقاه ذلك النقيب ومشي بين يديه قائلا باسم الله سيدنا فلان الدين فيسمع القاضي
 ومن معه فيقومون له ويشمس النقيب في موضع يليق به فاذا تكلموا هاتلك ركب القاضي
 وركب من معه أجمعين وتبعهم جميع من بالمدينة من الرجال والنساء والصبيان وينتهون
 الى موضع مرتفع خارج المدينة وهو مرتقب الهلال عندهم وقد فرش ذلك الموضع
 بالسط والفرش فينزل فيه القاضي ومن معه فيرتقبون الهلال ثم يعودون الى المدينة بعد
 صلاة المغرب وبين أيديهم الشمع والمشاعل والفوانيس ويوقد أهل الحوانيت بحوائطهم
 الشمع ويصل الناس مع القاضي الى داره ثم ينصرفون هكذا فعلهم في كل سنة ثم توجهت
 الى مدينة الحلة الكبيرة وهي جليمة المقدار حسنة الآثار كثير أهلها جامع المحاسن
 سلمها واسمها ابن ولهذا المدينة قاضي القضاء والى الولاة وكان قاضي قضائها أيام وصولي
 اليها في فراش المرض يستأن له على مسافة فرسخين من البلد وهو عز الدين بن الأشمرين
 فقصدت زيارته بحبة نائبه الفقيه أبي القاسم بن بنون المالكي التونسي وشرف الدين

الدميري قاضي محلة منوف وأقناعه يوم ماوسمت منه وقد جرى ذكر الصالحين ان علي
مسيرة يوم من المحلة الكبيرة بلاد البرلس ونسترو وهي بلاد الصالحين وبها قبر الشيخ
مرزوق صاحب المكاشفات فقصدت تلك البلاد ونزلت بزواية الشيخ المنكور وتلك
البلاد كثيرة النخل والثمار والطير البحري والحوت المعروف بالبورى ومديتهم تسمى
ملطين وهي على ساحل البحيرة المجتمعة من ماء النيل وماء البحر المعروف بحيرة تنيس
ونسترو بمقربة منها نزلت هنالك بزواية الشيخ شمس الدين القلوى من الصالحين وكانت
تنيس بلادا عظيما شهيرا وهي الآن خراب قال ابن جزي (تنيس بكسر التاء المتناة والنون
المشددة وياء وسين مهملة) واليه ينسب الشاعر الجيد أبو الفتح بن وكيع وهو القائل في
خليجها (بسيط)

قم فاستقي والخليج مضطرب * والريح تنثى ذوائب القصب

كأنها والرياح تعطفها * صب قنندسية العذنب

والجو في حلة ممسكة * قد طرزتها البروق بالذهب

(ونسترو بفتح النون واسكان السين وراءه متوحة وو او مسكن) (والبرلس بباء موحدة
وراء وآخره سين مهملة وقيد بعضهم بضم حروفه الاول الثلاث وتشديد اللام وقيد
أبو بكر بن نقطة بفتح الاولين) وهو على البحر ومن غريب ما اتفق به ما حكاه أبو عبد الله
الرازي عن أبيه ان قاضي البرلس وكان رجلا صالحا خرج ليلة الى النيل فينما السبخ الوضوء
وصلى ماشاء أن يصلى اذ سمع قائلا يقول

لولا رجال لهم سرد يصومونا * وآخرون لهم ورد يقومونا

لزلت أرضكم من تحتكم سحرا * لانكم قوم سوء لا تبالونا

قال فتجوزت في صلاتي وأدريت طرفي فأرأيت احدا ولا سمعت حاصفلمت ان ذلك زاجر
من الله تعالى (رجع) ثم سافرت في أرض رملة الى مدينة دمياط وهي مدينة فسيحة
الاقطار متنوعة الثمار عجيبية الترتيب آخذة من كل حسن ينصيب (والناس يضبطون
اسمها بأبجاء المذال وكذلك ضبطه الامام أبو محمد عبد الله بن علي الرضا طي وكان شرف الدين

الامام العلامة أبو محمد عبد المؤمن بن خلف الدميني امام المحدثين يضبطها باهمال الدال ويتبع ذلك بأن يقول خلاف الرشاطي وغيره وهو أعرف بضبط اسم بلده) ومدينة دمياط على شاطئ النيل وأهل الدور الموالية له يستقون منه الماء بالذلاء وكثير من دورها بهادر كرات ينزل فيها الى النيل وشجر الموز بها كثير يحمل ثمره الى مصر في المراكب وغنمها سائمة هملا بالليل وانهار ولهذا يقال في دمياط سورها حلوى وكلاهما غنم وإذا دخلها أحد لم يكن له سبيل الى الخروج عنها الا بطابع الوالي فن كان من الناس معتبرا طبع له في قطعه كاغد يستظهر به لحراس بابها وغيرهم يطبع على ذراعه فيستظهر به والطير البحرى بهذه المدينة كثير متاهى السمن وبها الابان الجاموسية التي لا مثل لها في عذوبة الطعم وطيب المذاق وبها الحوت البورى يحمل منها الى الشام وبلاد الروم ومصر ويخارجها جزيرة بين البحرين والنيل تسمى البرزخ بها مسجد وزاوية لقيت بها شيخها المعروف بابن قفل وحضرت عنده ليلة جمعة ومعه جماعة من النقراء الفضلاء المتعبدين الاخيار قطعوا ليتم صلاة وقراءة وذكرها ودمياط هذه حديثة البناء والمدينة القديمة هي التي خربها الاقرنج علي عهد الملك الصالح وبها زاوية الشيخ جمال الدين الساوى قدوة الطائفة المرووفة بالقرندرية وهم الذين يحلقون لحاهم وحواجيهم ويسكن الزاوية في هذا العهد

(حكاية)

الشيخ فتح التكرورى

يذكر ان السبب الداهى للشيخ جمال الدين الساوى الى حاق لحته وحاجيه انه كان جميل الصورة حسن الوجه فملقت به امرأة من أهل ساوة وكانت ترأسه وتمازضه في الطارق وتدعو له لنفسها وهو يمتنع ويتهاون فلما أعياها أمره دست له صجور اتصدت له ازاء داره على طريقه الى المسجد وببدها كتاب محتوم فاما صربها قالت له ياسيدى أحسن القراءة قال نعم قالت له هذا الكتاب وجهه الى ولدى وأحب أن تقرأه على فقال لها نعم فلما فتح الكتاب قالت له ياسيدى ان لولدي زوجة وهي بأسطوان الدار فلوتفضلت بقراءة بين ياني الدار بحيث تسمعها فأجابها لذلك فلما توسط بين البابين غلقت العجوز الباب وخرجت المرأة وجوارها فتملقن به وأدخلته الى داخل الدار وراودته المرأة عن نفسه

فلما رأى ان لا خلاص له قال لها اني حيث تريدن فأريني بيت الخلاة فأرته اياه فأدخل معه الماء وكانت عنده موسى حديدة مخلق لحيته وحاجبيه وخرج عليها فاستقبحته هيئته واستكرت فله وأمرت باخراجه وعصمه الله بذلك فبقى علي هيئته فيما بعد وصار كل من يسلك طريقته يحاق رأسه ولحيته وحاجبيه

(كرامة لهذا الشيخ) يذكر انه لما قصد مدينة دمياط لزم مقبرتها وكان بها قاض يعرف بابن العميد فخرج يوما الى جنازة بعض الاعيان فرأى الشيخ جمال الدين بالمقبرة فقال له أنت الشيخ المبتدع فقال له وأنت القاضي الجاهل عر بدا بتك بين القبور وتعلم ان حرمة الانسان ميتا كحرمة حيا فقال له القاضي وأعظم من ذلك حلقك للاحيتك فقال له اياي تعني وزعق الشيخ ثم رفع رأسه فاذا هو ذو لحية سوداء عظيمة فمجب القاضي ومن معه وتزل اليه عن بقلته ثم زعق ثانيا فاذا هو ذو لحية بيضاء حسنة ثم زعق ثالثة ورفع رأسه فاذا هو بالاحية كهيئته الاولى فقبل القاضي يده وتلمذ له وبنى له الزاوية حسنة وصحبه أيام حياته ثم مات الشيخ فدفن بزاويته ولما حضرت القاضي وافته أوصى أن يدفن بباب الزاوية حتى يكون كل داخل الي زيارة الشيخ بطأ قبره وبخارج دمياط المزار المعروف بشطا (بفتح الشين المعجمة والطاء المهملة) وهو ظاهر البركة يتصده أهل الديار المصرية وله أيام في السنة معلومة لذلك وبخارجها أيضا بين بسايتها موضع يعرف بالمنية فيه شيخ من الفضلاء يعرف بابن النعمان قصدت زاويته وبنت عنده وكان بدمياط أيام اقامتي بها وال يعرف بالحسنى من ذوى الاحسان والفضل بنى مدرسة على شاطئ النيل بها كان نزولي في تلك الايام وتأكدت بيني وبينه مودة ثم سافرت الي مدينة فارسكور وهي مدينة على ساحل النيل (والكاف الذي في اسمها مضموم) ونزلت بخارجها ولحقني هنالك فارس وجهه الى الامير المحسنى فقال لي ان الامير سأل عنك وعرف بسيرتك فبعث اليك بهذه النفقة ودفع الى جملة دراهم جزاء الله خير اثم سافرت الى مدينة أشمون الرمان (وضبط اسمها بفتح الهمزة واسكان الشين الماهجم) ونسبت الى الرمان لكثرة ثمرها ومنها يحمل الي مصر وهي مدينة عتيقة كبيرة على خليج من خلج النيل ولها قنطرة خشب ترسو

المراكب عندها فاذا كان العصر رفعت تلك الخشب وجازت المراكب صاعدة ومنحدرة
وبهذا البلدة قاضي القضاة ووالى الولاية ثم سافرت عنها الى مدينة سمندود وهى على شاطئ
النيل كثيرة المراكب سنة الاسواق وبينها وبين المحلة الكبيرة ثلاثة فراسخ (وضبط
اسمها بفتح السين المهمل والميم وتشديد النون وضمها وواو ودال مهمل) ومن هذه
المدينة ركب النيل مصعدا الى مصر ما بين مدائن وقرى منظمة متصل بعضها ببعض ولا
يفتقررا كبل النيل الى استصحاب الزاد لانه هما أراد الزول بالشاطئ نزل للوضوء
والصلاة وشراء الزاد وغير ذلك والاسواق متصلة من مدينة الاسكندرية الى مصر ومن
مصر الى مدينة اسوان من الصعيد ثم وصلت الى مدينة مصر هي أم البلاد وقرارة
فرعون ذى الاوتاد ذات الاقاليم العريضة والبلاد الارضية المتناهية في كثرة
العمارة المتباهية بالحسن والتضارعه مجمع الوارد والصادر ومحط رحل الضعيف
والقادر وبها ما شئت من عالم وجاهل وحاد وهازل وحليم وسفيه ووضع ونبيه
وشريف ومشروف ومنكرو ومعروف تموج موج البحر يسكنها وتكاد تضيق
بهم على سعة مكانها وامكانها شبابها يجد على طول العهد وكوكب تعدلها لا يبرح
عن منزل السعد قهرت قاهرته الام وتمكنت ملوكها نواصي العرب والعجم
ولها خصوصية النيل التى جل خطرها واغناها عن أن يستمد القطر قطرها وأرضها
مسيرة شهر لجد السير كريمة التربة مؤنسة لذوى الغربه قال ابن جزى وفيها يقول
الشاعر

لعمرك ما مصر بمصر واتما * هي الجنة الدنيا ان تبصر
فأولادها الولدان والخورعينا * وروضتها الفردوس والنيل كوثر

وفيها يقول ناصر الدين بن ناهض

شاطئ مصر جنة * ما مثاها من بلد
لا سيما مذخرت * بنيلها المطرد
وللرياح فسوته * سوابغ من زرد

مسرودة مامسها * داودها بعير د
سائلة هواؤها * يرعد عارى الجسد
والفلك كالانلاك بسين حادروم صعد

(رجع) ويقال ان بمصر من السقائين على الجمال اثني عشر ألف سقاء وان بها ثلاثين ألف مكراوان بنيلها من المراكب ستة وثلاثين ألفا للسلطان والرعية تمر صاعدة الى الصعيد ومنجدة الى الاسكندرية ودمياط بأنواع الخبثات والمرافق وعلى ضفة النيل مما يواجه مصر الموضع المعروف بالروضة وهو مكان الزهرة والتفرج وبه البساتين الكثيرة الحسنة وأهل مصر ذو طرب وسرور ولهوشاهدت بهامرة فرجة بسبب برء الملك الناصر من كسر أصاب يده فزين كل أهل سوق سوقهم وعاقوا بحوايتهم الحلل والحلى وثياب الحرير وبقوا على ذلك أياما

﴿ذكر مسجد عمرو بن العاص والمدارس والمساكن والزوايا﴾

وهو مسجد عمرو بن العاص مسجد شريف كبير القدر شهير الذكر تقام فيه الجمعة والطريق يعتز به من شرق الى غرب وبشرقه الزاوية حيث كان يدرس الامام أبو عبد الله الشافعي وأما المدارس بمصر فلا يحيط أحد بحصرها لكثرتها وأما المدارس التي بين القصرين عند تربة الملك المنصور فلا وون يعجز الوصف عن محاسنها وقد أعديت من المرافق والادوية ما لا يحصر ويذكر أن مجاهد ألف دينار كل يوم وأما الزوايا فكثيرة وهم يسمونها الخوانق واحدها خانقة والامراء بمصر يتنافسون في بناء الزوايا وكل زاوية بمصر معينة لطائفة من الفقراء أو أكثرهم الا عجمهم أهل أدب ومعرفة بطريقة التصوف ولكل زاوية شيخ وحارس وترتيب أمورهم عجيب * ومن عوائدهم في الطعام انه يأتي خديم الزاوية الى الفقراء صبا نافعين له كل واحد ما يشتهي من الطعام فلذا اجتمعوا للاكر جعلوا لكل انسان خبز ومرة في اناء على حدة لا يشارك فيه أحد وطعامهم مرتان في اليوم ولهم كسوة الشتاء وكسوة الصيف ومراتب شهرى من ثلاثين درهما للواحد في الشهر الى عشرين وثمانين للحلاوة من السكر في كل ليلة جمعة والصابون

لنسل أنواهم والاحجرة لدخول الحمام والزيت للاستصباح وهم أعزاب وللمتزوجين
زوايا على حدة ومن المشترك عليهم حضور الصلوات الخمس والمبيت بالزاوية - واتباعهم
بقبة داخل الزاوية * ومن عواندهم أن يجلس كل واحد منهم على سجادة مختصة به وإذا
صلوا صلاة الصبح قرؤا سورة الفتح وسورة الملك وسورة عم ثم يؤتى بنسخ من القرآن
العظيم مجزأة فيأخذ كل فقير جزءا ويختمون القرآن ويذكرون ثم يقرأ القراء على عادة أهل
المشرق ومثل ذلك يفعلون بعد صلاة العصر * ومن عواندهم مع القادم أنه يأتي باب الزاوية
فيقف به مشدود الوسط وعلى كاهله سجادة ويحنأه احكازو ويسراه الابريق فيعلم البواب
خديم الزاوية بمكانه فيخرج اليه ويسأله من أي البلاد أتى وبأي الزوايا نزل في طريقه
ومن شيخه فإذا عرف محجة قوله أدخله الزاوية وفرش له سجادته في موضع يليق به وأراه
موضع الظهارة فيجدد الوضوء يأتي إلى سجادته فيحلب وسطه ويصلي ركعتين ويصافح
الشيخ ومن حضر ويقعد معهم * ومن عواندهم أنهم إذا كان يوم الجمعة أخذ الخادم جميع
سجادهم فيذهب بها إلى المسجد ويقرشها لهم هنالك ويخرجون مجتمعين ومعهم
شيخهم فيأتون المسجد ويصلي كل واحد على سجادته فإذا فرغوا من الصلاة قرؤوا
القرآن على عادتهم ثم ينصرفون مجتمعين إلى الزاوية ومعهم شيخهم

* ذكر قرافة مصر ومزاراتها *

ولمصر القرافة العظيمة الشأن في التبرك بها وقد جاء في فضلها أن أخرجه القرطبي وغيره
لأنها من جملة الجبل المقطم الذي وعده الله أن يكون روضة من رياض الجنة وهم يتنون
بالقرافة القباب الحسنة ويجعلون عليها الحيطان فتكون كالدور ويتنون بها البيوت ويرتبون
القراء يقرؤن ليلا ونهارا بالاصوات الحسان ومنهم من يبني الزاوية والمدرسة إلى جانب
التربة ويخرجون في كل ليلة جمعة إلى المبيت بها بأولادهم ونسائهم ويطوفون على
المزارات الشهيرة ويخرجون أيضا للمبيت بها ليلة النصف من شعبان ويخرج أهل
الاسواق بصنوف المأكول * ومن المزارات الشريفة المشهد المقدس العظيم الشأن حيث
وأس الحسين بن علي عليهما السلام وعليه باط ضخم عجيب البناء على أبوابه حلق النضبة

وصفاً ثمها أيضاً كذلك وهو مو في الحق من الاجلال والتعظيم * ومنها تربة السيدة نفيسة بنت زيد بن علي بن الحسين بن علي عليهم السلام وكانت مجابة الدعوة مجتهدة في العبادة وهذه التربة أتيقة البناء مشرقة الضياء عليها رباط مقصود * ومنها تربة الاما أبي عبد الله محمد بن ادريس الشافعي رضي الله عنه وعليها رباط كبير ولها جارية ضخمة وبها القبة الشهيرة البديعة الاتقان المجيبة البيان المتناهية الاحكام المفرطة سمو وسعها ازيد من ثلاثين ذراعاً وبقرافة مصر من قبور العلماء والصالحين مالا يضبطه الحصر وبها عدد جم من الصحابة وصدور السلف والخلف رضي الله تعالى عنهم مثل عبد الرحمن بن القاسم وأشهب بن عبد العزيز وأصبغ بن الفرج وابني عبد الحكم وأبي القاسم بن شعبان وأبي محمد عبد الوهاب لكن ليس لهم بها شهرة ولا يعرفهم الا من لهم عناية والشافعي رضي الله عنه ساعده الجدي في نفسه وأتباعه وأصحابه في حياته ومماته فظهر من أمره مصداق قوله (كامل)

الجدي يذني كل أمر شاسع * والجدي يفتح كل باب مغلق
(ذكر نيل مصر)

ونيل مصر يفضل أنهار الارض غذوبة مذاق واتساع قطر وعظم منفعة والمدن والقرى بضفتيه منتظمة ليس في المعمور مثلاً ولا يعلم نهر يزدرع عليه ما يزدرع على النيل وليس في الارض نهر يسمى بحر غيره قال الله تعالى فاذا خفت عليه فالقيه في اليم فسماء يما وهو البحر وفي الحديث الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وصل ليلة لاسراء الي سدرة المنتهي فاذا في أصلها أربعة أنهار نهران ظاهراً ونهران باطناً فسأل عنها جبريل عليه السلام فقال أما الباطنان في الجنة وأما الظاهران فالتيل والفرات وفي الحديث أيضاً ان التيل والفرات وسيحون وحيحون كل من أنهار الجنة ومجرى التيل من الجنوب الي الشمال خلافاً لجميع الأنهار * ومن عجائبه ان ابتداء زيادته في شدة الحر عند نقص الأنهار وجفوفها وابتداء نقصه حين زيادة الأنهر وفيضا ونهر السند مثله في ذلك وسيأتي ذكره وأول ابتداء زيادته في حزيران وهو يونيه - فاذا بلغت زيادته ستة

عشر ذراعاً ثم خراج السلطان فان زاد ذراعاً كان الخصب في العام والصلاح التام فان بلغ ثمانية عشر ذراعاً ضرب بالضرب وأعقب الوبا وان نقص ذراعاً عن ستة عشر نقص خراج السلطان وان نقص ذراعين استسقى الناس وكان الضرر الشديد والنيل أحداثها ر الدنيا الخمسة الكبار وهي النيل والفرات والدجلة وسيحون وجيحون وتماثلها أنهار خمسة أيضاً نهر السند ويسمى ينبع اب ونهر الهند ويسمى الزكنك واليه تحج الهنود وإذا حرقوا أموالهم رموا برماهم فيه ويقولون هو من الجنة ونهر الجون بالهند أيضاً ونهر أتل بصحراء قفجق وعلى ساحله مدينة السرا ونهر السر وبأرض الخطا وعلى ضفته مدينة خان بالق ومنها تجدر إلى مدينة الحنسا ثم إلى مدينة الزيتون بأرض الصين وسيدكر ذلك كله في مواضعه إن شاء الله والنيل يفترق بعد مسافة من مصر على ثلاثة أقسام ولا يعبر نهر منها إلا في السفن شتاء وصيفا وأهل كل بلد لهم خليجان تخرج من النيل فإذا مد أترعها ففاضت على المزارع

(ذكر الاهرام والبرابي)

وهي من العجائب المذكورة على مر الدهور وللناس فيها كلام كثير وخوض في شأنها وأولية بنائها ويزعمون ان جميع العلوم التي ظهرت قبل الطوفان أخذت عن هرمس الاول الساكن بصعيد مصر الاعلى ويسمى خنوخ وهو اديس عليه السلام وانه اول من تكلم في الحركات الفلكية والجواهر العلوية وأول من بنى الهياكل ومجد الله تعالى فيها وانه أنذر الناس بالطوفان وخاف ذهاب العلم ودروس الصنائع فبنى الاهرام والبرابي وصور فيها جميع الصنائع والآلات ورسم العلوم فيها لتبقى مخددة ويقال ان دار العلم والملك بمصر مدينة متوف وهي على يرد من القسطاط فلما بنيت الاسكندرية اتقسل الناس اليها وصارت دار العلم والملك الى ان أتى الاسلام فاخطط عمرو بن العاص رضي الله عنه مدينة القسطاط فهي قاعدة مصر الى هذا العهد والاهرام بناء بالحجر الصلد المتحوت متناهى السمو مستدير متسع الاسفل ضيق الأعلى كالشكل المخروط ولأبواب لها ولا تعلم كيفية بنائها ومما يذكرك في شأنها ان ملكا من ملوك مصر قبل

العاقدان رأي رؤياها لله وأوجب عنده انه بني تلك الالهرا من الجانب الغربي من النيل لتكون مستودعاً للعلوم ولجنة الملوك وانه سأل المتجهين هل يفتح منها موضع فأخبروه انها تفتح من الجانب الشمالى وعينوا له الموضع الذى تفتح منه ومبلغ الانفاق في فتحه فأمر ان يجعل بذلك الموضع من المال قدر ما أخبروه انه ينفق في فتحه واشتد في البناء فأتمه في ستين سنة وكتب عليها بنينا هذه الالهرا من في ستين سنة فليهدمها من يريد ذلك في ستمائة سنة فان الهدم يسر من البناء فلما أفضت الخلافة الى أمير المؤمنين المأمون أراد هدمها فأشار عليه بعض مشايخ مصر أن لا يفعل فاج في ذلك وأمر أن تفتح من الجانب الشمالى فكانوا يوقدون عليها النار ثم يرشونها بالخل ويرمونها بالمنجنيق حتى تفتح التلعة التي بها الى اليوم ووجدوا بازاء النقب مالا من أمير المؤمنين بوزنه محصر ما تنفق في النقب فوجدوا سواء فطال عجبه من ذلك ووجدوا عرض الحائط

ششرين ذراعاً

(ذكر سلطان مصر)

وكان سلطان مصر علي عهد دخولي اليها الملك الناصر أبو الفتح محمد بن الملك المنصور سيف الدين قلاوون الصالحى وكان قلاوون يعرف بالانفى لان الملك الصالح اشتراه بألف دينار ذهباً وأصله من قنيجق وللملك الناصر رحمه الله السيرة الكريمة والفضائل العظيمة وكفاه شرفاً وتمتاً وخدمة الحرمين الشريفين وما يفعله في كل سنة من أفعال البر التي تعين الحجاج من الجمال التي تحمل انزادوا للماء المنقطعين والضعفاء وتحمل من تأخر أو ضعف عن المشى في الدارين المصري والشامى وبني زاوية عظيمة بسرى اقصى خارج القاهرة لكن الزاوية التي بها مولانا أمير المؤمنين وناصر الدين وكف الفقراء والمساكين خيفة الله في أرضه القائم من الجهاد بتهله وفرضه أبو عنان أيد الله أمره وأظهره وسقى له الفتح المبين ويسره بخارج حضرته العلية المدينة البيضاء حرسها الله لا نظير لها في المعمور في اتفاق الوضع وحس البناء والنقش في الجص بحيث لا يقدر أهل المشرق علي مثله وسيأتي ذكر ما عمره أيد الله من المدارس والمؤسسات والزوايا ببلاد

حرسها الله وحفظها بدوام ملكه

(ذكر بعض أمراء مصر)

منهم ساقى الملك الناصر وهو الأمير بكتمور (وضبط اسمه بضم الباء الموحدة وكاف مسكن وتاء معلوقة مضمومة وآخره را) وهو الذى قتله الملك الناصر بالسهم وسيد ذكر ذلك ومنهم نائب الملك الناصر ارغون الدودار وهو الذى بلى بكتمور فى المنزلة (وضبط اسمه بفتح الهمزة واسكان الراء وضم العين المعجمة) ومنهم طشيط المعروف بمحمص أخضر (واسمه بطشين مهملين مضمومين بينهما شين معجم) وكان من خيار الأمراء وله الصدقات الكثيرة على الأيتام من كسوة ونفقة وأجرة لمن يعلمهم القرآن وله الإحسان العظيم للحرافيش وهم طائفة كبيرة أهل صلابة وجاه ودعارة وسجنه الملك الناصر مرة فاجتمع من الحرافيش آلاف ووقفوا بأسفل القلعة ونادوا بلسان واحد يأمر جرح النحاس ينفون الملك الناصر أخرجه فأخرجه من محبسه وسجنه مرة أخرى ففعل الأيتام مثل ذلك فأطلقه* ومنهم وزير الملك الناصر يعرف بالجملى بفتح الجيم ومنهم بدر الدين بن البابه ومنهم جمال الدين نائب الكرك ومنهم تقزدمور (واسمه بضم التاء المعلوقة وضم القاف وزاء مسكن ثم دال مضموم وميم مثله وآخره را) ودمور بالتركية الحديد ومنهم بهادور الحجازى (واسمه بفتح الباء الموحدة وضم الدال المهمل وآخره را) ومنهم قوصون (واسمه بفتح القاف وصاد مهمل مضموم) ومنهم بشتك (واسمه بفتح الباء الموحدة واسكان الشين المعجم وتاء معلوقة مفتوحة) وكل هؤلاء يتنافسون فى أفعال الخيرات وبناء المساجد والزوايا ومنهم ناظر جيش الملك الناصر وكتابه القاضى نخر الدين القبطي وكان نصرانيا من القبضة فأسلم وحسن اسلامه وله المكرم العظيمة والفضائل الثابتة ودرجته من أعلى الدرجات عند الملك الناصر وله الصدقات الكثيرة والإحسان الجزيل ومن عاداته أن يجلس عشى النهار فى مجلس له بأسطوان داره على النيل ويليه المسجد فاذا حضر المغرب صلى فى المسجد وعاد إلى مجلسه وأوتى بالطعام ولا يمنع حينئذ أحد من الدخول كائنا من كان فمن كان ذا حاجة

تكلم فيها فقضاها له ومن كان طالب صدقة أمر بمولوا كاله يدعي بدر الدين واسمه لؤلؤ بأن يصحبه الي خارج الدار وهناك خازنه معه صرر الدراهم فيعطيه ما قدر له ويحضر عنده في ذلك الوقت الفقهاء ويقرأ بين يديه كتاب البخاري فاذا صلى العشاء الاخيرة انصرف الناس عنه

(ذكر القضاء بمصر في عهد دخولي اليها)

فمنهم قاضي القضاء الشافعية وهو أشلاهم منزلة وأكبرهم قدرا واليه ولاية القضاة بمصر وعزلهم وهو القاضي الامام العالم بدر الدين بن جماعة وابنه عز الدين هو الآن متولى ذلك ومنهم قاضي القضاء المالكية الامام الصالح تقي الدين الاخنائي ومنهم قاضي القضاء الحنفية الامام العالم شمس الدين الحريري وكان شديدا السطوة لا تأخذه في الله لومة لائم وكانت الامراء تخافوه ولقد ذكروني ان الملك الناصر قال يوما لجالسائه اني لأخاف من أحد الامن شمس الدين الحريري ومنهم قاضي القضاء الحنبلية ولأعرفه الآن الا انه كان يدعي بزر الدين

(حكاية)

كان الملك الناصر رحمه الله يبعد للنظر في المظالم ورفع قصص المتشكيين كل يوم اثنين وخمس ويقعد للقضاة الاربعة عن يساره وتقرأ القصص بين يديه ويعين من يسأل صاحب القصة عنها وقد ساءك مولانا أمير المؤمنين ناصر الدين أيده الله في ذلك مسلكا لم يسبق اليه ولا مزيد في العدل والتواضع عليه وهو رؤاه بذاته الكريمة لكل مظالم وعرضه بين يديه المستقيمة أي الله أن يحضرها سواء أدام الله أيامه وكان رسم القضاة المذكورين أن يكون أعلاهم منزلة في الجلوس قاضي الشافعية ثم قاضي الحنفية ثم قاضي المالكية ثم قاضي الحنبلية فلما توفي شمس الدين الحريري وولي مكانه برهان الدين بن عبد الحق الحنفي أشار الامراء على الملك الناصر بأن يكون يجلس المالكي فوقه وذكروا ان العادة جرت بذلك قديما اذ كان قاضي المالكية زين الدين بن مخلوف يئ قاضي الشافعية تقي الدين بن دقيق العيد فأمر الملك الناصر بذلك فلما علم به قاضي الحنفية غاب عن شهود

الجلس أنفة من ذلك فأنكر المالك التناصر فغيبه وتلم ما قصده فأمر بإحضاره فلما مثل بين يديه أخذ الحاجب بيده وأقده حيث نفذ أمر السلطان مما يلي قاضي المالكية واستمر حاله على ذلك

(ذكر بعض علماء مصر وأعيانها)

فمنهم شمس الدين الأصمباني إمام الدين في المعقولات ومنهم شرف الدين الزواوي المالكي ومنهم برهان الدين بن بنت الشاذلي نائب قاضي القضاة بمجامع الصالح ومنهم ركن الدين ابن القوبع التونسي من الأئمة في المعقولات ومنهم شمس الدين بن عدلان كبير الشافعية ومنهم بهاء الدين بن عقيل فقيه كبير ومنهم أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف بن حيان القرناطي وهو أعلمهم بالنحو ومنهم الشيخ الصالح بدر الدين عبد الله المتوفي ومنهم برهان الدين الشافعي ومنهم قوام الدين الكرمانى وكان سكنه بأعلى سطح الجامع الأزهر وله جماعة من الفقهاء القراء يلازمونه ويدرس فنون العلم ويفقى في المذاهب ولباسه عباءة صوف خشناء وعمامة صوف سوداء ومن عادته أن يذهب بعد صلاة العصر إلى مواضع الفرج والتزاهات منفردا عن أصحابه ومنهم السيد الشريف شمس الدين ابن بنت الصاحب تاج الدين بن حناء ومنهم شيخ شيوخ القراء بديار مصر مجتهد الدين الأقصر أئمة إلى أقصر من بلاد الروم ومسكنه مرياقص ومنهم الشيخ جمال الدين الحوزاني والحوزا على مسيرة ثلاثة أيام من البصرة ومنهم تقيب الأشراف بديار مصر السيد الشريف المعظم بدر الدين الحسيني من كبار الصالحين ومنهم وكيل بيت المال المدرس بقبة الإمام الشافعي مجتهد الدين بن حرى ومنهم المحتسب بمصر نجم الدين السهرقي من كبار الفقهاء وله بمصر رئاسة عظيمة وجاء

(ذكر يوم الحمل بمصر)

وهو يوم دوران الحمل يوم مشهود وكيفية ترتيبهم فيه أنه يركب فيه القضاة الأربعة ووكيل بيت المال والمحتسب وقد ذكرنا جميعهم ويركب معهم أعلام الفقهاء وأمناء الرؤساء وأرباب الدولة وبقية مدون جميع أبواب قلعة دار الملك الناصر فيخرج إليهم الحمل على حمل

وامامه الامير الممين لسفر الحجاز في تلك السنة ومعه عسكريه والسقاؤون على جمالهم
ويجتمع لذلك اصناف الناس من رجال ونساء ثم يطوفون بالحمل وجميع من ذكرنا معه
بمدينتي القاهرة ومصر والحداة يمدون امامهم ويكون ذلك في رجب فمئذ ذلك تهبج
الغزوات وتنبعث الاشواق وتحرك البواعث ويلقى الله تعالى العزيمة على الحج في قلب من
يشاء من عبادہ فيأخذون في التأهب لذلك والاستعداد ثم كان سفري من مصر على
طريق الصعيد برسم الحجاز الشريف فبت ليلة خروحي بالرباط الذي بناه الصاحب
تاج الدين بن حناء بدير الطين وهو رباط عظيم بناه على مفخرة عظيمة وآثار كريمه
أودعها فيه وهي قطعة من قبة رسول الله صلى الله عليه وسلم والميل الذي كان يكتحل به
والدرفش وهو الاشفا الذي كان يخصف به نعله ومصحف امير المؤمنين علي بن ابي طالب
الذي بخط يده رضى الله عنه ويقال ان الصاحب اشترى ما ذكرناه من الآثار الكريمة
التبوية بمائة ألف درهم وبنى الرباط وجعل فيه الطعام للوارد والصادر والجراية للخدام
تلك الآثار الشريفه نفقة الله تعالى بقصده المبارك ثم خرجت من الرباط المذکور
ومررت بمعية القائد وهي بلدة صغيرة على ساحل النيل ثم سرت منها الى مدينة بوش
(وضبطها بضم الباء الموحدة وآخرها شين معجم) وهذه المدينة أكثر بلاد مصر تبتانا
ومنها يجلب الي سائر الديار المصرية والى افريقية ثم سافرت منها فوصلت الى مدينة دلاص
(وضبط اسمها بفتح الدال المهملة وآخره صاد مهملة) وهذه المدينة كثيرة الممتن
أيضا كمثل التي ذكرنا قبلها ويحمل أيضا منها الى ديار مصر وافريقية ثم سافرت منها الى
مدينة ببا (وضبط اسمها بياء بن موحدين أولاهما مكسورة) ثم سافرت منها الى
مدينة البهنا وهي مدينة كبيرة وبساتينها كثيرة (وضبط اسمها بفتح الموحدة واسكان
الهاء وفتح النون والسين) وتصنع بهذه المدينة ثياب الصوف الحيدة وبمن لقيته بها
قاضيا العالم شرف الدين وهو كريم النفس فاضل واقيت بها الشيخ الصالح أبا
بكر الدججي ونزلت عنده وأضافني ثم سافرت منها الى مدينة منية ابن خضيب وهي
مدينة كبيرة الساحة متسعة المساحة مدينة على شاطئ النيل وحق حقيق لها على بلاد

الصعيد التفضيل به المدارس والمشاهد والزوايا والمساجد وكانت في القديم منية
عامل مصر خصيب

(حكاية خصيب)

يذكر أن أحد الخلفاء من بني العباس رضى الله عنهم غضب على أهل مصر فأبى أن يولي
عليهم أحقر عبيده وأصغرهم شأنًا قصد الأرزاء لهم والتكيد بهم وكان خصيب أحقرهم
أذ كان يولي تسخين الحمام فخلع عليه وأمره على مصر وظنه أنه يسير فيهم سيرة سوء
ويقصد بهم بالإذابة حسبها هو المعهود ممن ولي عن غير عهد بالمر فأما استقر خصيب بمصر
سار في أهلها أحسن سيرة وشهر بالكرم والايثار فكان أقارب الخلفاء وسواهم يقصدونه
فيجزل العطش لهم ويعودون الي بغداد شاكرين لما أولاهم وإن الخليفة أفسد بعض
العباسيين وغاب عنه مدة ثم أتاه فساء له من مفيبه فأخبره أنه قصد خصبيا وذكر له ما استطاع
من خصب وكان عطاشا جزيلًا فغضب الخليفة وأمر بسل عيني خصب وإخراجه من
مصر الي بغداد وأن يطرح في أسواقها فأما ورد الأمر بالقبض عليه حيل بينه وبين
دخول منزله وكانت يده ياقوته عظيمة الشأن نجباها عنده وخاطها في ثوب له ليلا
وسملت عيناه وطرح في أسواق بغداد فمر به بعض الشعراء فقال له يا خصب
إني كنت قصصتك من بغداد الي مصر مادحًا لك بقصيدة فوافقت أنصرفك عنها
وأحرسان تسميها فقال كيف بسماعها وأنا علي ما تراء فقال إنما قصدى سماعك
لها وأما العطاء فقد أعطيت الناس وأجزأت جزاك الله خيرا قال فافعل فأنتسده
(كامل)

أنت الخصب وهذه مصر * فتدققا فكلما كما بحر

فلما أتني على آخرها قال له اتفق هذه الخياطة ففعل ذلك فقال له خذ الياقوتة فأبى فأقسم
عليه أن يأخذها فأخذها وذهب بها الي سوق الجوهر بين فلما عرضها عليهم قالوا له إن
هذه لا تصاح إلا بالخليفة فرفعوا أمرها الي الخليفة فأمر الخليفة بإحضار الشاعر
واسفه به عن شأن الياقوتة فأخبره بخبرها فتأسف على ما فعله بنحسب وأمر بمنثوله بين

يديه وأجزل له العطاء وحكمه فيما يريد فرغب أن يعطيه هذه المنية ففعل ذلك وسكنها خصب إلى أن توفي وأورثها عقبه إلى أن انقرضوا وكان قاضي هذه المنية أيام دخولي إليها نضر الدين النويري المالكي ووالها شمس الدين أمير خير كريم دخلت يوما الحمام بهذه البلدة فرأيت الناس بها لا يسترون معظم ذلك على وأنته فاعلمته بذلك فأمرني أن لا أبرح وأمر بأحضار الملكتين للحمامات وكتبت عليهن العقود أنه متى دخل أحد الحمام دون مقرر فأنهم يؤخذون على ذلك واشته عليهم أعظم الاشتداد ثم انصرفت عنه وسافرت من منية ابن خصب إلى مدينة منلوى وهي صغيرة مبنية على مسافة ميايين من النيل (وضبط اسمها بفتح الميم واسكان النون وفتح اللام وكسر الواو) وقاضها الفقيه شرف الدين الدمري (بفتح الدال المهملة وكسر الميم) الشافعي وكبارها قوم يعرفون ببني فضيل بنى أحدهم جامعاً نفق فيه صميم ماله وبهذه المدينة إحدى عشرة معصرة للسكر ومن عوائدهم أنهم لا ينعون فقيراً من دخول معصرة منها فيأثي الفقير بالخبزة الحارة فيطرحها في القدر التي يطبخ السكر فيها ثم يخرجهما وقدمات آلات سكرها فينصرف بها وسافرت من منلوى المذكورة إلى مدينة منفلوط وهي مدينة حسن رواؤها مؤنق بناؤها على ضفة النيل شهيرة البركة (وضبط اسمها بفتح الميم واسكان النون وفتح الفاء وضم اللام وآخرها طاء مهملة)

(حكاية) أخبرني أهل هذه المدينة أن الملك الناصر رحمه الله أمر بعمل منبر عظيم بحكم الصنعة بديع الانشاء برسم المسجد الحرام زاده الله شرفاً وتعليماً فإما تم عمله أمراً أن يصعد به في النيل ليحجز إلى بحر جدة ثم إلى مكة شرفها الله فإما وصل المركب الذي احتمله إلى منفلوط وحاذى مسجدها الجامع وقف وامتنع من الجري مع مساعدة الريح فعجب الناس من شأنه أشد العجب وأقاموا أياماً لا ينهض بهم المركب فكتبوا بخبره إلى الملك الناصر رحمه الله فأمر أن يحمل ذلك المنبر بجامع مدينة منفلوط ففعل ذلك وقداينته بها ويصنع بهذه المدينة شبه العسل يستخرجونه من القمح ويسمونونه النيداي باع بأسواق مصر

وسافرت من هذه المدينة الى مدينة أسبوط وهي مدينة رفعيه اسواقها يدعيه (وضبط اسمها بفتح الهمزة والسين المملة والياء آخر الحروف وواو وطاء مملعة) وقاضيا شرف الدين بن عبد الرحيم الملقب (بمحاصل مائمه) لقب شهر به وأصله ان القضاة بديار مصر والشام بأيديهم الاوقاف والصدقات لاني السبيل فاذا أتى قير لمدينة من المدن تصد القاضي بها فيعطيه ما قدر له فكان هذا القاضي اذا أتاه القفير يقول له حاصل مائمه أي لم يبق من المال الحاصل شيء فلنقب بذلك ولزمه وبها من المشايخ الفضلاء الصالح شهاب الدين ابن الصباغ أضافي بزأوته وسافرت منها الى مدينة اخميم وهي مدينة عظيمة أصيلة البنيان محمية الشأن بها البري المعروف باسمها وهو مبنى بالحجارة في داخله نقوش وكتابة الاوائل لا تفهم في هذا العهد وصور الافلاك والكواكب ويزعمون انها بنيت والنسر الطائر بروج العقرب وبها صور الحيوانات وسواها وعند الناس في هذه الصورة كاذب لا يرجع اليها وكان باخمير جل يعرف بالخطيب أمر على هدم بعض هذه البرابي وابتقى بحجارة مدمرة وهو رجل موسر معروف باليسار ويزعم حساده انه استفاد ما بيده من المال من ملازمته لهذه البرابي ونزلت من هذه المدينة بزأوة الشيخ أبي العباس بن عبد الظاهر وبها تربة جده عبد الظاهر وله من الاخوة ناصر الدين ومجد الدين وواحد الدين ومن عادتهم أن يجتمعوا جميعا بعد صلاة الجمعة ومعهم الخطيب نور الدين المذكور وأولاده وقاضي المدينة الفقيه مخلص وسائر وجود أهلهم فيجتمعون للقرآن ويذكرون الله الى صلاة العصر فاذا صلوا قرؤوا سورة الكهف ثم انصرفوا وسافرت من اخميم الى مدينة (هو) مدينة كبيرة بساحل النيل (وضبطها بضم الهاء) نزلت منها بمدرسة تقي الدين بن السراج ورأيتهم يقرؤن بها في كل يوم بعد صلاة الصبح حزب من القرآن ثم يقرؤن أو راد الشيخ أبي الحسن الشاذلي وحزب البحر وبهذه المدينة السيد الشريف أبو محمد عبد الله الحسيني من كبار الصالحين

(كرامة له) دخلت الى هذا الشريف متبركا برؤيته والسلام عليه فسأني عن تصدي فاجبرته أني أريد حج البيت الحرام على طريق جدة فقال لي لا يحصل لك هذا في هذا

الوقت فارجع وانما تخرج أول حجة على الدرب الشامي فانصرفت عنه ولم أعمل على كلامه
ومضيت في طريق حتي وصلت الى عيذاب فلم يتمكن لي السفر فعدت راجعا الى مصر ثم الي
الشام وكان طريق في أول حجاتي على الدرب الشامي حسبا أخبرني الشريف نفع الله به ثم
سافرت الي مدينة قنا وهي صغيرة حسنة الاسواق (واسمها بقاف مكسورة ونون) وبها قبر
الشريف الصالح الولي صاحب البراهين المعجيه والكرامات الشهيرة عبد الرحيم القناوي
رحمة الله عليه ورأيت بالمدرسة السيفية منها حفيدة شهاب الدين أحمد وسافرت من هذا
البلد الى مدينة قوس (وهي بضم القاف) مدينة عظيمة لها خيرات عجيبة بساكنها موارق
وأسواقها وبقعة ولها المساجد الكثيرة والمدارس الاثيرة وهي منزل ولادة الصعيد
وبخارجها زاوية الشيخ شهاب الدين بن عبد الغفار وزاوية لأفرم وبها اجتماع الفقهاء
المتجردين في شهر رمضان من كل سنة ومن علمائها القاضي جمال الدين بن السديد والحطيب
بها فتح الدين بن دقيق العيد أحد الفقهاء البائناء الذين حصل لهم السبق في ذلك لم أر من
عائله الا خطيب المسجد الحرام بهاء الدين الطبري وخطيب مدينة خوارزم حسام الدين
الشاطبي وسبق قد ذكرها ومنهم الفقيه بها الدين بن عبد العزيز المدرس بمدرسة المالكية
ومنهم الفقيه بهان الدين ابراهيم الاندلسي له زاوية عالية ثم سافرت الي مدينة الأقصر
(وضبط اسمها بفتح الهمزة وضم الصاد المهملة) وهي صغيرة حسنة وبها قبر الصالح العابد
أبي الحجاج الأقصري وعليه زاوية وسافرت منها الي مدينة ارمنت (وضبط اسمها بفتح
الهمزة وسكون الراء وميم مفتوحة ونون ساكنة وتاء مملوءة) وهي صغيرة ذات بساكن
مبنية على ساحل النيل أضافني قاضيها وأنسيت اسمه ثم سافرت منها الي مدينة أسنا وضبط
اسمها بفتح الهمزة واسكان السين المهملة ونون) مدينة عظيمة متسعة أشوار عضة
المنافع كثيرة الزوايا والمدارس والجوامع لها أسواق حسان وبساكن ذات ألقان
قاضيها قاضي انقضاة شهاب الدين بن مسكين أضافني وأكرمني وكتب الي نوابها كرامتي
وبها من الفضلاء الشيخ الصالح نور الدين علي والشيخ الصالح عبد الواحد المكناسي
وهو علي هذا العهد صاحب زاوية بقوس ثم سافرت منها الي مدينة أدفو (وضبط اسمها

يفتح الهمة واسكان الدال المهمل وضم الفاء) وبينها وبين مدينة أسامة سيرة يوم وليسطة في
 صحراء ثم جزنا النيل من مدينة ادقو الي مدينة العطوفى ومنها اكثر بنا الجمال وسافرنا
 مع طائفة من العرب تعرف بدغيم (بالتين المعجمة) في صحراء لا عماره بها الا انها آمنة
 السبل وفي بعض منازلنا نلنا حيثرا حيث قبر ولى الله أبى الحسن الشاذلي وقد ذكرنا
 كرامته في أخباره انه يموت بها وأرضها كثيرة الضباع ولم نزل ليلة ميئتنا بها محارب الضباع
 ولقد قصدت رحلى ضبع منها فمزقت عدلا كان به واجترت منه جراب تمر وذهبت به
 فوجدناه لما أصبحنا مزمزقا كولا معظم ما كان فيه ثم لمأسرنا خمسة عشر يوما وصلنا
 الى مدينة عيذاب وهي مدينة كبيرة كثيرة الحوت والابن ويحمل اليها الزرع والتمر من
 صعيد مصر وأهاليها البجاة وهم سودا الا لو أن يلتحقون ملاحف صفراء ويشدون على
 رؤسهم عصائب يكون عرض العصاية منها اصعبا وهم لا يورثون النبات وطعامهم البان
 الابل ويركبون المهارى ويسمونها الصهب وثلت المدينة للملك الناصر وثلتها للملك
 البجاة وهو يعرف بالحدري (بفتح الحاء المهمل واسكان الدال وراء مقوحة وباء موحدة
 وياء) وبمدينة عيذاب مسجد ينسب للقسطلا في شهر البر كثرأيته وتبركت به وبها الشيخ
 الصالح موسى والشيخ المسن محمد المراكشى زعم انه ابن المرتضى ملك مراکش وان
 سنه خمس وتسعون سنة ولما وصلنا الى عيذاب وجدنا الحدري سلطان البجاة يحارب
 الأتراك وقد خرق المراكب وهرب الترك امامه فتمذر سفرنا في البحر فبعنا ما كنا
 أعدناه من الزاد وعدنا مع العرب الذين اكتر بنا الجمال منهم الي صعيد مصر فوصلنا الي
 مدينة قوص التي تقدم ذكرها وانحدرنا منها في النيل وكان أوامده فوصلنا بسيرة
 ثمان من قوص الي مصر فبت بمصر ليلة واحدة وقصدت بلاد الشام وذلك في منتصف
 شعبان سنة ست وعشرين فوصلت الي مدينة بليدس (وضبط اسمها بفتح الواو وحدة
 الاولى وفتح اثنائية ثم ياء آخر الحروف مسكنة وسين مهملة) وهي مدينة كبيرة ذات
 يساتين كثيرة ولم ألق بها من يجب ذكره ثم وصلت الي الصالحية ومنها دخلنا الرمال
 ونزلنا منازلها مثل السوادة والورادة والمطيلب والعريش والخروبة وبكل منزل منها

فندق وهم يسمونه الخان ينزله المسافرون بدوا بهم وبخارج كل خان ساقية للسيل
وحانوت يشتري منها المسافر ما يحتاجه لنفسه ودابته ومن منازلها قفصا المشهورة وهي
(بفتح القاف) وسكون الطاء وباء آخر الحروف مفتوحة وألف) والناس يبدلون ألفها
هاء تانيث وبها تؤخذ الزكاة من التجار وتفتش أمتعتهم ويبحث عمالديهم أشد البحث وفيها
الدواوين والعمال والكتاب والشهود ومجباها في كل يوم ألف دينار من الذهب ولا
يجوز عليها أحد من الشام الا براءة من مصر ولا الي مصر الا براءة من الشام احتياطا على
أموال الناس وتوقيا من الجواسيس العراقيين وطريقة ما في ضمان العرب قد وكلوا بحفظه
فاذا كان الليل مسحوا على الرمل لا يبقى به أثر ثم يأتي الامير صبا فينظر الي الرمل فان
وجد به أثر اطالب العرب باحضار مؤثره فيذهبون في طلبه فلا يفوتهم فيأتون به الامير
فيعاقبه بما شاء وكان بهافي عهد وصولي اليها عز الدين استاذ الدار اقسارى من خيار
الامراء اضافني وأكرمني وأباح الجواز لمن كان معي وبين يديه عبد الجليل المغربي
الوقاف وهو يعرف المغاربة وبلادهم فيسأل من ورد منهم من أى البلاد هو لئلا يلبس
عليهم فان المغاربة لا يعترضون في جوازهم علي قطيا ثم سمرنا حتى وصلنا الي مدينة غزة
وهي أول بلاد الشام مما يلي مصر متسعة الاقطار كثيرة العمارة حسنة الاسواق بها
المساجد العديدة والاسوار عليها وكان بها مسجد جامع حسن والمسجد الذي
تقام الآن به الجمعة فيها بناء الامير المعظم الجاولي وهو اذيق البناء بحكم الصنعة ومنبره من
الرخام الابيض وقاضي غزة بدر الدين السلخني الحوراني ومدرسه اعلم الدين بن سالم
و بنو سالم كبراء هذه المدينة ومنهم شمس الدين قاضي القدس ثم سافرت من غزة الي
مدينة الخليل صلى الله على نبينا وعليه وسلم تسليما وهي مدينة صغيرة الساحة كبيرة المقدار
مشرقة الانوار حسنة المنظر عجيبه الخبر في بطن واد ومسجدها اذيق الصنعة بحكم
العمل بديع الحسن سامي الارتفاع مبني بالصخر المنحوت في أحداً كأنه صخرة أحد
أقطارها سبعة وثلاثون شبرا ويقال ان سليمان عليه السلام أمر الجن ببناؤه وفي داخل
المسجد الغار المكرم المقدس فيه قبر ابراهيم واسحاق ويعقوب صلوات الله على نبينا

وعليهم ويقال بها قبور ثلاثة هي قبور أزواجهم وعن عيين المنبر يلقى جدار القبلة موضع يهبط منه على درج رخام محكمة العمل الى مسلك ضيق يقضى الى ساحة مفروشة بالرخام فيها صور القبور الثلاثة ويقال انها محاذية لها وكان هنالك مسلك الى الغار المبارك وهو الآن مسدود وقد نزلت بهذا الموضوع مرات ومما ذكره أهل العلم دليلاً على صحة كون القبور الثلاثة الشريفة هنالك ما نقلته من كتاب علي بن جعفر الرازي الذي سماه (المسفر للقلوب عن صحبة قبر ابراهيم واسحق ويعقوب) أسند فيه الى أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أسرى بي الى بيت المقدس مر بي جبريل على قبر ابراهيم فقال انزل فصل ركعتين فان هنالك قبر أبيك ابراهيم ثم مر بي على بيت لحم وقال انزل فصل ركعتين فان هنالك أخوك عيسى عليه السلام ثم أتني الى الصخرة وذكري بقية الحديث ولما قيت بهذه المدينة المدرس الصالح المعمر الامام الخطيب برهان الدين الحليعي أحد الصالحاء المرضيين والأئمة المشتهرين سأله عن صحة كون قبر الحليل عليه السلام هنالك فقال لي كل من ألقته من أهل العلم يصححون أن هذه القبور قبور ابراهيم واسحق ويعقوب على نيتنا وعليهم السلام وقبور زوجاتهم ولا يطمئن في ذلك الا أهل البدع وهو نقل الخلف عن السلف لا يشك فيه ويذكر أن بعض الأئمة دخل الى هذا الغار ووقف عند قبر سارة فدخل شيخ فقال له أي هذه القبور هو قبر ابراهيم فأشار له الى قبره المعروف ثم دخل شاب فسأله كذلك فأشار له اليه ثم دخل صبي فسأله أيضاً فأشار له اليه فقال الفقيه أشهد أن هذا قبر ابراهيم عليه السلام لاشك ثم دخل الى المسجد فصلى به وارتحل من الغدو بداخل هذا المسجد أيضاً قبر يوسف عليه السلام وبشرقي حرم الحليل تربة لوط عليه السلام وهي على تل مرتفع يشرف منه غور الشام وعلى قبره أبنية حسنة وهو في بيت منها حسن البناء مبيض ولا ستور عليه وهنالك بحجرة لوط وهي أجاج يقال انها موضع ديار قوم لوط وبمقربة من تربة لوط مسجد اليقين وهو على تل مرتفع له نور واشراق ليس لسواه ولا يحاوره الادارة واحدة يسكنها قيمه وفي المسجد بمقربة من بابها موضع منخفض في حجر صلد قد هيء فيه صورة محراب لا يسع الا مصابيحاً واحداً

ويقال ان ابراهيم سجد في ذلك الموضع شكر الله تعالى عنده هلاك قوم لوط فتحرك موضع سجوده وساخ في الارض قليلا وبالقرب من هذا المسجد مغارة فيها قبر فاطمة بنت الحسين ابن علي عليه السلام وبأعلى القبر وأسفله لوحان من الرخام في أحدهما مكتوب منقوش بخط بديع بسم الله الرحمن الرحيم لله العزة والبقاء وله ما ذرأ وبرأ وعلى خلقه كتب الفناء وفي رسول الله أسوة هذا قبر أم سلمة فاطمة بنت الحسين رضي الله عنه وفي اللوح الآخر منقوش صنع محمد بن أبي سهل الدناش بمصر ونحت ذلك هذه الايات

أسكنت من كان في الاحشاء مسكنه بالرغم من بين القرب والحجر
ياقبر فاطمة بنت ابن فاطمة بنت الائمة بنت الانجم الزهر
ياقبر ما فيك من دين ومن ورع ومن عقاف ومن صون ومن خفر

ثم سافرت من هذه المدينة الى القدس فزرت في طريقى اليه تربة يونس عليه السلام وعليها بنية كبيرة ومسجد وزرت ايضا بيت لحم موضع ميلاد عيسى عليه السلام وبه اثر جذع النخلة وعليه عمارة كثيرة والنصارى يعظمونه أشد التعظيم ويضيفون من نزل به ثم وصلنا الى بيت المقدس شرفه الله ثالث المسجدين الشريفين في رتبة الفضل ومصدر رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما ومرجه الى السماء والبلدة كبيرة مبنية بالصخر المنحوت وكان الملك الصالح الفاضل صلاح الدين بن ايوب جزاه الله عن الاسلام خيرا المفتح هذه المدينة هدم بعض سور هائم استتقض الملك الظاهر هدمه خوفا ان يقصدها الروم فيمتنعوا بها ولم يكن بهذه المدينة نهر فيما تقدم وجلب لها الماء في هذا العهد الامير سيف الدين تسكيز أمير دمشق

﴿ ذكر المسجد المقدس ﴾

وهو من المساجد العجيبة الرائقة الفاتقة الحسن يقال انه ليس على وجه الارض مسجد أكبر منه وان طوله من شرق الى غرب سبع مائة وثنتان وخمسون ذراعا بالذراع المالكية وعرضه من القبلة الى الجوف اربع مائة ذراع وخمس وثلاثون ذراعا وله أبواب كثيرة في جهاته الثلاث وأما الجهة القبليّة منه فلا أعلم بها الا بابا واحدا وهو الذي يدخل منه الامم

والمسجد كله فضاء غير مسقف الا المسجد الاقصى فهو مسقف في النهاية من احكام العمل
واتقان الصنعة بموه بالذهب والاصبغة الرائقة وفي المسجد مواضع سواء مسقفة
﴿ذكر قبة الصخرة﴾

وهي من أعجب المباني واتقنها واغربها شكلا قد توفر حظها من المحاسن وأخذت من كل
بديعة بطرف وهي قائمة على نشز في وسط المسجد يصعد اليها في درج رخام ولها أربعة
أبواب والدائر بهامفروش بالرخام أيضا محكم الصنعة وكذلك داخها وفي ظاهرها
وباطنها من أنواع الزواقة ورائق الصنعة ما يعجز الوصف وأكثر ذلك مغشي بالذهب
فهي تلالاً نوراً وتتمع لمعان البرق يحار بعصرمتها لمها في محاسنها ويقصر لسان رايتها عن
تمثيلها وفي وسط القبة الصخرة الكريمة التي جاء ذكرها في الآثار فان النبي صلى الله عليه
وسلم عرج منها الى السماء وهي صخرة صماء ارتفأ عنها نحو قامة وتحتها مغارة في مقدار بيت
صغير ارتفأ عنها نحو قامة أيضا ينزل اليها على درج وهناك شكل محراب وعلى الصخرة
شباك اثنان محكما العمل يعلقان عليها أحدهما وهو الذي يلي الصخرة من حديد بديع
الصنعة والثاني من خشب وفي القبة درقة كبيرة من حديد معاقمة هنالك والناس يزعمون
انها درقة حمزة بن عبدالمطلب رضي الله عنه

﴿ذكر بعض المشاهد المباركة بالقدس الشريف﴾

فمنها بعدوة الوادي المعروف بوادي جهنم في شرقي البلدة على تل مرتفع هنالك بنية يقال
انها مسعد عيسى عليه السلام الى السماء ومنها أيضا قبر رابعة البدوية منسوبة الى البادية
وهي خلاف رابعة البدوية الشهيرة وفي بطن الوادي المذكور كنيسة يعظمها النصارى
ويقولون ان قبر مريم عليها السلام بها وهنالك أيضا كنيسة أخرى معظمة يحجها
النصارى وهي التي يكذبون عليها ويعتقدون ان قبر عيسى عليه السلام بها وعلى كل من
يحجها ضريبة معلومة للمسلمين وضروب من الاهانة يتحملها على رغم أنفسهن وهنالك
موضع مهد عيسى عليه السلام يتبرك به

﴿ذكر بعض فضلاء القدس﴾

فمنهم قاضيه العالم شمس الدين محمد بن سالم الغزى (بفتح الغين) وهو من أهل غزة وكبرائها
ومنهم خطيبه الصالح الفاضل عماد الدين النابلسي ومنهم المحدث المفتى شهاب الدين
الطبري ومنهم مدرس المالكية وشيخ الحانقاه الكريمة أبو عبد الله محمد بن مثبت الغرناطي
نزىل القدس ومنهم الشيخ الزاهد أبو علي حسن المعروف بالحجوب من كبار الصالحين
ومنهم الشيخ الصالح العابد كمال الدين المراغي ومنهم الشيخ الصالح العابد أبو عبد الرحيم عبد
الرحمن بن مصطفى من أهل أرز الروم وهو من تلامذة تاج الدين الرفاعي بحبيته وابست
منه خرقة التصوف ثم سافرت من القدس الشريف برسم زيارة ثغر عسقلان وهو خراب
قد عادر سوماطامسه واطلالا دارسه وقل بلد جمع من المحاسن ما جمعه عسقلان اتقانا
وحسن وضع وأصاله مكان وجمابين مرافق البر والبحر وبها المشهد الشهير حيث كان
رأس الحسين بن علي عليه السلام قبل أن ينقل إلى القاهرة وهو مسجد عظيم سمي العلو
فيه جب للماء أمر ببنائه بعض الميسدين وكتب ذلك على بابه وفي قبة هذا المزار مسجد
كبير يعرف بمسجد عمر لم يبق منه الا حيطانه وفيه أساطين رخام لا مثل لها في الحسن وهي
ما بين قائم وحصيد ومن جاتها اسطوانة حراء عجيبة يزعم الناس ان النصارى احتملواها إلى
بلادهم ثم فقدوها فوجدت في موضعها بعسقلان وفي القبلة من هذا المسجد بئر تعرف ببئر
ابراهيم عليه السلام ينزل إليها في درج متسعة ويدخل منها إلى بيوت وفي كل جهة من
جهاها الأربع عين تخرج من أسراب مطوية بالحجارة وماؤها عذب وليس بالغزير ويذكر
الناس من فضائلها كثيرا وبظاهر عسقلان وادى النمل ويقال انه المذكور في الكتاب
العزيز وبجبانة عسقلان من قبور الشهداء والاولياء ما لا يحصر لكثرة أوقفنا عليهم قيم
المزار المذكور وله جارية يجريها له ملك مصر مع ما يصل إليه من صدقات الزوار ثم
سافرت منها إلى مدينة الرملة وهي فلسطين مدينة كبيرة كثيرة الحيرات حسنة الاسواق
وبها الجامع الأبيض ويقال ان في قبلته ثلاثمائة من الانبياء مدفونين عليهم السلام وفيها
من كبار الفقهاء بمجد الدين النابلسي ثم خرجت منها إلى مدينة نابلس وهي مدينة عظيمة
كثير الاشجار مطردة الانهار من أكثر بلاد الشام زيتوناتها يحمل الزيت إلى مصر

ودمشق وبها تصنع حلواء الخروب وتجلب الى دمشق وغيرها كيفية عملها ان يطبخ الخروب ثم بمصر ويؤخذ ما يخرج منه من الرب فتصنع منه الحلواء ويجلب ذلك الرب أيضاً الى مصر والشام وبها البطيخ المنسوب اليها وهو طيب عجيب والمسجد الجامع في نهاية من الاتقان والحسن وفي وسطه بركة ماء عذب ثم سافرت منها الى مدينة عجلون (وهي بفتح العين المهملة) وهي مدينة حسنة لها أسواق كثيرة وقامة خطيرة ويشقها نهر ماؤه عذب ثم سافرت منها بقصد اللاذقية فمررت بالغورو وهو وادي نهر تلال به قبر أبي عبيدة بن الجراح أمين هذه الامة رضي الله عنه زرناه وعليه زاوية فيها الطعام لأبناء السبيل وبتنا هناك ليلة ثم وصلنا الى القيصير وبه قبر معاذ بن جبل رضي الله عنه تبركت أيضاً بزيارته ثم سافرت على الساحل فوصلت الى مدينة عكة وهي خراب وكانت عكة قاعدة بلاد الافرنج بالشام ومرسى سفنهم وتشبه قسطنطينية العظمى وبشرقيها عين ماء تعرف بعين البقر يقال ان الله تعالى أخرج منها البقر لآدم عليه السلام وينزل اليها في درج وكان عليها مسجد بقي منه محرابه وبهذه المدينة قبر صالح عليه السلام ثم سافرت منها الى مدينة صرور وهي خراب وبحار جهاقرية معمورة وأكثر أهلها أرفاض ولقد نزلت بها مرة على بعض المياه أريد الوضوء فأثني بعض أهل تلك القرية ليتوضأ فبدأ بغسل رجليه ثم غسل وجهه ولم يتمضمض ولا استنشق ثم مسح بعض رأسه فأخذت عليه في فعله فقال لي ان البناء انما يكون ابتداءً من الاساس ومدينة صرور هي التي يضرب بها المثل في الحصانة والمنفعة لان البحر محيط بها من ثلاث جهاتها ولها بابان أحدهما للبر والثاني للبحر ولبابها الذي يشرع للبر أربعة فصلات كلها في ستائر محيطه بالباب وأما الباب الذي للبحر فهو بين برجين عظيمين وبنائهما ليس في بلاد الدنيا أعجب ولا أغرب شأناً منه لان البحر محيط بها من ثلاث جهاتها وعلى الجهة الرابعة سور تدخل السفن تحت السور وترسو هناك وكان فيما تقدم بين البرجين سلسلة حديد معترضة لاسيلا الى الداخل هناك ولا الى الخارج الا بعد حطها وكان عليها الحراس والامناء فلا يدخل داخل ولا يخرج خارج الا على علم منهم وكان لعمرك أيضاً ميناها مثلها ولكنهم لم تكن تحمل الا السفن الصغار ثم سافرت منها الى مدينة

صيدا وهي على ساحل البحر حسنة كثيرة الفواكه يحمل منها التين والزبيب والزيت الى بلاد مصر نزلت عند قاضيها كمال الدين الأشموني المصري وهو حسن الاخلاق كريم النفس ثم سافرت منها الى مدينة طبرية وكانت فيا مغمى مدينة كبيرة ضخمة ولم يبق منها الا رسوم تني على ضخمتها وعظم شأنها وبها الحمامات العجيبة لها بيتان أحدهما للرجال والثاني للنساء وماؤها شديد الحرارة ولها البحيرة الشهيرة طولها نحو ستة فراسخ وعرضها أزيد من ثلاثة فراسخ وبطبرية مسجد يعرف بمسجد الانبياء فيه قبر شعيب عليه السلام وبنته زوج موسى الكليم عليه السلام وقبر سليمان عليه السلام وقبر يهوذا وقبر روبيل صلوات الله وسلامه على نبينا وعليهم وقصدنا منها زيارة الجب الذي ألقى فيه يوسف عليه السلام وهو في صحن مسجد صغير وعليه زاوية والجب كبير عميق شرسا من مائه المجتمع من ماء المطر وأخبر ناقيه ان الماء ينبع منه أيضا ثم سرنا الى مدينة بيروت وهي صغيرة حسنة الاسواق وجامعها يدعى الحسن وتحلب منها الى ديار مصر الفواكه والحديد وقصدنا منها زيارة أبي يعقوب يوسف الذي يزعمون انه من ملوك المغرب وهو بموضع يعرف بكر ك نوح من بقاع العزيز وعليه زاوية يطعم بها الوارد والصادر ويقال ان السلطان صلاح الدين وقف عليه الاوقاف وقيل السلطان نور الدين وكان من الصالحين ويذكر انه كان يبيع الخضر ويقتات بثمنها

﴿حكاية أبي يعقوب يوسف المذكور﴾

يحكى انه دخل مدينة دمشق ففرض بها مرسا شديدا وأقام مطروحا بالاسواق فلما برئ من مرضه خرج الى ظاهر دمشق ليمس بستانا يكون حارسا له فاستؤجر حراسة بستانا للملك نور الدين وأقام في حراسته ستة أشهر فلما كان في أو ان الفاكهة أتى السلطان الى ذلك البستان وأمر وكيل البستان أبا يعقوب ان يأتي برمان يأكل منه السلطان فأتاه برمان فوجد حارسا فأمرا ان يأتي بغيره ففعل ذلك فوجد مائدا أيضا حامضا فقال له الوكيل أتكون في حراسة هذا البستان منذ ستة أشهر ولا تعرف الحلو من الحامض فقال انما استأجرتني على الحراسة لا على الاكل فأتى الوكيل الى الملك فاعلمه بذلك فبعث اليه الملك

وكان قد رأى في المنام انه يجتمع مع أبي يعقوب وتحصل له منه فائدة تفرس انه هو فقال له أنت أبو يعقوب قال نعم فقام اليه وعانقه وأجلسه الى جانبه ثم احتمله الى مجلسه فاضافه بضيافته من الحلال المكتسب بكدميته وأقام عنده أياماً ثم خرج من دمشق فاراً بنفسه في أوائل البرد الشديد فأثني قرية من قرأها وكان بهار جل من الضعفاء فمرض عليه النزول عنده ففعل وصنع له مرقاة وذبح دجاجة فأناها بها ونخبز شير فأكل من ذلك ودعا للرجل وكان عنده جملة اولاد منهم بنت قدان بنات زوجها عليها ومن عوائدهم في تلك البلاد ان البنت يجهزها أبوها ويكون معظم الجهاز أو اني النحاس وبه يتفاخرون وبه يتبايعون فقال أبو يعقوب للرجل هل عندك شيء من النحاس قال نعم قد اشترت منه لتجهيز هذه البنت قال أنتي به فأناها به فقال له استمر من حيرانك ما أمكنتك منه ففعل وأحضر ذلك بين يديه وأوقد عليه النيران وأخرج صرة كانت عنده فيها الاكسیر فطرح منه على النحاس فماد كله ذهباً وتركه في بيت مقفل وكتب كتاباً الى نور الدين ملك دمشق يعلمه بذلك وينبهه على بناء مارستان له رضى من الغرباء ويوقف عليه الاوقاف ويبني الزوايا بالطرق ويرضى أصحاب النحاس ويعطي صاحب البيت كفايته وقال له في آخر الكتاب وان كان ابراهيم بن أدهم قد خرج عن ملك خراسان فانا قد خرجت من ملك المغرب وعن هذه الصنعة والسلام وفر من حينه وذهب صاحب البيت بالكتاب الى الملك نور الدين فوصل الملك الى تلك القرية واحتمل الذهب بعد ان أَرْضَى أصحاب النحاس وصاحب البيت وطلب أبي يعقوب فلم يجد له أثر ولا وقع له على خبر فماد الى دمشق وبنى المارستان المعروف باسمه الذي ليس في المعمور مثله ثم وصات الى مدينة طرابلس وهي احدى قواعد الشام وبلدانها الضخام تحترقها الأنهار وتحفها البساتين والأشجار ويكنفها البحر بمراقفه العجيمه والبر بخيراته المقيمه ولها الاسواق العجيبه والمسارح الخصبه والبحر على ميلين منها وهي حديثة البناء وأما طرابلس القديمة فكانت على خصفة البحر وتملكها الروم زماناً فلما استرجعها الملك الظاهر خربت وأخذت هذه الحديثة وبهذه المدينة نحو أربعين من أمراء الأتراك وأميرها طيوان الحاجب المعروف بملك الامراء ومسكنه منه بالدار

المعروفة بدار السعادة ومن عوائده أن يركب في كل يوم اثنين وخميس ويركب معه الامراء
والعساكر ويخرج الي ظاهر المدينة فاذا عاد اليها وقارب الوصول الي منزله تركل الامراء
ونزلوا عن دوابهم وهشوا بين يديه حتى يدخل منزله ويتصرفون وتضرب الطليخانة
عند دار كل أمير منهم بعد صلاة المغرب من كل يوم وتوقد المشاعل ومن كان بهامس الاعلام
كاتب السرباء الدين بن غانم أحد الفضلاء الحسباء معروف بالسخاء والكرم وأخوه حسام
الدين هو شيخ القدس الشريف وقد ذكرناه وأخوهما علاء الدين كاتب السرب دمشق
ومنهم وكيل بيت المال قوام الدين بن مكين من أكابر الرجال ومنهم قاضي قضائهم شمس
الدين بن النقيب من أعلام علماء الشام وبهذه المدينة حمامات حسان منها حمام القاضي
القمي وحمام سندمور وكان سندمور أمير هذه المدينة ويذكر عنه أخبار كثيرة في الشدة
على أهل الجبايات منها ان امرأة شكت اليه بأن أحد مماليكه الخواص تعدى عليها في ابن
كانت تتبعه فشر به ولم تكن لها بيعة فامر به فوسط فخرج الابن من مصر انه وقد اتفق مثل
هذه الحكاية لامتريس أحد أمراء الملك الناصر أيام امارته على عيذاب واتفق مثلها لملك
كبك سلطان تركستان ثم سافرت من طرابلس الى حصن الاكراد وهو بلد صغير كثير
الاشجار والانهار بأعلى تل وبه زاوية تعرف بزاوية ابراهيمي نسبة الى بعض كبراء
الامراء ونزلت عند قاضيها ولا أحقق الآن اسمه ثم سافرت الى مدينة حصن وهي مدينة
مليحة أراجاؤها مونة وأشجارها مورقة وأنهارها متدفقة وأسواقها فسيحة الشوارع
وجامعها متميز بالحسن الجامع وفي وسطه بركة ماء وأهل حصن عرب لهم فضل وكرم
وبخارج هذه المدينة قبر خالد بن الوليد سيف الله وسوله وعليه زاوية ومسجد وعلى القبر
كسوة سوداء وقاضي هذه المدينة جمال الدين الشرطي من أجمل الناس صورة وأحسنهم
سيرة ثم سافرت منها الي مدينة حماد اخني أمهات الشام الرفيعة ومدائن البديعة ذات
الحسن الرائق والجمال الفائق تحفها البساتين والجنات عليها التواعير كالافلاك
الدائرات يشقها النهر العظيم المسمى بالعاصي ولها ربض سمي بالمنصورة أعظم من المدينة
فيه الاسواق الحافلة والحمامات الحسان وبجماة الفواكه الكثيرة ومنها المشمش اللوزي

إذا كسرت نواته وجدت في داخلها الوزه حلوة قال ابن جزى وفي هذه المدينة ونهرها
ونواعيرها وبساتينها يقول الأديب الرحال نور الدين أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد
العنسي العماري النرناطي نسبة لعمار بن ياسر رضي الله عنه (طويل)

حمى الله من شطى حماة مناظرا * وقفت عليها السمع والفكر والطرفا
تغنى حمام أو تيميل خمال * وتزهي مباني تمنع الواصف الوصفا
يلومونني أن أعصي السنون والثهي * (٢) وأطيع الكأس واللاه والقصفا
إذا كان فيها الثمر عاص فكيف لا * أحاسيه عيانا وأشربها صرفا
وأشدو لدى تلك التواعر شدوها * وأغلبها رقصاً وأشبهها غرفا
تئن وتذرى دمعها فكنها * تهيم برآها وتسلها العظفا
ولبعضهم في نواعيرها ذاهبا مذهب التورية (طويل)

وناورة رقت لعظم خطيئتي * وقد عانيت قصدي من المنزل القاصي
بكثرة رحمة لي ثم باحب بشجوها * وحسبك أن الحشب تبكي علي العاصي
ولبعض المتأخرين فيها أيضاً من التورية (كامل)

ياسادة سكنوا حماة وحقكم * ما حلت عن تقوي وعن اخلاصي
والطرف بعدكم إذا ذكر الالقا * يجري المدامع طائماً كالعاصي

(رجع) ثم سافرت الى مدينة المعرفة التي ينسب اليها الشاعر أبو العلاء المعري وكثير سواه
من الشعراء قال ابن جزى وانما سميت بمعرفة النعمان لان النعمان بن بشير الانصاري
صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي له ولد أيام امارته بن علي حص فدفنه بالمعرفة فمرفت
به وكانت قبل ذلك تسمى ذات القصور وقيل ان النعمان جيل مطلق عليها سميت به
(رجع) والمعرفة مدينة كثيرة حسنة أكثر شجرها التين والفسق ومنه يحمل الى مصر
والشام وبخارجها علي فرسخ منها قبر امير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز ولا زاوية عليه ولا
خديم له وسبب ذلك انه وقع في بلاد صنف من الرافضة ارجاس يغيضون العشرة من
الصحابة رضي الله عنهم ولعن مبغضهم ويغيضون كل من اسمه عمر وخصوصاً عمر بن

عبد العزيز رضي الله عنه لما كان من فمله في تعظيم على رضي الله عنه ثم سرنا منها الى مدينة
سرمين وهي حسنة كثيرة البساتين وأكثر شجرها الزيتون وبها يصنع الصابون الآجري
ويجلب الى مصر والشام ويصنع بها أيضا الصابون المطيب لغسل الأيدي ويصفونه بالحرارة
والصفرة ويصنع بها ثياب قطن حسان تنسب اليها وأهلها سبابون يفضون العشرة ومن
العجب انهم لا يذكرون لفظ العشرة وينادي سمرتهم بالسواق على الساع فإذا بانوا الى
العشرة قالوا تسعة وواحد وحضر بها بعض الأتراك يوما فسمع سمرارا ينادى تسعة
وواحد فضر به بالدبوس نلي رأسه وقال قل عشرة بالدبوس وبها مسجد جامع فيه تسع
قباب ولم يحملوها عشرة قياما بذهبهم القبيح ثم سرنا الى مدينة حلب المدينة الكبرى والقاعد
المعظمي قال أبو الحسين بن جبير في وصفها قدرها خطير وذكرها في كل زمان يطير خطابها
من الملوك كثير وعلمها من النفوس أنير فكم حاجت من كبحاح وسئل عليها من يض
الصفاح لها قاعة شهيرة الامتناع بأثثة الارتفاع فزهت حصانة من أن ترام أو تستطاع
منحوتة الاجزاء في موضوع على نسبة اعتدال واستواء قد طاولت الايام والاعوام
ووسمت الخواص والعوام أين أمراؤها الحمدانيون وشعراؤها فتي جيهم ولم يبق الا
بناؤها فيا عجبا البلاد تبقى وبذهب ملاكها ويهلكون ولا يقضى هلاكها وتخطب بدمهم فلا
يتعذرا ملاكها وترام فيتيسر بأهون شيء ادراكها هذه حلب كم ادخات ملوكها في خير
كان ونسخت صرف الزمان بالمكان أنت اسمها فتحت بحرية الغوان وأت بالعدر
فيمن دان وانجلى عروسا بعد سيف دواتها ابن حمدان هيأت سيهرم شبابها ويعدم
خطابها ويسرع فيها بعد حين خرابها وقلة حلب تسمى الشهباء وبداخلها جبلان ينبع
منهما الماء فلا يخاف الظماء ويظف بها سوران وعابها خندق عظيم ينبع منه الماء
وسورها مستداني الابراج وقد انتظمت بها الملاي العجيبة المفتحة الطيقان وكل برج
منهما مسكون والطعام لا يتغير بهذه القلعة على طول العهد وبها مشهد يقصده بعض الناس
يقال ان الخليل عليه السلام كان يتعبد به وهذه القلعة تشبه قلعة رحيمة مالك بن طوق التي علي
الفرات بين الشام والعراق ولما قصد قازان طاعية الترمذية حلب حاصر هذه القلعة أياما

ونكص عنها خائباً قال ابن جزى وفي هذه القلعة يقول الخالدي شاعر سيف الدولة
 وخرقاء قد قامت على من برومها * بمرقبها العالي وجانبها الصعب
 يجر عليها الجوجيب غمامه * ويلبثها عقد أبانجمه الشهب
 اذا ما سرى برق بدت من خلال له * كالأحت المذراء من خلل السحب
 فكم من جنود قد أمانت بنصه * وذى سطوات قدأ بانت على عقب
 وفيها يقول أيضاً وهو من بديع النظم (بسيط)

وقلعة عاتق المنقاء سافلها * وجاز منطقة الجوزاء عاليها
 لا تعرف الفطر اذا كان الغمام لها * أرضاً توطأ قطريه مواشيها
 اذا انقمامة راحت غاض ساكنها * حياضها قبل ان تهجي عه اليها
 يعد من أنجم الافلاك مرقبها * لو أنه كان يجرى في بحارها
 ردت مكاييد أقبوام مكايدها * ونصرت لدواهيهم دواهيها
 وفيها يقول جمال الدين علي بن أبي المنصور (كامل)

كادت لبون سموها وعملوها * تستوقف الفلك المحيط الدائرا
 وردت قواضئها المجرة منهلا * ورعت سوابقها التجوم زواها
 ويظل صرف الدهر منها خائفا * وجلالها يمسى لديها حاضرا
 (رجع) ويقال في مدينة حلب حلب ابراهيم لان الخليل صلوات الله وسلامه على نبينا
 وعليه كان يسكنها وكانت له انعم الكثيرة فكان يسقى الفقراء والمساكين والوارد والصادر
 من ألبانها فكانوا يجتمعون ويسألون حلب ابراهيم فسميت بذلك وهي من أعز البلاد التي
 لا نظير لها في حسن الوضع واتقان الترتيب واتساع الاسواق وانتظام بعضها ببعض
 وأسسوا قوامها سقفة بالحشب فأهلها دائمات في ظل ممدود وقيسارياتها لاتمائل حسنا وكبرا
 وهي تحيط بمسجدها وكل سباط منها محاذي لباب من أبواب المسجد ومسجدها الجامع
 من أجل المساجد في محنة بركة ماء ويظف به بلاط عظيم الاتساع ومنبرها بديع العمل
 مرصع بالناج والأبنوس وبقراب جامعهام مدرسة مناسبة له في حسن الوضع واتقان الصنعة

ينسب لأمراء بني حمدان وبالبلد - واهاتلات مدارس وبهامارس - تان وأما خارج المدينة فهو بسيط أفصح عريض به المزارع العظيمة وشجرات الاخشاب منتظمة به والبساتين على شاطئ نهره وهو النهر الذي ير بحماة ويسمى العاصي وقيل انه سمي بذلك لانه يخيل لناظره ان جريانه من أسفل الى علو والنفس تجدف خارج مدينة حلب اسما حواسرورا ونشاطا لا يكون في سواها وهي من المدينتين الملح للخلافة قال ابن جزى أطنبت الشعراء في وصف محاسن حلب وذكر داخلها وخارجها وفيها يقول أبو عباد البحتري (كامل)

يا برق أسفر عن فويق مطالي * حلب فاعلى القصر من بعلباس
عن منبت الورد المعصر صبغه * في كل ضاحية وبجنى الآس
أرض اذا سوح حشككم بتذكر * حشدت على فئاكثر ايتاسي

وقال فيها الشاعر المجيد أبو بكر الصنوبري (مقارب)

سقى حلب المزن مغنى حلب * فكم وصلت طريا بالطرب
وكم مسطاب من العيش لذ * بها اذ بها العيش لم يستط
اذا شر الزهر أعلامه * بها ومطارفه والسذب
غدا وحواشيه من فضة * تروق وأوساطه من ذهب

وقال فيها أبو العلاء المعري (خفيف)

حلب للورد اجنة عدن * رعى للغادرين نار سمير
والعظيم العظيم يكبر في عي * نيه منها قدر الصغير الصغير
فتويق في أنفس القوم بحر * وصاة منه مكان ثير

وقال فيها أبو القتيان بن جبوس

يا صاحبي اذا أديا كما سقمي * فتقاني نسيم الريح من حلب
من البلاد التي كان الصبا سكنا * فيها وكان الموى المذرى من أربي

وقال فيها أبو الفتح كشاجم (مقارب)

(٤ - رحله)

وما أمتعت جارها بلدة * كما أمتعت حلب جارها

بها قد تجمع ما تشتهي * فزرها فطوبى لمن زارها

وقال فيها أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد الفرائدي العباسي (خفيف)

حادي العيس كم تنسج المطايا * سقى بروحي من يدهم في سياق

حلب أنها مقرر غرامي * ومرامي وقبلة الأشواق

لك خازجوشن وبنياس والعرب * ومن كل وابل غيداق

كم بهامرتع الحارف وقب * فيه سقى المنى بكأس دهاق

وتغنى طيورها الارتياح * وتغنى غصونها لتغناق

وعلو الشبهاء حيث استدارت * أنجم الأفق حولها كالنطاق

(رجع) وبحلب ملك الأمراء أرغون الدوادار أكبر أمراء الملوك الناصر وهو من الفقهاء

موصوف العدل لكنه بخيل والقتضاء بحلب أرباب المذاهب الأربعة فمنهم القاضي كمال الدين

ابن الزملكاني شافعي المذهب عالمه كبير القدر كريم النفس حسن الاخلاق متفنن

بالعلوم وكان الملوك الناصرة يسمونه ألبو ايه قننا القنناة بحضرته ملكه فلم يقض له ذلك وتوفي

ببليس وهو متوجه اليها ولما ولي قضاء حلب فسدته أشعراء من دمشق وسواها وكان

فيمن قصده شاعر الشام شهاب الدين أبو بكر محمد بن الشيخ المحدث شمس الدين أبي عبد

الله محمد بن نباتة أقرشى الأديب الفارقي فامتدحه بقصيدة طويلة حافلة وأولها (كامل)

أسفت لفقده لئجاق النسيجا * وتباشرت لقدومك الشهباء

وعلا دمهق وقد رحلت كابة * رعد الأرباب حسبنا وسناء

قد أسرفت دار سكنت فهاها * حتى غدت ولنورها الأضاء

يا سائرا سقى المكارم والعتي * بمن يحل عنده الكرماء

هذا كمال الدين لذبحنا به * تنعم ثم الفضل والتعناء

قاضي القضاة أجل من أيامه * تغنى بها الأيتام والفقراء

قاض زكي أصلا وفرقا فاعلى * شرفت به الآباء والأبناء

من الاله على بنى حلب به * لله وضع الفضل حيث شاء
 كشف المعمي فهمه وبيانه * فكأنما ذاك انتكاه ذكاه
 يا حاكم الحكم تدرك سابق * عن ان تسرك رتبة شماء
 ان المناصب دون همتك التي * في الفضل دون محلها الجوزاء
 لك في الملوم فضائل مشهورة * كالصبح شق له الظلام ضياء
 ومناقب شهد الدو بفضلها * والفضل ما شهدت به الاعداء

وهي أزيد من خمسين يتاوأجازها عليها بكسوة ودراهم واتقد عليه الشجر ابتداء
 بلفظ أسمت قال ابن جزى وليس كلامه في هذه القصيدة بذلك وهو في المقطعات أجود
 منه في القصائد وانتهت الرياسة في الشعر على هذا العهد في جميع بلاد المشرق وهو من
 ذرية الخطيب أبي يحيى عبد الرحيم بن نباتة منشي الخطب الشهيرة ومن بديع منقطاته
 في التورية قوله (كامل)

علقتها غيداء حالية النمل * تحبني على عقل المحب وقلبه
 بخلت بأثاؤنفرها عن الاتم * فعدت مطوقة بما بخلت به

(رجع) ومن قصة حلب قاضي قضاء الحنفية الامام المدرس ناصر الدين بن العديم حسن
 الصورة والسيرة أصيل مدينة حلب (كامل)

تراه اذا ماجتته متهاذا * كالك تعطيه الذي أنت سائله

ومنهم قاضي قضاء المالكية لأذ كرم كان من الموقعين بمصر وأخذ الخطة عن غير
 استحقاق ومنهم قاضي قضاء الحنابلة لأذ كرمه وهو من أهل صالحية تدمشق وتقيب
 الاشراف بحلب بن الدين بن الزهراء ومن فقهاء شافعية الدين بن المعجمي وأدار به هم
 كبرياء مدينة حلب ثم حافت منها الى مدينة تيزين وهي على طريق قنسرين (وضبط
 اسمها بناء معلومة منسورة وياء مدوزاى مكسورة وياء مدانية ونون) وهي حديثه اتخذها
 الزنكان وأسواقها حسان ومساجدها في نهاية من الاتقان وقاضيا بدر الدين المسقلاني
 وكانت مدينة قنسرين قديمة كبيرة ثم خرجت ولم يبق الارسومها ثم سافرت الى مدينة

انطاكية وهي مدينة عظيمة أصلية وكان عليها سور محكم لا نظير له في أسوار بلاد الشام
فلما فتحها الملك الظاهر هدم سورها وانطاكية كثير العمارة ودورها حسنة البناء كثيرة
الاشجار والمياه وبخارجها نهر العاصي وبها قبر حبيب التجار رضى الله عنه وعليه زاوية
فيها الطعام لا وارد والصادر شيخها الصالح المعمر محمد بن علي سنة ينيب على المائة وهو
متمتع بقوة دخلت عليه مرة في بستان له وقد جمع حطباً ورفع به على كاهله أتى به منزله
بالمدينة ورأيت ابنه قد أناف على الثمانين الا أنه محدوب الظهر لا يستطيع الهوض
ومن يراها يظن الوالد منهم اولداً والولد الدائم سافرت الى حصن بفراس (وضبط
اسمه بياض موحدة مضحمة وغين معجمة مسكنة ورا) وآخره سين مهملة) وهو حصن
منيع لا يرام عليه البساتين والمزارع ومنه يدخل الى بلاد سبسطية وهي بلاد كفار الارمن
وهم رعية للملك الناصر يؤدون اليه مالا ودراهمهم فضة خالصة تعرف بالبغلة وبها تصنع
التياب الديزية وأمير هذا الحصن صارم الدين بن الشيباني وله ولد فاضل اسمه
علاء الدين وابن أخ اسمه حسام الدين فاضل كريم يسكن الموضع المعروف بالرصاص
(بضم الراء والصاد المهمل الاول) ويحفظ الطريق الى بلاد الارمن ﴿حكاية﴾
شكى الارمن مرة الى الملك الناصر بالامير حسام الدين وزوروا عليه امورا لا تلقى فقد
أمره لامير الامراء بحلب ان يخفقه فلما توجه الامير بلغ ذلك صديقه من كبار الاعرا
فدخل على الملك الناصر وقال ياخذون دان الامير حسام الدين وهو من خيار الاعرا
يتصح للمسلمين ويحفظ الطريق وهو من الشجعان والامن يريدون الفساد في بلاد
المسلمين فيمنعهم ويقرهم وانما ارادوا اضعاك شوكة المسلمين بقتله ولم يزل
يه حتى أنفذ امرا ثانيا بسراجه والخلع عليه ورد له موضعه ودعا الملك الناصر برديا
يعرف بالافوش وكان لا يبعث الا في مهم وأمره بالاسراع والجدي في السير فسار من مصر
الى حلب في خمس وهي مسيرة شهر فوجد امير حلب قد حضر حسام الدين وأخرجه
الى الموضع الذي يخفى به الناس فخلصه الله تعالى وعاد الى موضعه ولقيت هذا الامير
ومعه قاضي بفراس شرف الدين الحموي بموضع يقال له العمق متوسط بين انطاكية

وتيزين وبغراس ينزله التركان بمواشيهم لخصبه وسعته ثم سافرت الى حصن القصير تصغير
 قصر وهو حصن حسن أمير علاء الدين الكردي وقاضيه شهاب الدين الارمق من
 أهل الديار المصرية ثم سافرت الى حصن الشغربكاس (وضبط اسمه بضم الشين المعجم
 واسكان الفين المعجم وضم الزاء والباء الموحدة وآخره سين مهمل) وهو منبع في رأس
 شاقق أمير سيف الدين العطارش فاضل وقاضيه جمال الدين بن شجرة من اصحاب ابن
 التيمية ثم سافرت الى مدينة صهيون وهي حسنة بها الانهار المطردة والاشجار المورقة
 ولها قلعة جيدة وأميرها يعرف بالابراهيمى وقاضيه محيى الدين المحصى وبخار جهازاوية
 في وسط بستان فيها الطعام ثوار والصادروهي على قبر الصالح العابد عيسى البدوي
 رحمه الله وقد زرت قبره ثم سافرت منها فمرت بحصن القدموس (وضبط اسمه بفتح
 القاف واسكان الدال المهمل وضم الميم وآخره سين مهمل) ثم بحصن المينقة (وضبط
 اسمه بفتح الميم واسكان الياء وفتح التون والقاف) ثم بحصن الحليقة واسمه على لفظ
 واحدة العايق ثم بحصن مصيايف (وصادده ههالة) ثم بحصن الكهف وهذه الحصون
 اطائفة يقال لهم الاسماعيليو يقال لهم الفداوية ولا يدخل عليهم أحد من غيرهم وهم سهام
 الملك الناصر بهم يصيب من يعدو عنه من أعدائه بالعراق وغيرها ولهم المراتب واذا
 أراد السلطان ان يبعث أحدهم الى اغتيال عدوله أعطاه دية فان سلم بعد تأتي ما يراد منه
 فهي له وان أصيب فهي لولده ولهم سكاكين مسمومة يضربون بها من يشاء الى قتله
 وربما تصح حيلهم فقتلوا كاجرى لهم مع الامير قرا سنقور فانه لما ضرب الى العراق
 بعث اليه الملك الناصر جملة منهم فقتلوا ولم يقدر واعليه لانه بالجزم (حكاية)
 كان قرا سنقور من كبار الامراء ومن حضر قتل الملك الاشرف أخى الملك الناصر
 وشارك فيه ولما تمهد الملك الناصر وقر به القرار واشتدت أواخي سلطانه جعله
 يتبع قتلة أخيه فيقتلهم واحدا واحدا أظهار اللأخذ بثار أخيه وخوفا أن يتجاسروا
 عليه بما تجاسروا على أخيه وكان قرا سنقور أمير الامراء بحلب فكتب الملك الناصر الى
 جميع الامراء أن ينفروا بمساكرهم وجملهم ميعادا يكون فيه اجتماعهم بحلب وتزولهم

عليها حتى يقبضوا عليه فاما فاعلوا ذلك خاف قراستقور ع: نفسه ركان له ثمانية مملوك
فركب فيهم وخرج على المساكر صباحا فاختر قههم وأعجزهم سبوا وكانوا في عشرين ألفاً
وقصد منزل أمير العرب مهنا بن عبيد وهو على مسيرة يومين من حاب وكان مهنا في
فتنص له فقصد بيته ونزل عن فرسه وأتى العمامة في عنق نفسه ونادى الجواريا أمير العرب
وكانت هنالك أم الفضل زوج مهنا وبنت عمه فقالت له قد أجرتك وأجرتنا من مملكتك
فقال نعم أطاب أولادى ومالى فقات له لك ما تحب فانزل في جوارنا ففعل ذلك وأتى مهنا
فاحسن نزله وحكمه في ماله فقال انما أحب أهلى ومالى الذى تركته بحب فندعاهمنا
ياخوته وبنى عمه وشاورهم في أمرهم فنهض من أجابه الى ما أراد ومنهم من قال له كيف
نحارب الملك الناصر ونحن في بلاده بالشام فقال لهم مهنا ما نأفأ فى لهذا الرجل ما يريد
وأذهب معه الى سلطان العراق وفي ثمانية ذلك ورد عليهم الخبر بأن أولاد قراستقور
سيروا على البريد الى مصر فقال مهنا تراستقور أما أولادك فلا حيلة فيهم وأما ملك
ففتحهم في خلاصه فركب فيهم أطاعه من أهله واستغفر من العرب نحو خمسة وعشرين
ألفاً وقصدوا حاب فأحرقوا باب القلعة وأغلبوا عليها واستخلصوا منها مائة قراستقور
ومن بقى من أهله ولم يمتدوا الى سوى ذلك وقصدوا ملك العراق وحجزهم أمير حصص
الانتر ووصلوا الى الملك محمد خدابنده سلطان العراق وهو بوضع مصيفه المسمى
ترباغ (بنح تناف والراء والياء الموحدة والعين المعجمة) وهو من السطانية
وتبريز فأكرم نزلهم وأعطى مهنا عراق العرب وأعطى قراستقور مدينة مراغة من
عراق العجم وتسمى دمشق نصفية وأعطى الافرم همدان وأقام واعنده مدة مات
فيها الافرم وعاد مهنا الى الملك الناصر بدم موائيق وعهود أخذها منه وبقى قراستقور
على حاله وكان الملك الناصر يبعث له الفداوية مرة بعد مرة فنهض من يدخل عليه داره
فيقتل دونه ومنهم من يرمي بنفسه عليه وهو راكب فيضربه وقتل بسببه من الفداوية
جماعة وكان لا يفارق الدرع أبداً ولا ينام الا في بيت العود والحد يدقها مات السلطان
محمد وولي ابنه أبو سعيد وقع ماسنذكره من أمر الجوبان كبير أمرائه وفرار ولده

الدمر طاش الى الملك الناصر ووقعت المراسلة بين الملك الناصر وبين أبي سعيد واتفقا على أن يبعث أبو سعيد الى الملك الناصر برأس قراستقور يبعث اليه الملك الناصر برأس الدمر طاش فبعث الملك الناصر برأس الدمر طاش الى أبي سعيد فلما وصله أمر يحمل قراستقور اليه فمأعرف قراستقور بذلك أخذ خاتما كان له مخوف في داخله سم نافع فنزع فصه وامتص ذلك السم فمات - ليته عرف أبو سعيد بذلك الملك الناصر ومن يبعث له برأسه ثم سافرت من حصون الفداوية الى مدينة جبلة وهي ذات أنهار ومطردة وأشجار والبحر على نحو ميل منها وهاهنا الولي الصالح الشريف إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه وهو الذي بذل الملك وانقطع الى الله تعالى حسب ما نثر ذلك ولم يكن إبراهيم من بيت ملك كقضته الناس انما سورت الملك عن جده أبي أمه وأما أدهم فكان من الفقهاء الصالحين النساخين المتعبدين الورعين المنقطعين

في حكاية أدهم

يذكر انه مر ذات يوم ببساتين مدينة بخاري وتوضأ من بعض الأنهار التي تتخللها قضاة تفاحة يحماها ماء النهر فقال هذه لا خطر لها فأكلها ثم وقع في خاطر من ذلك وسواس فغزم على أن يستحل من صاحب البستان فقرع باب البستان فخرجت اليه جارية فقالت لم ادعي لي صاحب المنزل فقالت انه لا امرأة فقال استأذني لي عياها ففعلت فأخبر المرأة بخبر التفاحة فقالت له ان هذا البستان نصيبه لي ونصفه لاسطان والسلطان يومئذ يابح وهي مسيرة عشرة من بخاري وأختها المرأة من اصفها وذهب الى ابخ فاعترض السلطان في موكبه فاستمررا فغيروا رحلة فأمر أن يعودا اليه من الغد وكان السلطان ينت بارة الحمال قد خطبها ابنا المملوك فتمت - وحببت اليها العبادة وحب الصالحين وهي تحب أن تزوج من ورع زاهد في الدنيا فلما عاد السلطان الى منزله أخبر بنته بخبر أدهم وقال ما رأيت أروع من هذا يأتي من بخاري الى ابخ لاجل نصف تفاحة فرغبت في تزوجه فلما أتاه من الغد قال لأحلك الآن أن تزوج بيتي فانقاد لذلك بعد استصاءه وتمتع فتزوج منها فلما دخل عليها وجدها متزينة والبيت من بن بالفرش وسواها فعمد الى ناحية من البيت وأقبل على

صلاته حتى أصبح ولم يزل كذلك سبع ليال وكان السلطان مأحله قبل فبهت إليه أن يحله
فقال لأحلك حتى يقع اجتماعك بزوجتك فلما كان الليل واقمها ثم اغتسل وقام إلى
الصلاة فصاح صيحة وسجد في مصلاه فوجد ميتاً رحمه الله وحلت منه فولدت إبراهيم
ولم يكن لجده ولد فأسند الملك إليه وكان من تخلصه عن الملك ماشتهر وعي قبر إبراهيم
ابن أدهم زاوية حسنة قيمها بركة ماء وبها الطعام لادروا وأوردوا خادمها إبراهيم الجمحي
من كبار الصالحين والناس يقعدون هذه الزاوية ليلة الحف من شعبان من سائر أقطار
أشام ويقومون بها ثلاثاً ويقوم بها خارج المدينة سوق عظيم فيه من كل شيء ويقدم الفقراء
المتجردون من الآفاق بحضور هذا الموسم وكل من يأتي من الزوار لهذه التربة يعطي
خادماً شامساً فيجتمع من ذلك قناطير كثيرة وأكثراً أهل هذه السواحل هم الطائفة
التبصرية الذين يقتصدون أن على بن أبي طالب اله وهم لا يصلون ولا يتطهرون ولا
يصومون وكان الملك الظاهر أنهم بناء المساجد إبراهيم فبنوا بكل قرية مسجداً بعيداً
عن الماء ولا يدخلونه ولا يمررونه وبنوا آوت إليه مواشيهم وودابهم وربما وصل
أغريب إليهم فينزل بالمسجد ويؤذن للصلاة فيقولون له لا تنهق عليك يأتيك
وعدددهم كثير

(حكاية)

ذكر لي أن رجلاً مجهولاً وقع بريدته . لطائفة فادعى الهداية وتكاثر وأغايه فوعدهم
بتملك البلاد وقيم بينهم بلاد الشام وكان يمين لهم البلاد ويأمرهم بالخروج إليها ويعطيهم
من ورق الزيتون ويتول لهم استغفارهم وإيهافاتها كالأوامر لكم فإذا خرج أحددهم إلى
بلد أحضره أمير حافياً يقول له إن الامام المهدي أعطاني هذا البلد فيقول له أين الأمر
فيخرج ورق الزيتون فيضرب ويحبس ثم أنه أمرهم بالتجهيز لقتال المسلمين وأن يبدؤوا
بمدينة جبلة وأمرهم أن يأخذوا عرض السيوف قضبان الآس ووعدهم أنها تصير في
أيديهم سيوفاً عند القتال فعدروا مدينة جبلة وأهلها في صلاة الجمعة فدخلوا الدور
وهتكوا الحريم ونار المسلمون من مدينتهم فخذوا السلاح وقتلهم كيف شاؤوا
وواصل الخبير باللاذقية فاقبل أميرها بدر حيداً بهسكروا وطيرت الحمام إلى طرابلس

فأتى أمير الأمراء بساكره وأتبعوههم حتى قتلوا منهم نحو عشرين ألفاً وتحصن الباقون
بالجبال وراسلوا ملك الأمراء والتمذوا أن يعطوه ديناراً عن كل رأس إن هو حاول
إبقاءهم كان الخبر قد طير به الحسام إلى الملك الناصر وصدر جوابه أن يحمل عليهم
السيف فراجعهم ملك الأمراء وألقى له أنهم عمال المسلمين في حرثة الأرض وأنهم إن
قتلوا ضعف المسلمون لذلك فأمر بالبقاء عليهم ثم سافرت إلى مدينة اللاذقية وهي مدينة
عتيقة على ساحل البحر يزعمون أنها مدينة الملك الذي كان يأخذ كل سفينة غصبا وكانت
انتماء لعمدها لزيارة الولي المالح عبد المحسن الأكتندري فلما وصاتها وجدته غائبا
بالحجاز الشريف فالتفت من أصحابه الشيخين الصالحين سعيد البجائي ويحيى السلاوي
وهما مسجد علاء الدين بنهما - - - - - بفضلا الشام وكبرائهما صاحب الصدقات والمكارم
وكان قد عمر لهما زاوية بقرب المسجد وجمال بها الطعام لا وارد والصادر وقاضيا للفقيه
الفاضل جلال الدين عبد الحق المصري المالكي فاضل كريم تفاق بطيلا ن ملك الأمراء
فولاه قضاءها

حكاية

كان باللاذقية رجل يمر فابن المؤيد به جاء لا يسلم أحد من أسانه متهم في دينه مستخف
يتكلم بانقلاب من الأحاد فمرضت له حاجة عند بطيلان ملك الأمراء فلم يقضها له فقصد
مصر وتقول عليه أمورا شائعة وعاد إلى اللاذقية فكتب بطيلان إلى القاضي جلال الدين
أن يحيل في قتله بوجه شرعي فدعاه القاضي إلى منزله وباخته واستخرج كامن الحاد فقتلهم
بمغاثهم أيسر هاروجب القتل وقد أعد القاضي الشهود وخاف الحجاب فكتبوا اعتدا
بمقاله وثبت عند القاضي وسجن وأعلم ملك الأمراء بقضيته ثم أخرج من السجن وحقق
عليه بابه ثم لم يلبث أن مات الأمير بطيلان أن عزل عن طرابلس وولاهم الحاج قرطبة من كبار
الأمراء ومن تقدمت له فيها النولية وبينه وبين بطيلان عداوة فجعل يتبع سقطاته وقام لديه
اخوة ابن المؤيد شاكين من القاضي جلال الدين فأمر به وبالشهود والذين شهدوا على ابن
المؤيد فاحضروا وأمر بنحقتهم وأخرجوا إلى ظاهرا المدينة حيث يحنق الناس وأجلس

كل واحد منهم تحت عنتقه ونزعت عماثهم ومن عادة أمراء تلك البلاد انه متى أمر
أحدهم بقتل أحد من الناس يمر الحاكم من مجلس الأمير سقاعلى فرسه الى حيث المأمور
بقتله ثم يعمد الى الأمير فيكر استئذنه بفعل ذلك ثلاثا فإذا كان بعد الثلاث أنفذ الأمر
فما فاعل الحاكم ذلك قامت الأمراء في المرة الثالثة وكشفوا رؤسهم وقالوا أيها الأمير
هذه سبة في الاسلام بقتل القاضي والشهود فقبل الأمير شفاعتهم وحتى سيابهم وبخارج
اللاذقية الدبر المعروف بدراغروس وهو أعظم دبر بالشام ومصر يسكنه الرهبان
ويقصدوا أنصارى من الآفاق وكل من نزل به من المسلمين فأنصارى يتعقرونه وطعامهم
الحب والحن والزيتون والحل والكبر وميناء هذه المدينة عاينها ساسنة بين برجين
لا يدخلها أحد ولا يخرج منها حتى تحيط له السلسلة وهي من أحسن المراسي بالشام
سافرت الى حصن المرق وهو من الحصون المغلقة بمائل حصن الكنة وميناء على
جبل شامخ وخار به رضى نزهة الغري به لا يدخلون قاعة واقتحمه من أبهى الروم الملك
المصور قلاوون وعاليه ولدا ابنه الملك الناصر وكان قاضيه برهان الدين المصري من
أفاضل انتخاضه كرامتهم ثم سافرت الى الجبل الأقرع وهو أعلى جبل بالشام وأول
ما يظهر منها من البحر وسكانه الترك وفيه العميون والأنهار وسافرت منه الى جبل لبنان
وهو من أحسن جبال الدنيا به أصناف الفواكه وعيون المساء والظلال والأفرة ولا ينخلو
من المنقطعين الى الله تعالى والزهاد والمصلحين وهو شهر بذلك ورأيت به جماعة من
الصالحين قد انقطعوا الى الله تعالى ممن لم يشهر اسمه
أخبرني بعض الصالحين الذين اتبعتم به قال كذا بهذا الحاح جماعة من القراء ما بالهم
الشديد فأوقدنا نار اعظيمة وأخذت نأبها فقال بعض الحاضرين يصالح لهذه النار ما يشوي
فيها فقال أحد الفقراء ممن تزدريه العين ولا يعاب به في كنت عند صلاة العصر بمعتبد إبراهيم
ابن ادهم فرأيت بمقربة منه حمارا وحشا قد أحرقا تلج به من كل جانب وأظنه لا يتدرعنى
الحراك فلوذبتهم اليه أقدرتم عليه وشويتم لحمه في هذه النار قال فقمنا اليه في خمسة
رجال فلقيناه كلوصف البنا فقبضناه وأتيناه بأحبائنا وذبحناه وأشوينا لحمه في تلك النار

وطبنا الفقير الذي نبه عليه فلم يجد ولا وقتنا له علي أن نطال عجبنا منه ثم وصلنا من جبل لبنان الي مدينة بعلبك وهي حسنة قديمة من أطيب مدن الشام تحدد قبال البساتين الشريفة والجنات المثيفة وتخرق أرضها الانهار الجارية وتضاهي دمشق في خيراتها المتناهية وبها من حب الملوك ما ليس في سواها وبها يصنع الدبس المنسوب اليها وهو نوع من الرب يصنعونه من المنب ولهم تربة يضعونها فيه فيجمد وتكسر القلة التي يكون بها فيبقى قطعة واحدة وتصنع منه الحلواء ويجعل فيه الفستق واللوز ويسمون حلواء بالمناين ويسمونها أيضا بجبلد الفرس وهي كثيرة الابان وتجلب منها الي دمشق وبينهم ماسيرة يوم للمجد وأما لفاق فيخرجون من بعلبك فيبيتون ببلدة صغيرة تعرف بالزبداني كثيرة الفواكه ويتدنون منها الي دمشق ويصنع بعلبك اثياب المنسوبة اليها من الابرار وغيره ويصنع بها أواني الخشب وملاعق التي لا نظير لها في البلاد وهم يسمون الصخاف بالسدوت وربما صنعوا الصحنه وصنعوا صحنه أخرى تسع في جوفها وأخرى في جوفها الي ان ينافوا العشرة فيخلل لرائبها انها صحنه واحدة وكذلك الملاعق يصنعون بها عشرة واحدة في جوف واحدة يصنعون لها عشاء من جلد ويمسكها الرجل في يده واذ حضر طعاما مع أصحابه أخرجه ذلك فيظن رائبها انها واحدة يخرج من جوفها دسمة وكان دخولي لبعلبك عشية انهار وخرجت منها لندول فرط اشتياقي الي دمشق ووصلت يوم الخميس التاسع من شهر رمضان المعظم عام ستة وعشرين الي مدينة دمشق الشام فزات منها بدمرسة الملكية المروفة بانشرابية ودمشق هي التي تفضل جميع البلاد حسنا وتقدمها جبالا وكد وصف وان طال فهو قاصر عن محاسنها ولا أدع مما قاله أبو الحسين ابن جبير رحمه الله تعالى في ذكرها قل وأما دمشق فهي جنة المشرق ومطلع نورها المشرق وخاتمة بلاد الاسلام التي استقر بناها وعمرها من المدن التي اجلتناها قد تحلت بازاهير الرياحين وتجت في حالي سندسية من البساتين وحلت من موضع الحسن بالمكان المكين وتزينت في منصفها بأجمل تزيين وتشرفت بأن آوى المسيح عليه السلام وأمه منها الي روبة ذات قرار ومعين ظل ظليل وماء سلسيل تناسبه

مذاذيه انسياب الاراقم بل سليل ورياض يحكي النفوس نسيما العليل تتبرج لناظرها
 بمجتنى صقيل وتناديهم هاموا الي معرس للحسن ومقبل وقد شمت أرضها كثرة
 الماء حتي اشتاقت الي الظماء فتكاد تناديك بها الصم الصلاب أركض رجلك هذا
 مغتسل بارد وشراب وقد أحقت البساتين بها احداق الهالة القمر والاكام بالنثر
 وامتدت بشرقها غوطها الخضراء امتداد البصر وكل موضع لحظت بجبهاتها الاربع
 فضرته اليانة قيد البصر ولله صدق القائلين عنها ان كانت الجنة في الارض فدمشق
 لا شك فيها وان كانت في السماء فهي تسامها وتحاذيها قال ابن جزى وقد نظم بعض
 شعرائه في هذا المعنى فقال

ان تكن جنة الخلود بأرض * فدمشق ولا تكون سواها
 أو تكن في السماء فهي عليها * قد أبدت هواها وهواها
 بلد طيب ورب غفور * فاغتمها عشية ونهاها

وذكر شيخنا المحدث الرحال شمس الدين أبو عبد الله محمد بن جابر بن حسان التميمي
 الوادي أشي زيل تونس ونص كلام ابن جبير ثم قال وله أحسن فيما وصف منها وأجاد
 وتوق الأنفس للظلمع على صورتها بما أفاد هذا وان لم تكن له بها اقامه فيمرب عنها
 بحقيقة علامه ولا وصف ذهبيات أصيائها وقد حان من الشمس غربها ولا ازمان
 جفوها المتنوعات والأوقات سرورها المتنبهات وقد احتص من قال الفيتن كما تصف
 الألسن وفيها ما تشتهي النفس وتلذ الأعين قال ابن جزى والذي قالته الشعراء في
 وصف محاسن دمشق لا يحصى كثرة وكان والدي رحمه الله كثير ما يندبني وصفها هذه
 الايات وهي لشرف الدين بن محسن رحمه الله تعالى

دمشق بناشوق اليها مبرح * وان لج واش أو ألح عذول
 بلاد بها الحصباء درو تربها * غير وأنقاس الشمال شعول
 تسلسل فيها ماؤها وهو مطلق * وصح نسيم الروض وهو عليل
 وهذا من النظم العالي من الشعر وقال فيها عرقه الدمشقي الكلي

(كامل)

الشام شامة وجنة الدنيا كما * انسان مقلتها الغضيفة جلق
من آسها لك جنة لا تنقذ * ومن الشقيق جهنم لا تحرق

وقال أيضا فيها (بسيط)

اما دمشق فجنات معجزة * للعالمين بها الولدان والحوار
ما صاح فيها على أوتاره قر * الا يننيه قمرى وشجرور
باحبذا ودروع الماء تنسجها * أنامنى ان يريح الا انها زور

وله فيها أشعار كثيرة سوى ذلك وقال فيها أبو الوحش سبع بن خلف الاسدى (رجز)

سقى دمشق الله غيثا حسنا * من مستهل ديمة دهاقها
مدينة ايس يضاهى حسنها * في سائر الدنيا ولا آفاقها
تود زورا العراق انها * منها ولا تمزى الى عراقها
فأرضها مثل السما بهجة * وزهرها كالزهر فى اشراقها
نسيم روضها متى ما قدسرى * فكأخا لهموم من وثاقها
قد رتع الريح فى ربوعها * وسيقت الدنيا الى أسواقها
لا تهم الأميون والانوف من * رؤيتها يوما ولا تستنشقها

ومما يناسب هذا المقامضى الفاضل عبد الرحيم اليسانى فيها من قصيدة وقد نسبت أيضا
لابن المتبر (كامل)

يا برق هل لك فى احتمال تحية * عذبت فصار مثل مائك سلسلا
باكر دمشق بمشق اقلام الحيا * زهر الرياض مرصعا ومكلا
واجرد بحيرن ذبولك واختصص * مغنى تازر بالعلا وتسربلا
حيث الحيا الربيع محلول الحيا * والوابل الرقي مفرى الكلا

وقال فيها أبو الحسن على بن موسى بن سعيد العنسي الفرناطي المدعو نور الدين (بسيط)

دمشق منزلنا حيث التيم بدا * مكلا وهو فى الأفاق مختصر
القصب راقصة والطير صادحة * والزهر مرتفع والماء منحدر

وقد تجلبت من الازدات أوجهها * لكنها بظلال الدوح تستتر
وكل واديه موسى يفجره * وكل روض على حافته الحضر

وقال أيضا فيها (بسيط)

خيم بحاق بين الكأس والوتر * في حنة هي ملء السمع والبصر
ومتع الطرف في مرأى محاسنه * وروض السكر بين الروض والنهر
وانظر الى ذهيات الاصيل بها * واسمع الى نعمات الطير في الشجر
وقل لمن لام في لذاته بشرا * دعنى فانك عندي من سوى البشر

وقال فيها أيضا (كامل)

أما دمشق فحنة * ينسي بها الوطن الغريب
لله أيام السبو * تبها ومنظرها العجيب
انظر بعينك هل ترى * الا عجا أو حبيب
في موطن غنى الحما * مبه على رقص القصيد
رغدت ازاهر روضه * تحتال في فرح وطيب

وأهل دمشق لا يعملون يوم السبت عملا ثم يخرجون الى المنزهات وشطوط الأنهار
ودوحات الأشجار بين البساتين النضيرة والمياه الجارية فيكونون بها يومهم سم الى الليل وقد
طال بالكلام في محاسن دمشق فلترجع الى كلام الشيخ ابى عبد الله

«ذكر جامع دمشق المعروف بجامع بنى أمية»

وهو أعظم مساجد الدنيا احتلالا وأتقن اصناعة وابديها حسنا وبهجة وكالا ولا يعلم له
نظير ولا يوجد له شبيه وكان الذى تولى بناءه واقفاه أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك بن
سروان ووجه الى ملك الروم بقسطنطينية يأمره ان يبعث اليه الصناع فبعث اليه اثني عشر
الف صانع وكان موضع المسجد كنيسة فلما اقتنع المسلمون بدمشق دخل خالد بن الوليد
رضي الله عنه من احدى جهاتها بالسيف فاتمهي الى نصف الكنيسة ودخل أبو عبيدة بن
الجراح رضي الله عنه من الجهة الغربية صلح فأتته الى نصف الكنيسة فصنع المسلمون

من نصف الكنيسة الذي دخلوه عنوة مسجداً وبقي النصف الذي صالحوا عليه كنيسة فلما عزم الوليد على زيادة الكنيسة في المسجد طلب من الروم ان يبيعوا منه كنيسة منهم تلك بما شاؤا من عوض فأبوا عليه فاشتزعها من أيديهم وكانوا يزعمون ان الذي يهدمها يحزن فذكروا ذلك للوليد فقال انا اول من يحزن في سبيل الله وأخذ الفأس وجعل يهدم بنفسه فلما رأى المسلمون ذلك تابعوا على الهدم وأكذب الله زعم الروم ووزين هذا المسجد بقصر الذهب المنروقة بالنسيفساء تحاطها أنواع الاصبغة الثمينة الحسنة وذرع المسجد في الطول من الشرق الى الغرب مائتا خطوة وهي ثلاثمائة ذراع وعرضه من القبلة الى الجوف مائة وخمس وثلاثون خطوة وهي مائتا ذراع وعدد شمسات الزجاج الملونة التي فيه أربع وسبعون وبلاطه ثلاثة مستطيلة من شرق الى غرب سبعة كرايات بلاط منها ثمان عشرة خطوة وقد قامت على أربع وخمسين سارية وثماني أركان حصىة تحللها وست أركان من رخامة صلبة بالرخام الملون قد صوره فيها اشكال محاريب وسواها وهي مثل قبة الرصاص التي اما الحراب المسماة بقبة النسر كما نهم شبهوا المسجد نسرا طائر او الية رأسه وهي من أعجب مباني الدنيا ومن أي جهة استقبلت المدينة بدت لك قبة النسر ذاهبة في الهواء منيفة على جميع مباني البلدة وتستدير بالصحن بلاطات ثلاثة من جهاته الشرقية والغربية والجوفية سعة كل بلاط منها عشر خطا وبها من السواري ثلاث وثلاثون ومن الارجل أربع عشرة وسعة الصحن مائة ذراع وهو من أجمل المناظر وأتمها حسنا وبها يجتمع أهل المدينة بأعشائهم قاري ومحدث وذاهب ويكون انصرافهم بعد العشاء الاخيرة واذا لقي أحد كبارهم من الفقهاء وسواهم صاحب الدار سرع كل منهما نحو صاحبه وحط رأسه وفي هذا الصحن ثلاث من القباب احداها في غربيه وهي أكبرها وتسمى قبة عائشة أم المؤمنين وهي قائمة على ثمان سواري من الرخام مزخرفة بالفصوص والاصبغة الملونة مسقفة بالرصاص يقال ان ما للجوامع كان يحزن بها وذكروا ان فوائده مستتلات الجوامع ومجاية نحو خمسة وعشرين الف دينار ذهباني كل سنة والقيمة الثانية من شرقي الصحن على هيئة الأخرى الا انها أصغر منها قائمة على ثمان من سواري

الرخام وتسمى قبة زين العابدين والقبه الثالثة في وسط الصحن وهي صغيرة مشتملة من
 رخام عجيب يحكم الاصاق قائمة على أربع سواري من الرخام الناصع وتحته اشباك حديد
 في وسطه أنبوب نحاس يجمع الماء الى علو فيرفع ثم ينشئ كأنه قضيب لحين وهم يسمونه
 قفص الماء ويستحسن الناس وضع افواههم فيه لا شرب وفي الجانب الشرقي من الصحن
 باب يفضى الى مسجد بديع الوضع يسمى مشهد على بن أبي طالب رضي الله عنه ويقابله من
 الجهة الغربية حيث يلتقي السلطان التركي والجوفي موضع يقال ان عائشة رضى الله عنها
 سمعت الحديث هناك وفي قبلة المسجد المقصورة العظمى التي يؤم فيها امام الشافعية وفي
 الركن الشرقي منها ازاء المحراب خزانة كبيرة فيها المصحف الكريم الذي وجهه أمير
 المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه الى الشام وتفتح تلك الخزانة كل يوم جمعة بعد الصلاة
 فيزدحم الناس على اتم ذلك المصحف الكريم وهناك يحلف الناس غرما دم ومن ادعوا
 حاشياً وعن يسار المقصورة محراب الصحابة ويذكر أهل التاريخ انه اول محراب وضع
 في الاسلام وفيه يؤم امام المالكية وعن يمين المقصورة محراب الخفية وفيه يؤم امامهم
 ويلي محراب الخنابلة وفيه يؤم امامهم ولهذا المسجد ثلاث صوامع احداها بشرقية وهي
 من بناء الروم وبابها داخل المسجد وباسفاهام مطهرة وبببيت للوضوء يغتسل فيها
 المعتكفون والمتزيمون للمسجد ويتوضؤون والصومعة الثانية بغريه وهي ايضاً من بناء
 الروم والصومعة الثالثة بشماله وهي من بناء المسلمين وعدد المؤمنين به سبعين مؤذناً وفي
 شرق المسجد مقصورة كبيرة فيها صهريج ماء زهري لطائفة الزيدية السودان وفي وسط
 المسجد قبر زكريا عليه السلام وعليه تابوت معترض بين اسطواناتين مكسوتين بذهب
 اسود معلم فيه مكتوب بالايض (يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى) وهذا المسجد
 شهر الفضل وقرأت في فضائل دمشق عن سفيان الثوري ان الصلاة في مسجد دمشق
 بتلاثين ألف صلاة وفي الاثر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يعبد الله فيه بعد خراب
 الدنيا أربعين سنة ويقال ان الجدار القبلي منه وضعه نبي الله وود عليه السلام وان قبره به
 وقد رأيت على مقربة من مديسة ظفار اليمن بموضع يقال له الاحقاف بنية فيها قبر مكتوب

عليه هذا قبر هود بن عابر صلى الله عليه وسلم ومن فضائل هذا المسجد انه لا يخلو عن قراءة القرآن والصلاة الا قليلا من الزمان كما سذكروه والناس يجتمعون به كل يوم اتر صلاة الصبح فيقرؤن سبعا من القرآن ويحتمون بسد صلاة العصر اقرأة تسمى الكثرية يقرؤن فيها من سورة الكوثر الى آخر القرآن وتلجته من على هذه القراءة مرتبات تجرى لهم وهم نحو سائة انسان ويدور عليهم كاتب الغيبة فمن غاب منهم قطع له عند دفع المرتب بقدر ذبيته وفي هذا المسجد جماعة كثيرة من المجاورين لا يخرجون منه مقلون على الصلاة والقراءة والذكر لا يفترون عن ذلك ويتوضؤون من المطامر التي بداخل الصومعة الشريفة التي ذكرناها واهل البلد يمتنونهم بالماء والملايس من غير أن يسألوهم شيأ من ذلك وفي هذا المسجد أربعة أبواب باب قبلي يعرف بباب الزيادة وباعلام قطعة من الرمح الذي كانت فيه راية خالد بن الوليد رضي الله عنه ولهذا الباب دهايز كبير متسع فيه حوائت السقاطين وغيرهم ومنه يذهب الى دار الخيل وعن يسار الخارج منه سباط الف غارين وهي سوق عظيمة تمتد مع جدار المسجد انقبلي من احسن اسواق دمشق وبموضع هذه السوق كانت دار معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه ودور قومه وكانت تسمى الخضراء فهدمها بنو العباس رضي الله عنهم وسار مكانها سوق وباب شرقي وهو أعظم أبواب المسجد ويسمى باب جبرون وله دهايز عظيم يخرج منه الى بلاط عظيم طويل امامه خمسة أبواب لها ستة أعمدة ضوأل وفي جهة اليسار منه مشهد عظيم كان فيه رأس الحسين رضي الله عنه وبازائه مسجد صغير ينسب الى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وبه ما جاور وقد اتغلطت امام البلاء درج ينحدر فيها الى الدهايز وهو كالحدق العظيم يتصل باب عظيم الارتفاع تحته أعمدة كالجدوع طوأل وبجانب هذا الدهايز أعمدة قد قامت عليها اشوارع مستديرة فيها دكاكين البزازين وغيرهم وعليها اشوارع مستطيلة فيها حوائت الجوميين والكتبيين وصناع أواني الزجاج المعجبة وفي الرحة المتصلة بالباب الاول دكاكين لكبار الشهود منها دكانان للشافعية وسائر اهل الاصحاب المذاهب يكون في

المدكان منها الخمسة والستة من المدول والمقدل لانكحة من قبل القاضي وسائر الشهود
 مفترقون في المدينة وبمقربة من هذه الدكاكين سوق الوراقين الذين يبيعون الكاغد
 والاقلام والمسداد وفي وسط الدهليز المذكور حوض من الرخام كبير مستدير خلية
 الاسقف لها تقام اعمدة رخام وفي وسط الحوض أبواب نحاس بزجاج الماء بقوة فيرتفع
 في الهواء تزيد من قامة الانسان يسمونه الفوارة منظره عجيب وعن يمين الخارج من باب
 جيرون وهو باب الساعات غرفة لها هيئة طاق كبير فيه طيقان صفار مفتحة لها أبواب
 على عدد ساعات النهار والابواب مصبوغ باطنها بالخضرة وظاهرها بالصفرة فاذا ذهبت
 ساعة من النهار انقلب الباطن الاخضر ظاهرا والظاهر الاصفر باطنا ويقال ان بداخل
 الغرفة من يتولى قلبها يده عند مضي الساعات والباب الغربي يعرف بباب البريد وعن
 يمين الخارج منه مدرسة الشافعية وله دهليز فيه حوانيت للشماعين وسماط لبيع الفواكه
 وباعلام باب بسعد اليه في درج له اعمدة سامية في الهواء وتحت الدرج حقايتان عن يمين
 وشمال مستديرتان والباب الجنوبي يعرف بباب النطاغانيين وله دهليز عظيم وعن يمين
 الخارج منه خاتمة تعرف بالشميعانية في وسطها صريج ماء ولها مظاهر بجري فيها الماء
 ويقال انها كانت دار عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وعلى كل باب من أبواب المسجد
 الاربعة دار وضوء يكون فيها نحو مائة بيت تجري فيها المياه الكثيرة
 فيذكر الائمة بهذا المسجد

وامتته ثلاثة عشر اماما اولهم امام الشافعية وكان في عهد دخولي اليها امامهم قاضي القضاة
 جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني من كبار الفقهاء وهو الخطيب بالمسجد وسكنه
 بدار الخطابة ويخرج من باب الحديد ازا المصورة وهو الباب الذي كان يخرج منه معاوية
 رضي الله عنه وقد تولى جلال الدين بعد ذلك قضاء القضاة بالديار المصرية بعد ان أدى عنه
 الملك الناصر نحو مائة الف درهم كانت عليه ديناً بدمشق واذا سلم امام الشافعية من صلاته
 أقام الصلاة امام مشهد علي ثم امام مشهد الحسين ثم امام الكلاسة ثم امام مشهد أبي بكر ثم
 امام مشهد عمر ثم امام مشهد عثمان رضي الله عنهم اجمعين ثم امام المالكية وكان امامهم

في عهد دخولي اليها الفقيه أبي عمر بن أبي انوليد بن الحاج النجيب القرطبي الاصل
 الفرناطي المولود نزيل دمشق وهو يتأوب الامامة مع أخيه رحمه الله ثم امام الخنفية
 وكان امامهم في عهد دخولي اليها الفقيه عماد الدين الحنفي المعروف بابن الرومي وهو من
 كبار الصوفية وله شاخسة الخانقاه الخاتونية ولما أيضا خانقاه بالشرف الاعلى ثم امام الخنابلة
 وكان في ذلك العهد الشيخ عبد الله الكفيف أحد سيوخ القراءة بدمشق ثم بعد هؤلاء
 خمسة أئمة لقضاء الفوائت فلا تزال الصلاة في هذا المسجد من أول النهار الى ثلث الليل
 وكذلك قراءة القرآن وهذا من مفاخر هذا الجامع المبارك
 ﴿ذكر المدرسين والمعلمين به﴾

ولهذا المسجد حلقات التدريس في فنون تعلم والمحدثون يقرؤون كتب الحديث على
 كرسي مرتفعة وقراء القرآن يقرؤون بالاصوات الحسنة صباحا ومساء وبه جماعة من
 المعلمين لكتاب الله يستند كل واحد منهم الى سارية من سوارى المسجد يلقن الصبيان
 ويقرئهم وهم لا يكتبون القرآن في الألواح تنزيها لكتاب الله تعالى وانما يقرؤون القرآن
 تلقينا ومعلم الخط غير معلم القرآن يعلمهم بكتب الاشعار وسواها فينصرف الصبي من
 التعليم الى التكتيب وبذلك جاد خطه لان المعلم لا يخط لا يعلم غيره ومن المدرسين بالمسجد
 المذكور العالم الصالح زهران الدين بن الفر كج الشافعي ومنهم العالم الصالح نور الدين أبو
 اليسر بن الصائغ من المشتهرين بالففضل والصلاح ونالوا القضاء بمصر جلال الدين
 القزويني وجهه الى أبي اليسر الحامه والامر بقضاء دمشق فامتنع من ذلك ومنهم الامام
 العالم شهاب الدين بن جيبيل من كبار العلماء هرب من دمشق لما امتنع أبو اليسر من
 قضائها خوفا من ان يقلد القضاء فاتصل بذلك بالملك الناصر فولى قضاء دمشق شيخ
 الشيوخ بالديار المصرية قطب العارفين لسان المتكلمين علاء الدين القونوي وهو من
 كبار الفقهاء ومنهم الامام الفاضل بدر الدين علي السخاوي المالكي رحمة الله
 عليهم أجمعين

﴿ذكر قضاء دمشق﴾

قد ذكرنا قاضي القضاة الشافعي بها جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني واما قاضي المالكية فهو شرف الدين بن خطيب الفيوم حسن الصورة والهيئة من كبار الرؤساء وهو شيخ شيوخ الصوفية والنائب عنه في القضاة شمس الدين بن القفصى ومجلس حكمه بالمدرسة الصمصامية واما قاضي قضاة الحنفية فهو عماد الدين الحوراني وكان شديد السطوة واليه تحاكم النساء وأزواجهن وكان الرجل اذا سمع اسم القاضي الحنفى أنصف من نفسه قبل الوصول اليه واما قاضي الحنابلة فهو الامام الصالح عز الدين بن مسلم من خيار القضاة ينصرف على حماله ومات بمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليماً ما توجه له حجاز الشريف

﴿حكاية﴾

وكان بدمشق من كبار الفقهاء الحنابلة تقي الدين بن تيمية كبير الشام يتكلم في الفنون الا ان في عقله شياً وكان أهل دمشق يعظمونه أشد التعظيم ويعظمهم على المنبر وتكلم مرة بأمر انكره الفقهاء ورفعوه الى الملك الناصر فأمر بأمره باشخاصه الى القاهرة وجمع القضاة والفقهاء بمجلس الملك الناصر وتكلم شرف الدين الزواوى المالكي وقال ان هذا الرجل لكان كاذباً وكذا وعد ما أنكر على ابن تيمية وأحضر العقود بذلك ووضعها بين يدي قاضي القضاة وقال قاضي القضاة لابن تيمية ما تقول قال لا اله الا الله فأعاده عليه فأجاب بنزل قوله فأمر الملك الناصر بسجنه فسجن أعواماً وصنف في السجن كتاباً في تفسير القرآن سماه بالبحر المحيط في نحو أربعين مجلداً ثم أن أمه تعرضت لملك الناصر وشكت اليه فأمر بإطلاقه الى ان وقع منه مثل ذلك ثانية وكنت اذ ذلك بدمشق فحضرت يوم الجمعة وهو يعظ الناس على منبر الجامع ويذكرهم فكان من جملة كلامه ان قال ان الله ينزل الى سما الدنيا كنزولي هذا ونزل درجة من درج المنبر فعارضه فقيه مالكي يعرف بابن الزهراء وانكر ما تكلم به فقامت العامة الى هذا الفقيه وضربوه بالأيدي والعمال ضربوا كثيراً حتى سقطت عمامته وظهر على رأسه شاشية حرير فانكر واعليه لباسها واحتملوه الى دار عز الدين بن مسلم قاضي الحنابلة فأمر بسجنه وعززه بعد ذلك فانكر فقهاء المالكية والشافعية ما كان من تعزيره ورفعوا الامر الى ملك الامر سيف الدين

تسكين وكان من خيار الامراء وصلحاتهم فكتب الى الملك الناصر بذلك وكتب عقدا شرعيا على ابن تيمية بامور متكررة منها ان المطلق بالثلاث في كلة واحدة لا تلزمه الاطلاق واحدة ومنها المسافر الذي ينوي سفره زيارة القبر الشريف زاد الله طيبا لا يقصر الصلاة وسوى ذلك مما يشبهه وبعث العقدا الى الملك الناصر فامر بسجن ابن تيمية بالقلمة فسجن بها حتى مات في السجن

﴿ذكر مدارس دمشق﴾

اعلم ان لاشافعية بدمشق جملة من المدارس اعظمها العادلية وبها يحكم قاضي القضاة وتقابلها المدرسة الظاهرية وبها اقر الملك الظاهر وبها جلوس نواب القاضي ومن نوابه نحر الدين القبطي كان والده من كتاب القبط واسلم ومنهم جمال الدين بن جملة وقد تولي قضاء قضاء الشافعية بعد ذلك وعزل لامرأه اوجب عزله

﴿حكاية﴾

كان بدمشق الشيخ الصالح ظهير الدين المعجمي وكان ينف الدين تسكين ملك الامراء يتلمذ له ويعظمه فحضر يوما بدار العدل عند ملك الامراء وحضر القضاة الاربعة فحكى قاضي القضاة جمال الدين بن جملة حكاية فقال له ظهير الدين كذبت فان القاضي من ذلك وامتنع له فقال الامير كيف يكذبني بحضورك فقال له الامير احكم عليه وسلمه اليه وظنه انه رضي بذلك فلا يناله بسوء فأحضره القاضي بالمدرسة العادلية ووضعه بمائتي سوط وطيف به على حمار في مدينة دمشق ومنادينادي عليه ففتى فرغ من نداءه ضربه على ظهره ضربة وهكذا العادة عند من فباغ ذلك ملك الامراء فانكره أشد الانكار وأحضر القضاة والفقهاء فأجمعوا على خطأ القاضي وحكمه بغير مذهب فان التزير عند الشافعي لا يباغ به الحد وقال قاضي القضاة المالكية شرف الدين قد حكمت بتفسيقه فكتب الى انك الناصر بذلك فمزله ولاخفية مدارس كثيرة وأكبرها مدرسة السلطان نور الدين وبها يحكم قاضي قضاة الحنفية والمالكية بدمشق ثلاث مدارس احداها الصمصامية وبها سكن قاضي القضاة المالكية وقموده الاحكام والمدرسة التورية عمرها

السلطان نور الدين محمود بن زنكي والمدرسة الشراشبية عمرها شهاب الدين الشراشبي
التاجر وللحنا بلة مدارس كثيرة اعظمها المدرسة النجمية

(ذكر أبواب دمشق)

ومدينة دمشق ثمانية أبواب منها باب الفراديس ومنها باب الحلبية ومنها الباب الصغير
وقيامين هذين البابين مقبرة فيها العدد الحليم من الصحابة والشهداء فمن بعدهم قال محمد
ابن جزي لقد أحسن بعض المتأخرين من أهل دمشق في قوائمه

دمشق في أوصافها * جنة خلد راضيه

أما ترى أبوابها * قد جعلت ثمانية

(ذكر بعض المشاهد والمزارات بها)

ففيها بالمقبرة التي بين البابين باب الحلبية والباب الصغير قبر أم حبيبة بنت أبي سفيان أم
المؤمنين وقبر أخيها أمير المؤمنين معاوية وقبر بلال مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ويرضى الله عنهم أجمعين وقبر أويس القرني وقبر كعب الاحبار رضي الله عنهم ما وجدت
في كتاب المعلم في شرح صحيح مسلم للقرطبي ان جماعة من الصحابة صحبههم أويس القرني
من المدينة الى الشام فتوفي في أثناء الطريق في بركة لا عمارة فيها ولا ماء فتحيروا في أمره
فتنزلوا فوجدوا حذو طوا وكفناؤا فمجبوا من ذلك وغسلوه وكفنوه وصاوا عليه
ودفنوه ثم ركبوا فقال بعضهم كيف نترك قبره بغير علامة فمادوا له ووضع فلم يجسدوا والقبر
من أثر قال ابن جزي ويقال ان أويسا قتل بصفين مع علي عليه السلام وهو الأصح ان شاء
الله ويلى باب الحلبية باب بشرتي عنده جبانة فيها قبر أبي بن كعب صاحب رسول الله صلى الله
عليه وسلم وفيها قبر العابد الصالح رسلان المعروف بالباز الاشهب

(حكاية في سبب تسميته بذلك)

يحكى أن الشيخ الولي أحمد الرافعي رضي الله عنه كان مسكنه بام عبيدة بمقربة من مدينة
واسط وكانت بين ولي الله تعالى أبي مدين شعيب بن الحسين وبينه وراثة ومراسلة
فيقال ان كل واحد منهما كان يسلم على صاحبه باحوا ومساء فيرد عليه الآخر وكانت

لاشيخ أحمد نخيلات عند زاويته فلما كان في إحدى السنين جذها على عادته وترك عذقا
 منها وقال هذا برسم أخي شبيب فحج الشيخ أبو مدين تلك السنة واجتمعوا بالموقف الكريم
 بمرقة ومع الشيخ أحمد خديع رسلان ففاوضا الكلام وحكي الشيخ حكاية العذق فقال
 بهر الان عن أمرك يا سيدي آتية به فأذن له فذهب من حينه وآتاه به ووضعها بين أيديهما
 فأخبر أهل الزاوية أنهم رأوا عشية يوم عرفة بازا أشهب قد اقتض على النخلة فقطع
 ذلك العذق وذهب به في الهواء وبغري دمشق جبانة تعرف بقبور الشهداء فيها قبر أبي
 الدرداء وزوجة أم الدرداء وقبر فضالة بن عبيد وقبر وائلة بن الأسقع وقبر سهل بن
 حنظلة من الذين نايغوا تحت الشجرة رضى الله عنهم أجمعين وبقرة تعرف بأبي حنيفة شرفي
 دمشق وعلى أربعة أميال منها قبر سعد بن عباد رضى الله عنه وعليه مسجد صغير حسن
 البناء وعلى رأسه حجر فيه مكتوب هذا قبر سعد بن عباد رأس الخرزج صاحب رسول
 الله صلى الله عليه وسلم تسميا وبقرة قبلي البلد وعلى فرسخ منها شه دام كلثوم بنت علي بن
 أبي طالب من فاطمة عليهم السلام ويقال ان اسمها زينب وكنيتها النبي صلى الله عليه وسلم
 أم كلثوم اسمها بختها أم كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه مسجد كبير
 وحوله مساكن وله أوقاف ويسميه أهل دمشق قبر السام كلثوم وقبر آخر يقال انه قبر
 سكتة بنت الحسين بن علي عليه السلام وبجامع اليرب من قري دمشق في بيت بشريه قبر
 يقال انه قبر أم مريم عليها السلام وبقرية تعرف بدار غربي البلد وعلى أربعة أميال منها
 قبر أبي مسلم الخولاني وقبر أبي سليمان الداراني رضى الله عنهما ومن مشاهد دمشق
 الشهيرة البركة مسجداً قدام وهو في قبلي دمشق على مياين منها على قارعة الطريق
 الأعظم الآخذ الى الحجاز الشريف والبيت المقدس وديار مصر وهو مسجد عظيم
 كثير البركة وله أوقاف كثيرة ويعظمه أهل دمشق تعظيما شديداً والأقدام التي ينسب إليها
 هي أقدام مصورة في حجر هنالك يقال انها أثر قدم موسى عليه السلام وفي هذا المسجد
 بيت صغير فيه حجر مكتوب عليه كان بعض الصالحين يرى المصطفى صلى الله عليه وسلم في
 النوم فيقول له ههنا قبر أخي موسى عليه السلام وبقرية من هذا المسجد على الطريق

وضع يعرف بالكنيسة الاحمر وبمقربة من بيت المقدس وأربحا موضع يعرف أيضاً
بالكنيسة الاحمر تعظمه اليهود (حكاية)

شاهدت أيام الطاعون الاعظم بدمشق في أواخر شهر ربيع الثاني سنة تسع وأربعين من
تعظيم أهل دمشق لهذا المسجد ما يحب منه وهو أن ملك الأمراء نائب السلطنة أرغون
شه أسمر منادياً ينادي بدمشق أن يصوم الناس ثلاثة أيام ولا يطبخ أحد بالسوق ما يؤكل
نهاراً أو أكثر الناس بها التماساً لكون الطعام الذي يصنع بالسوق فصار الناس ثلاثة أيام متواليه
كان آخرها يوم الخميس ثم اجتمع الأمراء والشرفاء وانقضت والفقهاء وسائر الطبقات على
اختلافها في الجماع حتى غص بهم وباتوا ليلة الجمعة به ما بين معش وذاكر وداع ثم صلوا
الصبح وخرجوا جميعاً على أقدامهم وبأيديهم المنصاحف والأمراء حفاة وخرج جميع
أهل البلد كودراً وأنا صغاراً وكباراً وخرج اليهود بتوراتهم والصغارى بالنجيلهم ومعهم
النساء والرجال وجميعهم باكون من ضرعون متوسلون إلى الله بكتبته وأنبياؤه وقصصه
مسجداً قد أقاموا فيه في تضرعهم ودعائهم إلى قرب الزوال وعادوا إلى البلد ففصلوا
الجمعة وخفف الله تعالى عنهم ما ينبغي عدد الموتى إلى اثنين في اليوم أو أحده وقد تسمى
شدة مائة هرة مصراني أربعة وعشرين ألفاً في يوم واحد وباب الشرقي من دمشق
منارة يضاء فيها التي ينزل عيسى عليه السلام عندنا حسب ما ورد في صحيح مسلم
(ذكر أرباض دمشق)

وندور بدمشق من جهاتها من عند الشرقية أرباض تسيحها الساحات دواخلها أمارح من
داخل دمشق لأجل الفتيق الذي في سكة كبار الجبل الشمالية، نهار بض الصالحية وهي
مدينة عظيمة مسورة لا نظير لحسنه وقيمه مسجد جامع ومارستان وبها مدرسة تعرف
بمدرسة ابن عمر موقوفة على من أراد أن يعلم القرآن الكريم من الشيوخ والكهول
وتجري لهم ولبن يعامهم كفاتهم من المأكول والملابس ويدخل البلد أيضاً مدرسة مثل
هذه تعرف بمدرسة ابن منجا وأهل الصالحية كلهم على مذهب الامام أحمد بن حنبل
رضي الله عنه (ذكر قاسيون ومشاهدة البازاركة)

وقاسيون جبل في شمال دمشق والصالحية في سفحه وهو شهر البركلاته مصعد الانبياء عليهم السلام ومن مشاهدنا كريمة الغار الذي ولد فيه ابراهيم الخليل عليه السلام وهو غار مستطيل ضيق عليه مسجد كبير وله سومنة عالية ومن ذلك الغار رأى الكوكب والقمر والشمس حسبما ورد في الكتاب العزيز وفي ظهر الغار مقامه الذي كان يخرج اليه وقد رأيت بيلاذ العراق قرية تعرف ببرص (بضم الباء الموحدة وآخرها صادم مل) ما بين الحلة وبغداد يقال ان مولد ابراهيم عليه السلام كان بها وهي بمقربة من بئذى الكفل عليه السلام وساقبره من مشاهد بالقرب منه مغارة الدم وفوقها الجبل دم هانبل بن آدم عليه السلام وقد أتى الله منه في الحجارة أثر المحرور وهو الموضع الذي قتله احوه به واجترأ الي الغارة ويذكر ان تلك المغارة صلى فيها ابراهيم وموسى وعيسى وأيوب ولوط صلى الله عليهم أجمعين وعليها مسجد متقن البناء يصعد اليه على درج وفيه بيوت ومرافق للسكنى ويفتح في كل يوم اثنين وخميس والشمع والسررج تودق في المغارة ومنها كهف بأعلى الجبل ينسب لآدم عليه السلام وعليه بناء وأسفل منه مغارة تعرف بمغارة الجوع يذكر انه آوى اليها سبعون من الانبياء عليهم السلام وكان عندهم رغيف فلم يزل يدور عليهم وكل منهم يثرثره احبه به حتى ماتوا جميعا صلى الله عليهم وعلى هذ المغارة مسجد ميني والسررج تقديه ليلانهارا ولكل مسجد من هذه المساجد أوقاف كثيرة معينة ويذكر ان فيما بين باب الفراديس وجامع قاسيون مدفن سبعمائة نبي بعضهم يقول سبعين ألفا وخارج المدينة المقبرة العتيقة وهي مدفن الانبياء والصالحين وفي صفاها ما يلي البساتين أرض منخفضة غاب عليها الماء زال انهم مدفن سبعين نبيا وقد عادت قرارا للما ونزهت من ان يدفن فيها أحد

(ذكر الربوة والقرى التي تواليها)

وفي آخر جبل قاسيون الربوة المباركة المذكورة في كتاب الله ذات القرار والمعين ومأوى المسيح عيسى وأمه عليهم السلام وهي من أجل مناظر الدنيا ومنتهاتها بها القصور المشيدة والمباني الشريفة والبساتين البديعة والمأوى المبارك مغارة صغيرة في وسطها

كأبنت الصغير وازاءها بنت يقال انه مصل على الحنجر عليه السلام بياد رائس الى الصلاة
 قهاولامأرى باب حديد صغير والمسجد يدور به وله شوارع دائرية وسقاية حسنة ينزل
 لها الماء من علو وينسب في شاذر وان في الجدار يتصل بجحوض من رخام ويقع فيه الماء
 ولا نظير له في الحسن وغرابة الشكل وقرب ذلك مطاهر للوضوء يجري فيها الماء وهذه
 الربوة المباركة هي رأس بساتين دمشق وبها منابع مياهها وينقسم الماء الخارج منها على
 سبعة أنهار كل نهر أخذ في جهة ويعرف ذلك الموضع بانقسامه وأكبر هذه الأنهار النهر
 المسمى بتوردة وهو يشق تحت الربوة وقد نحت له مجرى في الحجر الصلد كائناً الكبير وربما
 انقسم ذو الجسارة من العوامين في النهر من أعلى الربوة وان دفع في الماء حتى يشق مجراه
 ويخرج من أسفل الربوة وهي مخاضرة عظيمة وهذه الربوة تشرف على البساتين الدائرة
 بالبلد ولها من الحسن واتساع مسرح الابصار ما ليس لسواها وتلك الأنهار السبعة تذهب
 في طرق شتى فتجاري الأعين في حسن اجتماعها وافتراقها واندفعا وانصابها وجمال
 الربوة وحسبها انما أعظم من ان يحيط به الوصف لها الاوقاف الكثيرة من المزارع
 والبساتين والرباع تقام منها وظائفها الامام والمؤذن وانصار والوارد وباسل الربوة قرية
 الثير وقد تكاثرت بساتينها وتكاثفت ظلالها وتدنات أشجارها فلا يظهر من بنائها الا
 ما سمارتنا وطاحام ما يحولها جامع بديع مفروش بحته بفصوص الرخام وفيه سقاية
 ماء رائة الحسن ومطهرة فيها بيوت عدة يجري فيها الماء وفي القبلي من هذه القرية قرية
 المنزة وتعرف بمنزة كلب نسبة الي قبيلة كلب بن وبرة بن ثعلب بن حلوان بن عمران بن
 الحاف بن قضاعة وكانت اقطاعا لهم واليهما ينسب الامام حافظ الزياجال الدين يوسف
 ابن الزكي الكلبي المزي وكثير وامن العلماء وهي من أعظم قرى دمشق بها جامع كبير
 عجيب وسقاية معينة وأكثر قرى دمشق فيها الحمامات والمساجد الجامعة والاسواق
 وسكانها كأهل الحاضرة في مناحيهم وفي شرقي البلدة تعرف بيت الالهية وكانت فيها
 كنيسة يقال ان أزر كان نحت فيها الاصنام فيكسرها الخلد عليه السلام وهي الآن مسجد
 جامع بديع مزين بفصوص الرخام الملونة. مظلة باعجب نظام وأزين الثام

﴿ذكر الاوقاف بدمشق وبعض فضائل أهلها وعوائدهم﴾

والاوقاف بدمشق لا تحصر أنواعها ومصارفها لكثرة أوقافها على العاجزين عن الحج يعطى لمن يحج عن الرجل منهم كنفاته ومنها أوقاف على تجهيز البنات إلى أزواجهن وهي اللواتي لا قدرة لأهلن على تجهيزهن ومنها أوقاف لفك الأسارى ونحو أوقاف لا بد السبل يعطون منها ما يأكلون ويأبسون ويستزودون لبلادهم ومنها أوقاف على تمديد الطريق ورصفها لأن أزقة دمشق لكل واحد منها رصيفان في جنبه يمر عليها المتجولون ويمر الركبان بين ذلك ومنها أوقاف أسوى ذلك من أفعال الخير

﴿حكاية﴾

مررت يوماً بموضع أزقة دمشق فرأيت به مملوكاً صغيراً قد سقطت من يده صحيفة من النسخ الصغرى وهم يسمونها الصحن فتكسرت واجتمع عليه الناس فقال له بعضهم اجع شفقها واحملها ملكاً لصاحب أوقاف الأوائى فجمعها وذهب الرجل يحمل معها إليه فأراد إياها فدفق به ما اشترى به مثل ذلك الصحن وهذا من أحسن الأعمال فإن سيد الغلام لا بد له أن يضربه على كسر الصحن أو ينهره وهو أيضاً يشكر قلبه ويتغير لاجل ذلك فكان هذا الوقف - بيرا نابلوب جزى الله خيراً من تسامت همته في الخير إلى مثل هذا وأهل دمشق يتنافسون في عمارة المساجد والزوايا والمدارس والمشاهد وهم يحسنون الظن بالمغاربة ويعلمون أنهم بالأموال والأهالي والأولاد وكل من انقطع بجهة من جهات دمشق لا بد أن يتأني له وجه من المعاش من إمامة مسجد أو قراءة بمدرسة أو ملازمة مسجد يجي إليه فيه رزقه أو قراءة القرآن أو خدمة شهد من المشاهد المباركة أو يكون كجدة الصوفية بالخرابق تجري له الثقة والكسوة فن كان بها غريباً على خير لم يزل مصوناً عن بذل وجهه محفو ظاعماً يزدى بالبروة ومن كان من أهل المهنة والخدمة فله أسباب آخر من حراسة بستان أو أمانة طاحونة أو كفالة صبيان يفسدو معهم إلى التعليم وروح من أراد طلب العلم والتفرغ للعبادة وجد الاعانة الثامة على ذلك ومن فضائل أهل دمشق أنه لا يفطر أحدهم في ليالي رمضان وحدهم البتة فن كان من الأمراء والقضاة والكبراء فانه يدع أصحابه والفقراء

بنطرون عنده ومن كان من التجار وكبار السوقة صنع مثل ذلك ومن كان من الضعفاء
 والبادية فاتهم يجتمعون كل ليلة في دار أحدهم أو في مسجد أو يأتى كل أحد بما عنده ففطرون
 جميعا ولما وردت دمشق وقعت بين وبين نور الدين السخاوى مدرس المالكية تحبة
 فرغ منى أن أفطر عنده في إياها رمضان فحضرت عنده أربع ليال ثم أصابته الحمى
 فخبث عنه فبعث في طلبى فاعتذرت بالمرض فلم يسمعنى عذرا فرجعت إليه وبث عنده فلما
 أردت ألا أسراف بالغدمتعى من ذلك وقال لي احسب دارى كأنه دارك أو دار أهلك أو
 أخيك وأمر بأحضار طبيب وأن يصنع لى بداره كل ما يشتهي به الطبيب من دواء أو غذاء
 وتمت كذلك عنده إلى يوم العيد وحضرت المصلى وشفاني الله تعالى عما أصابنى وقد كان
 ما تشدى من النعمة نفد فلم يذلك فاكترى لى جمالا وأعطاء الزاد وسواء وزادني دراهم
 وقال لي تكون الساعى أن يعتريك من أمرهم جزاء الله خير أو كان بدمشق فاضل من
 كاتب الملك الناصر يسمى عماد الدين القيصراني من عادته أنه متى سمع أن مغربيا وصل إلى
 دمشق بحث عنه وأضافه أحسن إليه فإن عرف منه الدين والفضل أمره بتلازمته وكان
 بالزومه منهم جماعة وعلى هذه الطريقة أيضا كتب السر الفاضل علاء الدين بن عام وجادة
 غيره وكان بها فاضل من كبرائها وهو الناصح عز الدين القلانسي له مآثر ومكارم
 ونخصائل وإثار وهو ذو مال عريض وذكروا أن الملك الناصر لما قدم دمشق أضافه
 جميع أهل دولته ومماليكه وخواصه ثلاثة أيام فسماهم بذلك بالناصح * وبما يؤثر من
 غسانهم أن أحدهم لو كرم السالفين لما نزل به الموت أو صي أن ينفى بقبلة الجامع المكرم
 ويحفر قبره وعين أو قافا عظيمة لقراء يقرؤن سبع مائة القرآن الكريم في كل يوم صلاة
 الصبح بالجملة الشرقية من متصوفة الصالحين رضى الله عنهم حيث قبره فصار قراة
 القرآن على قبره لا تنقطع أبدا وبقي ذلك الرسم الجليل بعده مغلدا ومن عادة أهل دمشق
 وسائر تلك البلاد أنهم يخرجون بعد صلاة العصر من يوم عرفة فيقفون بمسجدون المساجد
 كبت المقدس وجامع بنى أمية وسواها ويقف بهم أئمتهم تآشفي رؤسهم داعين خاضعين
 حاشمين ملتزمين البركة ويتوخون الساعة التي يقف فيها وقد الله تعالى وحجاج بيته

بمرقات ولا يزالون في خضوع ودعاء وابتهاال وتوسل الى الله تعالى بحجاج يته الي ان
تغيب الشمس فينفرون كما ينفر الحاج باكين على ماحرموه من ذلك الموقف الشريف
بمرقات داعين الى الله تعالى ان يوصلهم اليها ولا يخليهم من بركة القبول فيما فعلوه ولهم ايضا
في اتباع الجنائز رتبة محيية وذلك انهم يمشون امام الجنائز والقراء يقرؤن القرآن بالاصوات
الحسنة والتلاحين المبكية التي تكاد تنفوس تطير لها رقة وهم يصلون على الجنائز بالنسج
الجامع قبالة المقبرة فان كان الميت من أئمة الجامع أو مؤذنيه أو خدامه أدخلوه بالقراءة
الى موضع الصلاة عليه وان كان من سواهم قطعوا القراءة عند باب المدجود دخلوا
الجنائز وبعضهم يجتمع له بالبلاط الزري من الصحن بمقربة من باب البريد فيجاسون
وامامهم بهات القرآن يترؤن فيها ويرفعون أصواتهم بالتدليل لكل من يصلح للعرس من
كبار البلدة وأعيانها ويقولون باسم الله فلان الدين من كمال وجمال وشمس ويدرو غير
ذلك فاذا أتموا القراءة قام المؤذنون فيقولون افكروا واعتبروا والآن عليكم على فلان
الرجل الصالح العالم ويصفه فونه بصفات من الخير ثم يصلون عليه ويذهبون به الى مدفته
ولا هل الهند رتبة محيية في الجنائز ايضا زائدة على ذلك وهي انهم يجتمعون بروضة الميت
صبيحة انالاث من دفنه وتفرش الروضة بالنياب الرقيقة ويكسى القبر بالكسي الفاخرة
وتوضع حواه الرياحين من الورد والنسرين والياسمين وذلك النوار لا ينقطع عندهم
ويتون باشجار الليمون والارج ويجعلون نهاحبها ان لم تكن فيها ويجعل صوان يظلل
الناس نحو دوي القضاة والامراء ومن يماثلهم فيقددون ويقابلهم القراء ويؤتي بالربات
الكرام يأخذ كل واحد منهم جزا فاذا تمت القراءة من القراء بالاصوات الحسان يدعى
القاضي ويقوم قائما ويخطب خطبة معدة لذلك ويذكر فيها الميت ويرثيه بأيات شعر
ويذكر آقاربهم ويعزيهم عنه ويذكر السلطان داعياله وعند ذكر السلطان يقوم الناس
ويحطون رؤسهم الى سمت الجهة التي بها السلطان ثم يقعد القاضي ويتون بماء الورد
فيصب على الناس صبا يبتدأ بالقاضي ثم من يايه كذلك الى ان يع الناس أجمعين ثم يؤتى
بأواني السكر وهو الجلاب ملول بالماء فيسقون الناس منه ويبدؤن بالقاضي ومن يليه

سم يؤتي بالتنبول وهم يعظمونه ويكرمون من يأتي لهم به فإذا أعطي السلطان أحداهنه فهو أعظم من اعتناء الذهب والخلع وإذا مات الميت لم يأكل أهله التنبول الا في ذلك اليوم فيأخذ القماص أو من يقوم مقامه أو اقامته فيعطيا لولي الميت فيأكلها وينصرفون حينئذ وسبني ذكر التنبول ان شاء الله تعالى

في ذكر سماعي بدمشق ومن أجازني من أهلها

سمعت بجامع خي أمية عمر مائة سنة وكره جميع صحيح الامام أبي عبد الله محمد بن اسماعيل الجعفي البجلي رضي الله عنه على الشيخ المعمر رحمة الآفاق ملاحق الاصاغر بالا كابر شهاب الدين أحمد بن أبي طالب بن أبي النعمان حسن بن علي بن بابان الدين مزي الصالح المعروف باب الشحنة الحجازي في أربعة عشر مجاذا وأولها يوم الثلاثاء متعصف شهر رمضان المعظم سنة ست وعشرين وسبع مائة وآخرها يوم الاثنين الثامن والعشرين منه بقراءة الامام الحافظ مؤرخ الشام علم الدين أبي محمد النعمان بن محمد بن وسف البرزالي الاشيلي الاصل الدمشقي في حناعة كبيرة كتب أسماؤه محمد بن محمد بن أبي عبد الله بن الغزال تلميذني بسماع الشيخ أبي العباس الحجازي جميع الكتاب من الشيخ الامام سراج الدين أبي عبد الله الحسين بن أبي بكر المبارك بن محمد بن يحيى بن دني بن أسيد بن عمران الريمي البغدادي الزبيدي الخبلي في أول آخر شوال وأوائل ذي القعدة من سنة ثلاثين وست مائة بالحامع المظفري بسفح جبل قاسيون ظاهر دمشق وبا جازته في جميع انكتاب من الشيخين أبي الحسن محمد بن أحمد بن عمر بن الحسين بن الحافظ القطيبي المؤرخ ودلي بن أبي بكر بن عبد الله بن روبة القلاسي العطار البغدادي ومن باب غيرة النساء ووجدته في آخر الكتاب من أبي العباس عبد الله بن عمر بن علي بن زيد بن أبي الخزامي البغدادي بسماع أربعين من الشيخ سديد الدين أبي الوقت عسدة الاول بن عيسى بن شعيب بن ابراهيم السجزي الهروي الصوفي في سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة ببغداد قال أخبرنا الامام جمال الاسلام أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد بن المظفر بن محمد بن داود بن أحمد بن معاذ بن سهل بن الحكم الداودي قراءة عليه وأنا أسمع ببوشنج سنة خمس

وستين وأربعمائة قال أخبرنا أبو محمد عبد الله بن أحمد بن حوية بن يوسف بن أسباط بن أحمد
 السرخسي قراءة عليه وأنا أسمع في صفر سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة قال أخبرنا عبد الله
 محمد بن يوسف بن معاذ بن صالح بن بشر بن إبراهيم الفريزي قراءة عليه وأنا أسمع سنة
 ست عشرة وثلاثمائة بقر قال أخبرنا الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري رضي
 الله عنه سنة ثمان وأربعين ومائتين بقر ومرة ثانية بمدها سنة ثلاث وخمسين وعمن
 أجازني من أهل دمشق أجازة عامة الشيخ أبو العباس الحجازي المذكور سقى إلى ذلك
 وتلفظ لي به ومنهم الشيخ الإمام شهاب الدين أحمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد المقدسي
 ومولده في ربيع الأول سنة ثلاث وخمسين وستمائة منهم الشيخ الإمام الصالح عبد الرحمن
 ابن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن النحدي ومنهم الإمام الأئمة جمال الدين أبو الحسن
 يوسف بن الزكي عبد الرحمن بن يوسف المنزلي الكلبي حافظ الحائط ومنهم الشيخ
 الإمام شهاب الدين علي بن يوسف بن محمد بن عبد الله النافعي والشيخ الإمام الشريف محي
 الدين يحيى بن محمد بن علي الملوي ومنهم الشيخ الإمام المحدث محمد بن القاسم بن عبد
 الله بن أبي عبد الله بن المعلى الدمشقي ومولده سنة أربع وخمسين وستمائة ومنهم الشيخ
 الإمام العالم شهاب الدين أحمد بن إبراهيم بن فلاح بن محمد الاسكندراني ومنهم الشيخ
 الإمام ولي الله تعالى شمس الدين بن عبد الله بن تمام والشيخان الأخوان شمس الدين
 محمد وكمال الدين عبد الله ابنا إبراهيم بن عبد الله بن أبي عمر المقدسي والشيخ العابد شمس
 الدين محمد بن أبي الزمراء بن سالم الهكاري والشيخ الصالح أبا محمد عائدة بنت محمد بن
 مسلم بن سلامة الحراني والشيخة الصالحة رحمة الدين أزيان بنت كمال الدين أحمد بن عبد
 الرحيم بن عبد الواحد بن أحمد المقدسي كل هؤلاء أجازني أجازة عامة في سنة ست وعشرين
 بدمشق وأنا استهل شوال من السنة المذكورة خرج الركب الحجازي إلى خارج دمشق
 ونزلوا القرية المعروفة بالكسوة فأخذت في الحركة معهم وكان أمير الركب سيف الدين
 الجوبان من كبار الأمراء وقاضيه شرف الدين الأذري الحوراني وحج في تلك السنة
 مدرس المالكية صدر الدين القماري وكان سفري مع طائفة من العرب تدعى العجامة

أميرهم محمد بن رافع كبير القدر في الأمراء وأرثملنا من الكسوة إلى قرية تعرف بالصنمين عظيمة ثم ارتحلنا منها إلى بلدة زرعوة وهي صغيرة من بلاد حوران نزلنا بالقرب منها ثم ارتحلنا إلى مدينة بصرى وهي صغيرة ومن عادة الركاب أن يقسمها أربعين إلى أربعين ثم يتخلف بدمشق اقضاء مأزبه وإلى بصرى وصل رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل البعث في تجارة خديجة وبها مبرك ناقته قد بنى عليه مسجد عظيم ويجتمع أهل حوران لهذه المدينة ويتزود الحاج منها ثم يرحلون إلى ركة زيرة (زير) ويتيمون عليها يوما ثم يرحلون إلى اللجون ثم إلى الماء الجاري ثم يرحلون إلى حصن الكرك وهو من أعجب الحصون وأمنها وأشهرها ويسمى حصن الغراب والوادي يطيف به من جميع جهاته وله باب واحد قد نحت المدخل إليه في الحجر الصلد ومدخل دهلزه كذلك وبهذا الحصن يتحصن الملوك واليسه ياجئون في التوائ وله لجأ الملك الناصر لأنه والي الملك وهو صغير السن فاستوى على التمدد بمملوكه سلارا نائب عنه فاطمه الملك الناصر انه يريد الحج وواقفه الأمراء على ذلك فوجهه إلى الحج فلما وصل عقبه أيلة لجأ إلى الحصن وأقام به أعواما ثم إن قصده أمراء الشام واجتمعوا عليه الماليك وكان قد ولى الملك في تلك المدة برس الشنكير وهو أمير الطما وتسمي بالملك المظفر وهو الذي بنا الخانقاه البيرونية بمقرته من خانقاه سعيد السعداء التي بها صلاح الدين بن أيوب فقصدده الملك الناصر بالعساكر ففر يهرب إلى الصحراء فبعثه العساكر وقبض عليه وأوقى به إلى الملك الناصر فامر بقتله فقتل وقبض على سلاله وحبس في جب حتى مات جوعا ويقال أنه أكل جيفة من الجوع نعوذ بالله من ذلك وأقام الركاب بخارج الكرك أربعة أيام ووضع يقال له الثانية ويجهزوا لدخول البرية ثم أرحلنا أي معان وهو آخر بلاد الشام ونزلنا من عقبه الصدد إلى الصحراء التي يقال فيها دأخاها مفقود وخارجها مولودوهم بد مسيرة يومين نزلنا ذات حجب وهي حسيان لا عمارة بها ثم إلى وادي بلدح ولما به ثم إلى تيوك وهو الموضع الذي غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيها عين ماء كانت تبض بشئ من الماء فلما نزلها رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوضأ منها جادت بالماء المعين ولم نزل إلى هذا العهد

ببركة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن عادة حجاج الشام اذا وصلوا منزل تبوك أخذوا اسنحتهم وجردوا سيوفهم وحملوا على المنزل وضربوا التخييل بسيفهم ويقولون هكذا دخلنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وينزل الركب العظيم على هذه العين فيروى منها جميعهم ويقيمون أربعة أيام للراحة وارواء الجمال واستعداد الماء للبرية المخوفة التي بين العلا وتبوك ومن عادة السقائين انهم ينزلون على جوانب هذه العين ولهم أحواض مصقوعة من جلود الجواميس كالصهاريج الضخام يسقون منها الجمال ويمأون الروايا والقرب ولكل أمير أو كبير حوض يسقى منه جماله وجمال أصحابه ويمأون رواياهم وسواهم من الناس يتفق مع السقائين على سقى جملة وملء قربة بشيء معلوم من الدراهم ثم يرحل الركب من تبوك ويجدون السير ليلا ونهارا خوفامن هذه البرية وفي وسطها الوادي الاخضر كانه وادي جهنم اعادنا الله منها وأصاب الحجاج به في بعض السنين مشقة بسبب ريح السموم التي تهب فانتشفت المياه وانتهت شربة الماء الى ألف دينار ومات مشترها وبأثمها وكتب ذلك في بعض صخر الوادي ومن هنالك ينزلون بركة المعظم وهي ضخمة نسبها الى الملك المعظم من أولاد أيوب ويجتمع بياماء المطر في بعض السنين وريسا جف في بعضها وفي الخامس من أيام رحيلهم عن تبوك يصلون الى بئر الحاجر حجر ثمود وهي كثيرة الماء ولكن لا يردها أحد من الناس مع شدة عطشهم اقتداء بفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مرهم في غزوة تبوك فأسرع براجلته وأمر أن لا يسقى منها أحد ومن عجن به أطعمه الجمال وهنالك ديار ثمود في جبال من الصخر الاحمر منحوتة لها عتب منقوشة يظن رائيها انها حديثة الصنعة وعظامهم نخرة في داخل تلك البيوت ان في ذلك لعلوة ومبرك نافذة صالح عليه السلام بين جبلين هنالك وبينهما أثر مسجد يصلى الناس فيه وبين الحاجر والعلا نصف يوم أو دونه والعلا قرية كبيرة حسنة لها بساتين التخل والمياه المعينة يقيم بها الحجاج أربعة أيام يزودون ويغسلون ثيابهم ويدعون بها ما يكون عندهم من فضلى زاد ويستحبون قدر الكفاية وأهل هذه القرية أحببأمانة واليه ينتهى تجار

فصارى الشام لا يتعدونهم اويبا يعمون الحجاج بها الزاد وسواد ثم يرحل الركب من الملا
قitzلون في غدر حياهم الوادي المعروف بالعطاس وهو شديد الحر تهب فيه السموم المهلكة
هبت بعض السنين على الركب فلم يخلص منهم الا اليسير وتوفرت تلك السنة سنة الامير
الجاتي ومنه ينزلون هـ دبة وهي حسيان ماء بوادي محفرون به فيخرج المساء هو زقاق وفي
اليوم الثالث ينزلون بظاهر البلدا القدس الكريم الشريف

﴿طيبة مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم﴾

وفي عشي ذلك اليوم دخلنا الحرم الشريف واتينا الى المسجد الكريم فوقنا باب السلام
مسامين وصلينا بالروضة الكريمة بين القبر والمنبر الكريم واستمعنا القطة الباقية من الخدع
الذي حن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم رهي مصصة بعسود قائم بين القبر والمنبر عن
عين مستقبل القبلة وأدبنا حق السلام على سيد الاولين والاخرين وشفيق العصاة
والمذنبين الرسول النبي الهاشمي الابطحي محمد صلى الله عليه وسلم تسليما وشرف وكرم
وحق السلام على ضجيعيه وصاحبيه أبي بكر الصديق وأبي حفص عمر الفاروق رضي الله
عنهما وانصرفنا الى رحلتنا سرورين بهمة النعمة المظلمة مستبشرين بنيل هذه المنة
الكبرى حامدين لله تعالى على البلوغ الى معاهد رسوله الشريفه ومشاهدا العظمة المنيفة
داعين أن لا يحجب ذلك آخر عهدنا بها وأن يجعلنا من قبلت زيارته وكتبته في سبيل
الله سفرته

﴿ذكر مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وروضة الشريفه﴾

المسجد المذموم مستطيل تحفه من جهاته الاربع بلاطات دائرية ووسطه محن وفروش
بالخصى وانرسل ويدور بالمسجد الشريف شارع مباط بالحجر المنحوت والروضة
المقدسة صلوات الله وسلامه على ساكنها في الجهة القبليسة مما يلي انشرق من المسجد
الكريم وشكلها عجيب لا يتأتى تمثيله وهي مدورة بالرخام البديع تحت الرائق التمت قد
علاها تضيخ المسك والطيب مع طول الازمان وفيه الفحة القليسة منها سمارة فضة هو
قبالة الوجه الكريم وهناك يقف الناس لسلام مستقبين الوجه الكريم مستدبرين القبلة

فيسامون وينصرفون يميناً الى وجهه أبي بكر الصديق ورأس أبي بكر رضي الله عنه عند
 قدمي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ينصرفون الى عمر بن الخطاب ورأس عمر عند
 كتفي أبي بكر رضي الله عنهما وفي الجوف من الروضة المقدسة زادها الله طيباً حوض صغير
 مرخيم في قبلته مثل محراب يقال انه كان بيت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم
 تسليماً ويقال أيضاً هو قبرها والله أعلم وفي وسط المسجد التكريم دفة معلّقة على وجه
 الارض مقلّدة على سرداب له درج يقضى الى دار أبي بكر رضي الله عنه خارج المسجد على
 ذلك السرداب كان داريق بآلة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها الى داره ولا شك انه هو
 الحوض الذي ورد ذكره في الحديث وأمر النبي صلى الله عليه وسلم تسليماً بإبقائه وسما
 سواها وبإزاء دار أبي بكر رضي الله عنه دار عمر ودار أبي عبد الله بن عمر رضي الله عنهما
 وبشرقي المسجد التكريم دار امام المدينة أبي عبد الله مالك بن أنس رضي الله عنه وبمترية
 من باب السلام سفابة ينزل انهارها على درج ماء هامين وتعرف باليمن الزرقاء
 (ذكر ابتداء بناء المسجد الكريم)

قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليماً المدينة اشرفه دار الهجرة يوم الاثنين الثالث
 عشر من شهر ربيع الاول فنزل على عمرو بن عوف اقام عندهم ثنتين وعشرين
 ليلة وقبل أربع عشرة ليلة وقيل أربع ليال ثم توجه الى المدينة فنزل على بني النجار بدار
 أبي أيوب الانصاري رضي الله عنه واقام عنده سبعة أشهر حتى بني مساكنه ومسجده
 وكان موضع المسجد مر بداهل وسهيل ابني رافع بن أبي عمر بن ثعلبة بن غنم بن
 مالك بن النجار وهما يتمان في حجر أسعد بن زراره رضي الله عنهما أجمعين وقيل كان في
 حجر أبي أيوب رضي الله عنه فابتاع رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليماً ذلك المربد وقيل
 بل أرضها أبو أيوب عنه وقيل انهما وهبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم تسليماً فبنى رسول
 الله صلى الله عليه وسلم تسليماً المسجد وعمل فيه مع أصحابه وجعل عليه حائطاً ولم يجعل له
 سعةً الا أساطين وجهه مر بباطوله مائة ذراع وعرضه مثل ذلك وقيل ان عرضها كان
 دون ذلك وجعل ارتفاع حائطه قدر القامة فاما اشتداد الحر تكلم أصحابه في تسقيفه فاقام له

أساطين من جذوع النخل وجعل سقفه من جريد هافلما أمطرت السماء وكف المسجد
فكلم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما رسول الله صلى الله عليه وسلم في عمله
بالطين فقال كلا عريش كعريش موسى أو ظلة كظلة موسى والامر أقرب من ذلك قيل
وما ظلة موسى قال صلى الله عليه وسلم كان اذا قام أصاب السقف رأسه وجعل للمسجد
ثلاثة أبواب ثم سد الجنوبي منها حين حوت القبلة وبقي المسجد على ذلك حياة رسول الله
صلى الله عليه وسلم تسليما وحياة أبي بكر رضي الله عنه فلما كانت أيام عمر بن الخطاب رضي
الله عنه زاد في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما وقال لو لا اني سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم تسليما يقول ينبغي ان يزيد في المسجد ما زدت فيه فانزل اطين الحشب
وجعل مكانها أساطين الابن وجعل الاساس حجارة الى القامة وجعل الابواب ستة منها
في كل جهة ماعدا القبلة بابان وقال في باب منها ينبغي ان يترك هذا للنساء فري فيه حتى
لحق الله عز وجل وقال لو زدنا في هذا المسجد حتى يبلغ الحياطة لم يزل مسجد رسول الله
صلى الله عليه وسلم وأراد عمر ان يدخل في المسجد موضعا للعباس عم رسول الله صلى الله
عليه وسلم تسليما ورضي عنه ما فتنه منه وكان فيه ميزاب يصب في المسجد فزعه عمر وقال
انه يؤذي الناس فتازعه العباس وحكما بينهما أبي بكر رضي الله عنهما فأتيا داره فلم يأذن
لهما الا بعد ساعة ثم دخلا اليه فقال كانت جاريتي تغسل رأسي فذهب عمر ان يكلم فقال له
أبي دع أبا الفضل يكلمك لما كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما فقال العباس خذ
خطها لي رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما وبنيها معه وما وضعت الميزاب الا ورجلاي
على عاتق رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء عمر فطرحه وأراد ادخاله في المسجد فقال
أبي ان عندي من هذا علم اسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما يقول أراد داود
خليفه السلام ان يبني بيت الله المقدس وكان فيه بيت ليعقوب فرأوهما على البيع فأياهم
رأوهما فباعاه ثم قاما بالعين فرد البيع واشتراهما ثم رداه كذلك فاستعظم داود الثمن
فأوحى الله اليه ان كنت تعطي من شيء هولاء فأنت أعلم وان كنت تعطيهم امن وزقنا
فأعطهم ما احتجوا بزيادوا ان أغنى البيوت عن مظلمة بيت هولي وقد حرمت عليك بناءه

قال يارب فأعطه إيمان فأعطاه سليمان عليه السلام فقال عمر من لي بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما قاله فخرج أبي إلى قوم من الانصار فابتوا له ذلك فقال عمر رضي الله عنه أما اني لو لم أجد غيرك أخذت قولك ولكي أحييت أن أثبت ثم قال للعباس رضي الله عنه والله لا ترد الميزاب الا وقدامك على عاتق ففعل العباس ذلك ثم قال أما اذا أثبتت لي فمعي صدقة لله فهدمها عمر وأدخلها في المسجد ثم زار فيه عثمان رضي الله عنه وبناه بقوة وباشره بنفسه فكان يظل فيه نهاره ويضه وأنق محله بالحجارة المنة وشدة ووسعته من جهاته الواجهة الشرق منها وجعل له سوارى حجارة مثبتة بأعمدة الحديد والبرصا وسقفه بالساج وصنع له محرابا وقيل ان مروان هو أول من بنى المحراب وقيل عمر بن عبد العزيز في خلافة الوليد ثم زاد فيه الوليد بن عبد الملك تولى ذلك عمر بن عبد العزيز فوسعه وحسنه وبالغ في اتقانه وعمسه بالرخام والساج المذهب وكان الوليد يبعث إلى ملك الروم في أريدان أن يبنى مسجدا نبينا صلى الله عليه وسلم تسليما فأعني فيه فبعث إليه الفملة وثمانين ألف مثقال من الذهب وأمر الوليد بدخول حجر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم تسليما فيه فاشترى عمر من الدور ما زاده في ثلاث جهات من المسجد فلما صار إلى القبلة امتنع عبيد الله بن عبد الله بن عمر من بيع دار حفصة وطال بينهم الكلام حتى ابتاعها عمر على أن لهم ما بقى منها وعلى أن يخرجوا من باقيها طريقا إلى المسجد وهي الخوخة التي في المسجد وجعل عمر للمسجد أربع صوامع في أربعة أركانه وكانت أحداها مظلة على دار مروان فلما حج سليمان بن عبد الملك نزل بها فاطل عليه المؤذن حين الاذان فأمر بهدمها وجعل عمر للمسجد محرابا ويقال هو أول من أحدث المحراب ثم زاد فيه المهدي ابن أبي جعفر المنصور وكان أبوه هم بذلك ولم يقض له وكتب إليه الحسن بن زيد يرغبه في الزيادة فيه من جهة الشرق ويقول انه ان زيد في شرقيه توسطت الروضة الكريمة المسجد الكريم فاتمه أبو جعفر بانه انما أراد هدم دار عثمان رضي الله عنه فكتب إليه اني قد عرفت الذي أردت فاكفف عن دار عثمان وأمر أبو جعفر ان يظل الصحن أيام القيظ يستور وتنشر على حبال ممدودة على خشب تكون في الصحن لتكن المصلين من الحر وكان

طول المسجد في بناء الوليد مائتي ذراع قبلغه المهدي الى ثلاثمائة ذراع وسوي المقصورة بالارض وكانت مرتفعة عنها بقدر ذراعين وكتب اسمه على مواضع من المسجد ثم أمر الملك المنصور قلاوون ببناء دار للوضوء عند باب السلام فتولى بناءها الامير الصالح علاء الدين المعروف بالاقمر واقامها متسعة الفناء تستدير بها البيوت واجري اليها الماء واراد ان يبنى بمكة شرفها الله تعالى مثل ذلك فلم يتم له بناء ابنه الملك الناصر بين الصفة والمروة وسيدكر ان شاء الله وقبلة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما قبله قطع لانه صلى الله عليه وسلم تسليما اقامها وقيل اقامها جبريل عليه السلام وقيل كان يشرب جبريل له الى سمتها وهو يقيمها وروى ان جبريل عليه السلام اشار الى الحياض فتواضعت فتسحت حتى بدت الكعبة فكان صلى الله عليه وسلم تسليما يبنى وهو ينظر اليها عيانا وبكل اعتبار ثم قبله قطع وكانت القبلة اول ورود النبي صلى الله عليه وسلم تسليما المدينة الى بيت المقدس ثم حوت الى الكعبة بعد ستة عشر شهرا وقيل بعد سبعة عشر شهرا

ذكر المنبر الكريم

وفي الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما كان يخطف الى جذع نخلة بالمسجد فلما صنع له المنبر ونحوه تحول اليه من الجذع حنين الناقة الى حوارها وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما نزل اليه فالتزمه فسكن وقال لولم التزمه لمن الى يوم القيامة واحتفت الروايات فيمن صنع المنبر الكريم فروى ان تمبا الدارى رضى الله عنه هو الذي صنعه وقيل ابن غلامه لابس رضى الله عنه صنعه وقيل غلام لامرأة من الانصار وورد ذلك في الحديث الصحيح صنع من طرفاء الغابة وقيل من الانبل وكان له ثلاث درجات فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقعد على عليا هن ويضع رجله الكريمتين في وسطاهن فلما ولي أبو بكر الصديق رضى الله عنه قعد على وسطاهن وجعل رجله على أولاهن فلما ولي عمر رضى الله عنه جلس على أولاهن وجعل رجله على الارض وفعل ذلك عثمان رضى الله عنه صدره من خلافة ثم ترقى الى الثالثة ولما صار الامر الى معاوية رضى الله عنه أراد نقل المنبر الى الشام فضج المسلمون وعصفت ريح شديدة وخسفت

الشمس وبدت النجوم نهاراً وظلمت الأرض فكان الرجل يصادم الرجل ولا يتبين مسلك فاعلم أن ذلك معاوية تركه وزاد فيه ست درجات من أسفله بلغ تسع درجات

﴿ذكر الخطيب والامام بمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم﴾

وكان الامام بالمسجد الشريف في عهد دخولي الى المدينة بهاء الدين بن سلامة من كبار أهل مصر وينوب عنه العالم الصالح الزاهد بغية المشايخ عز الدين الواسطي نفع الله به وكان يحطّبه ويقتضي بالمدينة الشريفة سراج الدين عمر المصري ﴿حكاية﴾

يذكر أن سراج الدين هذا أقام في خطبة القضاء بالمدينة والخطابة بها نحو أربعين سنة ثم أنه أراد الخروج بعد ذلك الى مصر فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم ثلاث مرات في كل مرة ينهيه عن الخروج منها وأخبره باقتراب أجله فلم ينته عن ذلك وخرج فمات بوضع يقال له يسوع على مسيرة ثلاث من مصر قبل أن يصل اليها نعوذ بالله من سوء الحاتمة وكان ينوب عنه الفقيه أبو عبد الله محمد بن رحون رحمه الله وأبناؤه الآن بالمدينة الشريفة أبو محمد عبد الله مدرس المالكية ونائب الحكيم أبو عبد الله محمد أصاهم من مدينة تونس ولهم بها حسب واصالة وتولى الخطابة والقضاء بالمدينة الشريفة بعد ذلك جمال الدين الاسيوطي من أهل مصر وكان قبل ذلك قاضياً بحمص الكرك

﴿ذكر خدام المسجد الشريف والمؤذنين به﴾

وخدام هذا المسجد الشريف وسدته قتيان من الاحايش وسواهم وهم على هيات حسان وصور نظاف وملايس طراف وكبيرهم يعرف بشيخ الخدام وهو في هيئة الامراء الكبار ولهم المراتب بديار مصر والشام ويثقي اليهم بها في كل سنة ورئيس المؤذنين بالحرم الشريف الامام المحدث الفاضل جمال الدين المطري من مطرية قرية بمصر وولده الفاضل عفيف الدين عبد الله والشيخ المجاور الصالح أبو عبد الله محمد بن محمد الغرناطي المعروف بالتراس قديم الجواردة وهو الذي جب نفسه خوفاً من القشة ﴿حكاية﴾

يذكر أن أبا عبد الله الغرناطي كان خديماً للشيخ يسمى عبد الحميد العجمي وكان الشيخ حسن الظن به يعلمن اليه بأهله وماله ويتركه متى سافر بداره فساخر مرة وتركه على عادته

بمنزله فعلقت به زوجة الشيخ عبد الحميد وراودته عن نفسه فقال اني أخاف الله ولا أخون
من ائتمنى على أهله وماله فلم تزل تراوده وتعارضه حتى خاف عن نفسه الفتنة وجب نفسه
وغشى عليه ووجدته الناس على تلك الحالة فعالجوه حتى ربي وصار من خدام المسجد
الكريم ومؤذنبه ورأس الطائفتين وهو باق بقيد الحياة الي هذا العهد

ذكر المجاورين بالمدينة الشريفة

منهم الشيخ الصالح نفاضل أبو العباس أحمد بن محمد بن مرزوق كثير العبادة والصوم
والصلاة بمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما صابرا محتسبا وكان رعا جاور بمكة
المعظمة رأيت به في سنة ثمان وعشرين وهو أكثر الناس طوافا وكنت أعجب من ملازمته
الطواف مع شدة الحر بالمطاف والمطاف مفروش بالحجارة السوداء تصير بحر الشمس
كانها الصفائح المحمأة ولقد رأيت السقائين يصبون الماء عليها فيمجاوز الموضع الذي
يصب فيه الا ويلهب الموضع من حينه وأكثر الطائفتين في ذلك الوقت يلبسون الجوارب
وكان أبو العباس بن مرزوق يطوف حافي القدمين ورأيت به يوما يطوف فاحيت ان أطوف
معه فوصلت المطاف وأردت استلام الحجر الاسود فحققت له تلك الحجارة وأردت
الرجوع دون تقيل الحجر فواصلته الا بعد جهد عظيم ورجعت فلم أطف وكنت أجهل
بجادي على الارض وأمشي عليه حتى بلغت الرواق وكان في ذلك العهد بمكة وزير غرامة
وكبيرها أبو القاسم محمد بن محمد بن الفقيه أبي الحسن سهل بن مالك الازدي وكان يطوف
كل يوم سبعين أسبوعا ولم يكن يطوف في وقت القافلة لشدة الحر وكان ابن مرزوق يطوف
في شدة القافلة زيادة عليه ومن المجاورين بالمدينة كرمها الله الشيخ الصالح العابد سعيد
المرآكشي الكهيف ومنهم الشيخ أبو مهدي عيسى بن حزون المكناسي (حكاية)
جاور الشيخ أبو مهدي بمكة سنة ثمان وعشرين وخرج الي جبل حراء مع جماعة من
المجاورين فلما صعدوا الجبل ووصلوا المتعبدين النبي صلى الله عليه وسلم تسليما ونزلوا عنه
فأخرا أبو مهدي عن الجماعة ورأى طريقا في الجبل فظنه قاصرا فاسلك عليه ووصل
الصحابة الي أسفل الجبل فانتظروه فلم يأت قط فلعوا فيما حولهم فلم يروا له أثرا فظنوا انه

سبقتهم فمضوا الى مكة شرفها الله تعالى ومر عيسى على طريقه فافضي به الى جبل آخر وتاه
عن الطريق وأجهد العطش والجهد وتمزقت نعله فكان يقطع من ثيابه ويلف على رجليه
الى ان ضعف عن المشي واستظل بشجرة ام غيلان فبعث الله امرأين على جبل حتى وقف
عليه فأعماه بحاله فأركبه وواصله الى مكة وكان على وسطه هيمان فيه ذهب فسلمه اليه واقام
نحو شهر لا يستطيع ان ينام على قدميه وذهبت جلدهما ونبت لهما جلدة أخرى وقد جرى
مثل ذلك لصاحب لي اذ كره ان شاء الله ومن المجاورين بالمدينة الشريفة أبو محمد الشروى
من انقراء المحسنين وجاور بمكة في السنة المذكورة وكان يقرأ بها كتاب الشفاء لا قاضي
عياض بعد صلاة الظهر وأم في التراويح بها ومن المجاورين الفقيه أبو العباس الفاسي
مدرس المالكية بها وتزوج بنت الشيخ الصالح شهاب الدين الزرندي (حكاية)

يذكر ان أبا العباس الفاسي تكلم يوما مع بعض الناس فاتهمي به الكلام الى ان تكلم بمظيمة
ارتكب فيها بسبب جهله بلم النسب وعدم حفظه للسانه مرتكباً صعباً عفا الله عنه فقال ان
الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام لم يعقب قلع كلامه الى أمير المدينة طفيل بن
منصور بن جاز الحسني فانكر كلامه ويحرق انكاره واراد قتله فكلّم فيه فقام عن المدينة
ويذكر انه بعت من اغتاله والى الآن لم يظهر له أثر نعمو ذب الله من عثرات اللسان وزله

﴿ذكر أمير المدينة الشريفة﴾

كان أمير المدينة كيش بن منصور بن جاز وكان قد قتل عمه مقبلاً ويقال انه توضأ بدمه
ثم ان كيش اخرج سنة تسع وعشرين الى الفلاة في شدة الحر ومعه أصحابه قادر كتبهم القائلة
في بعض الايام فتمزقوا تحت ظلال الاشجار فاراعهم الا وابتاء مقبل في جماعة من
عيدهم يتادون بالثارات مقبل فقتلوا كيش بن منصور صبراً ولحقوا دمه وتولي بعده
أخوه طفيل بن منصور الذي ذكرناه في أبا العباس الفاسي

﴿ذكر بعض المشاهد الكريمة بخارج المدينة الشريفة﴾

فنها بيع الفرق وهو بشرقي المدينة المكرمة ويخرج اليه على باب يعرف بباب البقيع فالول
ما يلتقي الخارج اليه على يساره عند خروجه من الباب قبر صفية بنت عبد المطلب رضي الله

عنهم ما هي عمرة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تسليما وأم الزبير بن العوام رضي الله عنه
 وإمامها قبر امام المدينة أبي عبد الله مالك بن أنس رضي الله عنه وعليه قبة صغيرة مختصرة
 البناء وإمامه قبر السلالة الطاهرة المقدسة النبوية الكريمة إبراهيم بن رسول الله صلى الله
 عليه وسلم تسليما وعليه قبة بيضاء وعن يمينها تربة عبد الرحمن بن عمر بن الخطاب رضي
 الله عنهما وهو المعروف بأبي شعمة وبازائه قبر عقيل بن أبي طالب رضي الله عنه وقبر عبد
 الله ابن ذي الجناحين جعفر بن أبي طالب رضي الله عنهما وبازائهم روضة يذكرون قبور
 أمهات المؤمنين بها رضي الله عنهن ولبها روضة فيها قبر العباس بن عبد المطلب عم رسول
 الله صلى الله عليه وسلم وقبر الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام وهي قبة ذاهبة في
 الهواء بديعة الاحكام عن يمين الحاج من باب البقيع ورأس الحسن إلى رحلي العباس
 عليهما السلام وقبرهما من تمنع عن الأرض متسعان مغشيان بالواح بديعة الاصفاق
 مرصعة بصفايح الحفر البديعة العمل والبقيع قبور المهاجرين والانصار وسائر الصحابة
 رضي الله عنهم الأسماء الأيبر فأكثرها وفي آخر البقيع قبر أمير المؤمنين أبي عمر عثمان
 ابن عفان رضي الله عنه وعليه قبة كبيرة وعلى مقربة منه ترفاطمة بنت أسد بن حاشم أم علي
 ابن أبي طالب رضي الله عنهم وعن ابنها ومن المشاهد الكريمة قباء وهو قبل المدينة على نحو
 ميلين منها والطريق بينهما في حدائق النخل وبه المسجد الذي أسس على التقوى
 والرضوان وهو مسجد مربع فيه صومعة بيضاء طويلة تظهر على البعد وفي وسطه مبرك
 الناقة بالنبي صلى الله عليه وسلم تسليما يتبرك الناس بالصلاة فيه وفي الجهة الغربية من صحنه
 محراب على مسطبة هو أول موضع ركع فيه النبي صلى الله عليه وسلم تسليما وفي قبلي المسجد
 دار كانت لأبي أيوب الانصاري رضي الله عنه فوليهادور تنسب لأبي بكر وعمر وفاطمة
 وعائشة رضي الله عنهم وبازائه بئر اريس وهي التي عادماؤها عذ بالماتفل فيه النبي صلى الله
 عليه وسلم تسليما بعد أن كان أجابا وفيه وقع الختم الكريم من عثمان رضي الله عنه ومن
 المشاهد قبة حجر الزيت بخارج المدينة الشريفة يقال ان الزيت رشح من حجر هنالك
 للنبي صلى الله عليه وسلم تسليما وإلى جهة الشمال منه بئر بضاعة وبازائها جبل الشيطان حيث

صرخ يوم أحد وقال قتل نبيكم وعلى شفير الخندق الذي حفره رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليماً عند تحزب الأحزاب حصن خرب يعرف بحصن الذباب يقال إن عمر بن الخطاب المدينة وإمامه إلى جهة الغرب بثرومة التي اشترى أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه نصفها بعشرين ألفاً ومن المشاهد الكريمة أحد وهو الحيل المبارك الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليماً إن أحد أجبل يحبنا ونحبه وهو بجوف المدينة الشريفة على نحو فرسخ منها وبازائه الشهداء المكرمون رضي الله عنهم وهناك قبر حمزة عم رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليماً ورضي الله عنه وحوله الشهداء المستشهدون في أحد رضي الله عنهم وقبورهم أقبل أحد وفي طريق أحد مسجد ينسب لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه ومسجد ينسب إلى سلمان الفارسي رضي الله عنه ومسجد الفتح حيث أنزلت سورة الفتح على رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليماً وكانت أقامتنا بالمدينة الشريفة في هذه الوجهة أربعة أيام وفي كل ليلة نبيت بالمسجد الكريم والناس قد حلقوا في مخاض حلق أو قد دوا الشمع الكثير وينهم ربعات القرآن الكريم يملونهم وبعضهم يذكرون الله وبعضهم في مشاهدة التربة الطاهرة زادها الله طيباً والحداة بكل جانب يترنمون بمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليماً وهكذا أب الناس في تلك الليالي المباركة ويجودون بالصدقات الكثيرة على المجاورين والمحتاجين وكان في صحبتي في هذه الوجهة من الشام إلى المدينة الشريفة رجل من أهائها فاضل يعرف بنصوري بن شكل وأضافني بها واجتمعنا بعد ذلك بحلب وبخاري وكان في صحبتي أيضاً قاضي الزبدية شرف الدين قاسم بن سنان وصحبتي أيضاً أحد الصالحين الفقراء من أهل غرناطة يسمى بعلي بن حجر الأموي (حكاية) لما وصلنا إلى المدينة كرمها الله على ساكنها أفضل الصلاة ذكر لي علي بن حجر المذكور أنه رأى تلك الليلة في النوم قائلاً يقول له أسمع مني واحفظ عني (طويل)

هنيأ لكم يا أثرين ضريحه * أمنت به يوم المعادن الرجس
وصاتم إلى قبر الحبيب بطيبة * فطوبى لمن يصحى بطيبة أو عسى
وجاور هذا الرجب بعد صحبه بالمدينة ثم رحل إلى مدينة دهلي قاعدة بلاد الهند في سنة

ثلاث وأربعين فنزل في جوارى وذكر حكاية رؤياه بين يدي ملك الهذلي فأمر باحضاره
فخضر بين يديه وحكى له ذلك فأعجبه واستحسنه وقال له كلاما جليلا بالفارسية وأمر بآزانه
واعطاه ثلاثمائة تسكة من ذهب ووزن التسكة من دنانير المغرب ديناراً ونصف دينار
واعطاه فرساً على السرج والهاجم وخلمة وعين له مرتباً في كل يوم وكان هنالك فقيه طيب
من أهل غرناطة ومولده ببغاية يعرف هنالك بجبال الدين المغربي فصحبه علي بن حجر
المذكور وواعداه على أن يزوجه بنته وأزله بدويرة خارج داره واشترى جارية وغلاما
وكان يترك الدنانير في مفروش ثيابه ولا يطمئن بها الا حذفتها في القمام والجارية تلى أخذ
ذلك الذهب واخذاه وهرى بافلا حتى الدار لم يجد لها ثرا ولا للذهب فامتنع من الطعام
واشرب واشتد به المرض أسفا على ما جرى عليه فعرضت قضيته بين يدي الملك فامر
أن يخاف له ذلك فبعث اليه من يملئه بذلك فوجده قد مات رحمه الله تعالى وكان رجلا
من المدينة تريد مكة شرفها الله تعالى فنزلنا بقرب مسجد ذي الحليفة الذي أحرم منه
رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما والمدينة منه على خمسة أميال وهو منتهى حرم المدينة
وبالقرب منه وادي العقيق وهنالك تجردت من مخيط الثياب واغتسلت ولبست ثوب
احرامى وصليت ركعتين واحرمت بالحج مفرداً ولم أزل مليا في كل سهل وجبل وصعود
وسددور الى ان أتيت شعب علي عليه السلام وبه نزلت تلك الليلة ثم رحلنا منه ونزلنا
بالروحاء وما بهر تعرف به ثبات العلم ويقال ان عليا عليه السلام قاتل بها الجن ثم رحلنا
ونزلنا بالصفراء وهو واد معور فيه ماء ونخل وبنيان وقصر يستمنه الشرفاء الحسنيون
وسواهم فيها حصن كبير وتواليه حصون كثيرة وقرى متصلة ثم رحلنا منه ونزلنا بدير
حيث نصر الله رسوله صلى الله عليه وسلم تسليما وأنجز وعده الكريم واستأصل ضناديد
المشركين وهي قرية فيها حداثق نخل متصلة وبها حصن منيع يدخل اليه من بطن واديين
جبال وبيدرعين فوارق تجري ماؤها وموضع القلب الذي سحب به أعداء الله المشركون
هو اليوم بستان وموضع الشهداء رضى الله عنهم خلفه وجبل الرحمة الذي نزلت به
اللائكة على يسار الداخل منه الى الصفراء وبازانه جبل الطبول وهو شبه كثيب الرمل

تمتد ويرى أهل تلك البلدة أنهم يسمعون هناك مثل أصوات الطبول في كل ليلة جمعة
 وموضع عريش رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كان به يوم بدر ينشدر به جمل وتعالى
 متصل بسفح جبل العبول وموضع الوقعة أمامه وعند نخل القليب مسجد يقال له مبرك
 ناقة النبي صلى الله عليه وسلم تسليما وبين بدر والصفراء نحو بر يدي وادي بين جبال تطرد
 فيه الميرون وتتصل حدائق النخل ورحلتنا من بدر إلى الصحراء المعروفة بقاع البرواء وهي
 بركة يضل بها الدليل ويذهل عن خاليه الخليل مسيرة ثلاث وفي متنها ما وادي رابغ
 يتكون فيه بالمطر غدران يبق بها الماء زمانا طويلا ومنه يحرم حجاج مصر والمغرب
 وهودون الجبلية ومن رانم رابغ ثلاثا إلى خايس ومر رابغ السويق وهي على مسافة
 نصف يوم من خايس كثيرة الرمل والحجاج يقصدون شرب السويق بها ويستسحبونه
 من مصر والشام برسم ذلك ويسقونه الناس مخاطبا بالسكر والأمرأ يتأون منه
 الأحواض ويستونها الناس ويذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بها ولم يكن مع
 أصحابه طعام فأخذ من رملها فأعطاهم إياه فشر به يومه سويقا ثم نزلنا بركة خايس وهي
 في بسيط من الأرض كثيرة حدائق النخل لها حصن مشيد في قبة جبل وفي البسيط
 حصن خرب وسها عين فوارة قد صنعت لها أخاديد في الأرض وسربت إلى الضياع
 وصاحب خايس شريف حسني النسب وعرب تلك الناحية يقيمون هناك سوة عظيمة
 يجلبون إليها الغنم والتمر والابل ثم رحلنا إلى عسفان وهي في بسيط من الأرض بين جبال
 وبها آبار ماء معين تنسب أحداها إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه والمندرج المنسوب إلى
 عثمان أيضا على مسافة نصف يوم من خايس وهو مضيق بين جبالين وفي موضع منه بلاط
 على صورة درج أثر عمارة قديمة وهنالك بئر تنسب إلى علي عليه السلام ويقال أنه
 أحدثها وبسفان حصن عتيق وبرج مشيد قد أوهته الحراب وبه من شجر المثل كثير
 ثم أرحلتنا من عسفان ونزلنا بطن مرو يسمى أيضا مر الظهيران وهو واد مخصب كثير
 النخل ذو عين فوارة سيالة تدعى ملك الناحية ومن هذا الوادي تجلب الفواكه والخضر
 إلى مكة شرفها الله تعالى ثم أرحلتنا من هذا الوادي المبارك والثفوس مستبشرة يسيل

آمالها مسرورة بحظها وما لها فوصلنا عند الصباح الى البلد الامين مكة شرفها الله تعالى
 فوردنا منها على حرم الله تعالى ومبوا أخيله ابراهيم ومبعث صفيه محمد صلى الله عليه وسلم
 ودخلنا البيت الحرام الشريف الذي من دخله كان آمناً من باب غي شية وشاهدنا الكعبة
 الشريفة زادها الله تعظيماً وهي كالعروس تحبي على منصة الجلال وترفل في رود الجلال
 محفوفة بوفاة الرحمن موصلة الى جنة الرضوان وطفنا بها طواف اقدم واستلمنا
 الحجر الكريم وصنينا ركعتين بمقام ابراهيم وتعلقنا بأستار الكعبة عند المنترم بين الباب
 والحجر الاسود حيث يستجاب الدعاء وشربنا من ماء زمزم وهو لما شرب له حسيا ورد
 عن النبي صلى الله عليه وسلم تسليماً ثم عينا بين الصفا والمروة ونزلنا هناك بدار عترة من
 باب ابراهيم والحمد لله الذي شرفنا بالوقادة على هذا البيت الكريم وجعلنا من بلغته دعوة
 الخليل عليه الصلاة والسلام ومتع أعيننا بمشاهدة الكعبة الشريفة والمسجد العظيم والحجر
 الكريم هـ زمزم والحليم ومن عجب صنع الله تعالى أنه طبع القلوب على النزوع الى هذه
 المشاهدات فيه والشوق الى المتور بمآهدها الشريفة وجللهم بمكان في القلوب فلا
 يحجزها أحد الا أخذت بمجامع قلبه ولا يفارقها الا أسفا فراقها متوكلها بعبادة منها شديد
 الحنين اليها ناوياً لتكرار الوقادة عليها فارضها المباركة نصب الاعين ومحبتها حشو القلوب
 حكمة من الله بالغة وتصديقه لدعوة خايله عليه السلام والشوق يحضرها وهي نائية ويمثلها
 وهي غائبة ويهون على قاصدها ما يلقاه من المشاق ويمانيه من العناء وكل من ضعيف يرى
 الموت عياناً دونها ويشاهد التلطف في طريقة فاذا جمع الله بها شمله تاقها هـ سرورا
 مستبشراً كأنه لم يذق لمـ امرارة ولا كابد محنة ولا نصباً أنه لأمر الالهي وصنع رباني
 ودلالة لا يشوبها لبس ولا تشاها شبهة ولا يضرقتها غم ولا تنز في بصيرة المستبصرين وتبدو
 في فكرة المتفكرين ومن رزقه الله تعالى الحلول بلك الارزاء والمتول بذلك الفتاء فقد
 أنعم الله عليه النعمة الكبرى وخوله خير الدارين الدنيا والاخرى فحق عليه ان يكثر
 الشكر على ما خزله ويديم الحمد على ما أولاه جعلنا الله تعالى بمن قبلت زيارته ويرجحت في
 قصد ما تجارته وكتبت في سبيل الله آثاره وعيت بالقبول أوزارهمه وكرمه

﴿ذكر مدينة مكة المعظمة﴾

وهي مدينة كبيرة متصلة البنيان مستطيلة في بطن واد تحف به الجبال فلا يراها قاصدها حتى يصل إليها وتلك الجبال المطلة عليها ليست بمفرحة الشموخ ولا خشبان من جبالها مما جبل أبي قيس وهو في جهة الجنوب منها جبل عقيقان وهو في جهة منها وفي الشمال منها الجبل الأحمر ومن جهة أبي قيس أحياد الأكر وأحياد الأصغر وهما شعبان والخدمة وهي جبل وسند كرواننا سلك كما هي وعرفة وانزدة بشرقي مكة شرفها الله ولمكة من الأبواب ثلاثة باب المعلى بأعلاها وباب الشبيكة من أسفلها ويعرف أيضا باب الزاهر وباب الحرة وهو إلى جهة المغرب وعليه طريق المدينة الشريفة وصرو الشام وجدة ومنه يتوجه إلى التعميم وسيد كرك ذلك وباب السفلى وهو من جهة الجنوب ومنه دخل خالد بن الوليد رضي الله عنه يوم الفتح بمكة شرفها الله كما أخبر الله في كتابه العزيز حاكيا عن نبيه الخليل بواد غير ذي زرع ولكن سبقت لها الدعوة المباركة فكل طرفه تحجب إليها وثمرات كل شيء تنجي لها وقد أنات بهما من التواكه العنب والتين والحوخ والرطب مالا نظيره في الدنيا وكذلك البطيخ المجلوب إليها لا يب ثله سوا طيب أو حلوة ولا يحوم بها سنان لذات الطعم وم وكل ما يفرق في البلاد من الساع فيها - بجماعه وتحجب لها الفواكه والخضر من الطائف ووادي نخلة وبطن مر لعمركم الله بسكان حرما الأيمن ومجاوري بيته العتيق

﴿ذكر المسجد الحرام شرفه الله وكرمه﴾

والمسجد الحرام في وسط البلد وهو متسع الساحة طوله من شرق إلى غرب أزيد من أربع مائة ذراع - حتى ذلك الأرق في وعرضه يقرب من ذلك والكنبة العظمى في وسطه ومنظره مبدع ومرآة جميل لا يتعطل في الإنسان وصف بدائمه ولا يحيط الوصف بحسن كاله وارتفاع حيطانه نحو عشرين ذراعا وسقفه على أعمدة طوال مصطفة ثلاثة صفوف بأقن صناعة وأجماه وقد اتظمت بلاطانه الثلاثة انتظاما عجيبا كأنها بلاط واحد وعدد سواريه الرخامية أربع مائة واحد وتسمون سارية ماعدا الجصية التي في دار الندوة

المزيدة في الحرم وهي داخلة في البلاط الآخذ في الشمال ويقابلها المقام مع الركن العراقي وقضاءها متصل يدخل من هذا البلاط اليه ويتصل بجدار هذا البلاط مساطب تحت قسي - ثانياً يجلس بها المقرؤن والنساخون والخطاطون وفي جدار البلاط الذي يقابله مساطب تم ثلثها وسائر البلاطات تحت جداراتها مساطب بدون خنايا وعند باب ابراهيم مدخل من البلاط الغربي فيه سوارى بضية ولها خليفة المهدي محمد بن الحليفة أبي جعفر المنصور رضي الله عنهم آثار كريمة في توسيع المسجد الحرام واحكام بنائه وفي أعلى جدار البلاط الغربي مكتوب أمر عبد الله محمد المهدي أمير المؤمنين أصلحه الله بتوسعة المسجد الحرام لحاج بيت الله وعمارته في سنة سبع وستين ومائة

﴿ذكر الكعبة المعظمة الشريفة زادها الله تعظيماً وتكريماً﴾

والكعبة ماثلة في وسط المسجد وهي بنية مربعة ارتفاعها في الهواء من الجهات الثلاث ثمان وعشرون ذراعاً ومن الجهة الرابعة التي بين الحجر الاسود والركن اليمني تسع وعشرون ذراعاً وعرض صفحتها التي من الركن العراقي الى الحجر الاسود أربعة وخمسون شبراً وكذلك عرض الصفحة التي تقابلها من الركن اليمني الى الركن الشامي وعرض صفحتها التي من الركن العراقي الى الركن الشامي من داخل الحجر ثمانية وأربعون شبراً وكذلك عرض الصفحة التي تقابلها من الركن الشامي الى الركن العراقي وأما خارجاً فانه مائة وعشرون شبراً والطواف انما هو خارج الحجر وبنائها بالحجارة الصم السمر قد أصقت بأبدع الاصاق وأحكمه وأشدّه فلا تغيرها الايام ولا تؤثر فيها الا زمان وباب الكعبة المعظمة في الصفيح الذي بين الحجر الاسود والركن العراقي بينهما وبين الحجر الاسود عشرة أشبار وذلك الموضع هو المسمى بالمتزم حيث يستجاب الدعاء وارتفاع الباب عن الارض أحد عشر شبراً ونصف شبر وسعته ثمانية أشبار وطوله ثلاثة عشر شبراً وعرض الحائط الذي يطوى عايه خمسة أشبار وهو مصفيح بصفائح الصفة يدعى الصنعة وعضاداته وعتبه المايما مصفحات بالفضة وله تقارنان كثيرتان من فضة عليهما قفل ويفتح الباب الكريم في كل يوم جمعة بعد الصلاة ويفتح في يوم

مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليماً ورسمهم في فتحه ان يضعوا كرسيا يشبه المنبر له
درج وقوائم خشب لها أربع بكرات يجري الكرسي عليها ويصقونه الى جسد الكعبة
الشريفة فيكون درجه الاعلى متصلاً بالعتبة الكريمة ثم يصعد كبير الشيعين ويبيده المفتح
الكريم ومعه المدينة فيمسكون الستر المسبل على باب الكعبة المسمي بالبرقع بخلاف ما يفتح
رئيسهم الباب فاذا افتحه قبل العتبة الشريفة ودخل البيت وحده و. والباب واقام قدر
مايركع ركعتين ثم يدخل سائر الشيعين ويسدون الباب أيضاً وركعون ثم يفتح الباب
ويبادر الذين بالدخول وفي أثناء ذلك يقفون مستقبلين الباب الكريم باصابع خاشعة
وقلوب ضاربة وأيدي مرسوطة الى الله تعالى فاذا فتح كبروا نادوا اللهم افتح لنا أبواب
رحمتك ومغفرتك يا أرحم الراحمين وداخل الكعبة الشريفة مشروش بالرخام المجزع
وحيطانه كذلك وله أعمدة ثلاثة طول المفرطة الطول من خشب الساج بين كل عمود منها
وبين الآخر أربع خنوا وهي متوسطة في الفضاء داخل الكعبة الشريفة يقابل الاوسط
منها نصف عرض النصف الذي بين الركنين العراقي والشامي وستور الكعبة الشريفة
من الحرير الاسود مكتوب فيها بالابيض وهي ثلاثاً عليها نور او اشراق وتكسو جبهتها
من الاعلى الى الارض ومن عجائب الآيات في الكعبة الكريمة ان بابها يفتح والحرم غاص
بأمر لا يحصىها الا الله الذي خلقهم ورزقهم فيدخلونها أجمعين ولا تنطبق عنهم ومن
عجائبها انها لا تخلو عن طائف أبدا ليلا ولا نهارا ولم يذكر أحد انه رآها قلة دون
طائفت ومن عجائبها ان حرم مكة على كثرة وسواه من الطير لا ينزل عليها ولا ينوها
في البيران وتجدها الحمام يطير على أعلى الحرم كله فاذا حاذى الكعبة الشريفة عرج عنها الى
احمدى الجهات ولم يماها ويقال انه لا ينزل عليها طراً اذا كان به مرض فمات ميتة
لحيته أو بمرأى من مرضه فسيحان الذي خصها بالتشريف والتكريم وجعل لها المهابة

﴿ ذكر الميزاب المبارك ﴾

وانتظيم

والميزاب في اعلى المصفيح الذي على الحجر وهو من الذهب وسقته شبر واحد وهو بارز

بمقدار ذراعين والموضع الذي تحت الميزاب مظنة استجابة الدعاء وتحت الميزاب في الحجر هو قبر اسمعيل عليه السلام وعليه رخامة خضراء مستطيلة على شكل محراب متصلة برخامة خضراء مستديرة وكلتا عماسهما مقدار شبر ونصف شبر وكلتاها مغربية الشكل راقعة تنظر والى جانبه مماليي الركن العراقي قبر أمه هاجر عليها السلام وعلامته رخامة خضراء مستديرة سعتها مقدار شبر ونصف وبين القبرين سبعة أشبار

﴿ذكر الحجر الأسود﴾

وأما الحجر فارفعاه عن الأرض ستة أشبار فالطويل من الناس يتطاول لتقليله والصغير يتطاول إليه وهو ملصق في الركن الذي إلى جهة المشرق وسعته ثلاث شبر وطوله شبر وعقد ولا يعلم قدر ما دخل منه في الركن وفيه أربع قطع ماصقة ويتقال أن القمر مطي أنه الله كسره وقيل أن الذي كسره سواء ضربه بدبوس فكسره وتبادر الناس إلى قتله وقتل بسببه جماعة من المفاربة وجوانب الحجر مشدودة بصفيحة من فضة يلوح بياضها على سواد الحجر الكريم فيجبتلي منه العيون حسنا بآهرا وتقليله لذات يتعم بها أنهم يود أن يعمدوا أن لا يفارق لثمة خاصية مودعة فيه وغاية ربانية به وكفى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه يمين أنه في أرضه نفقنا الله باستلامه ومما خفته وأودع عليه كل شيق إليه وفي القطعة الصحيحة من الحجر الأسود مماليي جانبه الموالي ليمين مستلمة نقطة بيضاء صغيرة مشرقة كأنها خال في تلك الصفحة البهية وترى الناس إذا طافوا بها يتساقط بعضهم على بعض أزدحام على تقليله فقاما يتمكن أحدهم من ذلك إلا بعد المزاومة الشديدة وكذلك يصنعون عند دخول البيت الكريم ومن عند الحجر الأسود ابتداء الطواف وهو أول الأركان التي يلقيها الطائف فإذا استلمه فتهقر عنه قليلا وجعل أنكبة الشريفة عن يساره ومضى في طوافه ثم يلقى بعده الركن العراقي وهو إلى جهة الشمال ثم يلقى الركن الشامي وهو إلى جهة الغرب ثم يلقى الركن اليمني وهو إلى جهة الجنوب ثم يعود إلى الحجر الأسود وهو إلى جهة المشرق

﴿ذكر المقام الكريم﴾

اعلم ان بين باب الكعبة شرفها الله وبين الركن العراقي موضعاً طوله اثنا عشر شبراً وعرضه نحو نصف من ذلك وارتفاعه نحو شبرين وهو موضع المقام في مدة ابراهيم عليه السلام ثم صرفة النبي صلى الله عليه وسلم الى الموضع الذي هو الآن مصلى وبقي ذلك الموضع شبه الحوض واليه ينصب ماء البيت الكريم اذا غسل وهو موضع مبارك يزدحم الناس للصلاة فيه وموضع المقام الكريم يقابل ما بين الزكن العراقي وباب الكريم وهو الى الباب اميل وعليه قبة تحتمل اشباك حديد متجاف عن المقام الكريم قدر ما تصل اصابع الانسان اذا أدخل يده من ذلك الشباك الى الصندوق والشباك مقفل ومن ورائه موضع محو زقد جعل مصلى لركعتي الطواف وفي الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليماً ما دخل المسجد أتى البيت فطاف به سبباً ثم أتى المقام فقرأ وأخذوا من مقام ابراهيم مصلى وركع خلفه ركعتين وخلف المقام مصلى امام الشافعية في الحطيم الذي هنالك

﴿ذكر الحجر والمطاف﴾

ودور جدار الحجر تسع وعشرون خطوة وهي أربعة وتسعون شبراً من داخل الدائرة وهو بالرخام البديع المجزع المحكم الاصلاق وارتفاعه خمسة اشبار ونصف شبر وسعته أربعة اشبار ونصف شبر وداخل الحجر بلاط واسع مقروش بالرخام المجزع المنتظم معجز الصنعة البديع الاتقان وبين جدار الكعبة الشريف الذي تحت الميزاب وبين ما يقابله من جدار الحجر على خط استواء أربعون شبراً ولا حجر مدخلان أحدهما بينه وبين الركن العراقي وسعته ستة أذرع وهذا الموضع هو الذي تركته قریش من البيت حين بنته كما جاءت الآثار الصحاح والمدخل الآخر عند الركن الشامي وسعته أيضاً ستة أذرع بين المدخلين ثمانية وأربعون شبراً وموضع الطواف مفروش بالحجارة السوداء محكمة لا لساق وقد اتسعت عن البيت بمقدار تسع خطوات في الجهة التي تقابل المقام الكريم فقامت هنالك النساء حتى احاطت به وسائر الحرم مع البلاط مفروش برمل أبيض وطواقه لنساء في آخر الحجارة المفروشة

﴿ذكر زمزم المباركة﴾

وقبة بر زمزم تقابل الحجر الاسود وينهسا أربع وعشرون خطوة والمقام الكريم عن

يعين القبة ومن ركنها اليه عشر خطا وداخل القبة مفروش بالرخام الأبيض وتور البئر
المباركة في وسط القبة مائلا الى الجدار المقابل للكعبة الشريفة وهو من الرخام البديع
الاصلي مفروغ بالرخام ودوره أربعون شبرا وارتفاعه أربعة أشبار ونصف شبر
وعنق البئر أحد عشر رقما وهم يذكرون ان ماءها يتزايد في كل ليلة جمعة وباب القبة
جهة الشرق وقد استدارت بداخل القبة سقاية سمها شبر وعمقها مثل ذلك وارتفاعها عن
الارض نحو خمسة أشبار مائلا ماء للوضوء وحولها مسطبة دائرة يبعد الناس عام للوضوء
وبلى قبة زمزم قبة الشراب المذوبة الى العباس رضي الله عنه وبابها الى جهة الشمال وهي
الآن زيجمل بهما ماء زمزم في قلال يسمونها الدوارق وكل دورق له مقبض واحد وترك
بها ليرد فيها الماء فيشربه الناس وبها اختزان المصاحف الكريمة والكتب التي لا تحرق
الشريق وبها خزنة تحتوي على تابوت مبسوط متسع فيه مصحف كريم بخط زيد بن
ثابت رضي الله عنه منسوخ سنة ثمان عشرة من وفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما
وأهل مكة اذا أصابهم قحط أو شدة أخرجوا هذا المصحف الكريم وقطعوا باب الكعبة
الشريفة ووضعوه على العتبة الشريفة ووضعوه في مقام إبراهيم عليه السلام واجتمع الناس
كاشفين رؤسهم داعين متضرعين متوسلين بالمصحف العزيز والمقام الكريم فلا يفصلون
الا وقد تداركهم الله برحمته وتغمدهم بلطفه وبلى قبة العباس رضي الله عنه على انحراف
القبة المعروفة بقبة اليهودية

ذكر أبواب المسجد الحرام وما دار به من المشاهد الشريفة
وابواب المسجد الحرام شرفه الله تعالى تسعة عشر بابا أكثرها مفتحة على أبواب كثير
فتحها باب الصفا وهو مفتوح على خمسة أبواب وكان قديما يعرف بباب بني مخزوم وهو
باب أبواب المسجد ومنه يخرج الى المسمى ويستحب للوافد على مكة ان يدخل المسجد الحرام
شرفه الله من باب بني شيبه ويخرج بعد طوافه من باب الصفا جاعلا طريقه
الاصطلاوتين اللتين قامهما أمير المؤمنين المهدي رحمه الله على طريق رسول الله
صلى الله عليه وسلم تسليما الى الصفا ومنها باب أحياد الاصغر مفتوح على باين ومنها باب الحياطين

ففتح على باين ومنها باب العباس رضي الله عنه مفتوح على ثلاثة أبواب ومنها باب التي صلى الله
 عليه وسلم تسليماً مفتوح على باين ومنها باب بنى شينة وهو في ركن الجدار الشرقي من جهة
 الشمال امام باب الكعبة الشريفة متياسراً وهو مفتوح على ثلاثة أبواب وهو باب بنى عبد شمس
 ومنه كان دخول الخلفاء ومنها باب صغير ازاء باب بنى شينة لا اسم له وقيل يسمى باب الرباط
 انه يدخل منه لرباط السدرة ومنها باب الندوة ويسمى بذلك ثلاثة أبواب اثنان منتظمان
 والثالث في الركن الغربي من دار الندوة ودار الندوة قد جعلت مسجداً شارعاً في الحرم
 مضافاً اليه وهي تقابل الميزاب ومنها باب صغير لدار العجلة محدث ومنها باب السدرة واحد
 ومنها باب العمرة واحد وهو من أجمل أبواب الحرم ومنها باب ابراهيم واحد والناس
 مختلفون في نسبته فبعضهم ينسبه الى ابراهيم الخليل عليه السلام والصحيح انه منسوب الى
 ابراهيم الخواري من الاعاجم ومنها باب الخزوة مفتوح على باين ومنها باب احياد الاكبر
 مفتوح على باين ومنها باب ينسب الى احياد أيضاً مفتوح على باين وباب ثالث ينسب اليه
 مفتوح على باين ويتصل لباب الصفا ومن الناس من ينسب الباين من هذه الاربعة المنسوبة
 لاحياد الى الدقاقين وصوامع المسجد الحرام خمس احدها على ركن أبي قيس عتياب
 الصفا والاخرى على ركن باب بنى شينة والثالثة على باب دار الندوة والرابعة على ركن
 لب السدرة والخامسة على ركن احياد وبمقربة من باب العمرة مدرسة عمرها السلطان
 المعظم يوسف بن رسول ملك اليمن المعروف بالملك المظفر الذي تنسب اليه الدراهم
 المظفرية باليمن وهو كان يكسوا الكعبة الى أن غلبه عن ذلك الملاء المنصور قلاوون وبخارج
 باب ابراهيم زاوية كبيرة فيها دار امام المالكية الصالح أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن
 المدعو بخيل وعلى باب ابراهيم قبة عظيمة مفرطة السموق صنع في داخلها من غرائب
 صنع الجص ما يعجز عنه الوصف وازاء هذا الباب عن يمين الداخل اليه كان يقعد الشيخ
 العابد جلال الدين محمد بن أحمد الافشهرى وخارج باب ابراهيم بئر تنسب كنسبته وعنده
 يضادار الشيخ الصالح دانيال المعجمي الذي كانت صدقات العراق في أيام السلطان أبي
 سعيد تأتي على يديه وبمقربة منه رباط الموفق وهو من أحسن الرباطات سكنته أيام

بحاورتي بمكة المعظمة وكان به في ذلك العهد الشيخ الصالح أبو عبد الله الزواوي المغربي وسكن به أيضا الشيخ الصالح الطيار سعادة الجرائي ودخل يومالي يته بعد صلاة العصر فوجد ساجدا مستقبلا الكعبة الشريفة ميتا من غير مرض كان به رضي الله عنه وسكن به الشيخ الصالح شمس الدين محمد الشامي نحوامن أربعين سنة وسكن به الشيخ الصالح شعيب المغربي من كبار الصالحين دخلت عليه يوما فلم يقع بصري في يده على شيء سوى حصر فقالت له في ذلك فقال لي استر على ما رأيت وحول الحرم الشريف دور كثيرة لها مناظر وسطوح يخرج منها إلى سطح الحرم وأهلها في مشاهدة البيت الشريف على الدوام ودور لها أبواب تفضي إلى الحرم منها دار زيدة زوج الرشيد أمير المؤمنين ومنه دار ألمجلة ودار الشراي وسواها ومن المشاهد الكعبة بمقربة من المسجد الحرام قبة النوح وهي في دار خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها بمقربة من باب النبي صلى الله عليه وسلم وفي البيت قبة صغيرة حيث ولدت فاطمة عليها السلام ومقربة منها دار أبي بكر الصديق رضي الله عنه وبها جدار مبارك فيه حجر مبارك بارز طرفه من الحائط يستلمه الناس ويقول أنه كان يسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ويذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم تسليما جاء يوما إلى دار أبي بكر الصديق ولم يكن حاضر افتادي به النبي صلى الله عليه وسلم تسليما فطق ذلك الحجر وقال يا رسول الله أنه ليس بمحاضر.

﴿ذكر الصفاء المروءة﴾

ومن باب الصفاء الذي هو أحد أبواب المسجد الحرام إلى الصفات وسبعون خطوة وسعة الصف سبع عشرة خطوة وله أربع عشرة درجة أعلاها من كأنها مسطبة وبين الصفاء المروءة أربع مائة وثلاث وتسعون خطوة منها من الصف إلى الميل الأخضر ثلاث وتسعون خطوة ومن الميل الأخضر إلى المئين الأخضرين خمس وسبعون خطوة ومن المئين الأخضرين إلى المروءة ثلاثمائة وخمس وعشرون خطوة وللمروءة خمس درجات وهي ذات قوس واحد كبير وسعة المروءة سبع عشرة خطوة والميل الأخضر هو سارية خضراء مثبتة مع وكن الصومعة التي على الركن الشرقي من الحرم عن يسار الساعي إلى المروءة والميلان

الاخضران مما سارتان خضر اوان ازا باب على من أبواب الحرم أحدهما في جدار الحرم
عن يسار الخارج من الباب والاخرى تقابلها وبين الميلى الاخضر والميلين الاخضرين
يكون الرمل ذاهباً وعائدوا بين الصفا والمروة مسيل فيه سوق عظيمة يباع فيها الحبوب
وللحم والتمر والسمن وسواها من الفواكه والساعون بين الصفا والمروة لا يكادون
يخلصون لازدحام الناس على حوانيت الباعة وليس بمكة سوق منتظمة سوى هذه الا
البرازون والقطارون عند باب بني شيبه وبين الصفا والمروة دار العباس رضى الله عنه وهي
الآن رباط يسكنه المجاورون عمره الملك الناصر رحمه الله وبني أيضاً دار وضوء فيها بين
الصفا والمروة ستة ثمان وعشرين وجعل لها بين أحدهما في السوق المذكور والاخر في
سوق القطارين وعليها ربع يسكنه خدامها وتولى بناء ذلك الامير علاء الدين بن هلال
وعن بين المروة دار امير مكة سيف الدين عطفة بن أبي نعيم وسند كره

﴿ذكر الحيانة المباركة﴾

وجبانة مكة خارجة باب المعلى ويمر فذلك الموضع أيضاً بالحجون وياؤه عنى الحارث بن
مفضاض الجرهمي بقوله

كان لم يكن بين الحجون الى الصفا * أنيس ولم يسمر بمكة سامر
بلى نحن كنا أهلها فأبادنا * صروف الليالى والجوداء عواتر

وبهذه الحيانة مدفن الجرم الفقير من الصحابة والتابعين والعلماء والصالحين والاولياء الا ان
مشاهدتهم دثرت وذهب عن أهل مكة علمها فلا يعرف منها الا انقال في المعروف منها قبر
أم المؤمنين ووزير سيد المرسلين خديجة بنت خويلد أم ولاد النبي صلى الله عليه وسلم تسليماً
كلهم ما عدا ابراهيم وجدة السبطين الكرعيين صلوات الله وسلامه على النبي صلى الله عليه
وسلم تسليماً وعليهم اجمعين ويمر بربعة منه قبر الخليفة أمير المؤمنين أبي جعفر المنصور عبد الله
ابن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس رضى الله عنهم اجمعين وفيها الموضع الذي صلب فيه
عبد الله بن الزبير رضى الله عنهم او كان به بنية هدمها أهل الطائف غيرتهم لمساكن يلحق
حجاجهم المير من الامن وعن بين مستقبل الحيانة مسجد خراب يقال انه المسجد الذي

بايعة الحن فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليماً وعلى هذه الحياة طريق الصاعدا الى
عرفات وطريق الاندهاب الى الطائف والى المراق

﴿ذكر بعض انشاهد خارج مكة﴾

ثمها 'الحجون وقد ذكرناه ويقال أيضاً ان الحجون هو الحيل المطلق على الحياة ومها
المحصب وهو أيضاً الا بطح وهو على الحياة المذكورة وفيه خيف بني كنانة الذي نزل به
رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليماً ومنه اذ وطوى وهو واديه يط على قبور المهاجرين
التي بالحصص دون ثنية كداء ويخرج منه الى الاعلام الموضوعة عجزا بين الحل والحرم
وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنه اذا قدم مكة شرفها الله تعالى بيته بذي طوى ثم يتسل
منه وينزل الى مكة ويذكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليماً فعل ذلك ومنها ثنية
كدي (بضم الكاف) وهي بالى مكة ومنها دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع
الى مكة ومنها ثنية كداء (بفتح الكاف) ويقال لها الثنية البيضاء وهي بأسفل مكة ومنها
خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليماً عام الوداع وهي بين جبلين وفي مضيقها كوم
حجارة موضوع على الطريق وكل من يمر به يرجه بحجر ويقال انه قبر أبي لهب وزوجه
حالة الخطب وبين هذه الثنية وبين مكة بسيط سهل ينزله الرك اذا صدر راعن في
ومقرقة من هذا الموضع على نحو ميل من مكة شرفها الله مسجد بازائه حبر موضوع على
الطريق كأنه مسطبة يملوه حجر آخر كان فيه نقش فدر رسمه يقال ان النبي صلى الله عليه
وسلم تسليماً قد بذلك الوضع سترى محاً عند مجيئه من عمرته فيترك الناس بتقيله ويستندون
اليه ومنها التميم وهو على فرسخ من مكة ومنها يعتمر أهل مكة وهو أدنى الحل الى الحرم
ومنها اعتمر أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها حين بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليماً
في حجة الوداع مع أخيها عبد الرحمن رضي الله عنه وأمره أن يعمها من التعم وبنت
هناك مساجد ثلاثة على الطريق تنسب كلها الى عائشة رضي الله عنها وطريق التعم طريق
فسيح والناس يتحرون كنه في كل يوم رغبة في الاجر والثواب لان من المعتمرين من يمشي
فيه حافياً وفي هذا الطريق الآبار العذبة التي تسمى الشبيكة ومنها الزاهر وهو على نحو ميلين

من مكة على طريق التميم وهو موضع على جانبي الطريق فيه أثر دور وبساتين وأسواق
وعلى جانب الطريق دكان مستطيل تصنف عليه كيزان الشرب وأواني الوضوء بلأهأ خديم
ذلك الموضع من أبار الزاهر هي بعيدة القعر جداً واخديم من الفقراء المجاورين وأهل
الخير يعينونه على ذلك لساقية من المرافقة لله متعبرين من الغسل والشرب والوضوء وودو
طوي يتصل بالزاهر

ذكر الحبال المطيفة بمكة

فمنها جبل أبي قبيس وهو في جهة الجنوب والشرق من مكة حرسها الله وهو أحد الاخشيين
وأدى الحبال من مكة شرفها الله وبقابل ركن الحجر الأسود وبأعلاه مسجد وأثر رباط
وعسارة وكان الملك الناصر رحمه الله أراد أن يمر به وهو مظلل على الحرم الشريف وعلى
جميع البلد منه يظهر حسن مكة شرفها الله وجمال الحرم واتساع الكعبة المعظمة ويذكر
أن جبل أبي قبيس هو أول جبل خالق الله تعالى وفيه استودع الحجر زمان الطوفان
وكانت قریش تسميه الامين لأنه أدى الحجر الذي استودع فيه الى الخليل ابراهيم عليه
السلام ويقال ان قبر آدم عليه السلام به وفي جبل أبي قبيس موضع موقف النبي صلى الله عليه
وسلم حين انشق له القمر ومنها قبة عان وهو أحد الاخشيين ومنها الجبل الاحمر وهو في
جهة الشمال من مكة شرفها الله ومنها الخدمة وهو جبل عند الشمين المعروفين باحياد
الاكبرواحياد الاصغر ومنها جبل الطير وهو على أربعة عن جهتي طريق التميم يقال انها
الحبال التي وضع عليها الخليل عليه السلام أجزاء الطير ثم دعاها حسماً نص الله في كتابه
العزيز وعابها بالاعلام من حجارة ومنها جبل حراء وهو في الشمال من مكة شرفها الله تعالى
على نحو فرسخ منها وهو مشرف على مني ذاهب في الهواء عالي القنة وكان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يتعبد فيه كثيراً قبل المبعث وفيه امام الحق من ربه وبدء الوحي وهو الذي اهتز
تحت رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليماً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ائب فاعليك
الانبي وصديق وشهيدواختلف فيمن كان معه يومئذ وروى أن العشرة كانوا معه وقد
روى أيضاً أن جبل ثبير اهتز تحتها أيضاً ومنها جبل نور وهو على مقدار فرسخ من مكة شرفها

الله تعالى على طريق الجن وفيه الغار الذي آوى اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليماً حين
خروجه مهاجراً من مكة شرفها الله ومعه الصديق رضي الله عنه حسباً ورفي الكتاب
المعزى وذكر الازرق في كتابه أن الحليل المذكور نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم
تسليماً وقال الى يا محمد الى الى نقد آويت قبلك سبعين نبياً فلما دخل رسول الله الغار وأطمأن
به وصاحبه الصديق معه نسجت العنكبوت من حينها على باب الغار وصنعت الحماة عشا
وفرخت فيه باذن الله تعالى فاتسعي المنسركون ومعهم قصاص الاثري الغار فقالوا ههنا
انقطع الاثروروا والعنكبوت قد نسج على فم الغار والحمام مفرخة فقالوا ما دخل احدنا
وانصرفوا فقال الصديق يا رسول الله لو ولجوا علينا منه قال كنا نخرج من هنا وأشار بيده
المباركة الى الجانب الآخر ولم يكن فيه باب فافتتح فيه باب لاجئين بقدره الملك الوهاب
واناس يقصدون زيارة هذا الغار المبارك فيرومون دخوله من الباب الذي دخل منه
النبي صلى الله عليه وسلم تبرك بذلك فثم من يتأني له ومنهم من لا يتأني له وينشب فيه حتى
يتناول بالجنب العنيف ومن الناس من يصلي امامه ولا يدخله وأهل تلك البلاد يقولون انه
من كان لرشدة دخله ومن كان لزنية لم يقدر على دخوله ولهذا يتحاماه كثير من الناس لانه
مخجل فاضح قال ابن حزمي اخبرني بعض أشياخنا الحجاج الاكياس ان سبب صعوبة
الدخول اليه هو ان بداخله مما يلي هذا الشق الذي يدخل منه حجر اكبر أمعترضاً فن
دخل من ذلك الشق مبطحاً على وجهه وصل رأسه الى ذلك الحجر فلم يتمكن التولج ولا يمكنه
أن يتعلوي الى العلو ووجهه وصدره يلبان الارض فذلك هو الذي ينشب ولا يتخلص الا
بعد الجهد والجاذي الخارج ومن دخل منه مستقيماً على ظمير ما كان لانه اذا وصل رأسه
الى الحجر الممعترض رفع رأسه واستوى قاعدة فكان ظهره مستنداً الى الحجر الممعترض
وأوسطه في الشق ورجلاه من خارج الغار ثم يقوم قائماً بداخل الغار رجوعاً (حكاية)
ومع اتفاق بهذا الحليل لصاحبين من أصحابي أحدهما الفقيه المكرم أبو محمد عبد الله بن
فرحان الافريقى التوزري والآخر أبو المباس أحمد الاندلسي الوادي أشي انهما قصدوا
(الغار) في حين مجاورتهما بمكة شرفها الله تعالى في سنة ثمان وعشرين وسبعمائة وذهب

منفردين لم يستصحباه دليلاً عارفاً بطريقه قناتها وضلا طريق الغار وسلكا طريقاً سواهما
 متقطعة وذلك في أو ان اشتداد الحر وحمي القيظ فلهما انهما كانا عندهما من الماء وهو لم يصل
 الى النار اخذاً في الرجوع الى مكة شرفها الله تعالى فوجد اطر يقافا تبعاه وكان يفضي الى
 جبل آخر واشتد بهما الحر وأجهدهما العطش وعاناهما الهلاك وبجز العقبة أبو محمد بن فرحان
 عن المشي جملة والقي بنفسه الى الارض ونجا الاندلسي بنفسه وكان فيه فضل قوة ولم يزل
 يسلك تلك الجبال حتي أفضي به الطريق الى أحياد فدخل الى مكة شرفها الله تعالى وقصدني
 واعلمني بهذه الحادثة وبما كان من أمر عبد الله التوزري واتقطاعه الجبل وكان ذلك في
 آخر النهار ولعبد الله المذكور ابن عم اسمه حسن وهو من سكان وادي نخلة وكان اذذاك
 بمكة فاعلمته بما جرى على ابن عمه وقصدت الشيخ الصالح الامام أبابعد الله محمد بن عبد
 الرحمن المعروف بخليل امام المالكية نفع الله به فاعلمته بخبره فبعث جماعة من أهل مكة
 عارفين بتلك الجبال والشعاب في ماله وكان من أمر عبد الله التوزري انه لما فارقه رفيقه
 لجبال الى حجر كبير فاستظل بظله واقام على هذه الحالة من الجهد والعطش والفربان تطير
 فوق رأسه وتنتظر موته فلما انصرم النهار وأتي الليل وجد في نفسه قوة ونعشه برد الليل
 فقام عند الصباح على قدميه ونزل من الجبل الى بطن واد حجبت الجبال عنه الشمس فلم يزل
 ماشياً الى أن بدت له دابة فقصد قصدها فوجد خيمة للعرب فلما رآها وقع الى الارض ولم
 يستطع النهوض فرأته صاحبة الخيمة وكان زوجها قد ذهب الى ورد الماء فسقته ما كان
 عندها من الماء فلم يرو وجاء زوجها فسقاها قربة ماء فلم يرو واركبه حماراً له وقدم به مكة
 فوصلها عند صلاة العصر من اليوم الثاني متغيراً كماه قام من قبر

﴿ ذكر أمير مكة ﴾

وكانت اماره مكة في عهد دخولي اليها لشرقيين الاجلين الاخوين أسد الدين رمية
 وسيف الدين عطيفة ابني الامير أبي نعيم بن أبي سعد بن علي بن قتادة الحسينيين ورمية
 أكبرهما سنا ولكنه كان يقدم اسم عطيفة في الدعاء له بمكة لعدله ولرمية من الاولاد أحمد
 ومجملان وهو أمير مكة في هذا العهد وتيقه وسند وأما قاسم ولعطيفة من الاولاد محمد ومبارك

ومسعود دار عطيفة عن عين المرودة ودار أخيه رميشة برباط الشرايبي عند بابيه، وفي شبيهة
وتضرب الطبول على باب كل واحد منها عند صلاة المغرب من كل يوم

﴿ ذكر أهل مكة وفضايلهم ﴾

ولا هل مكة الافعال الجميلة والمكارم السامية والاخلاق الحسنة والايثار الي الضعفاء
والمنقطعين وحسن الجوار للغرباء ومن مكارمهم أنهم متى صنع أحدهم ولحمة يبدأ فيها باطعام
الفقراء المنقطعين المجاورين ويستسعيهم بتلحيف ورفق وحسن خلق ثم يطعمهم وأكثر
الماكين المنقطعين يكونون بالأفرا ن حيث يطبخ الناس أخبازهم فإذا طبخ أحدهم خبز
واحتمله الي منزله فينبهه المساكين فيعطى لكل واحد منهم ما قسم له ولا يرد هم خاشين ولو
كانت له خبزة واحدة فإنه يعطي ثلثها أو نصفها طيب النفس بذلك من غير ضجر ومن أفعاله
الحسنة ان الايتام الصغار يقدون بالسوق ومع كل واحد منهم قتان كبرى وصغرى وهم
بسمون التفتة مكتلاً فيأتى الرجل من أهل مكة الي السوق فيشتري الخبواب والاعحم
والخضرو يعطى ذلك للصبى فيجعل الخبواب في إحدى قففيه والاعحم والخضري الأخرى
ويوصل ذلك الي دار الرجل ليأكله طامه منها ويذهب الرجل الي طوافه وحاجته فلا
يذكر ان احدا من الصبيان خان الامانة في ذلك قط بل يؤدي ما حمل على انهم الوجوه ولهم
على ذلك أجرة معلومة من فلوس وأهل مكة لهم ظرف ونظافة في الملابس وأكثر لباسهم
لبياض فترى ثيابهم ابدان صاعدة ساطعة ويستعملون الطيب كثير او يكتحلون ويكثر
للسواك بعيدان الاراك الاخضر ونساء مكة فائحات الحسنة بارعات الجمال ذوات صلاح
يعفاهن ومن يكثر ان الطيب حتي ان احداهن لتيث طاووبة وتشترى قوتها طيباوهن
تمصدن الطواف بالبيت في كل ليلة جمعة فيأتين في أحسن زي وتغلب على الحرم راثة طيبين
يذهب المرأة منهن فيبقي أثر الطيب بعد ذهابها عبقا ولا هل مكة عوائد حسنة في الموسم
غيره مسند كرها ان شاء الله تعالى اذا فرغنا من ذكر فضائلها ومجاوريها

﴿ ذكر قاضي مكة وخليفه او امام الموسم وعلمائها وصلحاتها ﴾

قاضي مكة العالم الصالح العابد نجم الدين محمد بن الامام العالم محيي الدين الطبري وهو فاضل

كثير الصدقات والموا'سات له مجاورين حسن الأخلاق كثير الطواف والمشاهدة للكعبة الشريفة يطعم الطعام الكثير في أواسم المنة طعمة وخصوصا في مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم تساميا فإنه يطعم فيه شرفاء مكة وكبراءها وفقراءها وخسدام الحرم الشريف وجميع المجاورين وكان ساطان مصر الملك الناصر رحمه الله يعطيه كثير من جميع صدقاته وصدقات أمراءه تجري على يده وولده شهاب الدين فاضل وهو الآن قاضي مكة شرفها الله وخليف مكة الامام بمقام ابراهيم عليه السلام الفصيح المصقع وحيد عصره بها، الدين الطاهري وهو أحد الخطباء الذين ليس بالمعمورة مثلهم بالاعة وحسن بيان وذكر لي انه ينشئ لكل جمعة خطبة ثم لا يكره ان يابعدوا امام الموسم وامام المالكية بالحرم الشريف هو الشيخ الفقيه السالم الصالح الخاشع الشهير أبو عبد الله محمد بن الفقيه الامام الخ الورع أبي زيد عبد الرحمن وهو المشتهر بخليل نفع الله به وامتع بيقائه وأهله من بلاد الحرمين أفريقية ويسرفون بها ببني حيون وهم من كبارها ومولده ومولده أبيه بمكة شرفها الله وهو أحد الكبار من أهل مكة بل واحداه وقطها باجماع الطوائف على ذلك مستغرق العبادة في جميع أوقاته مستحي كريم النفس حسن الأخلاق كثير الشفقة لا يرد من سأله خاتبا

﴿حكاية مباركة﴾

رأيت أيام مجاورتي بمكة شرفها الله وأنا اذ ذلك ساكن منها بالمدرسة المنظفيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما في انوم وهو قاعد بمجاس التدريس من المدرسة المذكورة بجانب الشباك الذي تشاهد منه الكعبة الشريفة والناس يبايعونه فكنت أرى الشيخ أبا عبد الله المدعو بخليل قد دخل وقعدا القراء بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم تساميا وجعل يده في يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أبايكم على كذا وكذا وعددا شيا منها وأن لا أرد من يتي مسكينا خائبا وكان ذلك آخر كلامه فكنت أعجب من قوله وأقول في نفسي كيف يقول هذا وقد عليه مع كثرة فقره مكة واليمن والزيالة والعراق والعجم ومصر والشام وكنت أراه حين ذلك لا بساجية بيضاء قصيرة من ثياب القطن المدعوة بالقفطان كان يلبسه في بعض الاوقات فلما صايت الصبح تدوت عليه واعلمته برؤياي فسرهما وبكى

وقال لي تلك الحجة أهدأها بعض الصالحين لجدي فأنالذبها تبركا وما آيته بعد ذلك يرد
سائلا خائبا وكان يأمر خدامه بنحزول الخبز ويطلبخون الطعام ويأتون به الى بعد صلاة
العصر من كل يوم وأهل مكة لا يأكلون في اليوم الا مرة واحدة بعد العصر ويقتصرون
عليها الى مثل ذلك الوقت ومن أراد الاكل في سائر النهار أكل التمر ولذلك صحت أبدانهم
وقلت فيهم الامراض والعاهات وكان الشيخ خليل متزوجا بنت القاضي نجم الدين الطبري
فحشك في طلاقها وفارقها وتزوجها بعد انفق به شهاب الدين التويري من كبار المجاورين
وهو من صعيد مصر وأقامت عنده أعواما وسافر بها الى المدينة الشريفة ومعهما أخوها
شهاب الدين فحشك في عين بالطلاق ففارقها على ضمانته بها وارجعها النقيب خليل بعد سنين
عدة ومن أعلام مكة امام الشافعية شهاب الدين البرهان ومنهم امام الحنفية شهاب الدين
أحمد بن علي من كبار أئمة مكة وفضلاتها يطعم المجاورين وبناء السبيل وهو أكرم فقهاء مكة
ويدان في كل سنة أربعين ألف درهم وخمسين ألفا فيؤديها الله عنه وأمره الا تراك
يعظمونه ويحسنون الغنائم به لانه اماءهم ومنهم امام الخنابلة المحدث الفاضل محمد بن عثمان
البغدادي الأصل اسكنه المولى وهو نائب القاضي نجم الدين والمحاسب بعد قتل تقي الدين
المصري والناس يهابونه لسلطوته

﴿حكاية﴾

كان تقي الدين المصري حجة سبابة وكان له دخول فيما يمينه وفيما لا يمينه فاتفق في بعض
السنين ان أتى أمير الحاج بصبي من ذوى الدعارة بمكة قد سرق بعض الحاجاج فامر بقطع
يده فقال له تقي الدين ان لم تقطعها بمحضرتك والا غلب أهل مكة خدامك عليه فاستقذوه
منهم وخاصوه فامر بقطع يده في حضرة فقطعت وحقدت حال تقي الدين ولم يزل يتر بص به
الدوائر ولا قدرة له عليه لان له حساب من الاميرين ميثمة وعطيفة والحسب عندهم ان يعطى
أحدهم هدية من عمامة أو شاشية بمحضرة الناس تكون جوار المن أعطيته ولا تزول
حرمتها معه حتى يريد الرحلة والتحول عن مكة فاقام تقي الدين بمكة أعواما ثم عزم على
الرحلة وودع الاميرين وطاف طواف الوداع وخرج من باب الصفا فلقبه صاحبه الاقطع
وتشكى له ضعف حاله وطلب منه ما يستعين به على حاجته فاتهم تقي الدين وزجره فاستل

خنجرا له يعرف منهم الجنية وضربه ضربة واحدة كان فيها حقه ومنهم الفقيه الصالح زين الدين الطبري شقيق نجم الدين المذكور من أهل الفضل والاحسان للمجاورين ومنهم الفقيه المبارك محمد بن قهد القرشي من فضلاء مكة وكان يذوب عن انقاض نجم الدين بعد وفاة الفقيه محمد بن عثمان الحنبلي ومنهم العدل الصالح محمد بن البرهان زاهد ورع مبتلى بالسوا وسأه رأيت يوم مايتوضأ من بركة المدرسة المظفرية فيغسل ويكرر واسم مسج رأسه أعاد مسحه مرات ثم لم يقنه ذلك فغسل رأسه في البركة وكان اذا أراد الصلاة بمصلى الامام الشافعي وهو يقول نويت نويت فيصلي مع غيره وكان كثير الطواف والاعتبار واذكر

﴿ ذكر المجاورين بمكة ﴾

فمنهم الامام العالم الصالح الصوفي المحقق العابد عفيف الدين عبد الله بن أسعد البني الشافعي الشهير بالياضي كثير الطواف آنا الليل وأطراف النهار وكان اذا طاف من الليل يصعد الى سطح المدرسة المظفرية فيقعد ثم شاهد الكعبة الشريفة الى أن يغلب النوم فيجمل تحت رأسه حجرا وينام يسيرا ثم يجدد الوضوء ويعود لحاله من الطواف حتى يصلي ان يصبح وكان متزوجا بنت الفقيه العابد شهاب الدين بن البرهان وكانت صغيرة السن فلا تزال تشكو الى أبيها حائفا مرها بالصبر فقامت معه على ذلك سنتين ثم فارقه ومنهم الصالح العابد نجم الدين الاصقوفي كان قاضيا ببلاد الصيد فاقطع الى الله تعالى وجاور بالحرم الشريف وكان يعمّر في كل يوم من التعميم ويعتمر في رمضان مرتين في اليوم اعتمادا على ما في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم تسليما أنه قال عمرة في رمضان تعدل حجة معي ومنهم الشيخ الصالح العابد شمس الدين محمد الحلي كثير الطواف والتلاوة من قدماء المجاورين مات بمكة شرفها الله ومنهم الصالح أبو بكر الشيرازي المعروف بالصامت كثير الطواف أقام بمكة أعواما لا يتكلم فيها ومنهم الصالح خضر العجمي كثير الصوم والتلاوة والطواف ومنهم الشيخ الصالح برهان الدين العجمي انوا عظم كان ينصب له كرسي تجاه الكعبة الشريفة فيعظ الناس ويذكرهم بلسان فصيح وقاب خاشع يأخذ بمجامع القلوب ومنهم الصالح المجود برهان الدين ابراهيم المصري مقرئ مجيد ساكن رباط السودة ويقصده أهل مصر والشام

بصدق قاتمهم ويلم الايتام كتاب الله تعالى ويقوم بمؤاتهم ويكسوهم ومنهم الصالح العابد عن
الدين الواسطي من أصحاب الأموال الطائلة يحمل اليه من بلده المال الكثير في كل سنة
قيتاع الحبوب والتمرو يفرقها على الضعفاء والمساكين ويتولى حملها الى بيوتهم بنفسه ولم
يزل ذلك دأبه الى ان توفي ومنهم الفقيه الصالح الزاهد أبو الحسن علي بن رزق الله الانجيري
من أهل قصر طنجة من كبار الصالحين جاور بمكة أعواما وبها وفاة كانت بينه وبين والذي
صحبة قديمة وبقي أنى بلدنا طنجة نزل عندنا وكان له بيت بالمدرسة المظفرية يعلم العلم فيها هارا
ويأوى بالليل الى مسكنه برباط ربيع وهو من أحسن الرباط بمكة بدأخذه برعذبة
لا تماثلها بر بمكة وسكانه الصالحون وأهل ديار الحجاز يعظمون هذا الرباط تعظيما شديدا
وينذرون له التدوير وأهل الطائف يأمنونه بالفواكه ومن عادتهم ان كل من له بستان من
التخيل والنب والقرسك وهو الخوخ والتين وهم يسمونه السخط يخرج منه العشر لهذا
الرباط ويوصلون ذلك اليه على جملهم ومسيرة ما بين مكة والطائف يومان ومن لم يف بذلك
نقصت فواكه في السنة الآتية وأصابها الجوائح

﴿حكاية في فضله﴾

أتى يوما غلامان الأمير أبي نعيم صاحب مكة الى هذا الرباط ودخلا بخيل الأمير وسقواهما من
تلك البئر فلما عادوا بالخيول الى مرابطها أصابتهما الاوجاع وضربت بانفسهما الارض
وبرؤسها وأرجأها واتصل الخبر بالخبر بالأمير أبي نعيم فأتى باب الرباط بنفسه واعتذر الي
المساكين الساكنين به واستصحب واحد منهم ففتح على بطون الدواب بيداً أراقت
ما كان في أجوافها من ذلك الماء وبرئت مما أصابها ولم يمرضوا بعدها الرباط بالالجيرة
ومنهم الصالح المبارك أبو العباس القماري من أصحاب أبي الحسن بن رزق الله وسكن
رباط ربيع ووفاته بمكة شرفها الله ومنهم الصالح أبو يعقوب يوسف من بادية سبتة كان
خدماً للشيخين المذكورين فلما توفي صار شيخ الرباط بعدها ومنهم الصالح السائح
السالك أبو الحسن علي بن فرغوس التلمساني ومنهم الشيخ سعيد الهنددي شيخ
رباط كلاله

في حكاية

كان الشيخ سعيد قد قصد ملك الهند محمد شاه فاعطاه مالا عظيما قدم به مكة فسيجنه الامير
 عطيفة وطلبه باداء المال فامتنع فعذب بعد سر رجائه فاعطني خمسة وعشرين ألف درهم
 تفرقة وعاد الى بلاد الهند ورأيت بها ونزل بدار الامة سيف الدين غدا بن هبة الله بن عيسى
 ابن مهدي أمير عرب الشام وكان غدا ساكنا ببلاد الهند تزوجا بخت مائهما وسيدكر
 امره فاعطاني ملك الهند للشيخ سعيد جملة مال وتوجه بحجة حاج يرف بوشلي من ناس
 الامير غدا وجهه الامير المذكور يا آتية ببعض ناسه ووجهه معه أهوالا وتخطاها الحجة التي
 حمله ناعاه ملك الهند الى زفانه بخته وهي من الحرير الازرق زركشة بالذهب ومرصعة
 بالجواهر بحيث لا يظهر لونها انقلب الجوهر عليه اربعمائة وخمسين ألف درهم ليستري له
 الخيل التي قد افراش شيخ سعيد بحجة وشمل واشترى سلما بمائة الف درهم من الاموال فاما
 وصلاجزيرة سقطارة المنسوب اليها العبر السقطري خرج عليه مال الصوص الهند في
 سراكب كثيرة فقامت لهم قالا سيد امانات فيه من الفريقين جملة وكان وشلي رايا فقتل
 منهم جماعة ثم تآمر السراق عليهم وطمعوا وشلا طمعت مات بها بعد ذلك وأخذوا ما كان
 عندهم وتركوا الممر مرهم بالآلة فرودوا زاد نذهبوا الى عدن ومات بها وشلي وعادة هؤلاء
 السراق انهم لا يملكون احدا الا في حين القتل ولا يفرقونه وانما يأخذون ماله ويتركونه
 يذهب بركبه يث شاء ولا يأخذون الماعاليك لانهم من جنسهم وكان الحاج سعيد سمع
 من ملك الهند ان يريد اظهار اندوة العباسية ببلده كمثل ما فعله ملوك الهند من بعدهم مثل
 السلطان حسن الدين العثماني (فتح العزيز) الذي راسا في راسه راسا
 وشين معجم) وولده ناصر الدين ومنسل السلطان جمال الدين فيروز شاه والسلطان
 غياث الدين بلبن وكانت الحلة تأتي اليهم من بغداد قلما توفي وشلي قصد الشيخ سعيد الى
 الخليفة أبي العباس بن الخليفة أبي الربيع سليمان العباسي بمصر وأعلمه بان امره فكتب له كتابا
 بخطه بالتيار عنه ببلاد الهند فاستدعي الشيخ سعيد الكتاب وذهب الى اليمن واشترى بها

ثلاث خلع سودا وركب البحر الى الهذرا فلما وصل كنيات وهي على مسيرة أربعين يوما
من دهلي حضرة ملك الهند كتب صاحب الخبر الى الملك يعلمه بقدوم الشيخ سعيد وان
معها امر الخليفة وكتابه فورد الامر ببعثه الى الحضرة مكررا فلما قرب من الحضرة بعث
الامراء والقضاة والفقهاء لتلقيه ثم خرج هو بنفسه لتلقيه فتلقاه وعانقه ودفع له الامر
فقبله ووضعه على رأسه ودفع له الصندوق الذي فيه الخلع فاحتلمه الملك على كاهله خطرات
ولبس احدي الخلع وكسى الاخرى الامير غياث الدين محمد بن عبدالقادر بن يوسف بن
عبد العزيز الخليفة المنتصر العباسي وكان مقبلا عنده وسيد كر خبره وكسى الخامة الثالثة
الامير قبوله الملقب بالملك الكبير وهو الذي يقوم على رأسه ويشرد عنه اللباب وأمر
السلطان بخلع على الشيخ سعيد ومن معه وأركب على الفيل ودخل المدينة كذلك
والسلطان امامه على فرسه وعن يمينه وشماله الاميران اللذان كساهما الخلعين العباسيين
والمدينة قد زينت بأنواع الزينة وصنع بها احدي عشرة قبة من الخشب كل قبة منها أربع
طبقات في كل طبقة طائفة من المثنين رجالا ونساء وانرا نصات وكلهم مالك السلطان
والقبة مزينة بثياب الحرير المذهب أعلاها وأسفلها وداخلها وخارجها وفي وسطها ثلاثة
أحواض من جلود الحواميس ملوذة ماء قد غسل فيه الجلاب يشربه كل وار دو صادر
لا يمنع منه أحد وكل من يشرب منه يعطى بمسد ذلك خمس عشرة ورقة من أوراق التنبول
والفوفل والتوردة فيأكلها فطعيتهم ويزيد في حمة وجهه ولثائه وتقمع عنه الصفراء
وتهضم ما كل من العماد والماركب الشيخ سعيد على الفيل فرشت له ثياب الحرير بين
يدي الفيل يظاها على النسيب من باب المدينة الى دار السلطان وأزبل بدار تقرب من الملك
وبست له أمه والاطالة وجميع الانواب المعلقة بالمفروشة بالقبات والموضوعة بين يدي الفيل
لا تعود الى السلطان بل يأخذها أهل الطرب وأهل الصناعات الذين يصنعون القباب
وخدام الاحواض وغيرهم وهكذا فعلهم متى قدم السلطان من سفر وأمر الملك بكناب
الخليفة أن يقرأ على المنبر بين الخطبتين في كل يوم جمعة وأقام الشيخ سعيد شهرآ ثم بعث معه
الملك هدايا الى الخليفة فوصل كنيات وأقام بها حتى تيسرت أسباب حركته في البحر وكان

ملك الهند قد بعث أيضاً من عنده رسولا الى الخليفة وهو الشيخ رجب البرقي أحد شيوخ
الصوفية وأصله من مدينة القرم من سحره قبحي وبعث معه هدايا للخليفة منها حجر ياقوت
قيمته خمسون ألف دينار وكتب له يطلب منه أن يعقد له النيابة عنه ببلاد الهند والسند
ويبعث لها سواهم من يظهر له هكذا نص عليه كتابه اعتقاد آمنه في الخلافة وحسن نية وكان
للشيخ رجب أخ بديار مصر يدعي بالامير سيف الدين الكاشف فلما وصل رجب الى
الخليفة أبي أن يقرأ الكتاب ويقبل الهدية الا بمحض الملك الصالح اسماعيل ابن الملك
الناصر فأشار سيف الدين على أخيه رجب ببيع الحجر فباعه واشترى بثمنه وهو ثلاثمائة
الف درهم أربعة أحجار وحضر بين يدي الملك الصالح ودفع له الكتاب وأحد الاحجار
ودفع سائر الامرانة واتفقوا على أن يكتب الملك الهند بما طلبه فوجهوا الشهود الى
الخليفة وأشهدوا على نفسه أنه قدمه نائباً عنه ببلاد الهند وما يليها وبعث الملك الصالح رسولا من
قبله وهو شيخ الشيوخ بمصر ركن الدين المعجمي ومعه الشيخ رجب وجاعة من الصوفية
وركبوا بحر فارس من الابل الى هرمز وسلطانها يومئذ قطب الدين تقي بن طوران شاه
فأكرم ميثواهم وجهازهم مركبا الى بلاد الهند فوصلوا مدينة كنيات والشيخ سعيد بها
وأمرها يومئذ مقبول التمسكي أحد خواص ملك الهند فاجتمع الشيخ رجب بهذا الامير
وقال له ان الشيخ سعيد انما جاءكم بالتزوير والخلع التي ساقها انما اشتراها بعدن فينبغي
أن تتفقوه وتبعثوه لحو ند عالم وهو السلطان فقال له الامير الشيخ سعيد معظم عند السلطان
فما يفعل به هذا الابامر وليكني أبعثه معكم ليرى فيه السلطان رأيه وكتب الامير بذلك
كله الى السلطان وكتب به أيضاً صاحب الاخبار فوقع في نفس السلطان تغير وانهض عن
الشيخ رجب لكونه تكلم بذلك على رؤس الاشهاد بعد ما صدر من السلطان للشيخ سعيد
من الاكرام ما صدر ففتح رجبا من الدخول عليه وزاد في اكرام الشيخ سعيد ولم يدخله
شيخ الشيوخ على السلطان قام اليه وعانقه وأكرمه وكان متى دخل اليه يقوم له وبقى الشيخ
سعيد المذكور بارض الهند معظما مكرما وبها تركة سنة ثمان وأربعين وكان بمكة أيام
مجاورتي بها حسن المغربي المجنون وأمره غريب وشأنه عجيب وكان قبل ذلك صحيح العقل

خديع الولي الله تعالى نجم الدين الاصماني أيام حياته

﴿حكايته﴾ كان حسن الخجون كثير الطواف بالليل وكان يرى في طوافه بالليل فقير
يكثّر الطواف ولا يرام بالنهار فلقبه ذلك الفقير ليلة وسأله عن حاله وقال له يا حسن أرا منك
شيء عليك وهي مشاةة لي رؤيتك وكانت من أمام الله الصالحات أتتجب أن تراها قال له نعم
ولكني لا قدرت لي على ذلك فقال له نجتمع ههنا في الليلة المقبلة أن شاء الله تعالى فلما كانت
الليلة المقبلة وهي ليلة الجمعة وجده حيث واعدته فطافا بالبيت ماشاء الله ثم خرج وهو في أثره
إلى باب المملوك فنادى أن يسد عينيه ويمسك بثوبه ففعل ذلك ثم قال بعد ساعة أتعرف بلدك
قال نعم قل هاهو هذا ففتح عينيه فاذا به على دار أمه فدخل سابها ولم يعلمها بشيء مما جرى
وأقام عنده نصف شهر وأظن أن بلده مدينة أسفى ثم خرج إلى الحياة فوجدنا فقير
صاحبه فقال له كيف أنت فقال ياسيدي انى اشتقت إلى رؤيتك الشيخ نجم الدين وكنت
خرجت على عادتي وغبت عنه هذه الايام واحب ان تدني الي قتله نعم وواعدته الحياة
ليلا فلما اوقام به امره ان يفعل كفه في مكة شرفه الله من تعويض عينيه والامسك بذيله
ففعل ذلك فاذا به في مكة شرفها الله وأوصاه ان لا يحدث نجم الدين بشيء مما جرى ولا يحدث
به غيره فلما دخل إلى نجم الدين قال له أين كنت يا حسن في غيبك فأنى أن يخبره فغزم عليه
فأخبره بالحكاية فقال أرني الرجل فأتى به ليلا وأتى الرجل على عادته فلما امر به ما قال له
ياسيدي هو هذا فسمعه الرجل فضرب بيده على فمه وقال أسكت أسكتك الله فخرس لسانه
وذهب عقله وبقى بالحرم وطاف بالليل والنهار من غير وضوء ولا صلاة واناس
يتبركون به ونهونه واذا جاع خرج إلى السوق إلى بين النسيان والمرونة تصدخون تامن
الحوانيت فأتى كل منهما ما احب لا يصد أحد ولا يمنعه بل يسر كل من أكل له شيئا وتظهر له
البركة والناس في بيعه ورجحه ومضى إلى السوق تطاولها بابا عناقهم اليه كل منهم يحرس
على أن يأكل من عنده ما جربوه من بركته وكذلك فعله مع السقائين متى أحب أن يشرب
ولم يزل دأبه كذلك إلى سنة ثمان وعشرين ففج فيها الأمير سيف الدين يملك فاستدعيه
فجاءه إلى ديار مصر فاقطع خبره ففزع الله تعالى به

﴿ذكر عادة أهل مكة في صلواتهم ووضعتهم﴾

فمن عادتهم أن يصلي أول الأئمة امام الشافعية وهو المقدم من قبل أولى الامر وصلاته خلف
المقام الكريم مقام إبراهيم الخليل عليه السلام في حطيم له هنالك بديع وجهه والناس بمكة
على مذهبه والخطيب خشبتان موصول ما بينهما باذرع شبه السلم تقابلها خشبتان على
صفتها وقدها تدت على أرجل محصصة وعرض على أعلى الخشب خشبة أخرى فيها
خطاطيف حديد يعلق منها قناديل زجاج فاذا صلى الامام الشافعي صلى بعده امام المالكية في
محراب قبالة الركن اليماني ويصلي امام الحنابلة معه في وقت واحد مقابلا ما بين الحجر
الاسود والركن اليماني ثم يصلي امام الحنفية قبال الميزاب المكرم تحت حطيم له هنالك
ويوضع بين ايدي الأئمة في محاريبهم الشمع وترتيبهم هكذا في الصلوات الاربع وأما صلاة
المغرب فانهم يصلونها في وقت واحد كل امام يصلي بطاقتة ويدخل على الناس من ذلك سهو
وتخليط فربما ركع المالكي ركوع الشافعي وسجد الحنفي بسجود الحنبلي وتراهم مصيحين
كل واحد الى صوت المؤذن الذي يسمع طاقته لئلا يدخل عليه السهو

﴿ذكر عادتهم في الخطبة وصلاة الجمعة﴾

وعادتهم في يوم الجمعة أن يلقى المنبر المبارك الى صفح الكعبة الشريفه فباين الحجر لاسود
والركن العراقي ويكون الخطيب مستقبلا المقام الكريم فاذا خرج الخطيب أقبل لابس ثوب
سواد معتا بعمامة سوداء وعليه طيات اسود كل ذلك من كسوة الملك الناصر وعليه
الوقار والسكينة وهو يتهدى بين رابتين سوداوين تمسكهما جلالان من المؤذنين وبين
يديه أحد القومة في يده الفرقة وهي عود في طرفه جلد رقيق مفتول ينفذه في الهواء فيسمع
له صوت عال يسمعه من بداخل الحرم وخارجيه فيكون اعلاما يخرج الخطيب ولا يزال
كذلك الي ان يقرب من المنبر فيقبل الحجر الاسود ويدعو عنده ثم يقصد المنبر والمؤذن
الزمزمي وهو رئيس المؤذنين بين يديه لابس الاسوداود على عاتقه السيف بمسكاله يده
او تركز الرايات عن جانبي المنبر فاذا صعد أول درج من درج المنبر قلده المؤذن السيف
فيضرب به السيف ضربة في الدرج يسمعها الحاضرين ثم يضرب في الدرج الثاني ضربة

ثم في الثالث أخرى فإذا استوي في عاليا الدرجات ضرب ضربة رابعة ووقف داعيا بدعاء
 خفي مستقبل الكعبة ثم يقبل على الناس فيسلم عن يمينه وشماله ويرد عليه الناس ثم يقدم
 ويؤذن المؤذنون في أعلى قبة زمزم في حين واحد فإذا فرغ الأذان خطب الخطيب خطبة
 يكثرهما من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ويقول في أثناءها اللهم صل على محمد وعلى
 آل محمد ما طاف بهذا البيت طائف ويشير بإصبعه إلى البيت الكريم اللهم صل على محمد وعلى
 آل محمد ما وقف بمرفة وأقف ويرضى عن الخلفاء الأربعة وعن سائر الصحابة وعن عمي
 النبي صلى الله عليه وسلم وسبطيه وأمهما وخريجة جدتهما على جميعهم السلام ثم يدعو
 للملك الناصر ثم للسلطان المجاهد نور الدين علي بن الملك المؤيد داود بن الملك المظفر
 يوسف بن علي بن رسول ثم يدعو للسيد الشريفين الحسينين أمير مكي سيف الدين
 عطيفة وهو أمير الأخوين ويقدم اسمه لعدله واسد الدين رميته أبي نجي بن أبي سعد
 ابن علي بن قسادة وقد دعا السلطان العراقي مرة ثم قطع ذلك فإذا فرغ من خطبته صلى
 وانصرف والرايتان عن يمينه وشماله وانفرقة أمامه اشعارا بانقضاء الصلاة ثم يعاد المنبر إلى
 مكانه أزاء المقام الكريم

﴿ذكر عاداتهم في استهلال الشهور﴾

وعاداتهم في ذلك أن يأتي أمير مكة في أول يوم من الشهر وقواده يحفون به وهو لا لبس البياض
 معتم متقدس يفاو عليه السكينة والوقار فيصلى عند المقام الكريم ركعتين ثم يقبل الحجر
 ويشرع في طواف أسبوع ورئيس المؤذنين على أعلى قبة زمزم فمذ ما يكمل الأمير شوطا
 واحدا ويقصد الحجر لتقبيله يندفع رئيس المؤذنين بالدعاء له التهنية بدخول الشهر رافعا
 بذلك صوته ثم يذكر شعرافي مدحه ومدح سلفه الكريم ويقول به هكذا في السبعة اشواط
 فإذا فرغ منها ركع عند الملتزم ركعتين ثم ركع خلف المقام أيضا ركعتين ثم انصرف ومثل
 هذا سواء يفعل إذا أراد سفر أو إذا قدم من سفر أيضا

﴿ذكر عاداتهم في شهر رجب﴾

وإذا هلك هلال رجب أمر أمير مكة بضرب الطبول والبوقات اشعارا بدخول الشهر ثم

يخرج في أول يوم منه وأكبوا معه أهل مكة فرسانا ورجالا على ترتيب عجيب وكلهم بالساحة يلعبون بين يديه والفرسان يجولون وبحرون والرجالة يتواثبون ويرمون بحراهم أي الهواوي بالقفونها والامير ربيعة والامير عطيفة معهما أولادها وقوادهما مثل محمد بن ابراهيم وعلي وأحمد ابني صييح وعلي بن يوسف وشداد بن عمرو وعامر الشرة ومنصور ابن عمرو وموسى المزرق وغيرهم من كبار أولاد الحسن ووجود القواد بين أيديهم الرايات والطبول والساداب وعليهم السكينة والقارو يسرون حتى يتهون إلى الميقات ثم يأخذون في الرجوع على مهود ترتيبهم إلى المسجد الحرام فيطوف الامير بالبيت والمؤذن الزمعي باغزقة زمزم بدعوله عند كل شوط على ما ذكرناه من عادته فاذا طاف صلى ركعتين عند المزمزم وصلى عند المقام وتمسح به وخرج إلى المسمى فسمى راكبا والقواد يحفون به والحراية بين يديه ثم يسير إلى منزله وهذا اليوم عندهم عيد من الاعياد ويلبسون فيه أحسن الثياب ويتنافسون في ذلك ﴿ذكر عمره رجب﴾

وأهل مكة يحتفلون بعمرة رجب الاحتفال الذي لا يهدونه له رضى متصلة ليلاتها وأوقات الشهور ركله معمورة بالعبادة وخصوصاً أول يوم منه ويوم خمسة عشر والسابع والعشرين فانهم يستعدون لما قبل ذلك بأيام شاهدتهم في ليلة السابع والعشرين منه وشوارع مكة قد غصت بالهوادج عليها كساء الحرير والكتان الرقيق كالأحذية بقدر استطاعتهم والجمال مزينة مقلدة بقلائد الحرير واستار الهوادج ضافية تكاد تملأ الأرض فهي كالقباب المضروبة ويخرجون إلى ميقات التثمين فتسيل أباطح مكة بلك الهوادج والتبر أن مشلة يجتدي الطريق والشمع والمشاغل امام الهوادج والخيال تحجب بصداها اهلل المهاين فترق النفوس وتهمل الدموع فاذا قضاوا العمرة وطافوا بالبيت خرجوا إلى النسي بين الصفوف المروية بعد مضى شيء من الليل والمشي متقد السرج غاص بالناس والساعات في هواجسهم والمسجد الحرام يتلأل أنواراً وهم يدعون هذه العمرة بالعمرة الاكمية لانهم يجرمون بها من اكفة امام مسجد عائشة رضي الله عنها فمقدار غلوة على مقربة من المسجد المنسوب إلى علي رضي الله عنه والاصل في هذه العمرة أن عبد الله بن الزبير

رضي الله عنهما سافر غ من بناء الكعبة المقدسة خرج اشياخا فاعتمر او معه أهل مكة
 وذلك في اليوم السابع والعشرين من رجب وانتهى الى الاكمة فاحرم منها وجعل طريقه
 على تبة الحجون الى المعلى من حيث دخل المسلمون يوم الفتح فبقيت تلك الحجرة سنة عند
 أهل مكة الى هذا العهد وكان يوم عبد الله مذكور أهدى فيه بدنا كثيرا اهدى اشرف
 مكة وأهل الاستطاعة منهم واقاموا اياما يطعمون ويعطون شكرا لله تعالى على ما وهبهم
 من اليسير والمعونة في بناء بيته الكريم على الافة التي كان عليهم في أيام الخليل صلوات الله
 عليه ثم لما قبل ابن الزبير نقض الحجاج الكعبة وردّها الى بنائها في عهد قريش وكانوا
 قد اقتصروا في بنائها وأبقاها رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك لحديث عن عدهم
 ما لكفر ثم أراد الخليفة أبو جعفر المنصور ان يعيدها الى بناء ابن الزبير فنهاه مالك رحمه الله
 عن ذلك وقال يا أمير المؤمنين لا تجمل البيت الملة للملوك متى أراد أحد حدهم أن يغيره فقل
 فتركه على حاله سنة دالة نريسة وأهل الجهات الموالية لمكة مثل بجيلة وزهران وغمد
 يبذرون الخضر وورعمة رجب ويحبون الى مكة الحبوب والسمن والعسل والزبيب
 والزيت والولوز فترخص الاسعار بمكة ويرغ غيش أهلها وتمتعهم المرافق ولولا أهل هذه
 البلاد لكان أهل مكة في شظف من العيش ويذكرونهم متى أقاموا ببلادهم ولم يأتوا بهذه
 الميرة أجديت بلادهم ووقع الموت في مواشيهم ومتى أوصلوا الميرة أخصبت بلادهم
 وظهرت فيها البركة وانت أموالهم فقام اذا كان وقت ميرتهم وأدركهم كسل عنها اجتهت
 نسائهم فاخرجتهم وهذا من لطائف صنع الله تعالى وعنايته ببلده الامين وبلاد السرو
 التي يسكنها بجيلة وزهران ونمذ وسواهم من القبائل مخضبة كثيرة الاعناب وافرة الغلات
 وأهلها فصحاء الاسن لهم صدقنية وحسن اعتقاد وهم اذا طافوا بالكعبة يتطارحون
 عليها لا تدين بحوارها متعلقين باستارها داعين بادية تصعد رقبها القلوب وتدمع العيون
 الجامدة فترمي الناس حولهم باسطي أيديهم وؤمنين على أديعتهم ولا يتكلم اغيرهم الطواف
 معهم ولا استلام الحجر لتزاحمهم على ذلك وهم شجمان انجاد ولباسهم الجلود واذ اردوا
 مكة هابت اعراب الطريق فقدمهم ونحبوا اعتراضهم ومن صحبهم من الزوار حمد صحبهم

وذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكرهم وأنهي عليهم أن يراو قال علموهم الصلاة بعد ما ركم الدعاء وكفاهم شرفادخولهم في عمرو قوله صلى الله عليه وسلم الايمان بمان والحكمة بمانية وذكر ان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما كان يحري وقت طوافهم ويدخل في جملتهم تبركاً بدعائهم وشأنهم بحبيب كله وقد جاء في أثر زاحموهم في الطواف فان الرحمة تنصب عليهم صبا

﴿ذكر عاداتهم في ليلة النصف من شعبان﴾

وهذه الليلة من الليالي العظيمة عند أهل مكة يادرون فيه إلى أعمال البر من الطواف والصلاة جماعات وأفذاذوا الأعمار ويحتمون في المسجد الحرام جماعات ليل جماعة امامهم يوقدون السرج والمصابيح والمشاعل ويقابل ذلك ضوء القمر يتسلاً الأرض والسماء نوراً ويصلون مائة ركعة يقرؤن في كل ركعة بأم القرآن وسورة الاخلاص يكررونها عشرة أو بعض النان يصلون في الحجر منقردين وبعضهم يطوفون بالبيت الشريف وبعضهم قد خرجوا للاعتبار

﴿ذكر عاداتهم في شهر رمضان المعظم﴾

واذا أهل هلال رمضان تضرب الطبول والنداب عند أمير مكة ويقع الاحتفال بالمسجد الحرام من تجديد الحصر وتكثير الشمع والمشاعل حتى يتلاً الحرم نوراً ويسطع بهجة واشراقاً وتفرق الأئمة فرقا وهم الشافعية والحنفية والحنابلة والزيدية وأما المالكية فيجتمعون على أربعة من القراءتين أو يوقدون الشمع ولا يبق في الحرم زاوية ولا ناحية الا وفيها قارئ يصل بجماعة فيخرج المسجد لاصوات القراء وترق النفوس وتحضر القلوب وتهمل الاعين ومن الناس من يقتصر على الطواف والصلاة في الحجر متفرداً والشافعية أكثر الأئمة اجتهاداً وعاداتهم انهم اذا اكملوا التراويح المعتادة وهي عشرون ركعة يطوف امامهم وجاعته فاذا فرغ من الاسبوع ضربت الفرقة التي ذكرنا انها تكون بين يدي الخليل يوم الجمعة كأن ذلك اعلماً بالعودة إلى الصلاة ثم يصل ركعتين ثم يطوف أبوعاهكذا الي ان يتم عشرون ركعة أخرى ثم يصلون الشفع والوتر

وينصرفون وسائر الائمة لا يزيدون على العادة شيئا واذا كان وقت السجود يتولى المؤذن
 التزمي التمجيري في الصومعة التي بالركن الشرقي من الحرم فيقوم داعيا ومذكرا ومحرضا
 على السجود والمؤذنون في سائر الصوامع فاذا تكلم أحد منهم أجابه صاحبه وقد نصبت في
 أعلى كل صومعة خشبة على رأسها عود معترض قد علق فيه قنديلان من الزجاج كبيران
 يقدان فاذا قرب العجر ووقع الايدان بالقطع مرة بعد مرة حط القنديلان وابتدأ
 المؤذنون بالاذان وأجاب بعضهم بعضا ولديار مكة شرقها الله سطوح فن بعدت دار بحيث
 لا يسمع الاذان يبصر القنديلان كورين فيتمسجر حتى اذا لم يبصرهما انزع عن الاكل
 وفي كل ليلة وتر من ليالي العشر الاواخر من رمضان يختمون القرآن ويحضر الختم القاضي
 والفقهاء والكبراء ويكرن الذي يختم بهم احدا ببناء كبراء أهل مكة فاذا ختم نصب له منبر
 مزين بالحرير وأوقد الشمع وخعلب فاذا فرغ من خطبته استمعى أبوه الناس الى منزله
 فاطعمهم الاطعمة الكثيرة والحلاوات وكذلك يصنعون في جميع ليالي الوتر وأعظم تلك
 الليالي عندهم ليلة سبع وعشرين واحتفالهم لها أعظم من احتفالهم لسائر الليالي ويختم
 بها القرآن له ايم خلف المقام الكريم وتقام ازاء حطيم الشافعية خشب عظام توصل بالحطيم
 وتعرض بينها ألواح طوال وتجعل ثلاث طبقات وعليها الشمع وقناديل الزجاج فيكاد
 يغشي الابصار شعاع الانوار ويتقدم الامام فيصلي فريضة العشاء الآخرة ثم يتدي قراءة
 سورة القدر واليه يكون انتهاء قراءة الائمة في الليلة التي قبلها وفي تلك الساعة يسلك جميع
 الائمة عن التراويح تعطى بالحمة المقام ويحضرونها تبركين فيختم الامام في تسليمين ثم
 يقوم خطيبا مسبقا قبل المقام فاذا فرغ من ذلك عاد الائمة الى صلاتهم وانقض الجمع ثم
 يكون الختم ليلة تسع وعشرين في المقام المبكى في منظر مختصر وعن المباهة منزلة
 موقر فيختم ويخطب

﴿ذكر عاداتهم في شوال﴾

وعاداتهم في شوال وهو مفتتح أشهر الحج المعلومات أن يوقدوا المشاعل ليلة استهلاله
 ويسرجون المصابيح والشمع على نحو فعلهم في ليلة سبع وعشرين من رمضان وتوقد

المرج في الصوامع من جميع جهاتها ويوقد. طح الحرم كله وسطح المسجد الذي بالي أبي
قيس ويقم المؤذنون ليأتهم تلك في تهليل وتكبير وتسييح والناس ما بين طواف وصلاة
وذكر ودعاء فاذا صلوا صلاة الصبح أخذوا في أهبة العيد ولبسوا أحسن ثيابهم وبادروا
لأخذ بحالهم بالحرم الشريف وبه يصلون صلاة السيد لانه لا موضع أفضل منه ويكون
أول من يكر الى المسجد الشيبون فيفتحون باب الكعبة المقدسة ويقعد كسبهم في عتبة
وسائرهم بين يديه الي أن يأتي أميرمة فيتلقونه ويطوف بالبيت أسبوعاً والمؤذن الزمزمي
فوق شطع قبة زمزم على العادة رافعا صوته بالتناء عليه ولدعاء له ولاخيه كذا ذكر ثم يأتي
الخطيب بين الرايتين السوداءين والفرقة امامه وهو لا يس السرا فيصلي خلف المقام
الكريم ثم يصعد المنبر ويخطب خطبة بليغة ثم اذا فرغ منها قبل الناس بعضهم على
بعض بالسلام والمصافحة والاستغفار ويقصدون الكعبة الشريفة فيدخلونها أفواجا
ثم يخرجون الي مقبرة باب المعلى تبرك بمن فهم من الصحابة وصدور السلف ثم ينصرفون
﴿ذكر احرام الكعبة﴾

وفي اليوم السابع والعشرين من شهر ذي القعدة تسمر أسرار الكعبة الشريفة زادها الله
تعظيها الي نحو ارتفاع قامة ونصف من جهاتها الاربع صونا لها من الايدي أن تنهبها
ويسمون ذلك احرام الكعبة وهو يوم مشهود بالحرم الشريف ولا تفتح الكعبة المقدسة
من ذلك اليوم حتى تقضي الوقفة بعرفة

﴿ذكر شعائر الحج واعماله﴾

واذا كان في أول يوم شهر ذي الحجة تضرب طبول والدبادب في أوقات الصلوات وبكرة
وعشية أشعاراً بالموسم المبارك ولا تزال كذلك الي يوم الصعود الي عرفات فاذا كان
اليوم السابع من ذي الحجة خطب الخطيب اثر صلاة الظهر خطبة بليغة يعلم الناس فيها
مناسكهم ويعلمهم يوم الوقفة فاذا كان اليوم الثامن بكر الناس بالصعود الي منى وامراء
مصر والشام والعراق وأهل العلم يبيتون تلك الليلة بمنى وتنع المباهة والمفاخرة بين أهل
مصر والشام والعراق في ايقاد الشمع ولكن الفضل في ذلك لاهل الشام دائما فاذا كان

اليوم التاسع رحلوا من منى بعد صلاة الصبح الى عرفة فيمرون في طريقهم بوادي محسر ويبرولون وذلك سنة وادي محسر هو الحد ما بين مزدلفة وبنى ومزدلفة بسيط من الارض فسيح بين جباين وحوله مصانع وصهاريج للماء مما بنته زبيدة ابنة جعفر بن أبي جعفر المتصور زوجة أمير المؤمنين هارون الرشيد وبين منى وعرفة خمسة أميال وكذلك بين منى ومكة أيضاً خمسة أميال وأربعة ثلاثه أسماء وهي عرفة وجمع والمشر الحرام وعرفات بسيط من الارض فسيح افيح تحديق به جبال كثيرة وفي آخر بسيط عرفات جبل الرحمة وفيه الموقف وفيما حوله والعلمان قبله نحو ميل هما الحد ما بين الحل والحرم ومقربة منهم ثم ما يلي عرفة بطن عرنة الذي أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالارتفاع عنه ويجب التحفظ منه ويجب أيضاً الامساك عن النفور حتى يتمكن سقوط الشمس فان الجمالين ربما استحيوا كثيراً من الناس وحذروهم الزحام في القروا واستدروهم الى أن يصلوا بهم بطن عرنة فيبطل حجهم وجبل الرحمة التي ذكرناه قائم في وسط بسيط جمع منقطع عن الحبال وهو من حجارة منقطع بعضها عن بعض وفي أعلاه قبة تنسب الى أم سلمة رضي الله عنها وفي وسطها مسجد يتراحم الناس للصلاة فيه وحوله سطح فسيح يشرف على بسيط عرفات وفي قلبه جدار فيه محاريب منصوبة يصلي فيه الناس وفي أسفل هذا الجبل عن يسار المستقبل للكعبة دار عتيقة البناء تنسب الى آدم عليه السلام ومن يسارها المعشرات التي كان موقف النبي صلى الله عليه وسلم عندها حول ذلك صهاريج وجباب للماء ويمتد منه الموضع الذي يقف فيه الامام ويخطب ويجمع بين الظهر والعصر وعن يسار العلمين للمستقبل أيضاً وادي الارك وبه أراك أخضر يمتد في الارض امتداداً طويلاً وإذا حان وقت النفرا أشار الامام المساكى سيده ونزل عن موقفه فدفع الناس بالنفر دفعة تخرج لها الارض وترجف الجبال فياله موقفة اكرى ما ومشهد اعظميا ترجوا النفوس حسن عقباه وتطامح الآمال الى نفحات رحماء جعلنا الله ممن خصه فيه برضاه وكانت وقفتي الاولى يوم الخميس سنة ست وعشرين وأمر أمير الركب المصري يومئذ أرغون الدوادر نائب الملك الناصر وحجت في تلك السنة ابنة الملك الناصر وهي زوجة أبي بكر بن أرغون

انذكورو حجت فيها زوجة الملك الناصر المسماة بالخوذة وهي بنت السلطان المعظم محمد
 اوزبك ملك الدراوخوارزم وأمير الركب الشامي سيف الدين الجوبان ولسا وقع انفر
 بعد غروب الشمس وصلتا من دافنة عند العشاء الآخرة فصلتاها المغرب والعشاء جمعا
 بينهما حسبا جرت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولسا صلينا الصبح بمن دافنة غدونا
 منها الى مقي بعد ان وقوف والدعاء بالمشعر الحرام ومن دافنة كلهما وقف الاوادي بحسب رقيه
 تقع الرولة حتى يخرج عنه ومن من دافنة يستحب أكثر الناس حصيات الجمار وذلك
 مستحب ومنهم من يلقطها حول مسجد الخيف والامر في ذلك واسع ولما انتهى الناس
 الى مقي بادروا لرمي جرة العقبة ثم نحر واودبحوا ثم حلقوا وحلوا من كل شيء الا النساء
 والطيب حتى يطوفوا طواف الاضائة ورمي هذه الجرة عند طلوع الشمس من يوم النحر
 ولسا رموها توجه أكثر الناس بعد ان ذبحوا وحلقوا الى طواف الاضائة ومنهم من
 أقام الى اليوم الثاني وفي اليوم الثاني رمي الناس عند زوال الشمس بالجرة الاولى سبع
 حصيات وبالسوطي كذلك ووقفوا للدعاء بهاتين الجرتين اقتداء بفعل رسول الله صلى الله
 عليه وسلم ولما كان اليوم الثالث تعجل الناس الانحدار الى مكة شرفها الله بعد أن كل لهم
 رمي تسع وأربعين حصاة وكثير منهم أقام اليوم الثالث بعد يوم النحر حتى رمى
 سبعين حصاة

في ذكر كسوة الكعبة

وفي يوم النحر بعث كسوة الكعبة الشريفة من الركب المصري الى البيت الكريم فوضعت
 في صحنه فلما كان اليوم الثالث بعد يوم النحر أخذ الشيبون في اسبأها ما تلي الكعبة
 الشريفة وهي كسوة سوداء خالصة من الحرير مبطن بالكتان وفي أعلاها طراز مكتوب
 فيه بالياض جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما الآية وفي سائر جهاتها طرز مكتوبة
 بالياض فيها آيات من القرآن وعليها نور لا تخفى مشرق من سوادها ولما اكتمت شمرت
 اذيا لها صوامن أيدي الناس والملك الناصر هو الذي يتولى كسوة الكعبة الكريمة ويثبت
 مرتبات القاضى والخطيب والائمة والمؤذنين والفراشين والقومة وما يحتاج له الحرم

الشريف من الشمع والزيت في كل سنة وفي هذه الايام تفتح الكعبة الشريفة في كل يوم للعراقيين والخراسانيين وسواهم من يعلل مع الركب العراقي وهم يقيمون بمكة بعد سفر الركبين الشامي والمصري اربعة ايام فيكثرون فيها الصدقات على المجاورين وغيرهم ولقد شاهدتهم يطوفون بالحرم ليلافس لقوه في الحرم من المجاورين أو المكيين أعطوه الفضة والنياب وكذلك يعطون للمشاهدين الكعبة الشريفة وربما وجدوا انساناً ثامناً فجللوا في فيه الذهب والفضة حتي يفيق ولما قدمت معهم من العراق سنة ثمان وعشرين فعلموا من ذلك كثير أو أكثر والصدقة حتي رخص سوم الذهب بمكة وانتهى صرف المنقال الى ثمانية عشر درهماً ثمة لكثرة ما تصدقوا به من الذهب وفي هذه السنة ذكر اسم السلطان أبي سعيد ملك العراق على المنبر وقبة زمزم

﴿ ذكر الانفصال عن مكة شرفها الله تعالى ﴾

وفي المو في عشرين ندى الحجة خرجت من مكة بحبة أمير ركب العراقي البهلوان محمد الطويج (سنتين مهملين) وهو من أهل الموصل وكان يلي إمارة الحاج بعد موت الشيخ شهاب الدين قلندر وكان شهاب الدين سخياً فاضلاً عظيم الخرمة عند سلطانة يخلق لحينه وحاجيه على طريقة القاندريّة ولما خرجت من مكة شرفها الله تعالى في حبة الأمير البهلوان المذكور اكرت لي شقة محارة الى بغداد ودفع اجارتها من ماله وأنزلني في جواره وخرجنا بعد طواف الوداع الى بطن مصر في جمع من العراقيين والخراسانيين والفارسيين والاعاجم لا يحصى عديدهم توج بهم الارض موجوا يسرون سير السحاب المتراكمة فنخرج عن الركب لحاجة ولم تكن له علامة يستدل به على موضعه ضل عنه لكثرة الناس وفي هذا الركب تواضع كثيرة لآبناء السبيل يستقون منها الماء وجمال ثرفع الزاد للصدقة ورفع الادوية والاشربة والسكر لمن يصيبه مرض واذا نزل الركب طبخ الطعام في قدور نحاس عظيمة تسمى الدسوت وأطعم منها أبناء السبيل ومن لازاد معه وفي الركب جملة من الجمال يحمل عليها من لا قدرة له على المشي كل ذلك من صدقات السلطان أبي سعيد ومكارمه قال ابن جزي كرم الله هذه الكنية الشريفة فما أعجب أمر

في الكرم وحسبك بمولانا بحر المكارم ورافع رايات الجود الذي هو آية في الندى والفضل
 أمير المسلمين أبي سعيد بن مولا نافع الكنار والآخذ للإسلام بالنار أمير المسلمين أبي
 يوسف قدس الله أرواحهم الكريمة وأبقى الملك في عقبهم الطاهري يوم الدين (رجع)
 وفي هذا الركب الاسوان الحافلة والمرافق العظيمة وأنواع الاطعمة والفواكه وهم
 يسرون بالليل ويوقدون المشاعل امام القطار والمحارات فتري الارض تتألا نورا
 والليل قد عاد نهارا ساطعا ثم رملنا من بطن مرالى عسفان ثم الى خليص ثم رحلنا
 اربع مراحل ونزلنا وادي السمك ثم رحلنا خمسا ونزلنا في بدر وهذه المراحل ثنتان في
 اليوم احدها بماء الصبح والاخرى بالماء ثم رحلنا من بدر فنزلنا الصفراء وأقنا بها
 يوما مستريحين ومنه الى المدينة الشريفة مسيرة ثلاث ثم رحلنا فوصلنا الى طيبة مدينة
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وحصلت لنا زيارة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثانياً وأقنا
 بالمدينة كرمها الله تعالى ستة أيام واستصحبتنا منها الماء لمسيرة ثلاث ورحلنا عنها فنزلنا في
 الثالثة بوادي العروس فنزلنا من الماء من حسيان بحفرون عليها في الارض فينبطون
 ماء عذبا مينا ثم رحلنا من وادي العروس ودخلنا أرض نجد وهو بسيط من الارض مد
 البصر فتسمنا سبعة الطيب الارج ونزلنا بعد اربع مراحل على ماء يعرف بالعسيلة ثم
 رحلنا عنه ونزلنا ماء يعرف بالقرعة فيه آثار مصانع كالصهاريج اعظيمة ثم رحلنا الى ماء
 يعرف بالقارورة وهي مصانع مملوءة بماء المطر بما صنعتهم زينة ابنة جعفر رحمها الله ونهنا
 وهذا الموضع هو وسط أرض نجد فيسبح طيب النسيم يحيط الهواء في التربة معتدل في
 كل فصل ثم رحلنا من القارورة ونزلنا بالحاجر وفيه مصانع ماء يعرف بمخافة فخفر عن
 الماء في الجفار ثم رحلنا ونزلنا مسيرة وهي أرض غائرة في بسيط فيه شبه حصن مسكون
 وماؤها كثير في آبار الا انه زقاق ويأتي عرب تلك الارض بالغنم والسمن واثابن فيبيعون
 ذلك من الحجاج بالثياب الحام ولا يبيعون بسوى ذلك ثم رحلنا ونزلنا بالجيل المحروق
 وهو في بيداء من الارض وفي أعلاه ثقب نافذ تخرقه الرياح ثم رحلنا من الى وادي
 الكروش ولما به ثم اسرنا ليلنا وصبحنا حصن فيدوهو حصن كبير في بسيط من

الأرض يدور به سور وعليه روض وساكنوه عرب يتعيشون مع الحاج في البيع والتجارة
وهناك يترك الحجاج بعض أزوادهم حين وصولهم من العراق إلى مكة شرفها الله تعالى
فإذا عادوا وجدوه وهو نصف الطريق من مكة إلى بغداد ومنه إلى الكوفة مسيرة اثني عشر
يوماً في طريق سهل به المياه في المصانع ومن عادة الركب أن يدخلوا هذا الموضع على تمبثة
وأهبة للحرب أراها بالمرأى مجتمعين هنالك وقطعا لاطمأنتهم عن الركب وهناك أقمنا
أميري العرب وهما قياض وحيار واسمه (بكسر الحاء وفتح الهمزة واء آخر الحروف) وهما
أبناء الأمير مهدي بن عيسى ومنهما من خيل العرب وورجلهم من لا يحصون كثرة فظهر
منهما الحفاظة على الحاج والرحال والحوطة لهم وأني العرب بالجمال والغنم فامتري منهم
الناس ما قدر واعليه ثم رحلنا ونزلنا الموضع المعروف بالاحفر ويشترى باسم العاشين
جبل وبشينة ثم رحلنا ونزلنا بالبيداء ثم أسرىنا ونزلنا زروود وهي بسيط من الأرض
فيه رمال منبهة وبه دور صغير قد ادروه شبه الحصن وهناك ابار ماء ليست بالمسببة ثم
رحلنا ونزلنا التعلية ولما حصن خرب إزائه مصنع هنالك ينزل اليه في درج وبه من ماء لغار
ما يعم الركب ويجمع من العرب بهذا الموضع جمع عظيم فيبيعون الجمال والغنم والسمن
واللبن ومن هذا الموضع إلى الكوفة ثلاث مراحل ثم رحلنا فنزلنا بركة المرجوه وهو
مشهد على الطريق عاياه كوم عظيم من حجارة وكل من مر به رجوه ويذكر أن هذا
المرجوم كان أفضيا سافر مع الركب يريد الحج فوتمت بينه وبين أهل السنة من الأراك
مشاجرة فشب بعض السحابة فتقاود بالحجارة وبهذا الموضع بيوت كثيرة ثم عرب
ويقصده الركب بالسمن واللبن وسوى ذلك وبه مصنع كبير يبيع الركب منه
زيدة رحمة الله عليها وكل مصنع أو بركة أو بئر بهذا الطريق التي بين مكة وبغداد فهي من
كريم آثارها جزاها الله خير أو وفي لها أجرها ولو لا عنايتها هذه الطريق ما انكها أحد
رحلنا ونزلنا موضعا يعرف بالمشقوق فيه مصنعان هما الماء العذب العسافي وأراق الناس
ما كان عندهم من الماء وتزودوا منهما ثم رحلنا ونزلنا موضعا يعرف بالساروف وفيه
مجنى بالماء ثم أسرىنا منه واجرتنا ضحوة زمالة وهي قرية معورة بها قصر

ومصنعان للماء وآبار كثيرة وهي من مناهل هذا الطريق ثم رحلتنا فنزلنا إلى المشيمين وفيه
 • مصنعان للماء ثم رحلتنا فنزلنا دون العقبة المعروفة بعقبة الشيطان وصعدنا العقبة في اليوم
 الثاني وليس بهذا الطريق وعمر سواها على أنها ليست بصعبة ولا طائلة ثم نزلنا موضعاً
 يسمى واقصة فيه قصر كبير ومصانع للماء معمور بالعرب وهو آخر مناهل هذا الطريق
 وليس فيما بعده إلى الكوفة منهل مشهور بالإمشارع ماء الفرات وبه يتلقى كثير من أهل
 الكوفة الحاج ويأتون بالديق والخبز والتمر والقواكه ويهني الناس بعضهم بعضاً بالسلامة ثم
 نزلنا موضعاً يعرف بلورة فيه مصنع كبير للماء ثم نزلنا موضعاً يعرف بالساجد فيه ثلاث
 مصانع ثم نزلنا موضعاً يعرف بمنارة القرون وهي منارة في يدها من الأرض بئنة الارتفاع
 مجللة بقرون الغزلان ولا عمارة حولها ثم نزلنا موضعاً يعرف بالعذيب وهو واد
 محصب عليه عمارة وحوله فلاة خصبة فيها مسرح للبصر ثم نزلنا القادسية حيث كانت
 الوقعة الشهيرة على الفرس التي أظهر الله فيها دين الإسلام وأذل الجوس عبدة النار فلم تقم
 لهم بعدها قائمة واستأصل الله شأفتهم وكان أمير المسلمين يومئذ سعد بن أبي وقاص رضي الله
 عنه وكانت القادسية مدينة عظيمة افتتحها سعد رضي الله عنه وخر بت فلم يبق منها الآن إلا
 مقدار قرية كبيرة وفيها حدائق النخل وبها إمشارع من ماء الفرات ثم رحلتنا منها فنزلنا مدينة
 مشهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالنجف وهي مدينة حسنة في أرض فسيحة صلبة من
 أحسن مدن العراق وأكثرها ناساً وأتمها بناء ولها أسواق حسنة نظيفة دخلناها من باب
 الحضرة فاستقبلنا سوق البقالين والطباخين والحبازين ثم سوق الفاكهة ثم سوق الحياطين
 والقسارية ثم سوق العطارين ثم باب الحضرة حيث القبر الذي يزعمون أنه قبر علي عليه
 السلام وبازائه أندارس والزوايا والخوانق معمورة أحسن عمارة وحيطانها بالقاشاني
 وهو شبه الزليج عندنا لكن لونه أشرق ونقشه أحسن

﴿ ذكر الروضة والقبور التي بها ﴾

ويدخل من باب الحضرة إلى مدرسة عظيمة يسكنها الطلبة والصوفية من الشيعة ولكل

وارد عليها ضيافة ثلاثة أيام من الخبز واللحم والتمر مرتين في اليوم ومن تلك المدرسة
 يدخل الى باب القبة وعلى بابها الحجاب والنقباء والطواشية فعند ما يصل الزائر يقوم اليه
 أحدهم أو جميعهم وذلك على قدر الزائر فيقنون معه على العتبة ويستأذنون له ويقولون
 عن أمركم يا أمير المؤمنين هذا العبد الضعيف يستأذن على دخوله للاروضه العلية فان
 أذنتم له والارجع وان لم يكن أذ اللذلك فأنتم أهل المكارم والسيتر ثم يأمرونه بتقيل
 العتبة وهي من الفضة وكذلك المضادتان ثم يدخل القبة وهي مروشة بأنواع البسط من
 الحرير وسواها وبها قناديل الذهب والفضة منها الكبار والصغار وفي وسط القبة مسطبة
 مربعة مكسوة بالخشب عليه صفايح الذهب المنقوشة المحكة العمل مسمرة بمسامير الفضة
 قد غلبت على الخشب بحيث لا يظهر منه شيء وارتفاعها دون القامة وفوقها ثلاثة من
 القبور يزعمون أن أحدها قبر آدم عليه الصلاة والسلام والثاني قبر نوح عليه الصلاة
 والسلام والثالث قبر علي رضي الله عنه وبين القبور طسوت ذهب وفضة فيها ماء الورد
 والمسك وأنواع الطيب بنفس الزائر يده في ذلك ويدهن به وجهه تبركا وللقبة باب آخر
 عتبة أيضاً من الفضة وعليه ستور من الحرير الملون يقضي الي مسجد مقروش بالبسط
 الحسان مستورة حيطانه وسقفه بستور الحرير وله أربعة أبواب عتبها فضة وعليه ستور
 الحرير وأهل هذه المدينة كلهم رافضية وهذه الروضة ظهرت لها كرامات ثبت بها
 عندهم أن بها قبر علي رضي الله عنه فمنها ان في ليلة السابع والعشرين من رجب وتسمى
 عندهم ليلة الحيا يؤتي الى تلك الروضة بكل مقعد من العراقيين وخراسان وبلاد فارس
 والروم فيجتمع منهم الثلاثون والاربعون ونحو ذلك فإذا كان بعد المشاء الآخرة جعلوا
 فوق الضريح المقدس والناس ينتظرون بياهم وهم ما بين مصل وذاكر وتلك ومشاهد
 للاروضه فإذا مضى من الليل نصفه أو ثلثاه أو نحو ذلك قام الجميع اصحاء من غير سوء وهم
 يقولون لا اله الا الله محمد رسول الله على ولي الله وهذا أمر مستفيض عندهم سمعته من
 الثقات ولم أحضر تلك الليلة لكني رأيت بمدرسة الضياف ثلاثة من الرجال أحدهم
 من أرض الروم والثاني من أصبهان والثالث من خراسان وهم مقعدون فاستخبرتهم على

شأنهم فاخبروني انهم لم يدركوا ليلة الحيا وانهم منتظرون أو انها من عام آخر وهذه الليلة يجتمع لها الناس من البلاد ويقيمون سوقا عظيمة مدة عشرة أيام وليس بهذه المدينة مغرم ولا مكاس ولا وال وانما يحكم عليهم نقيب الاشراف وأهلها تجاريب فرون في الاقطار وهم أهل شجاعة وكرم ولا يضام جارهم صحتهم في الاسفار فخدمت صحتهم لكنهم غلوا في على رضي الله عنه ومن الناس في بلاد العراق وغيرهما من يصيبه المرض فينذر للروضة نذرا اذا برئ ومنهم من يمرض رأسه فيصنع رأسا من ذهب أو فضة ويأتي به الى الروضة فيجعله النقيب في الخزانة وكذلك اليد والرجل وغيرهما من الاعضاء وخزانة الروضة عظيمة فيها من الاموال ما لا يضبط لكثرة

﴿ذكر نقيب الاشراف﴾

ونقيب الاشراف مقدم من ملك العراق ومكانه عنده مكين ومزانه رفيع وله ترتيب الامراء الكبار في سفره وله الاعلام والاطبال وتضرب الطبل بخانة عند بابيه مساء وصباحا واليه حكم هذه المدينة ولا والي بها سواه ولا مغرم فيها للسلطان ولا لغيره وكان النقيب في عهد دخولي اليها نظام الدين حسين بن تاج الدين الآوى نسبة الي بلدة آوة من عراق المعجم أهلها رافضة وكان قبله جماعة على كل واحد منهم بعد صاحبه منهم جلال الدين ابن الفقيه ومنهم قوام الدين بن طاوس ومنهم ناصر الدين مطهر ابن الشريف الصالح شمس الدين محمد الاوهرى من عراق المعجم وهو الآن بارض الهند من ندماء ملكها ومنهم أبو غرة بن سالم بن مهدي بن جاز بن شيحة الحسيني المدني ﴿حكاية﴾

كان الشريف أبو غرة قد غلب عليه في أول أمره العبادة وتعلم العلم واشتهر بذلك وكان ساكنا بالمدينة الشريفة كرمها الله في جوار ابن عمه منصور بن جاز أمير المدينة ثم انه خرج عن المدينة واستوطن العراق وسكن منها بالحلة فأتى النقيب قوام الدين بن طاوس فاتفق أهل العراق على تولية أبي غرة نقابة الاشراف وكتبوا بذلك الى السلطان أبي سعيد فامضاه ونفذه البرليغ وهو الظهير بذلك وبعث له الخلة والاعلام والطبول على عادة النقباء ببلاد العراق فقبلت عليه الدنيا وترك العبادة والزهد وتصرف في الاموال تصرفا

قبيحاً فرفع أمره إلى السلطان فلما علم بذلك أعمل السفر مظهر أنه يريد خراسان قاصداً
 زيارة قبر علي بن موسى الرضي بطوس وكان قصده الفرار فلما أُرقي قبر علي بن موسى قدم
 هرات وهي آخر بلاد خراسان وأعلم أصحابه أنه يريد بلاد الهند فرجع أكثرهم عنه وتجاوز
 هو وأرض خراسان إلى الهند فلما جاز وادي الهند المعروف بذيج آب ضرب طوبوله
 وانفاره فراع ذلك أهل القرى وظنوا أن التتر أتوا للغارة عليهم وأجفلوا إلى المدينة
 المسماة بأوجا وأعلموا أميرها بما سمعوه فركب في عساكره واستعد للحرب وبعث
 الطلائع فرأوا نحو عشرة من الفرسان وجماعة من الرجال والتجار ممن صاحب الشريف
 في طريقه معهم الأطباء والاعلام فسألوهم عن شأنهم ف أخبروهم أن الشريف نقيب
 العراق أتى وافداً على ملك الهند فرجع الطلائع إلى الأمير وأخبروه بكيفية الحال
 فاستضعف عقل الشريف لرفعه العلامات وضره الطبول في غير بلاده ودخل الشريف
 مدينة أوجا وأقامهم مدة تضرب الأطباء على باب داره غدوة وعشيا وكان مولعاً بذلك
 ويذكر أنه كان في أيام نقابته بالعراق تضرب الأطباء على رأسه فإذا أمسك القارعن
 الضرب يقول له زد نقره يا نكار حتى لقب بذلك وكتب صاحب مدينة أوجا إلى ملك الهند
 بخبر الشريف وضره الأطباء بالطريق وعلى باب داره غدوة وعشيا ورفع الاعلام وعادة
 أهل الهند أن لا يرفع علماً ولا يضرب طبلاً إلا من أعطاه الملك ذلك ولا يفعله إلا في السفر
 وأما في حال الإقامة فلا يضرب الطبيل إلا على باب الملك خاصة بخلاف مصر والشام والعراق
 فإن الطبول تضرب على أبواب الأمراء فلما بلغ خبره إلى ملك الهند كره فسله وأنكره
 وفعل في نفسه ثم خرج الأمير إلى حضرة الملك وكان الأمير كشي خن والخان عندهم
 أعظم الأمراء وهو الساكن بلمتان كرمي بلاد الهند وهو عظيم القدر عند ملك الهند
 يدعوهم بالملك لأنه كان ممن أعان أباء السلاطين غياث الدين تغلق شاه على قتال السلاطان ناصر
 الدين خسرو شاه قد قدم على حضرة ملك الهند فخرج الملك إلى لقائه فاتفق أن كان وصول
 الشريف في ذلك اليوم وكان الشريف قد سبق الأمير بامبال وهو على حاله من ضرب
 الأطباء فلم يرعه إلا السلطان في موكبه فتقدم الشريف إلى السلطان فسلم عليه وسأله

السلطان عن حاله وما الذي جاء به فأخبره ومضي السلطان حتى أتى الأمير كشلى خان وعاد إلى حضرته ولم يلتفت إلى الشريف ولا أمر له بالترال ولا غيره وكان الملك عازماً على السفر إلى مدينة دولة أباد وتسمي أيضاً بالكتكة (بفتح الكافين والتاء المملوثة التي بينهما) وتسمي أيضاً بالدوبجر (دوكر) وهي على مسيرة أربعين يوماً من مدينة دهلي حضرة الملك فلما شرع في السفر بعث إلى الشريف بخمسة مائة دينار دراهم وصر فهامن ذهب المغرب مائة وخمسة وعشرون ديناراً وقال لرسوله إليه قل له أن أراد الرجوع إلى بلاده فهذا زاد وإن أراد السفر معنا فهي نفقته بالطريق وإن أراد الإقامة بالحضرة فهي نفقته حتى يرجع فاشتم الشريف لذلك وكان قصده أن يجزل له العطاء كما هي عادته مع أمثاله واختار السفر محبة السلطان وتعلق بالوزير أحمد بن إياس المدعو بخواجه جهان وبذلك ساء الملك وبه يدعو له وبه يدعو سائر الناس فإن من عادتهم أنه متى سمي الملك أحداً باسم مضاف إلى الملك من عماد أو ثقة أو قطب أو باسم مضاف إلى الجهان من صدر وغيره فبذلك يخاطبه الملك وجميع الناس ومن خاطبه بسوي ذلك لزمته العقوبة فتأكدت المودعين الوزير والشريف فأحسن إليه ورفع قدره ولاطف الملك حتى حسن فيه رأيه وأمر له بقرتين من قرى دولة أباد وأمر أن تكون أقامتهما وكان هذا الوزير من أهل الفضل والمروءة ومكارم الأخلاق والمحبة في الغرباء والاحسان إليهم وفعل الخير وأطعمهم الطعام وعمارة الزوايا فأقام الشريف يستقل القريتين ثمانية أعوام وحصل من ذلك مالا عظيماً ثم أراد الخروج فلم يمكنه فانه من خدم السلطان لا يمكنه الخروج إلا بدنه وهو محب في الغرباء فقليل ما يأن لا حدهم في السراح فأراد الفرار من طريق الساحل فرد منه وقدم الحضرة ورغب من الوزير أن يحاول قضية انصرافه فتلطف الوزير في ذلك حتى أذن له السلطان في الخروج عن بلاد الهند واعطاه عشرة آلاف دينار من دراهمهم وصر فهامن ذهب المغرب ألفان وخمسة مائة دينار فأتى بهاني بدره فجعلها تحت فراشه ونام عليها المحبة في الدنانير وفرح بها وخوفه أن يتصل لاحد من اصحابه شيء منها فانه كان بخيلاً فأصابه وجع في جنبه بسبب رقاذه عليها ولم يزل يزايد به وهو أخذ في حركته سفره إلى أن توفي بعد

عشرين يوماً من وصول البصرة إليه وأوصي بذلك المال للشریف حسن الجرائی فتصدق
بجملته على جماعة من الشيعة المقيمين بدھلي من أهل الحجاز والعراق وأهل الهند
لا يورثون بيت المال ولا يترضون لمال الغرباء لا يسألون عنه ولو بلغ مائة عي أن يبلغ
وكذلك السودان لا يترضون لمال الأبيض ولا يأخذونه انما يكون عند الكبار من
أصحابه حتي يأتي مستحقه وهذا الشریف أبو غرة له أخ اسمه قاسم سكن غرناطة مدة وبها
تزوج بنت الشریف أبي عبد الله بن ابراهيم الشهير بالمكي ثم انتقل الى جبل طارق فسكنه
الى ان استشهد بوادي كربة من انظار الجزيرة الخضراء وكان بهمة من اليهم لا يصطلي بناؤه
خرق المعتاد في الشجاعة وله فيها أخبار شهيرة عند الناس وترك ولدين هما في كفالتهما
الشریف الفاضل أبي عبد الله محمد بن أبي القاسم بن نفيس الحسيني الكر بلائي الشهير ببلاط
المغرب بالمرأقي وكان تزوج أمهما بعد موت أبيهما وحو محسن لهما جزاء الله خيراً
ولما تحصلت انا زيارة أمير المؤمنين علي عليه السلام لام سافر الركب الي بغداد وسافرت الى
البصرة بحبة رفيقة كبيرة من عرب خفاجة وهم أهل تلك البلاد ولهم شوكة عظيمة وبأس
شديد ولا سبيل للسفر في تلك الاقطار الا في محبتهم فاكترت جماعتي بدار مير تلك القافلة
شامرين دراج الخفاجي وخرجننا من مدهد على غاية السلام فنزلنا الخور في موضع سكني
النعمان بن المنذر وآبائه من ملوك بني ماء السماء وبه عمارة وبقايا قباب ضخمة في فضاء فسيح
على نهر يخرج من الفرات ثم رحلتنا عنه فنزلنا موضعاً يعرف بقائم الوثاق وبه أثر قرية خربة
ومسجد خرب لم يبق منه الا صومته ثم رحلتنا عنه آخذين مع جانب الفرات بالموضع
المعروف بالمدار وهو غابة قصب في وسط الماء يسكنها اعراب يعرفون بالمعادي وهم
قطاع الطريق رافضية المذهب خرجوا على جماعة من الفقراء تأخروا عن رفقتنا فسلموهم
حتي المال والكشاكل وهم يتحصنون بتلك الغابة ويمتنعون بها من يريدهم والسباع بها
كثيرة ورحلتنا مع هذا المدار ثلاث مراحل ثم وصلنا مدينة واسط

﴿مدينة واسط﴾

وهي حسنة الاقطار كثيرة الساتين والاشجار بها اعلام يهوى الخير شاهد هم وهم سديهم

الاعتبار مشاهدتهم وأهلهم من خيار أهل العراق بل هم خبرهم على الإطلاق أكثرهم يحفظون القرآن الكريم ويحيدون تجويده بالقراءة الصحيحة واليه يأتى أهل بلاد العراق برسم تعلم ذلك وكان في القافلة التي وصلنا فيها جماعة من الناس أتوا برسم تجويد القرآن على من بهما من الشيخ وخوهم مدرسة عظيمة حافلة فيها نحو ثلاثمائة خلوّة نزلها الغرباء القادمون لتعلم القرآن عندها الشيخ تقي الدين عبدالحسن الواسطي وهو من كبار أهلها وفقهائها ويمطى لكل متعلم بها كسوة في السنة ويجرى له نفقته في كل يوم ويقدم هو وأخواته وأصحابه لتعليم القرآن بالمدرسة وقد لقيته وأضافني وزودني تمرًا ودراهم ولما نزلنا مدينة واسط أقامت القافلة ثلاثًا بخارجها للتجارة فسنح لي زيارة قبر الولي أبي العباس أحمد الرافعي وهو بقرية تعرف بأمة عيدة على مسيرة يوم من واسط فطلبت من الشيخ تقي الدين أن يبعث معي من يوصاني إليها فبعث معي ثلاثة من عرب بني أسد وهم قطن تلك الجهة وأركني فرسًا له وخرجت ظهر آفتت تلك الليلة بمحوش بني أسد ووصلنا في ظهر اليوم الثاني إلى الرواق وهو رباط عظيم فيه آلاف من الفقراء وصادقنا به قدوم الشيخ أحمد وقد وجك حفيد ولي الله أبي العباس الرافعي الذي قصدنا زيارته وقد قسم من موضع سكناءه من بلاد الروم برسم زيارة قبر جده والبه انتهت الشياخة بالرافق ولما انقضت صلاة العصر ضربت الطبول والدقوف وأخذ الفقراء في الرقص ثم صلوا المغرب وقدموا السماط وهو خبز الأرز والسماك واللبن والتمر فأكل الناس ثم صلوا العشاء الآخرة وأخذوا في الذكر والشيخ أحمد قاعد على سجادة جده المذكور ثم أخذوا في السماع وقد أعدوا أحلاما من الحطب فأحججوها نارًا ودخلوا في وسطها يرقصون ومنهم من تفرغ فيها ومنهم من يأكلها بضمه حتى أطفؤا هاجمًا وهذا أبهم وهذه الطائفة الأحمدية مخصوصون بهذا وفيهم من يأخذ الحية العظيمة فيض بأسنانها على رأسها حتى يقطعها

﴿حكاية﴾

كنت مررت بموضع يقال له أفقانبور من عمالة هزارا مروها وبينها وبين دهلي حضرة الهند مسيرة خمس وقد نزلنا بها على نهر يعرف بنهر السرور وذلك في أوان الشكال والشكال عندهم هو المطر وينزل في أبان القيظ وكان السيل يتحدر في هذا أشهر من جبال

قراجيل فكل من يشرب منه من انسان أو بهيمة يموت لسزول المطر على الحشائش المسمومة فأقنع على النهر أربعة أيام لا يقربه أحد ووصل الى هنالك جماعة من الفقراء في أعناقهم أطواق الحديد وفي أيديهم وكبيرهم رجل أسود حالك اللون وههم من الطائفة المعروفة بالحيدرية فباتوا عند ناليلة وطلب مني كبيرهم أن آتيه بالحطب ليقوده عند رقصهم فكلفت والى تلك الجهة وهو عن يمين المعروف بالخمار وسألتني ذكره أن يأتني بالحطب فوجه منه نحو عشرة أحمال فأضرموا فيه النار بعد صلاة العشاء الآخرة حتى صارت جمر او اخذوا في السماع ثم دخلوا في تلك النار فسالوا برقصون ويتمرغون فيها وطلب مني كبيرهم قيصاً فأعطيته قيصافى النهاية من الرقة فلبسه وجعل يتمرغ به في النار ويضرها بأكمامه حتى طفت تلك النار وخذت وجاء الي بالقميص والنار لم توتر فيه شيئاً البتة فطال عجبى منه ولما حصلت لى زيارة الشيخ أبي العباس الرفاعي نفع الله به عدت الى مدينة واسط فوجدت الرقة التي كنت فيها قد رحلت فلحقته في الطريق ونزلنا ماء يعرف بالحضيب ثم رحلنا ونزلنا بوادي الكراع وليس به ماء ثم رحلنا ونزلنا موضعاً يعرف بالمشير ثم رحلنا منه ونزلنا بالقرب من البصرة ثم رحلنا فدخلنا ضحوة النهار الى مدينة البصرة

✽ مدينة البصرة ✽

فزلنا بهار باط مالك دينار وكنت رأيت عند قدمي عليهما على نحو ميلين منها بناء عالٍ مثل الحصن فسألت عنه فقيل له هو مسجد علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكانت البصرة من اتساع الخطوة وانفساح الساحة بحيث كان هذا المسجد في وسطها وبينه الآن وبينها ميلان وكذلك بينه وبين السور الاول المحيط بها نحو ذلك فهو متوسط بينهما مدينة البصرة احدى أهمها العراق الشهيرة الذكري في الآفاق الفسيحة الارحاء المؤنقة الافناء ذات البساتين الكثيرة والقواكه الانسية توفرقسمها من النضارة والحضب لما كانت مجمع البحرين الاجاج والاعذب وليس في الدنيا أكثر نخلا منها في باع التمر في سوقها بحساب أربعة عشرة رطلاً عراقيه بدرهم ودرهمهم ثلث النقرة ولقد بعثت الى قاضيها حجة الدين بهوصرة تمر يحملها الرجل على تكلف فأردت بيعها في بيت بدسعة دراهم أخذ الخصال

منها ثلثها عن أجرة حملها من المنزل الى السوق ويصنع بها من التمر غسل يسمى السيلان وهو طيب كأنه الجلاب والبصرة ثلاث محلات احداها محلة هذيل وكبيرها الشيخ الفاضل علاء الدين بن الاثير من الكرماء الفضلاء أضافني وبعث الي ثياب ودراهم والمحلة الثانية محلة بني حرام كبيرها السيد الشريف محمد الدين موسى الحسيني ذو مكارم وفواضل أضافني وبعث الي التمر والسيلان والدرهم والمحلة الثالثة محلة المعجم كبيرها جمال الدين ابن اللوكي واهل البصرة لهم مكارم أخلاق وايتاس للغريب وقيام بحقه فلا يستوحش فيما بينهم غريب وهم يصلون الجمعة في مسجد أمير المؤمنين على رضى الله عنه الذي ذكرته ثم يسد فلا يتونه الا في الجمعة وهذا المسجد من أحسن المساجد وصحته متناهى الانفساح مفروش بالحصى الحمراء التي يؤتي بها من وادي السباع وفيه المصحف الكريم الذي كان عثمان رضى الله عنه يقرأ فيه لما قتل وأثر تغيير الدم في اورقة التي فيها قوله تعالى (فسيكفكهم الله وهو السميع العليم)

(حكاية استبار)

شهدت مرة بهذا المسجد صلاة الجمعة فلما قام الخطيب به الى الخطبة وسردها نحن فيها الحنا كثير اجليا فعجبت من أمره وذلك للقاضي حجة الدين فقال لي ان هذا البلد لم يبق به من يعرف شيئا من علم النحو وهذه عبرة لمن تفكر فيها سبحانه مغير الاشياء ومقلب الامور هذه البصرة التي الى اهلها انتهت رياسة النحو وفيها أصله وفرعه ومن اهلها امامه الذي لا يذكر سبقه لا يقيم خطيبها خطبة الجمعة على دونه عليها ولهذا المسجد سبع صوامع احداها الصومعة التي تحرك بزعمهم عند ذكر علي بن أبي طالب رضى الله عنه صعدت اليها من أعلى سطح المسجد ومي بعض اهل البصرة فوجدت في ركن من أركانها مقبض خشب مسمران فيها كأنه مقبض مملسة البناء فجعل الرجل اندي كان معي يده في ذلك المقبض وقال بحق رأس أمير المؤمنين على رضى الله عنه تحركي وهن المقبض فتحركت الصومعة فجعلت أنا يدي في المقبض وقالت له وأنا أقول بحق رأس أبي بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم تحركي وهن المقبض فتحركت الصومعة فمجبوا من ذلك وأهل البصرة على مذهب السنة والجماعة ولا يخاف من يفعل مثل فعلهم ولو جرى مثل هذا لم يشهد على

أو مشهد الحسين أو بالحلة أو بالبحرين أو قم أو قاشان أو ساوة أو آوة أو طوس لهلك
 فاعله لانهم رافضة غالية قال ابن جزي قد عانيت بمدينة برشانة من وادي المتصورة من بلاد
 الاندلس حاضها الله صومعة متهم من غير أن يذكر لها أحد من الخلفاء أو سواهم وهي
 صومعة المسجد الاعظم بها وبناؤها ليس بالقديم وهي كأحسن ما أنت راء من الصوامع
 حسن منظر واعتدالها وارتفاعها لا يزال فيها ولا يزال صعدت اليها مرة ومعي جماعة من
 الناس فأخذ بعض من كان معي بجوانب جامورها وحزوها فاهتزت حتى أشرت اليهم أن
 يكفوا فكفوا عن هذا (رجع)

ذكر المشاهد المباركة بالبصرة

فمنها مشهد طاعة بن عبيد الله أحد العشرة رضي الله عنهم وهو بداخل المدينة وعليه قبة
 ومسجد وزاوية فيه الطعام لاوارد الصادر وأهل البصرة يعظمونه تعظيماً شديداً وحق
 له ومنها مشهد الزبير بن العوام حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته رضي الله
 عنهم ما هو بخارج البصرة ولا قبة عليه وله مسجد وزاوية فيها الطعام لا بناء السبيل ومنها
 قبر حليمة السعدية أم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاعة رضي الله عنها والى جانبها
 قبر ابنها رضيع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنها قبر أبي بكره صاحب رسول الله صلى الله
 عليه وسلم وعليه قبة وعلى ستة أميال منها بقرب وادي السباع قبر أنس بن مالك خادم رسول
 الله صلى الله عليه وسلم ولا سبيل لزيارته الا في جمع كشف لكثرة السباع وعدم العمران
 ومنها قبر الحسن بن أبي الحسن البصري سيد التابعين رضي الله عنه ومنها قبر محمد بن
 سيرين رضي الله عنه ومنها قبر محمد بن واسع رضي الله عنه ومنها قبر عتبة الغلام رضي الله
 عنه ومنها قبر مالك بن دينار رضي الله عنه ومنها قبر حبيب المعجمي رضي الله عنه ومنها
 قبر سهل بن عبد الله التستري رضي الله عنه وعلى كل قبر منها قبة مكتوب فيها اسم صاحب
 القبر ووفاته وذلك كله داخل السور القديم وهي اليوم بينها وبين البلد نحو ثلاثة أميال
 وبها سوى ذلك قبور الجمل الغفير من الصحابة والتابعين المستشهدين يوم الجمل وكان أمير
 البصرة حين ورودى عليها يسمي بركن الدين المعجمي التوريزي فأضافني فأحسن الى

والبصرة على ساحل الفرات والدجلة وبها المد والجزر كمثل ماهو بوادي سلا من بلاد المغرب وسواه والخليج المالح الخارج من بحر فارس على عشرة أميال منها فإذا كان المد غلب الماء المالح على العذب وإذا كان الجزر غلب الماء الحلو على المالح فيستقي أهل البصرة الماء لدورهم ولذلك يقال إن ماءهم زعاق قال ابن جزي وبسبب ذلك كان هوا البصرة غير جيد وأولان أهلها مصفرة كاسفة حتى ضرب بهم المثل وقال بعض الشعراء وقد أحضرت بين يدي صاحب أترجة

(سريع)

لله أترج غدا ينتنا * معبرا عن حال ذي عبرة
لما كسي الله ثياب الضنا * أهل الهوى وساكني البصرة

(رجع) ثم ركب من ساحل البصرة في صندوق وهو القارب الصغير إلى الابلة وبينها وبين البصرة عشرة أميال في بساتين متصلة ونخيل مظلة عن اليمين واليسار والبيعة في ظلال الأشجار يبيعون الخبز والسمك والتمر واللبن والفواكه وفيها بين البصرة والابلة متعب سهل بن عبد الله التستري فإذا أحاذاه الناس بالسفن تراهم يشربون الماء مما يحاذيه من الوادي ويدعون نند ذلك تبرك بهذا الولي رضي الله عنه والنواة بحرفون في هذه البلاد وهم قيام وكانت الابلة مدينة عظيمة يقصدها تجار الهند وفارس نخر بت وهي الآن قرية بها آثار قصور وغير هادالة على عظمها ثم ركبنا في الخليج الخارج من بحر فارس في مركب صغير لرجل من أهل الابلة يسمى بمغاس وذلك نياما بعد المغرب فصبحنا عبادان وهي قرية كبيرة في سبعة لاعمارة بها فيها مساجد كثيرة ومتعبات ورباطات للصالحين وبينها وبين الساحل ثلاثة أميال قال ابن جزي عبادان كانت بلدأفيا تقدم وهي مجدبة لأزرع بها وإنما يجلب إليها والماء أيضا بها قليل وقد قال فيها بعض الشعراء (سريع)

من مبلغنا أندلسا انني * حلت عبادان أقصى الثرا
أوحش ما أبصرت لكفني * قصدت فيها ذكرها في الوري
الخبز فيها يتهادونه * وشربة الماء بها تشتري

(رجع) وعلى ساحل البحر منها رابطة تعرف بالنسبة الى الخضر والياس عليهما السلام وبازائها زاوية يسكنها أربعة من الفقراء بأولادهم يخدمون الرابطة والزاوية ويتعيشون من فتوحات الناس وكل من يمر بهم يتصدق عليهم وذكر لي أهل هذه الزاوية ان عبادان عابداً كبير القدر ولا أنيس له يأتي هذا البحر مرة في الشهر فيصطاد فيه ما يقوته شهر آثم لا يرى الا بعد تمام شهر وهو على ذلك منذ أعوام فلما وصلنا عبادان لم يكن لي شأن الا طلبه فاشتغل من كان معي بالصلاة في المساجد والمتعبدات وانطلقت طالباً له فوجدت مسجد آخر بافوجده يصلي فيه فجلست الى جانبه فأوحى في صلاته ولمسلم أخذني يدي وقال لي بلغك الله مرادك في الدنيا والآخرة فقد بلغت بحمد الله مرادي في الدنيا وهو السياحة في الارض وبلغت من ذلك ما لم يبلغه غيري فيها أعلمه وبقيت الاخرى والرجاء قوى في رحمة الله وتجاوزوه وبلغوا المراد من دخول الجنة ولمسأيت أصحابي أخبرتهم خبر الرجل وأعلمتهم بموضعه فذهبوا اليه فلم يجدوه ولا وقعوا له على خير فمجبوا من شأنه وعدنا بالعشي الى الزاوية فبتنا بها ودخل علينا أحد الفقراء الاربعة بعد صلاة العشاء الآخرة ومن عادة ذلك الفقير ان يأتي عبادان كل ليلة فيسرج السرج ساجدها ثم يعود الى زاويته فلما وصل الى عبادان وجد الرجل العابد فأعطاه سمكة طرية وقال له اوصل هذه الى الضيف الذي قدم اليوم فقال لنا الفقير عند دخوله علينا من رأى منكم الشيخ اليوم فقلت له انما رأيت فقال يقول لك هذه ضيافتك فشكرت اني على ذلك وطبخ لنا الفقير تلك السمكة فاكلنا منها أجمعين وما أكلت قط سمكة أطيب منها وحس في خاطري الإقامة بقية العمر في خدمة ذلك الشيخ ثم صرفتني النفس الى الجوج عن ذلك ثم ركبنا البحر منذ الصباح بقصد بلدة ماجول ومن عادتي في سفرى أن لا أعود على طريق سلكتها مالم أكننى ذلك وكنت أحب قصد بغداد العراق فأشار على بعض أهل البصرة بالسفر الى أرض اللور ثم الى عراق المعجم ثم الى عراق العرب فعملت بمقتضى اشارته ووصلنا بعد أربعة أيام الى بلدة ماجول على وزن فاعول وجيمها مقودة وهى صغيرة على ساحل هذا الخليج الذي ذكرناه يخرج من بحر فارس وأرضها سبخة لا شجر فيها ولا نبات ولها سوق عظيمة

من أكبر الاسواق وأقمت بها يوماً واحداً ثم أكرت دابة لركوبي من الذين يحبون
الحبوب من رامز الى ماجول وسرنا ثلاثي صحراء يسكنها الاكراد في بيوت الشعر ويقال
ان أصلهم من العرب ثم وصلنا الى مدينة رامز وأول حروفها (راء) وآخرها زاي وميمها
مكسورة) وهي مدينة حسنة ذات فواكه وأنهار ونزلنا بها عند القاضي حسام الدين
محمود ولقيت عنده رجلاً من أهل العلم والدين والورع هندي الاصل يدعي بهاء الدين
ويسمى اسماعيل وهو من أولاد الشيخ بهاء الدين أبي زكريا الماتاني وقرأ على مشايخ
نوريز وغيره واقتبعت رامز ليلة واحدة ثم رحلنا منها ثلاثاً في بسط فيه قرى يسكنها
الاكراد وفي كل مرحلة منها زاوية فيها الاوارد الحزب والاحم والحلواء وحلواؤهم من رب
العنب مخلوط بالديق والسمن وفي كل زاوية الشيخ والامام والمؤذن والخدام للفقراء
والعييد والخدم يطبخون الطعام ثم وصلت الى مدينة تستروهي آخر البسيط من بلاد
اتاك وأول الحيا ل مدينة كبيرة رائقة نظيرة وبها البساتين الشريفة والرياض المنيفة ولها
الحاسن البارعه والاسواق الحاممه وهي قديمة البناء اقتتحها خا بن الوليد والى هذه
المدينة ينسب سهل بن عبد الله ويحيط بها النهر المعروف بالازرق وهو عجيب في نهاية من
الصفاء شديد البرودة في أيام الحر ولم أركز رفته إلا نهر باخشان ولها باب واحد لأمسافرين
يسمى دروازة دسبول والدروازة عندهم الباب ولها ابواب غيره شارة الى النهر وعلى
جانبي النهر البساتين والدواليب والنهر عميق وعلى باب المسافرين منه جسر على القوارب
كجسر بغداد والحلة قال ابن جزى وفي هذا النهر يقول بعضهم (كامل)

انظر لاشاذروان تستروا عجب * من جمعه ماء لري بلاده

كليك قوم جمعت امواله * فقد يفرقه على اجناده

وانفوا كه تستر كثيرة والخيرات متيسرة غيرة ولا مثل لاسواقها في الحسن وبخارجها
تربة معظمة يقصدها أهل تلك الاقطار لزيارة وينذرون لها النذور ولها زاوية بها
جماعة من الفقراء وهم يزعمون أنها تربة زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب
وكان نزولي من مدينة تستر في مدرسة الشيخ الامام الصالح المنة بن شرف الدين موسي ابن

الشيخ الصالح الامام العالم صدر الدين سليمان وهو من ذرية سهل بن عبد الله وهذا الشيخ ذو مكارم وفصل جامع بين العلم والدين والصلاح والايتار وله مدرسة وزاوية وخدامها قتيان له اربعة سنبل وكافور وجوه وسرور واحد منهم موكل بأوقاف الزاوية والثاني "متصرف فيما يحتاج اليه من اتفقات في كل يوم والثالث خديم السباط بين ايدي الواردين ومرتب الطعام لهم والرابع موكل بالطباخين والسقائين والفراشين فأقت عدة ستة عشر يوماً فلم أعجب من ترتيبه ولا رغب من طعامه يقدم بين يدي الرجل ما يكفي الاربعة من طعام الارز المنفل المطبوخ في السمن والدجاج المنلى والحبز واللحم والخلواء وهذا الشيخ من أحسن الناس صورة واقومهم سيرة وهو يعظ الناس بعد صلاة الجمعة بالمسجد الجامع ولما شاهدت مجالسه في الوعظ صغر لدي كل واعظ رأيته قبله بالحجاز والشام ومصر ولم ألق فيمن اقيتهم مثله حضرت يوماً عنده بيستان له على شاطئ النهر وقد اجتمع فقهاء المدينة وكبرائها وأني الفقراء من كل ناحية فأطعم الجميع ثم صلى بهم صلاة الظهر وقام خطيباً واعظاً بعد ان قرأ القرأ امامه بالتحسين المبكية والنفقات المحركة المهيجة وخطب ختمة يسكون وو قارو وتصرف فنون العلم من تفسير كتاب الله وايراد حديث رسول الله والتكلم على معانيه ثم ترامت اياه الرقاع من كل ناحية ومن عادة الاعاجم أن يكتبوا المسائل في رقاع ويرمونها الي انواعظ فيجيب عنها فلما رمي اليه بتلك الرقاع جمعها في يده وأخذ يجيب عنها واحدة بعد واحدة بأبداع جواب وأسئلة وحان وقت صلاة العصر فصلى بالقوم وانصرفوا وكان مجلسه مجلس علم ووعظ وبركة وتبادر التائبون فأخذ عليهم العهد وحزنوا صيهم وكانوا خمسة عشر رجلاً من الطلبة قدموا من البصرة برسم ذلك وعشرة رجال من عوام تستر

(حكاية)

لما دخلت هذه المدينة أصابني مرض الحمى وهذه البلاد يحجم داخلها في زمان الحر كما يعرض في دمشق وسواها من البلاد الكثير المياه والقواكه وأصاب الحمى أحماني أيضاً فمات منهم شيخ اسمه يحيى الحراساني وقام الشيخ تجهيزاً من كل ما يحتاج اليه الميت وصلى عليه وتركت بها صاحباً لي يدعي بهاء الدين الحنفي فمات بعد سفره وكنت حين

مرضني لأشتهي الأطعمة التي تصنع لي بمدرسته فذكر لي الفقيه شمس الدين السندي من طلبتها طعاماً فأنشيت به ودعيت له دراهم وطبخ لي ذلك الطعام بالسوق وأتي به إلي فأكلت منه وبلغ ذلك الشيخ فشق عليه وأتى إلي وقال لي كيف تفعل هذا وتبيع الطعام في السوق وهذا أمرت الخدام أن يصنعوا لك ما شئت به ثم أحضر جميعهم وقال لهم جميع ما يطلب منكم من أنواع الطعام والسكر وغير ذلك فأتوا إلي به وأطبخه له ما يشاءوا وكده عليهم في ذلك أشد التأكيد حزام الله خيراً ثم سافرنا من مدينة تستر ثلاثاً في جبال شامخة وبخل منزل زاوية كما تقدم ذكر ذلك ووصلنا إلى مدينة ايندج (وضبط اسمها) بكسر الهمزة وياء مدودال معجم مفتوح وجيم وتسمى أيضاً مال الأمير وهي حضرة السلطان أتابك وعند وصولي إليها اجتمعت بشيخ شيوخها العالم الورع نور الدين الكرمانى وله النظر في جميع الزوايا وهم يسمونها المدرسة والسلطان يعظمه ويقصد زيارته وكذلك أرباب الدولة وكبراء الحضرة يزورونه غدوا وعشيا فأكرمني وإضافي وأنزاني زاوية تعرف باسم الدينوري وأقامت بها أياماً وكان وصولي في أيام القيامة وكنا نصلي صلاة الليل ثم ننام باعلى سطحها ثم نزل إلي زاوية ضحوة وكان في صحبتي اتنا عشر فقيراً منهم إمام وقارئان مجيدان وخادم ونحن على أحسن ترتيب

ذكر ملك ايندج وتستر

وملك ايندج في عهد دختولي إليها السلطان أتابك انراسياب ابن السلطان أتابك أحمد وatabك عندهم سمة لكل من يلي هذه البلاد من ملك وتسمى هذه البلاد بلاد اللور وولي هذا السلطان بعد أخيه أتابك يوسف وولي يوسف بعد أبيه أتابك أحمد وكان أحمد المذكور ملكاً صالحاً سمعت من الثقة بيلاده أنه عمرار بعمانه وستين زاوية بيلاده منها بحضرة ايندج أربع وأربعون سنة ثم خرج بيلاده ثلاثاً فالتفت منه لثقة الزوايا والمدارس والثلث منه مرتب العساكر والثالث لتفقتة ونفقة عياله وعباده وخدمته وبيع منه هدية للملك المراق في كل سنة ووربما وفد عليه بنفسه وشاهدت من آثاره الصالحة بيلاده أن أكثرها في جبال شامخة وقد نحت الطرق في الصخور والحجارة وسويت ووسعت بحيث

تصعد هاللدواب بأحمالها وطول هذه الحبال مسيرة سبعة عشر في عرض عشرة وهي شاهقة متصل بعضها ببعض تشقه الانهار وشجرها البلوط وهم يصنعون من دقيق الخبز وفي كل منزل من منازلها زاوية يسمونها المدرسة فاذا وصل المسافر الى مدرسة منها أتى بما يكفيه من الطعام والملف لدايته سواء طلب ذلك أو لم يطلبه فان عاداتهم أن يأتي خادم المدرسة فيعدهم من نزل بها من الناس ويعطي كل واحد منهم قرصين من الخبز والحما وحلواء وكل ذلك من أوقاف السلطان عاينها وكان السلطان أتابك أحد زهاد الصالحا كما ذكرناه يلبس تحت ثيابه ما يلي جسده ثوب شعر



قدم السلطان أتابك أحمد مرة على ملك العراق أبي سعيد فقال له بعض خواصه ان أتابك يدخل عليك وعليه الدرع ووطن ثوب الشعر الذي تحت ثيابه درعا فمرهم باختيار ذلك على جهة من الانبساط ليعرف حقيقة قد دخل عليه يوما فقام اليه الامير الجوبان عظيم امراء العراق والامير سويته أمير ديار بكر والشيخ حسن الذي هو الآن سلطان العراق وامسكوا بثيابه كأنهم يمازحونه ويضحكونه فوجدوا تحت ثيابه ثوب الشعر ورآه السلطان أبو سعيد وقام اليه رعاقه وأجاسه الي جانبه وقال له سن آطاومعناه بالتركية أنت أبي وعوضه عن هديته باضما فهاو كتب له البرليغ وهو الظهير ان لا يطالبه بهدية بعدها هو ولأولاده وفي تلك السنة توفي وولي ابنه أتابك يوسف عشرة أعوام ثم ولي أخوه أفراسياب ولما دخلت مدينة أيدج أردت رؤية السلطان أفراسياب المذكور فلم أيتأت لي ذلك بسبب انه لا يخرج الا يوم الجمعة لادمانه على الخمر وكان له ابن هو ولي عهد وليس له سواه فرض في تلك الايام ولما كان في احدى الليالي أتاني أحد خدامه وسألني عن حالتي فعرفته وذهب عني ثم جاء بعد صلاة المغرب ومعه طيفوران كبيران أحدهما بالطعام والاخر بالفاكهة وخريطة فيها دراهم ومعه أهل السماع بالآتهم فقال اعلموا السماع حتى يرهج انفقراء ويدعون لابن السلطان فمات له ان أصحابي لا يدرون بالسماع ولا بالرقص ودعوا للسلطان ولولده وقسمت الدراهم على الفقراء ولم كان نصف الليل سمعنا الصراخ والتواح وقدامات المريض المذكور ولما كان من الغد دخل على شيخ الزاوية

وأهل البلد وقالوا ان كبراء المدينة من القضاة والفقهاء والاشراف والامراء قد ذهبوا الى دار السلطان المعزاء فيبني لك ان تذهب في جلتهم فأبيت عن ذلك فمزمواعلى فلم يكن لى بد من المسير فسررت معهم فوجدت مشور دار السلطان تلتار جالا وصييا نامن الممالك وأبناء الملوك والوزراء والاجناد وقد لبسوا الثمير ليس وجلال الدواب وجمعا وافوق رؤسهم التراب والطين وبعضهم قد جيز ناصيته وانقسموا افرقتين فرقة بأعلى المشور وفرقة بأسفله وترحف كل فرقة الى جهة الاخرى وهم ضاربون بأيديهم على صدورهم قائلون خوندكار ما ومعناه مولاي انا (مولانا) فرأيت من ذلك أمرا هائلا ومنظرا فظي عالم بهد مثله

(حكاية)

ومن غريب ما اتفق لي يومئذاني دخالت فرأيت القضاة والخطباء والشرقاء قد استندوا الى حيطان المشور وهو غاصص بهم من جميع جهاته وهم بين باك ومتباك ومطرق وقد ابسوا فوق شياهم ثيابا خاماة من غليظ القطن غير محكة الخياطة بطائنها الى أعلى ووجوهها ماسا بلى أجسادهم وعلى رأس كل واحد منهم قطعة خرقاة أو مترأسود وهكذا يكون فليهم الى تمام أربعين يوما وهي نهاية الحزن عندهم وبعدها يبعث السلطان لكل من فعل ذلك كسوة كاملة فلما رأيت جهات المشور غاصة بالناس نظرت يمينا وشمالا رأيت آدموضعا للجولسي فرأيت هنالك سقيفة مرتفعة عن الارض يتدارشبر وفي احدى زواياها رجل منفرد عن الناس قاعد عليه توب صوف شبه اللبد يلبسه بتلك البلاد دضعاء الناس أيام المطر والتج وفي الاسفار فتقدمت الى حيث الرجل واتقنعت عني أصحابي لمسا رأوا اقدامي نحوه وعجبوا مني وأنا لا أعلم عندي بشي من حاله فصعدت السقيفة وسلمت على الرجل فرر على السلام وارفع عن الارض كأنه يريد القيام وهم يسعون ذلك نصف القيام وهم يدت في الركن المقابل له ثم نظرت الى الناس وقدر موافى بأبصارهم جميعا فعجبت منهم ورأيت الفقهاء والشايخ والاشراف مستندين الى الحائط تحت السقيفة وأشار الى أحد القضاة ان أتخط الى جانبه فلم أفل وحينئذ استشعرت انه السلطان فلما كان بعد ساعة أتى شيخ المشايخ نور

الدين الكرمانى الذى ذكرناه قبل فضعه الى السقيفة وسلم على الرجل فقام اليه وجلس فيما بين وبينه حينئذ علمت ان الرجل هو السلطان ثم جئى بالجنازة وهي بين اشجار الاترج والليمون والتاريخ وقد ملؤا أغصانها بثمارها والاشجار بأيدي الرجال فكان الجنازة تمشى في بستان والمشاعل في رماح طوال بين يديها والشمع كذلك فجلس عليها وذهبت الناس معها الى مدفن الملوك وهو بموضع يقال له هلايخان على أربعة أميال من المدينة وهناك مدرسة عظيمة يشقها النهر وبداخلها مسجد تقام فيه الجمعة ويخرجها حمام ويحفظ بها بستان عظيم وبها الطعام للوارد والصادر ولم أستطع ان أذهب معهم الى مدفن الجنازة لبعده الموضع فعدت الى المدرسة فلما كان بعد أيام بعثت الي السلطان رسوله الذي أتاني بالضيافة أو لا يدعوني اليه فذهبت معه الى باب يعرف بباب السرو وضعت في درج كثيرة الي ان اتينا الي موضع لا فرش به لاجل ما هم فيه من الحزن والسلطان جالس فوق مخددة وبين يديه آيتين قد غطيتا أحدهما من الذهب والاخرى من الفضة وكانت بالمجلس سجادة خضراء فغرت لي بالقرب منه وقعدت عليا وليس بالمجلس الاحاجيب الفقيه محمود ونديمه لا أعرف اسمه فسأني عن حالي وبلادي وسأني عن الملك الناصر وبلاد الحجاز فأجبته عن ذلك ثم جاء فقيه كبير هو رئيس فقهاء تلك البلاد فقال لي السلطان هذا مولانا فضيل والفقيه ببلاد الاعاجم كلها انما يخاطب بمولانا وبذلك يدعو السلطان وسواه ثم أخذني التناء على الفقيه المذكور وظهر لي ان السكر غالب عليه وكنت قد علمت ادمانه على الخمر ثم قال لي باللسان العربي وكان يحسنه تكلم فقلت له ان كنت تسمع مني أقول لك أنت من أولاد السلطان أتأبى ان تأخذ المشهور بالصالح والزهد وليس فيك ما يقدح في سلطنتك غير هذا وأشرت اني لا يتبين نخجل من كلامي وسكت وأردت ان انصرف فأمرني بالجلوس وقل لي الاجتماع مع أمثالك رحمة ثم رأيته يتأيل ويريد النوم فانصرفت وكنت تركت نعلي بالباب فلم أحده فنزل الفقيه محمود في طلبه وصعد الفقيه فضيل يطلبه في داخل المجلس فوجدني في طاق هاق هنالك فأقنى الي به فأخجاني براه واعتذرت اليه فقبل نعلي حينئذ ووضع علي رأسه وقال لي بارك الله فيك هذا الذي قلته لسلطاننا لا يقدر أحد ان يقول له

غيرك والله اني لأرجو أن يؤثر ذلك فيه ثم كان رحيلي من حضرة ايدج بعد أيام فزلت
بمدرسة السلاطين التي بها قبورهم وأقت بها أياماً وبعثت إلى السلطان بنجمة دنايز وبعث
بمثلها لاصحابي وسافرنا في بلاد هذا السلطان عشرة أيام في جبال شاعخ وفي كل ليلة نزل
بمدرسة فيها الطعام فمنها ما هو في العمارة ومنها ما لا عمارة حوله ولكن يجلب اليها جميع
ما تحتاج اليه وفي اليوم العاشر نزلنا بمدرسة تعرف بمدرسة كريبوا الرخ وهي آخر بلاد
هذا الملك وسافرنا منها في بسطة من الارض كثير المياه من عمالة مدينة أصفهان ثم
وصلنا إلى بلدة أشتركان (وضبط اسمها بضم الشين المعجم وضم التاء
المعلو و اسكان الراء وآخره نون) وهي بلدة حسنة كثيرة المياه والبساتين ولها مسجد
يدعى يشقه النهر ثم رحلنا منها إلى مدينة فيروزان واسمها كأنه تنذية فيروز وهي مدينة
صغيرة ذات أنهار وأشجار وبساتين وصلناها بعد صلاة العصر قرأنا أهاها قد خرجوا
لتشيع جنازة وقد أوقدوا خلفها و أمامها المشاعل و اتبعوها بالز أمير والمغنين بأنواع
الغاني المطربة فمجنان من شأنهم وبتأهب اليلة ومررنا بالغد بقريه يقال لها بلان وهي كبيرة
على نهر عظيم وإلى جانبه مسجد في انهاء من الحسن يصعد إليه في درج وتحت البساتين
وسرنايو منافيا بين البساتين والمياه والقرى الحسن الكثير أبراج الحمام ووصلنا بعد
العصر إلى مدينة أصفهان من عراق المعجم (واسمها يقال بالفاء الحاقصة ويقال بالفاء
المعقودة المفخمة) ومدينة أصفهان من كبار المدن وحسانها الآنها الآن قد خرب
أكثرها بسبب الفتنة التي بها بين أهل السنة والروافض وهي متصلة بينهم حتى الآن فلا
يزالون في قتال وهما الفواكه الكثيرة ومنها المشمش الذي لا نظير له يسمى بقمر الدين
وهو يبيسونه ويدخرونه ونواو يشكر عن لوز حلو ومنها السفرجل الذي لا مثل له في
طيب الطعام وعظم الجرم والاعناب الطيبة والبطيخ المعجب الشأن الذي ليس في الدنيا مثله
الاما كاس من بطيخ بخاري وخوارزم وقشره أخضر ودخله أحمر ويدخر كما تدخر
الشريحة بالمغرب وله حلاوة شديدة حتى لم يكن ألفاكاه فانه في أول أمره يسهله وكذلك
اتفق لي لما أكلته بأصفهان وأهل أصفهان حسان الصور وألوانهم بيض زاهرة مشوية

بالحرمة والغالب عليهم الشجاعة والنجدة وفيهم كرم وتنافس عظيم فيما بينهم في الاطعمة تؤثر
 عنهم فيه اخبار غريبة وورعاً دعا أحدهم صاحبه فيقول له اذهب معي لنا كل نان وماس
 والثان يلسنهم الحبز والماس اللين فاذا ذهب معه أطعمته أنواع الطعام العجيب مراهيله
 بذلك وأهل كل صناعة يقدمون على أنفسهم كبيراً منهم يسمونه الكلو وكذلك كبار المدينة
 من غير أهل الصناعات وتكون الجماعة من الشبان الاعراب وتتفاخر تلك الجماعات
 ويضيف بعضهم بعضاً مظهرين لما قدروا عليه من الامكان مختلفين في الاطعمة وسواها
 الاحتفال العظيم ولقد ذكر لي ان طائفة منهم أضفت أخرى فطبخوا طعامهم بنار الشمع
 ثم اضافوها الاخرى فطبخوا طعامهم بالحريز وكان نزولي باصفهان في زاوية تنسب للشيخ
 علي بن - هل تلميذاً لحيدوهي معظمة يقصدها أهل تلك الآفاق ويتركون زيارتها وفيها
 الطعام المأثور والصادور واحمام عجيب مقر وش بالرخم وحيطانه بالاشاني وهو موقوف
 في السبيل لا يلزم أحد في دخوله شيء وشيخ هذه الزاوية الصالح ابا عبد الورع قطب الدين
 حسين بن الشيخ الصالح ولي الله شمس الدين محمد بن محمود بن علي المروفي بالرجاء
 وأخوه العالم المفتي شهاب الدين أحمد أقت عند الشيخ قطب الدين هذه الزاوية أربعة عشر
 يوماً فرأيت من اجتهاده في العبادة وحبه في الفقراء والمساكين وتواضعه لهم ما قضيت منه
 العجب وبالغ في اكرامي وأحسن ضيافي وكساني كسوة حسنة وساعة وصولي الزاوية
 بعث الي بالطعام وبثلاث بطيخات من البطيخ الذي وصفته آنفاً ولم أكن رأيته قبل
 ولا أكلته - (كرامة لهذا الشيخ)

دخل على يوماً موضع نزولي من الزاوية وكان ذلك الموضع يشرف على بستان للشيخ
 وكانت نياحه قد غسلت في ذلك اليوم وشرفت في البستان ورأيت في جملتها حبة بيضاء مبطنة
 تدعي عندهم هزرميخي فأعجبني وقلت في نفسي مثل هذه كنت اريد فلما دخل على الشيخ
 نظرت في ناحية البستان وقال لبعض خدامه انني بذلك اثوب الهزرميخي فأتوا به فكساني
 اياه فأهويت الي قدميه اقباهم واطابت منه ان يلبسني طاقية من راسه ويحيزني في ذلك بما
 اجازة والده عن شيوخه فألبسني اياه في الرابع عشر جمادى الاخرة سنة سبع وعشرين

وسبعائة زوايته المذكورة كلبس من والده شمس الدين ولبس والده من أبيه تاج الدين محمود ولبس محمود من أبيه شهاب الدين على الرجا ولبس على من الامام شهاب الدين أبي حفص عمر بن محمد بن عبد الله السهروردي ولبس عمر من الشيخ الكبير ضياء الدين أبي النجيب السهروردي ولبس أبو النجيب من عمه الامام وحيد الدين عمر ولبس عمر من والده محمد بن عبد الله المعروف بعمويه ولبس محمد بن الشيخ اخي فرج الزنجاني ولبس أخو فرج من الشيخ أحمد الدينوري ولبس أحمد من الامام محمد بن عبد الله الدينوري ولبس محمد من الشيخ المحقق علي بن سهل الصوفي ولبس علي من أبي القاسم الخليلي ولبس الخليل من سري القسطنطيني ولبس سري القسطنطيني من داود الطائي ولبس داود من الحسن بن أبي الحسن البصري ولبس الحسن بن أبي الحسن البصري من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب قال ابن جزى هكذا: أورد الشيخ أبو عبد الله هذا السند والمعروف فيه ان سريا السقطنطيني صاحب معروف وأبو الكرخي وصاحب معروف داود الطائي وكذلك داود الطائي بينهما وبين الحسن حبيب العجمي وأخو فرج الزنجاني إنما المعروف أنه صاحب أبا العباس النهاوندي وصاحب النهاوندي أبا عبد الله بن خفيف وصاحب ابن خفيف أبا محمد ويعا وصاحب رويم أبا القاسم الخليلي وأما محمد بن عبد الله عموه فهو الذي صاحب الشيخ أحمد الدينوري الأسود ولبس بينهما أحد والله أعلم والذي صاحب أخو فرج الزنجاني هو عبد الله بن محمد بن عبد الله والد أبي النجيب (رجع) ثم سافرنا من أصفهان بقصد زيارة الشيخ محمد الدين بشير أزدي بينهما مسيرة عشرة أيام فوصلنا إلى بلدة كليل (وضبطها بفتح الكاف وكسر اللام وياء مد) وبهنا وبين أصفهان مسيرة ثلاثة أيام هي بلدة صغيرة ذات أنهار وبساتين وفيها أكابر أئمة التفاح يباع في سوقها خمسة عشر رطلا عراقة بدرهم ودرهم ثلث الفقرة ونزائنها زواية عمرها كبير هذه البلدة المعروف بخواجه كافي وله مال عريض قد اعانه الله على انفاقه في سبيل الخيرات من الصدقة وعمارة الزوايا واطعام الطعام لابناء السبيل ثم سرنا من كليل يومين ووصلنا إلى قرية كبيرة تعرف بصوماء وبها زواية فيها الطعام لا وارد ولا صادر عمرها خواجه كافي المذكور ثم سرنا منها إلى يزد خاص (وضبط اسمها بفتح الياء آخر الحروف

واسكان انزاي رضم الدال المهمل وخاء معجم والفاء صا مهمل (بلدة صغيرة متقنة
العمارة حسنة السوق والمسجد الجامع بها عجيب مبنى بالحجارة مسقف بها والبلدة على
ضفة خندق فيه بساتينها ومياهها وبخار جهار باط ينزل به المسافر عليه باب حديد وهو في
النهاية من الحسنة والمنعة وبداخله حوانيت يباع فيها كل ما يحتاجه المسافرون وهذا
الرباط عمره الامير محمد بن يحيى والد السلطان ابي اسحق ملك شيراز وفي يزد خاص
يصنع الحين الزد خاصي ولا نظير له في طيبة ووزن الحينة منه من اوقيتين الى اربع ثم سرنا
منها على طريق دشت الروم وهي صحراء يسكنها الاثراك ثم سافرنا الى ماين (واسمها
بيائين مسقونين اولاهما مكسورة) وهي بلدة صغيرة كثيرة الانهار والبساتين حسنة
الاسواق واكثر اشجارها الجوز ثم سافرنا منها الى مدينة شيراز وهي مدينة أصلية البناء
فسيحة الارعاء شهيرة الذكر منيفة القدر لها البساتين المؤتقة والانهار المتدفقة
والاسواق البديعة والشوارع الرفيعة وهي كثيرة العمارة متقنة المباني عجيبة الترتيب
وأهل كل صناعة في سوقها الايخالطهم غيرهم وأهلها احسان الصور نظاف الملابس وليس
في المشرق بلدة تداني مدينة دمشق في حسن أسواقها وبساتينها وأنهارها وحسن صور
ساكنيها الا شيراز وهي في بساط من الارض تحف بها البساتين من جميع الجهات
وتشققها خمسة أنهار أحدها لنهر المعروف بركن آباد وهو عذب الماء شديد البرودة في
الصيف سخن في الشتاء فينبعث من عين في سفح جبل هناك يسمى القليعة ومسجدها
الاعظم يسمى بالمسجد العتيق وهو من أكبر المساجد ساحة وأحسنها بناء وصحنه
متسع مفروش بالمرمر ويغسل في أو ان الحرك لينة ويجمع فيه كبار أهل المدينة كل عشية
ويصلون به المغرب والعشاء وبشماله باب يعرف بسابحة من يقضى الى سوق الفاكهة
وهي من أعاسواق وأنا أقول بتفضيلها على سوق باب البريد من دمشق وأهل شيراز
أهل صلاح ودين وعفاف وخصوصا نساءها وهن يابسن الخفاف ويخرجن متلحفات
متبرقات فلا يظهر منهن شيء ولهن الصدقات والايتار ومن غريب حالهن انهن يجتمعن
لسماع الواسط في كل يوم اثنين وخميس وجمعة بالجامع الاعظم فربما اجتمع منهن

الالف والافسان بأيديهم المراوح وروحن بها على أنفسهن من شدة الحر ولم ارا اجتماع النساء في مثل عددن في بلدة من البلاد وعند دخولي إلى مدينة شيراز لم يكن لي هم الا قصد الشيخ القاضي الامام قطب الاولياء فريدا الدهر ذي الكرامات الظاهرة محمد الدين اسماعيل ابن محمد بن خداداد ومعني خداداد عطية الله الله فوصلت الى المدرسة المجدية المذسوبة اليه وبها سكناه وهي من عمارته فدخلت اليه رابع اربعة من أصحابي ووجدت الفقهاء وكبار أهل المدينة في انتظار ونخرج الي صلاة العصر ومعه محب الدين وعلاء الدين أبناء أخيه شقيقه روح الدين أحمد هاجع يمينه والآخر عن شماله وهما نائباه في القضاء لضعف بصره وكبر سنه فسلمت عليه وعاقني وأخذ بيدي الى أن وصل الي مصلاه فأرسل يدي وأومأ الي أن أصلي الي جانبه ففعلت وصلي صلاة العصر ثم قرئ بين يديه من كتاب المصاييح وشوارق الانوار للصاغاني وطالعا نائباه يعاجري لديهم ما من القضاء ولا تقدم كبار المدينة للسلام عليه وكذلك عادتهم معه صياحاً ومساء ثم سألتني عن حالي وكيفية قدومي وسألتني عن المغرب ومصر والشام والحجاز فأخبرته بذلك وأمر خدامه فأنزّلوني بدورة صغيرة بالمدرسة وفي غد ذلك اليوم وصل اليه رسول ملك العراق السلطان أبي سعيد وهو ناصر الدين الدرقي من كبار الامراء اخر اساني الاصل فعدت ووصله اليه نزع شاشيته عن رأسه وهم يسمونها الكلا وقل رجل القاضي وقعد بين يديه ممسكاً ذن نفسه بيده وهكذا فعل امراء التتر عند ملوكهم وكان هذا الامير قد قدم في نحو خمسةة فارس من مماليك وخدامه وأصحابه ونزل خارج المدينة ودخل الي القاضي في خمسةة نفر ودخل مجلسه وحده منفرداً نادياً ﴿حكاية في السبب في تعظيم هذا الشيخ وهي من الكرامات الباهرة﴾

كان ملك العراق السلطان محمد خدابنده ورع محبة في حال كفره فقيه من الروافض الامامية يسمى جمال الدين بن مطهر فلما أسلم السلطان المذكور وأسلمت بالسلامة التتر زاد في تعظيم هذا الفقيه فزين له مذهب الروافض وفضله على غيره وشرح له حال الصحابة والخلافة وقرّر لديه ان بابكر وعمر كانا وزيرين لرسول الله وان علياً ابن عمه رصده فهو وارث الخلافة ومثل ذلك بما هو مألوف عنده من ان الملك الذي بيده انما هو وارث

عن أجداده وأقاربه مع حداثته عهد السلطان بالكفر وعدم معرفته بقواعد الدين فأمر السلطان بحمل الناس على الرضى وكتب بذلك إلى العراقيين وقارس وأذر بجان وأصفهان وكرمان وخراسان وبث الرسل إلى البلاد فكان أول بلاد وصل إليها ذلك بغداده وشيراز وأصفهان نأماً أهل بغداد فامتنع أهل باب الأزج منهم هم أهل السنة وأكثرهم على مذهب الإمام أحمد بن حنبل وقالوا لا جمع ولا طاعة وأنوا المسجد الجامع يوم الجمعة في السلاح وبه رسول السلطان فلما صعد الخليل المنبر قاموا إليه وهم نحو مائة ألف في سلاحهم وهم حملة بغداد والمشار إليهم فيها خلفوا له أنه إن غير الخطبة المعتادة أو زاد فيها أو نقص منها فأنهم قاتلوه وقتلوا رسول الملك ومستأمنون بعد ذلك لما شاء الله وكان السلطان أمراً بأن تسقط أسماء الخلفاء وسائر الصحابة من الخطبة ولا يذكر إلا اسم على ومن تبعه كعنا رضي الله عنهم تخاف الخليل من القتل وخطب الخطبة المعتادة وفعل أهل شيراز وأصفهان كفعل أهل بغداد فرجعت الرسل إلى الملك فأخبروه بما جرى في ذلك فأمر أن يؤتى بقضاة المدن الثلاث فكان أول من أوفى به منهم القاضي محمد الدين قاضي شيراز والسلطان اذذاك في موضع يعرف بقراباغ وهو موضع مصيفه فلما وصل القاضي أمر أن يرعى به إلى الكلاب التي عنده وهي كلاب ضخام في أعناقها السلاسل معدة لأكل بني آدم فاذا أوتي عن يسار عليه الكلاب جعل في رحبة كبيرة مطلقاً غير مقيد ثم بثت تلك الكلاب عليه فيفرسها ولا مقر له فتدركه فتمزقه وتأكل لحمه فلما أرسلت الكلاب على القاضي محمد الدين ووصلت إليه بصبغت إليه وحركت أذنانها بين يديه ولم تهجم عليه بشئ فبلغ ذلك السلطان فخرج من داره حافى القدمين فأكب على رجل القاضي بقبضته وأخذ بيده وبتلع عليه جميع ما كان عليه من الثياب وهي أعظم كرامات السلطان عندهم وإذا خلع ثيابه كذلك على أحد كانت شرفاً له ولبنده وأعقاباً به يتوارثونه مادامت تلك الثياب أوشى منها وأعظم في ذلك السراويل ولما خلع السلطان ثيابه على القاضي محمد الدين أخذ بيده وأدخله إلى داره وأمر أن يسمه بتعظيمه والتبرك به ورجع السلطان عن مذهب الرضى وكتب إلى بلاده أن يقر الناس على مذهب أهل السنة والجماعة وأجزل العلماء

للقاضي وصرفه الى بلاده مكرما معظم واعطاءه في جملة عطاياها مائة قرية من قرى جهك
وهو خندق بين بلين طولها أربعة وعشرون فرسخا يشقه نهر عظيم والقرى منتظمة
بجانبيه وهو أحسن موضع بشيراز من قرى العظيمة التي تضاهي المدن قريبة مدين وهي
للقاضي المذكور ومن عجائب هذا الموضع المعروف بجمكان ان نصفه مما يلي شيراز
وذلك مسافة ثمانين فرسخا شديدا يبرد ينزل فيه الثلج وأكثر شجره الجوز والنصف
الآخر مما يلي بلاد هنج وبالو بلاد الارب في طريق هر مز شربدا الحروف فيه شجر النخيل
وقد تقرر لي لقاء القاضي مجد الدين ثانية حين خروجه من الهند قصدته من هر مز متبركا
بلقاءه وذلك سنة ثمان وأربعين وبين هر مز وشيراز مسيرة خمسة وثلاثين يوما فدخلت
عاليه وهو قد ضعف عن الحركة فسلمت عليه فمرقتي وقام الي فعاثني ووقعت يدي على
مرفقه وجلد له لاصق بالمعظم لالحم بينهما وأتراني بالمدرسة حيث أتراني أول مرة وزرته
يوما فوجدت ملك شيراز السلطان أباسحق وسبقه ذكره قاعدا بين يديه ممسكا باذن
نفسه وذلك هو غاية الادب عندهم ويفعله الناس اذا قدموا بين يدي الملك وأتيته مرة أخرى
الى المدرسة فوجدت باهما سدودا فالت عن سبب ذلك فأخبرت ان أم السلطان وأخته
نشأت بينهما خصومة في ميراث فصر فهما الى القاضي مجد الدين فوصلتا اليه الى المدرسة
وتحكما كتاعنده وفصل بينهما بواجب الشرع وأهل شيراز لا يدعونه بالقاضي وإنما
يقولون له مولانا أعظم وكذلك يكتبون في التمسجلات والمقود التي تفتقر الى ذكر اسمه
فيها وكان آخر عهدي به في شهر ربيع الثاني من عام ثمانية وأربعين ولاحت على أنواره
وظهرت لي بركاته نفع الله به وبأمثاله

ذكر سلطان شيراز

وسلطان شيراز في عهد قديمي عليها الملك الفاضل أبواسحق بن محمد شامنجو ساهما بوه
باسم الشيخ أبي اسحق الكازروني نفع الله به وهو من خيار السلاطين حسن الصورة
والسيرة والهيئة كريم النفس جميل الاخلاق متواضع صاحب قوة وملك كبير وعسكره
يتف على خمسين ألفا من الترك والاعاجم وبطائه الادنون اليه اهل أصغهمان وهو

لا يأمن أهل شيراز على نفسه ولا يستخدمهم ولا يقربهم ولا يبيع لأحد منهم حمل السلاح
لأنهم أهل نجدة وبأس شديد وجرأة على الملوك ومن وجد بيده السلاح منهم عوقب
ولقد شاهدت مرة رجلاً تجر الحنادة وهم الشرط إلى الحاكم وقد ربطوه في عنقه
فسألت عن شأنه فأخبرت أنه وجدت في يده قوس بالليل فذهب السلطان المذكور إلى قهر
أهل شيراز وتفصيل الاصفهانيين عليهم لأنه يخافهم على نفسه وكان أبو محمد شاه بنحو واليا
على شيراز من قبل ملك العراق وكان حسن السيرة محبباً إلى أهلها فلما توفي ولي السلطان أبو
سعيد مكانه الشيخ - يذاهو ابن الجوبان أمير الأمراء وسأني ذكره وبث معه
العساكر الكثيرة فوصل إلى شيراز وملكها وضبط مجايه او هي من أعظم بلاد الله مجي
ذكر لي الحاج قوام الدين الطائفي وهو إلى المجي بها أنه ضمنها بعشرة آلاف دينار دراهم
في كل يوم وصرفها من ذهب المغرب الفان وخمسة دنانير ذهباً وأقام بها الأمير حسين مدة
ثم أراد القدوم على ملك العراق فقبض على أبي اسحق بن محمد شاه بنحو وعلى أخويه ركن
الدين ومسهودك وعلى والدته طاش خاتون وأراد حملهم إلى العراق ليطلبوا بأموال
أيهم فلما توسطوا السوق بشيراز كشفت طاش خاتون وجهها وكان متبرقة حياء أن
تري في تلك الحال فان عادة نساء الأتراك أن لا يغطين وجوههن واستغاثت بأهل شيراز
وقالت أهلكذا يا أهل شيراز أخرج من بينكم وأنا فلانة زوجة فلان فقام رجل من التجارين
يسمى هلو ان محمود قد رأيت بالسوق حين قدومي على شيراز فقال لا تتركها تخرج من بلدنا
ولا ترضى بذلك فتابعه الناس على قوله ونارت عامتهم ودخلوا في السلاح وقتلوا كثيراً من
العسكرواخذوا الاموال وخلصوا المرائ وأولاده وفر الأمير حسين ومن معه وقدم
على السلطان أبي سعيد مهزوماً فاعطاه العساكر الكثيفة وأمره بالعود إلى شيراز
والتحكم في أهلها بما شاء فلما بلغ أهلها ذلك علموا أنهم لا طاقة لهم به فقصدوا القاضي
مجد الدين وطلبوا منه أن يحقن دماء الفريقين ويوقع الصلح فخرج إلى الأمير حسين
فترجل له الأمير عن فرسه وسلم عليه ووقع الصلح ونزل الأمير حسين ذلك اليوم خارج
المدينة فلما كان من الغد برز أهلها للقائه في اجسل تريد وزيروا البلد وأقدوا الشمع

الكثير ودخل الأمير حسين في أمة وحفل عظيم وسار فيهم بأحسن سيرة فلما مات السلطان أبو سعيد وانقرض عقبه وتقلب كل أمير على ما يده خافهم الأمير حسين على نفسه وخرج عنهم وتغلب السلطان أبواء على عليا وعلى أصفهان وبلاذ فارس وذلك مسيرة شهر ونصف شهر واشتدت شوكتهم وطعمت همتهم التي تملك ما يليه من البلاد فبدأ بالأقرب منها وهي مدينة يزد مدينة حسنة نظيفة عجيبية الأسواق ذات أنهار معرودة وأشجار نصيرة وأهلها تجار شافعية المذهب فحاصرها وتغلب عليها وتحصن الأمير مظفر شاه ابن الأمير محمد شاه ابن مظفر بقاعة على ستة أميال منها منيعة تحمدق بها الرمال فحاصره بها فظهر من الأمير مظفر من الشجاعة ما حرق المعتاد ولم يسمع بمثله فكان يضرب على عسكر السلطان أبي اسحق ليلا ويقتل ماشاء ويحرق المضارب والفساطيط ويعود إلى قلعته فلا يقدر على النيل منه وضرب ليلة على دوار السلطان وقتل هنالك جماعة وأخذ من عتاق حيه عشرة وعاد إلى قلعته فامر السلطان أن تركب في كل ليلة خمسة آلاف فارس ويصنعون به الكائن ففعلوا ذلك وخرج على عادته في مائة من أصحابه فضرب على العسكر واحاطت به الكائن وتلاحقت العساكر فقتلهم وخلص إلى قلعته ولم يصب من أصحابه الا واحد أتى به إلى السلطان أبي اسحق فخلع عليه وأطلقه وبعث معه أمانا لمظفر لينزل إليه فأبى ذلك ثم وقعت بينهما المراسلة ووقعت له محبة في قلب السلطان أبي اسحق لما رأى من شجاعته فقال أريد أن أراه فإذا رأيته انصرفت عنه فوقف السلطان في خارج القلعة ووقف هو ببابها وسلم عليه فقال له السلطان انزل على الأمان فقال له مظفر اني عاهدت الله أن لا أنزل إليك حتي تدخل أنت قلعتي وحينئذ أنزل إليك فقال له اقبل ذلك فدخل إليه السلطان في عشرة من أصحابه الخواص فلما وصل باب القلعة ترجل مظفر وقبل ركابه ومشى بين يديه مترجلا فأدخله داره وأكل من طعامه ونزل معه إلى المحلة راكبا فأجلسه السلطان إلى جانبه وخضع عليه ثيابه وأعطاه ما لا عظيم ووقع الاتفاق بينهما أن تكون الخباية باسم السلطان أبي اسحق وتكون البلاد لمظفر وأبيه وعاد السلطان إلى بلاده وكان السلطان أبو اسحق طمع ذات مرة إلى بناء ابوان كابوان كسرى وأمر أهل شيراز أن يتولوا حفر أساسه

فأخذوا في ذلك وكان أهل كل صناعة يباهون كل من عساهم فاتهموا في المباهاة إلى أن صنعوا القفاف لنقل التراب من الجبل وكسوها ثياب الحرير المزركش وفعلوا نحو ذلك في برادع الدواب وأخرجوها وصنع بعضهم الفؤس من الفضة وأوقدوا الشمع الكثير وكانوا حين الحفر يلبسون أجمل ثيابهم ويربطون فوط الحرير على أوساطهم والسلطان يشاهد أفعالهم في منظره وقد شاهدت هذا المبنى وقد ارتفع عن الأرض نحو ثلاثة أذرع ولما بني أساسه رفع عن أهل المدينة أن يخدم فيه وصارت القعلة تخدمه بالأجرة ويحضر لذلك آلاف منهم وسمعت والي المدينة يقول أن معظم مجباهي تنفق في ذلك البناء وقد كان الموكل به الأمير جلال الدين بن الفلكي التوريزي وهو من الكبار كان أبوه نائباً عن وزير السلطان أبي سعيد المسمي على شاة جيلاان ولهذا الأمير جلال الدين الفلكي أخ فاضل اسمه هبة الله وياق بيهاء الملك وقد على ملك الهند حين وفودي عليه ووقدمت شرف الملك أمير بخت نغلع ملك الهند علينا جميعاً وقدم كل واحد في شغل يابقي به وعين لنا المرتب والاحسان وسند كذا ذلك وهذا السلطان أبو اسحق يريد التشبه بملك الهند المذكور في الأيثار واجزال العطايا ولكن أين الثريا من النري وأعظم ما تمر فناءه من عطيات أبي اسحق أنه أعطي الشيخ زاده الخراساني الذي أتاه رسولاً عن ملك هراة سبعين ألف ديناراً وأمامك الهند فلم يزل يعطي أضعاف ذلك لمن لا يحصى كثرة من أهل خراسان وغيرهم (حكاية) ومن عجيب فعل ملك الهند مع الخراسانيين أنه قدم عاينه رجل من فقهاء خراسان هروي الدار من سكان خوارزم يسمي بالأمير عبد الله بعثته الخاقان تراك بلك زوج الأمير قطلو دودور صاحب خوارزم هدية إلى ملك الهند المذكور فقبلها وكافأ عنها بأضماها وبث ذلك اليها واختار رسولها المذكور الإقامة عنده فصوره في ندمائه لما كان ذات يوم قال له ادخل إلي الخزانة فارفع منها قدر ما تستطيع أن تحمله من الذهب فذهب إلى داره فأتى بثلاثة عشرة خريطة وسبل في كل خريطة قدر ما وسعته وربط كل خريطة بمضو من أعضائه وكان صاحب قوة وقام بها فلما خرج عن الخزانة وقع ولم يستطع النهوض فأمر السلطان بوزن ما خرج به فكان جملة ثلاثه عشر مناجم دهل والمان الواحد منها خمسة وعشرون

رطلا مصرية فأمر أن يأخذ جميع ذلك فأخذه وذهب به ﴿حكاية تناسبها﴾
 اشكي مرة أمير بخت الملقب بشرف الملك الخراساني وهو الذي تقدم ذكره آنفاً بحضرة
 مالك الهند فأتاه الملك عائداً ولما دخل عليه أراد القيام فخلف له الملك أن لا ينزل عن كته
 والكت هو السرير ووضع لاساطن متكاة يسمونها المورة فقعد معها ثم دعا بالذهب
 والميزان فجي بذلك وأمر المريض أن يقعد في إحدى كفتي الميزان فقال يا خوند عالم لو
 علمت أنك تفعل هذا للبست علي ثياباً كثيرة فقال له البس الآن جميع ما عندك من الثياب
 فلبس ثيابه المعدة لابرء المحشوة بالقطن وقعد في كفة الميزان ووضع الذهب في الكفة
 الأخرى حتى رجحه الذهب وقال له خذ هذا فتصدق به على رأسك وخرج عنه
 ﴿حكاية تناسبها﴾ وقد عليه الفقير عبد العزيز الازدوي وكان قد قرأ علم الحديث
 بدمشق واتفقه فيه فجعل مرتبه مائة دينار دراهم في اليوم وصرف ذلك خمسة وعشرون
 ديناراً ذهباً وحضر مجلسه يومافأله السلطان عن حديث فسرده له أحاديث كثيرة في ذلك
 المعنى فأعجبه حظه وحائف له برأسه أن لا يزول من مجلسه حتى يفعل معه ما يراه ثم نزل
 الملك عن مجلسه فقبل قدميه وأمر بإحضار صينية ذهب وهي مثل الطيفور الصغير وأمر
 أن يلقى فيها ألف دينار من الذهب وأخذها السلطان بيده فقصها عايبه وقال هي لك مع
 الصينية ووفى عليه مرة رجل خراساني يعرف بابن الشيخ عبد الرحمن الاسفرايني وكان
 أبوه نزل بغداد فأعطاه خمسين ألف دينار دراهم وخيلاً وعبيداً وخاماً وسنذكر كثيراً
 من أخبار هذا الملك عند ذكر بلاد الهند وانما ذكرنا هذا المبدء من أن السلطان
 أباسحق يريد التشبه بما في العطايا وهو وان كان كريماً فاضلاً فلا يحق بطبقة ملك الهند
 في الكرم والسخاء ﴿ذكر بعض المشاهد بيران﴾

فمنها شهد أحمد بن موسى أخي علي الرضا بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين
 ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم وهو مشهود معظم عند أهل شيراز يتبركون به
 ويتوسلون إلى الله بفضله وبنت عليه طاش خاتون أم السلطان أبي اسحق مدرسة كبيرة
 وزاوية فيها الطعام لوارء الصادر والقراء يقرؤن القرآن على التربة دائماً من عادة

الخاتون انها تأتي الى هذا المشهد في كل ليلة اثنينين ويجتمع في تلك الليلة القضاة والفقهاء
 والشرقاء وشيخا من أكثر بلاد الله شرفاء سمعت من الثقات ان الذين لهم بها المراتب من
 الشرفاء ألف وأربعمائة ونيف بين صغير وكبير وتقيم عندهم عند الدين الحسيني فاذا حضر
 القوم بالمشهد المبارك المذكور ختموا القرآن قراءة في المصاحف وقراء القرآن بالاصوات
 الحسنة وأتي بالطعام والفواكه والحلوى فاذا أكل القوم وعظ الواعظ ويكون ذلك
 كله من بعد صلاة الظهر الى العشي والخاتون في غرفة مطلة على المسجد لها شباك ثم
 تضرب الطبول والانوار والبوقات على باب التربة كما يفعل عند أبواب الملوك ومن المشاهد
 بها مشهد الامام القطب الولي أبي عبد الله بن خفيف المعروف عندهم بالشيخ وهو قدوة
 بلاد فارس كلها ومشهد معظم عندهم يأتون اليه بكرة وعشيا فيتمسحون به وقد رأيت
 القاضي معجل الدين آتام زائر واستلمه وتأتي الخاتون الى هذا المسجد في كل ليلة جمعة
 وعليه زاوية ومدرسة ويجمع به القضاة والفقهاء ويقفون به كفعلهم في مشهد أحمد بن
 موسى وقد حضرت الموضعين جميعا وتربة الامير محمد شاميجو والد السلطان أبي اسحق
 متصلة بهذه التربة والشيخ أبو عبد الله بن خفيف كبير القدر في الاولياء شهر الزكرو هو
 الذي أظهر طريق جبل سرنديب بجزيرة سيلان من أرض الهند (كرامة لهذا الشيخ)
 يحكى انه قصد مرة جبل سرنديب ومعه نحو ثلاثين من الفقراء فاصابتهم مجاعة في طريق
 الجبل حيث لا عمارة وتأهوا عن الطريق وطلبوا من الشيخ أن يأذن لهم في القبض على
 بعض الفيلة الصغار وهي في ذلك الحبل كثيرة جدا وانه تحمل الى حضرة ملك الهند فنهاهم
 الشيخ عن ذلك فغلب عليهم الجوع فتعدوا قول الشيخ وقبضوا على فيل صغير منها
 وذكوهوا وكأوا اللحم وامتنع الشيخ من أكله فلما ناموا تلك الليلة اجتمعت الفيلة من كل
 ناحية وأنت اليهم فكانت تشم الرجل منهم وتتمله حتى أنت على جميعهم وشمّت الشيخ ولم
 تتعرض له واخذته فيل منها ولف عليه خرطومها ورمي به على ظهره وأتي به الموضع الذي
 فيه العمارة فلما رآه أهل تلك الناحية عجبوا منه واستقبلوه ليتعرفوا امره فلما قرب منهم
 أمسكه الفيل بخرطومها ووضعته على ظهره الى الأرض بحيث يرونه فجأوا اليه وتمسحوا به

وذهبوا به الى ماكنهم فمرفوه خبره وهم كفار وأقام عندهم أياماً وذلك الموضع على خور
 يسمى خور الحيزران والخور هو التهر وبذلك الموضع بقاص الجوهري ويدكر ان الشيخ
 غاص في تلك الايام بحضر ملكهم وخرج وقد ضم يديه معا وقل للملك اختر ما في احداها
 فاختار ما في النبي فرمى اليه بما فيها وكانت ثلاثه احجار من الياقوت لاملل لها وهي
 عندهم لو كهم في التاج يتوارثونها وقد دخلت جزيرة سيلان هذه وهم مقيمون على الكفر
 الا انهم يعظمون فقراء المسلمين ويأوونهم الى دورهم يطعمونهم الطعام ويكونون في
 بيوتهم بين اهليهم واولادهم خلافا لسائر كفار الهند فانهم لا يقربون المسلمين ولا
 يطعمونهم في آيتهم لا يسقونهم فيها مع انهم لا يؤذونهم ولا يهجونهم واقد كنا نضطر الي
 ان يطبخ لنا بعضهم الاحم فيأتون في قدورهم ويقعدون على بعد منا ياتون باوراق الموز
 فيجعلون عليها الارز وهو طعامهم ويصبون عليه الكوشان وهو الادام ويذهبون قناً كل
 منه وما فضل علينا تأكله الكلاب والطيروا ان أكل منه الولد الصغير الذي لا يعقل ضربوه
 واطعموه وروث البقر وهو الذي يظهر ذلك في زعمهم * ومن المشاهديها مشهده الشيخ
 الصالح القطب روض جهان القبلي من كبار الاولياء وقبره في مسجد جامع بخطب فيه وبذلك
 المسجد يصلي القاضي مجده الدين الذي تقدم ذكره رضى الله عنه وبهذا المسجد سمعت
 عليه كتاب مسند الامام أبي عبد الله محمد بن ادريس الشافعي قال اخبرني تابه وزيرة بنت
 عمر بن المنجاء قالت اخبرنا ابو عبد الله الحسين بن أبي بكر بن المبارك الزبيدي قال اخبرنا
 أبو زرعة طاهر بن محمد بن طاهر المقدسي قال اخبرنا أبو الحسن المكي بن محمد بن منصور
 ابن علان العريضي قال اخبرنا القاضي أبو بكر أحمد بن الحسن الحرشي عن أبي العباس بن
 يعقوب الاصم عن الربيع بن سليمان المرادي عن الامام أبي عبد الله الشافعي وسمعت أيضاً
 عن القاضي مجده الدين هذا المسجد المذكور كتاب مشارق الانوار الامام رضى الدين
 أبي الفضائل الحسن بن محمد بن الحسن الصاغانى بحق سماعه له من الشيخ جلال الدين
 أبي هاشم محمد بن محمد بن أحمد الهاشمي الكوفي بروايته عن الامام نظام الدين محمود
 ابن محمد بن عمر الهروي عن المصنف ومن المشاهديها مشهده الشيخ الصالح زر كوب

وعليه زاوية لا طعام الطعام وهذه المشاهد كلها بداخل المدينة وكذلك معظم قبور أهلها
فإن الرجل منهم موت ولده أو زوجته فيتخذ له تربة من بعض بيوت داره ويدفنه هناك
وينثرش البيت بالطحس والبسط ويجعل الشمع الكثير عند رأس الميت ورجليه ويصنع
للبيت باباً إلى ناحية لزقاق وشباك حديد فيدخل منه القراء يقرؤون بالأصوات الحسان
وليس في معمور الأرض أحسن أصواتاً بالقرآن من أهل شيراز ويقوم أهل الدار بالترتبة
ويقرشونها ويوفدون السرج بها فكان الميت لم يبرح وذكر لي أنهم يطبخون في كل يوم
نصيب الميت من الطعام ويصدقون به عنه

﴿حكاية﴾

مررت يوماً ببعض أسواق مدينة شيراز فرأيت بها مسجداً متقناً البناء جميل الفرش وفيه
مصاحف موضوعة في خرائط حرير موضوعة فوق كرسي وفي الجهة الشمالية من
المسجد زاوية فيه شبك مفتوح إلى جهة السوق وهناك شيخ جميل الهيئة واللباس وبين
يديه بحر يقرأ فيه فلسمت عليه وجاست إليه فسألني عن مقدمي فأخبرته وسألته عن
شأن هذا المسجد فأخبرني أنه هو الذي عمره وقف عليه أوقافاً كثيرة للقراء وسواهم
وإن تارة الزاوية التي جاست إليه فيها هي موضع قبره إن قضى الله موته تلك المدينة ثم رفع
بساطاً كان تحت القبر فغطى عليه ألواح خشب وأراني صندوقاً كان نازلاً فقال في هذا
الصندوق كفتي وحنوطي ودرهم كنت استأجرت به نافذة في حفر بئر لرجل صالح
فدفع لي هذه الدراهم فتركتها لتكون نفقة موارثي وما فضل منها يتصدق بها فعمجت من
شأنه وأردب الانصراف خلف علي وأضافني بذلك الموضع ومن المشاهد بخارج شيراز
قبر الشيخ السالح المعروف بالسعدى وكان أشعر أهل زمانه باللسان الفارسي وربما
ألمع في كلامه بالعربي وله زاوية كان قد عمرها بذلك الموضع حسنة بداخلها بستان مليح
وهي بقرب راس النهر الكبير المعروف بركن آباد وقد صنع الشيخ هناك أحواضاً صفراء
من المرمر تغسل الثياب فيخرج الناس من المدينة لزيارتها ويأكلون من سماطه ويفسلون
نيامهم بذلك النهر وينصرفون وكذلك فعلت عند مدحه الله وبقرية من هذه الزاوية
زاوية أخرى تحصل بها مدرسة مبنيتان على قبر شمس الدين الهمعاني وكان من الأمراء

الفقهاء ودفن هنالك بوصية منه بذلك بمدينة شيراز من كبار الفقهاء الشريف مجيد الدين
وأمره في الكرم عجيب وورع جاد بكل ما عنده وبالثياب التي كانت عليه ويلبس مرقسة له
فيدخل عليه كبار المدينة فيجدونه على تلك الحال فيكسونه ومرتبه في كل يوم من
السلطان خمسون ديناراً درهم ثم كان خروجه من شيراز برسم زيارة قبر الشيخ الصالح
أبي اسحق الكازروني بكازرون وهي على مسيرة يومين من شيراز فنزلنا أول يوم ببلاد
الشول وهم طائفة من الاعام يسكنون البرية وفيهم الصالحون ﴿كرامة لبعضهم﴾
كنت يوماً ببعض المساجد بشيراز وقد قدمت أتوا كتاب الله عز وجل أرصالة الظهر
نظف بخاطرهم انه لو كان لي مصحف كريم لولت فيه فدخل علي في اثناء ذلك شاب وقال
لي بكلام قوي خذ فرساً رأسي اليه فأتني في حجري مصحفاً كريماً وذهب عني ختمته
ذلك اليوم قراءة وانتظرت له لا رده فلم يعد الي فسألت عنه فقيل لي ذلك بهلول الشولي ولم
أرد بعد ووصلنا في عشي اليوم الثاني الى كازرون فقصصنا زاوية الشيخ أبي اسحق نفع
الله به وبناتنا لك الليلة ومن عادتهم أن يطعموا الوارد كاثمان كان من الهريسة المصنوعة
من اللحم والقمح والسمن وتؤكل بالرفاق ولا يتركون الوارد عليهم لاسفر حتى يقيم في
الضيافة ثلاثة أيام ويعرض على الشيخ الذي بالزاوية حوائجه ويذكرها للشيخ لافترائه
اللازمين للزاوية وهم يزيدون على مائة منهم المتزوجون ومنهم الاعزات المتجردون
فيختمون القرآن ويذكرون الذكرو يدعون له عند ضريح الشيخ أبي اسحق فقصي
حاجته باذن الله وهذا الشيخ أبو اسحق معظم عند أهل الهند والصين ومن عاينوا كتاب
بحر الصين انهم اذا تغبر عليهم الهواة وخافوا الاصوص نذروا لابي اسحق نذوراً وكتب
كل منهم على نفسه ما نذرهم فاذا وصلوا بر السلامة صعد خدام الزاوية الى المركب واخذوا
الزاماً وقبضوا من كل ناذر نذرهم ما يأتي من الصين أو الهند الا وفيه آلاف من
الدنانير فيأتي الوكلاء من جهة خدام الزاوية فيقبضون ذلك ومن الفقراء من يأتي طالباً
صدقة الشيخ فيكتب له أمر بها وفيه علامة الشيخ منقوشة في قالب من الفضة فيضمون

لطول وبهذا المسجد آثار كثيرة فمنها بيت ازاء المحراب عن يمين مستقبل القبلة يقال ان
لخليل صلوات الله عليه كزن له مصلى بذلك الموضع وعن مقربة منه محراب يحاق عليه
باعداد الساج مرتفع وهو محراب علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو هناك ضربه الشقي
بن ماجم والناس ية سدون الصلاة به وفي انزاوية من آخر هذا البلاط مسجد صغير
يحاق عليه أبي الموارث الساج ذكره الموضع مسجد فرمه "تور حمن حوفان" نوح عليه
السلام في ارضه ح المجد يان زعفران به نوح عليه السلام ازاد بيت
زعفران انه تعبر عن عيسى عليه السلام به بعد ث بعد متصل بالجدار القبلي من
لمسجد يقال انه موضع انشاء سفينة نوح عليه السلام وفي آخر هذا الفضاء دار علي بن أبي
طالب رضي الله عنه والبيت الذي غسل فيه ويتصل به بيت يقال ايضا له بيت نوح عليه
السلام والله أعلم بصحة ذلك كله وفي الجهة الشرقية من الجامع بيت مرتفع يصعد اليه فيه
نبر مسلم بن عقيل بن أبي طالب رضي الله عنه ويقترب منه خارج المسجد قبر عاتكة وسكينة
بنتي الحسين عليه السلام وأما قصر الامارة بالكوفة الذي بناه سعد بن أبي وقص رضي الله
عنه فلم يبق منه الا أساسه والفرات من الكوفة على مسافة نصف فرسخ في الجانب الشرقي
منها وهو متظلم جدا اثنى النخل المائة المتصل بعضها به من ورأيت بغربي جبانة الكوفة
موضعا سودا شديدا السواد في سيط أيضا فآخبرت ان قبر السقي ابن ماجم وان أهل
الكوفة يأتون في كل سنة بالحطب الكثير فيوقدون النار على موضع قبره سبعة أيام وعلى
قرب منه قبة آخبرت انها على قبر المختار بن أبي عبيد ثم رحلنا ونزلنا بملاحة وهي بلدة
حسنة بين حدائق نخل ونزلات بخارجها ذكره دخولها لأن أهلها وافرأض ورحلنا
منها الصبح فنزلنا مدينة الحلوة وهي مدينة كبيرة مستطيلة مع الفرات وهو بشرقيها ولها
اسواق حسنة جامعة للمرافق والصناعات وهي كثيرة العمارة وحدائق النخل منتظمة
بها داخلها وخارجها ودورها بين الحدائق ولها بسر عظيم معقود على مراكب متصلة
منتظمة فيما بين الشغلين تحف بها من جانيها لاسل من حديد مربوط في كلال الشغلين
الي خشبة عظيمة مثبتة بالساحل وأهل هذه المدينة كلها امامية اثنا عشرية وهم طائفتان

أحداها تعرف بالاكراد والآخرى تعرف بأهل الجامعين والفتنة بينهم متصلة والقتال قائم أبدا ويقرقة من السوق الأعظم هذه المدينة مسجدة على بابها ستر حرير مسدول وهم يسمونه مشهد صاحب الزمان ومن عادتهم أنه يخرج في كل ليلة مائة رجل من أهل المدينة عليهم السلاح وبأيديهم سيوف مشهورة فيأتون أمير المدينة بعد صلاة العصر فيأخذون منه فرسا مسرجا ماعجا أو بغلة كذلك ويضربون العيول والأفانق والبوقات أمام تلك الدابة ويتقدمها خمسون منهم ويتبعها مثلهم ويمشي آخرون عن يمينها وشمالها ويأتون مشهد صاحب الزمان فيقفون بالباب ويقولون باسم الله يا صاحب الزمان باسم الله اخرج قد ظهر الفساد وكثر الظلم وهذا أو أن خروجه فيعرف الله بك بين الحق والباطل ولا يزالون كذلك وهم يضربون الأبواق والأطبال والأنفار إلى صلاة المغرب وهم يقولون إن محمد بن الحسن العسكري دخل ذلك المسجد وغاب فيه وأنه سيخرج وهو الإمام المنتظر عندهم وقد كان غلب على مدينة الحلة بعد موت السلطان أبي سعيد الأمير أحمد بن رميته بن أبي نجي أمير مكة وحكمها أعواما وكان حسن السيرة يحمد أهل العراق إلى أن غلب عليه الشيخ حسن سلطان العراق فعذبه وقتله وأخذ أمواله والذخائر التي كانت عنده ثم سافر نائما إلى مدينة كربلاء مشهد الحسين بن علي عنيهما السلام وهي مدينة صغيرة تحفها حدائق التخل ويسقيها ماء الفرات والروضة المقدسة داخلها وعابها مدرسة عظيمة وزاوية كريمة فيها الطعام للوارد والصادرو عن باب الروضة الحجاب والقومة لا يدخل أحد إلا عن إذنهم فيقبل العتبة الشريفة وهي من الفضة وعلى الضريح المقدس قناديل الذهب والفضة وعلى الأبواب أستار الحرير وأهل هذه المدينة طائفتان أولاد خليك وأولاد قانز وينتمون إلى القتال أبدا وهم جميعا مامية يرجعون إلى آب واحد ولا جمل فتهم تخربت هذه المدينة ثم سافر نائما إلى بغداد

﴿مدينة بغداد﴾

مدينة دار السلام وحضرة الاسلام ذات القصر الشريف والفضل المنيف هوئى الخلفاء ومقر العلماء قال أبو الحسين بن جبير رضي الله عنه وهذه المدينة العتيقة

وان لم تزل حضرة الخلافة العباسية ومثابة اندعوة لامامية القرشيه فقد ذهب رسمها ولم يبق الاسمها وهي بالاضافة الي ما كانت عليه قبل انحاء الحوادث عليها والتفات أعين النواب اليها كالظلل الدارس أو تمثال الحيال الشاخص فلا حسن فيها يستوقف البصر ويستدعي من المستوفز الغفلة والنظر الادجلتها التي هي بين شرقها وغربها كالمرآة المجلوتين صفحتين أو العقد المنتظم بين لبنين فهي تردها ولا نظاماً وتطلع منها في مرآة صقيلة لا تصدأ والحسن الحريمي بين هوائها وماثها ينشأ قال ابن جزي وكان أبا تمام حبيب بن أوس اطلع على مآل اليه أسرها حين قال فيها (بسيط)

لقد أقام على بغداد ناعيا * فليكنها الخراب الدهر باكيها
كانت على ماثها والحرب موقدة * والنار تطلقاً حسناً في نواحيها
ترجي لها عودة في الدهر صالحة * فالآن أضمر منها اليأس راجيها
مثل العجوز التي ولت شبيبها * وبأن عنها جمال كان يحظيها

وقد نظم الناس في مسدحها وذكر محاسنها فاطنبوا ووجدوا مكان القول ذاسعة فأطالوا وأطابوا وفيها قال الامام القاضي أبو محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر المالكي البغدادي وأنشدني به والذي رحمه الله مرات (بسيط)

طيب الهواء ببغداد يشوقني * قربا اليها وان عاقت مقادير
وكيف أرحل عن اليوم اذ جئت * طيب الهواء من غدود ومقصور
وفيها يقول أيضاً رحمه الله تعالى ورضي عنه (طويل)

سلام على بغداد في كل موطن * وحق لها منى السلام المضاعف
فوالله ما فارقته عن قلبي لها * واني بشطبي جانبيها لعارف
ولكنها ضاقت علي برحبها * ولم تن الأقدار فيها تساعف
وكانت تكل كنت أهوى دنوه * واخلاقه تتأي به وتخالف

وفيها يقول أيضاً ماضياً لها وأنشدني والذي رحمه الله غير مامرة (بسيط)

بغداد دار لأهل المال واسعة * وللصمالك دار الفنك والضيق

ظلمات امشى مضاعفا في آرزقها * كأنني مصحف في بيت زنديق
 وفيها يقول القاضي أبو الحسن علي بن التيه من قصيدة (خفيف)
 آنست بالعمراق بدر آمنيراً * فطوت غيبا وخاضت هجيرا
 واستطابت ريا نسائم بغداد * دفكادت لولا البرى ان تطيرا
 ذكرت من مسارح الكرخ وروضا * لم يزل ناضرا وماء نميرا
 واجتنت من ربا المحول نورا * واجتلت من مطالع التاج نورا
 ولبعض نساء بغداد في ذكرها (كامل)

آها على بغدادها وعراقها * وطلبائها والسحر في احداقها
 وبجملها عند الفرات بأوجه * تبدو أهلها على أطواقها
 متبخترات في التعم كائنا * خلق الهوى المذرى من أخلاقها
 نقسي الفداء لها فأى محاسن * في الدهر تشرق من سنا اشراقها
 (رجع) وبلغ ادجير ان اتان معقودان على نحو الصفة التي ذكرناها في جسر مدبشة
 الحلقه والناس يعبرونهم باليلا ونهار ارجلا و نساء منهم في ذلك في زهرة متصلة ويغداد من
 المساجد التي تحلب فيها وتقام فيها الجمعة أحد عشر مسجدا منها بالجانب الغربي ثمانية
 وبالجانب الشرقي ثلاثة والمساجد سواها كثيرة جدا وكذلك المدارس الا انها خربت
 وحمامات بغداد كثيرة وهي من ابداع الحمامات وأكثرها مطايعه بالقار مسطحة به
 فيخيل لرائيه انه رخم اسود وهذا القار يجلب من عين بين الكوفة والبحيرة تنبع أبدا به
 ويصير في جوانبها كالاصال فيحرف منها ويجلب الي بغداده في كل حمام منها خلوات
 كثيرة كل خلوة منها مفروشة بالقار على نصف حائطها بمائلي الأرض به والنصف
 الأعلى مطلي بالجبس الأبيض الناصع فالضدان بها يجتمعان متقابل حسنهما وفي داخل كل
 خلوة حوض من الرخم فيه انبوابان أحدهما يجري بالماء الحار والآخر بالماء البارد
 فيدخل الانسان الخلوة منها منفردا لا يشاركه أحد الا ان أراد ذلك وفي زاوية كل خلوة
 أيضاً حوض آخر للاغتسال فيه أيضاً انبوابان يجريان بالحار والبارد وكل داخل يعطى

ثلاثاً من القوط أحدها تزر بها عند دخوله والاخرى تزر بها عند خروجه والاخرى
يتشف بها الماء عن جسده ولم أر هذا الاقن كله في مدينة سوى بغداد وبعض البلاد
تقاربها في ذلك

﴿ ذكر الجانب الغربي من بغداد ﴾

الجانب الغربي منها هو الذي عمر أولاً وهو الآن خراب أكثره وعلى ذلك فقد بقي منه
ثلاث عشرة محلة كل محلة كأنها مدينة بها الحمامان والثلاثة وفي تار منها المساجد
الجامعة ومن هذه المحلات محلة باب البصرة وبها جامع الحليفة أبي جعفر المنصور رحمه الله
والمارستان فيما بين محلة باب البصرة ومحلة الشارع على الدجلة وهو قصر كبير خرب
بقيت منه الآثار وفي هذا الجانب الغربي من المشاهد قبر معروف الكرخي رضي الله عنه
وهو في محلة باب البصرة وطريق باب البصرة مشهور بحافل البناء في داخله قبر متسع السنام
عليه مكتوب هذا قبر عون من أولاد علي بن أبي طالب وفي هذا الجانب قبر موسى الكاظم
ابن جعفر الصادق الدعي بن موسى الرضا والى جانب قبر الجوادوا القبران داخل الروضة
عليهما دكانة ملبسة بالخشب عليه ألواح الفضة

﴿ ذكر الجانب الشرقي منها ﴾

وهذه الجهة الشرقية من بغداد حافلة الاسواق عظيمة الترتيب وأعظم أسواقها سوق
العجبة بسوق الثلاثاء كل صناعة فيها على حدة وفي وسط هذا السوق المدرسة نظامية
يعرف التي صارت الامثال تضرب بحسنتها وفي آخره المدرسة المتصرفية وبستانها الى أمير
المؤمنين المستنصر بالله أبي جعفر بن أمير المؤمنين ان شاء الله أمير المؤمنين الناصر وبها
المذاهب الأربعة لكل مذهب ائوان فيه المسجد وموضع التدريس وجلس المدرس في
قبة خشب صغيرة على كرسي عليه البسط ويقعد المدرس وعليه السكينة والوقار لا يسأله
السواد معتمداً على يمينه ويساره معيدان يعيدان كل ما يهويه وهكذا ترتيب كل مجلس من
هذه المجالس الأربعة وفي داخل هذه المدرسة الحمام للطلبة ودار الوضوء وبهذه الجهة
الشرقية من المساجد التي تقام فيها الجمعة ثلاثة أحدها جامع الخليفة وهو المتصل بقصور

الخلفاء ودورهم وهو جامع كبير فيه سقايات ومظاهر كثيرة للوضوء والفسل لقيت بهذا المسجد الشيخ الامام العالم الصالح مسند العراق سراج الدين ابا حفص عمر بن علي بن عمر الفزوي وسمعت عليا فيه جميع مسند أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام الدارمي وذلك في شهر رجب اتمر دعاء سبعة وعشرين وسبع مائة قال أخبرتنا به الشيخة النصالحة المستدة بنت الملوك فاطمة بنت الحسن بن تاج الدين أبي الحسن علي بن علي بن أبي البدر قالت أخبرنا الشيخ أبو بكر محمد بن مسعود بن هرون الطيب المارستاني قال أخبرنا أبو الوقت عبد الاول بن شعيب السنجرى النوفى قال أخبرنا الامام أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد بن المغازى الداودى قال أخبرنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن حموية السرخسى عن أبي عمران عيسى بن عمر بن العباس السمرقندى عن أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل الدارمي والجامع الثاني جامع السلطان وهو خارج البلد وتصل به قصور تنسب لسلطان والجامع الثالث جامع الرصافة وبنه وبين جامع السلطان نحو الميل

﴿ذكر قبور الخلفاء ببغداد وقبور بعض العلماء والصالحين بها﴾

وقبور الخلفاء العباسيين رضي الله عنهم بالرصافة وعلى كل قبر منها اسم صاحبه فنهم قبر المهدي وقبر الهادي وقبر الأمين وقبر المعتصم وقبر الواثق وقبر المتوكل وقبر المنتصر وقبر المستعين وقبر المعتز وقبر المهدي وقبر المعتمد وقبر المعتضد وقبر المكتفي وقبر القادر وقبر الفاهر وقبر الراضى وقبر المتقي وقبر المستكفي وقبر المنطبي وقبر الطائع وقبر القائم وقبر القادر وقبر المستظهر وقبر المسترشد وقبر الراشد وقبر المكتفي وقبر المستجد وقبر المستضى وقبر الناصر وقبر الظاهر وقبر المستنصر وقبر المستعصم وهو آخرهم وعليه دخل التبريد بالسيوف وذبحوه بعد أيام من دخولهم وانه قطع من بغداد اسم الخلافة العباسية وذلك في سنة أربع وخمسين وستمائة وبقر الرصافة قبر الامام أبي حنيفة رضي الله عنه وعليه قبة عظيمة وزاوية فيها الطعام للوارد والصادر وليس بمدينة بغداد اليوم زاوية يطعم الطعام فيها ما عدا هذه الزاوية فسبحان مبدى الاشياء ومغيرها وبالقرى منها قبر الامام أبي عبد الله أحمد بن حنبل رضي الله عنه ولا قبة عليه وبذكر انها بنيت على قبره مزاراً

فتمت بقدره الله تعالى وقبره عند أهل بغداد عظموا كثيرهم على مذهبه وبالقرب منه قبر أبي بكر الشبلي من أئمة المتصوفة رحمه الله وقبر سري السقطي وقبر بشر الحافي وقبر داود الطائي وقبر أبي القاسم الجيدير رضي الله عنهم أجمعين وأهل بغداد لهم يوم في كل جمعة زيارة شيخ من هؤلاء المشايخ ويوم لشيخ آخر يليه مكنة إلى آخر الأسبوع وبغداد كثير من قبور الصالحين والعلماء رضي الله تعالى عنهم وهذه الجهة الشرقية من بغداد ليس بها فواكه وثمار تنجس اليها من الجهة الغربية لان فيها البساتين والحدائق ووافق وصولي الى بغداد كون ملك العراق بهائند كرمهنا

ذكر سلطان العراقيين وخراسان

وهو السلطان الجليل أبو سعيد بهادر خان وخان عندهم الملك (وبها درفتح الباء الموحدة وضم الدال المهملة وآخره زاء) السلطان الجليل محمد خذابنده وهو الذي أسلم من ملوك التتوضبط اسمه مختلف فيه فمنهم من قال ان اسمه خذابنده (بجاء معجمة معنومة مقوالة معجم مفتوح) وبنده لم يختلف فيه (وهو بياء موحدة موحدة ونون مسكنة ودال مهملة مفتوح وهاء استراحة) وتفسيره على هذا القول عبدالله لان خذاب الفارسية اسم الله عز وجل وبنده غلام أو عبد أو مافي معناها وقيل انما هو خربنده (بفتح الحاء المعجمة وضم الراء المهملة) وتفسيره بالفارسية الحمار فغناه على هذا غلام الحمار فشد ما بين القولين من الخلاف على ان هذا الاخير هو المشهور وكان الاول غيره اليه من تعصب وقيل ان سببه سميت بهما الاخير هو ان التريسمون المولود باسم أول داخل على البيت عند ولادته فلما لده هذا السلطان كان أول داخل الزمال وهم يسمون خربنده فسمي به وأخوه خربنده هو قازغان الذي يقول فيه الناس قازان وقازغان هو القدر وقيل سمي بذلك لانه لما ولد دخلت الجارية ومعهما القدر وخذابنده هو الذي أسلم وقدمنا قصته وكيف أراد أن يحمل الناس لما أسلم على الرفض وقصة القاضي مجد الدين معه ولما مات ولي الملك ولده أبو سعيد ماهر خان وكان ملكا قاضيا كرمهنا ملك وهو صغير السن ورأيت بهنداد وهو شاب أجمل خلق الله صورة

لانبأت بهار ضيه ووزيرها اذ ذاك الامير عياث الدين محمد بن خواجهر شيد وكان أبوه من
 مهاجرة اليهود واستوزره السلطان محمد خدابنده والد أبي سعيد رأيتهم ما يوم باحراق في
 الدحلة وتسمى عندهم الشبارة وهي شبه سلوارة وبن يديه مشق خواجهر ابن الامير
 جويان المتقلب على أبي سعيد وعن يمينه وشماله شهابان فيهما أهل الطرب والفناء ورأت
 من مكارمه في ذلك اليوم انه تعرض له جماعة من العميان فشكوا ضعف حالهم فأمر لكل
 واحد منهم بكسوة وغلام يقودون نفقة تجري عليه ولساوى السلطان أبو سعيد وهو
 صغير كاذكرناه استولى على أمراء الامراء الجويان وحجروا عليه التصرفات حتى لم
 يكن يسده من الملك الا الاسم وبذكر انه احتاج في بعض الاعياد الى نفقة تنفقها فلم يكن له
 سبيل اليها فبعت الى أحد التجار فأعطاه من المال ما أحب ولم يزل كذلك الى أن دخلت
 عليه يوما زوجة أبيه دنيا خاتون فقالت له لو كنا نحن الرجال ما تركنا الجويان وولده على
 ما هما عليه فاستفهمهما عن مرادها بهذا الكلام فقالت له انقدا تهني أمر دمشق خواجهر بن
 الجويان أن يقتلك بحرم أبيك وانتهات البارحة عند طغي خاتون وقد بعثت الي وقال لي اليلة
 أتيت عندك وما الرأي الا أن تجتمع الامراء والعساكر فاذا صعدا لي القلعة محتفيا برسم
 الميت أمكنك القبض عليه وأبوم يكنى الله أمراءه وكان الجويان اذ ذاك غائبا بخراسان فغلبته
 الفيرتوبات يدبر أمره فلما علم أن دمشق خواجهر بالقلعة أمر الامراء والعساكر أن
 يطيقوا بها من كل ناحية فلما كان بالغد وخرج دمشق ومعهم جندي يعرف بالحاج المصري
 فوجدوا سلسلة معرضة على باب القلعة وعاينهم اقل نلم عكها الخروج راكباً فضرب الحاج
 المصري السلسلة بسيفه فقطعها وخرج جامعا فاحاط بهم العساكر وعلق أمير من الامراء
 الخاصكية يعرف بمصر خراجيه وفتى يعرف بأولاد دمشق خواجهر فقتلوه وأبى الملك ابا
 سعيد برأسه فرموا به بين يدي فرسه وتلك عادتهم ان يلقوا برأس كبار أعدائهم وأمر
 السلطان بنهب داره وقتل من قاتل من خدامه ومماليكه واتصل الخبر بأبيه الجويان وهو
 بخراسان ومعه أولاد أمير حسن وهو الأكروطا لش وجولخان وهو أصغرهم وهو
 ابن أخت السلطان أبي سعيد أمه ساطي بك بنت السلطان خدابنده ومعهم عساكر التتر

وحاميتهما فاتفقوا على قتال السلطان أبي سعيد وزحفوا إليه فلما اتقى الجمعان هرب التتر إلى
سلطانهم - ثم أقر دوا الجوبان قاتل أي ذلك تكسر على عقيبه وقر إلى صحر اسمجستان
وأوغل فيهما وأجمع على الاحق بملك هرارة نياث الدين مستجير أبو موثح صناميدنته
وكانت له عليه أيد سابقة فلم يوافقوه ولده حسن وطالش على ذلك وقالوا له لا ينبغي بالعهد وقد
غدر فيروز شاه بعد أن لجأ إليه وقتله فأبى الجوبان إلا أن يلحق به ففارقوه ولده وتوجه معه
ابنه الأصغر جلو خان فخرج غياث الدين لاستقباله وترجل له وأدخله المدينة على الأمان
ثم غدر به بعد أيام وقتله وقتل ولده وبعث رأسيهما إلى السلطان أبي سعيد وأما حسن
وطالش فانهما قصدا نحو أوزم وتوجهوا إلى السلطان محمد أوزبك فأكرم متواهما وأمر لهما
إلى أن صدر منه - أما ما أوجب قتلهما وكان للجوبان ولد رابع اسمه الدمراطاش
فهرب إلى ديار مصر فافكره الملك الناصر وأعطاه الاسكندرية فأبى من قبولها وقال
انما أريد العساكر لا قاتل أباسميد وكان متى بعث إليه الملك الناصر بكموة أعطى هو
للذي يوصاها إليه أحسن منها أزرأ على الملك الناصر وأظهر أمورا أوجبت قتله فقتله
وبعث رأسه إلى أبي سعيد وقد ذكرنا قصته وقصة قرانقور فيما تقدم ولما قتل الجوبان
جاء به وبولده ميتين فوقف بهما على عرفات وحملوا إلى المدينة ليدفنا في التربة التي اتخذها
الجوبان بالقرب من مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فنع من ذناء ودفن بالبيع
والجوبان هو الذي جلب الماء إلى مكة شرفها الله تعالى ولما استقل السلطان أبو سعيد
بالمملك أراد أن يتزوج بنت الجوبان وكانت تسمى بغداد خاتون وعي من أجمل النساء
وكانت تحت الشيخ حسن الذي تقي به بموت أبي سعيد على الملك وهو ابن عمته فأمرد
فقتل عنها وتزوجها أبو سعيد وكانت أحظي النساء لديه والنساء لدي الأتراك وانتزلن
حظ عظيم وهم إذا كتبوا أمرا يقولون فيه عن أمر السلطان والخواتين ولعل خاتون
من البلاد والولايات والمجاوي العظيمة وإذا سافرت مع السلطان تكون في محلة على حدة
وغلبت هذه الخاتون على أبي سعيد وفضلها على سواها وأقامت إلى ذلك مدة أيامه ثم أنه
تزوج امرأة تسمى بدلشاد فأحبها حباً شديداً وهجر بغداد خاتون فغارت لذلك وسمنت في

منديل مسحته به بعد الجماع فمات وانقرض عتبه وغلبت أمرؤه على الجهات كما
سند كره ولما عرف الامراء ان بغداد خاتون هي التي سمتهم اجمعوا على قتلها وبدر لذلك
الفتي الرومي خواجه اؤاؤ وهو من كبار الامراء وقدمائهم فأتاها وهي في الحمام فضر بها
بدبوسه وقتلها وطرحته هناك أياما مستورة المورة بقطعة تلبس واستقل الشيخ حسن
بملك عراق العرب وتزوج دلشادا امرأة السلطان أبي سعيد كمثل ما كان أبو سعيد فعله
من تزوج امرأته

ذكر المتغلبين على الملك بعده موت السلطان أبي سعيد

فمنهم الشيخ حسن ابن عمته الذي ذكرناه آنفا تغلب على عراق العرب جميعاً ومنهم إبراهيم
شاه ابن الأمير سنيته تغلب على الموصل وديار بكر ومنهم الأمير ارتغلب على بلاد التركان
المعروفة أيضاً ببلاد الروم ومنهم حسن خواجه بن الدمراطش بن الجوبان تغلب على
تبريز والسلطانية وحمدان وقم وقاشان والري وورامين وفرغان والكرج ومنهم الأمير
طغتمور تغلب على بعض بلاد خراسان ومنهم الأمير حسين بن الأمير غياث الدين تغلب
على هراة ومعظم بلاد خراسان ومنهم ملك دینار تغلب على بلاد مكران وبلاد كيج ومنهم
محمد شاه بن مظفر تغلب على يزدوكرمان وورقو ومنهم الملك قطب الدين تمهين تغلب
على هرمز وكيش والقطيف والبحرين وقاهات ومنهم السلطان أبو اسحق الذي تقدم
ذكره تغلب على شيراز واصفهان وملك فارس وذلك مسيرة خمس وأربعين ومنهم
السلطان افراسياب أتابك تغلب على ايدج وغيره من البلاد وقد تقدم ذكره ولتعدالي
ما كتب بيده ثم خرجت من بغداد في محلة السلطان أبي سعيد، وغرضي أن أشاهد ترتيب
ملك العراق في رحيله ونزوله وكيفية تنقله وسفره وعادتهم أنهم يرحلون عند طلوع الفجر
ويتزلون عند الضحى وترتيبهم أنه يأتي كل أمير من الامراء بعسكره وطبوله وأعلامه
فيقف في موضع لا يتعداه قد عين له إمام في الميمنة أو اليسرة فإذا توافقوا جميعاً وتكاملت
صفوفهم ركب الملك وضربت طبول الرحيل وبوقاته وأنفاره وأتى كل أمير منهم فسلم على
الملك وعادالي موقفه ثم يتقدم أمام الملك الحجاب والتقاء ثم يليهم أهل الطرب وهم نحو

مائة رجل عليهم الثياب الحسنة وتحتهم مراكب السلطان وأمام أهل الطرب عشرة من
الفرسان قد تقلدوا عشرة من الطبول وخمسة من الفرسان لديهم خمس صرنايات وهي
تسمى عندنا بالفيطاط فيضربون تلك الاطبال والصرنايات ثم يكون ويغنى عشرة من
أهل الطرب نوبتهم فاذا قضوا هاضرت تلك الاطبال والصرنايات ثم أمسكوا وغنى عشرة
آخرون نوبتهم هكذا الى أن تتم عشر نوبات فعند ذلك يكون النزول ويكون عن يمين السلطان
وشماله حين سيرة كبار الامراء وهم نحو خمسين ومن ورائه أصحاب الاعلام والاطبال
والانفار والبوقات ثم محاليلك السلطان ثم الامراء على مراتبهم وكل أمير له اعلام
وطبول وبوقات ويتولى ترتيب ذلك كله أمير جندرو وله جماعة كبيرة وعقوبة من تخلف
عن فوجه وجماعته ان يؤخذ تمائة فيعلا رملا ويعاق في عنقه ويمشى على قدميه حتي
يبلغ المنزل فيؤتي به الى الأمير فيطالع على الارض ويضرب خمساو عشرين مقرة على
ظهره سواء كان رفيعا أو وضعيلا يحاشون من ذلك أحدا واذنوا ينزل السلطان ومعاليكه
في محلة على حدة وتنزل كل خاتون من خواتمه في محلة على حدة ولكل واحدة منهن الامام
والمؤذنون والقراء والسوق وينزل الوزراء والكتتاب وأهل الاشغال على حدة وتنزل كل
أمير على حدة ويأتون جميعا الى الخدمة بعد العصر ويكون انصرافهم بعد العشاء الاخيرة
والمشاغل بين أيديهم فاذا كان الرحيل يضرب الطبل الكبير ثم يضرب طبل الخاتون
الكبرى التي هي الملكة ثم اطبال سائر الخواتين ثم طبل الوزير ثم اطبال الوزراء دفعة
واحدة ثم يركب أمير المقدمة في عسكره ثم يتبعه الخواتين ثم اتقال السلطان وزاملته
وأتقال الخواتين ثم أمير ثان في عسكره لا يمنع الناس من الدخول فيما بين الانتقال
والخواتين ثم سائر الناس وسافرت في هذه المحلة عشرة أيام ثم رحبت الأمير علاء الدين
محمد الى بلدة تبريز وكان من الامراء الكبار افضلاء فوصلنا بعد عشرة أيام الى مدينة تبريز
ونزلنا بخارجها في موضع يعرف بالشاف وبنالت قبر قازان ملك العراق وعليه مدرسة
حسنة وزاوية فيها الطعام لا وارد الا الصادر من الخبز والاحم والأرز المطبوخ بالسمن
والحلواء وأنزلى الأمير ثلاث الزاوية وهي ما بين أنهار متدفقة وأشجار مورقة وفي غد

ذلك اليوم دخلت المدينة على باب يعرف باب بغداد ووصلنا إلى سوق عظيمة تعرف
 بسوق قازان من أحسن سوق رأيتها في بلاد الدنيا كل صناعة فيها على حدة لا تخلطها
 أخرى واجتازت بسوق الجوهرين غار بصري عراة من أنواع الجواهر وهي
 بأيدي عبايك من العرب عليهم الثياب الفاخرة وأوسطهم مشدودة بمناديل الحرير
 وهم يبيعون ما يبيعون به من الجواهر التي لا تدرى من بشرية كثير أيضا من
 فيه رأيت من بلاد كابل في أفغانستان وانبساط أفغانستان في ذلك
 أو أعظم ثم وجدت في هذا الموضع الذي يمر منه نهر دجلة في وسطه نهر صغير
 عن يمينه مستقبل القبة وهو من نوعين يماره زواوية ويحتمله مفروس بالمرمر وحيطانه
 بالقاشاني وهو شبه الزليج ويشبهه من رصده أنواع الأشجار ودوالي العنب وشجر ياسمين
 ومن عادتهم أنهم يقرؤون كل يوم سورتين وسورة فتح وسورة دعاء بعد صلاة العصر
 في صحن المسجد ويجمع لذلك أهل المدينة ثمانية تبريز ثم وصل بالغدا أمر السلطان
 أبي سعيد إلى الأمير علاء الدين بأن يعرض إليه فعدت معه يوم القيت تبريز أحد من العلماء ثم
 سافرنا إلى أن وصلنا محلة السلطان قاعه الأمير المذكور يمكنني وإدخلي عليه فسألني عن
 بلادتي وكسائي وأركبني وأعلمه الأمير أن أريدك فرالي الحجاز الشريف فامر لي بالزاد
 والركوب في السيل مع الحبل وكتب لي بذلك إلى أمير بغداد خواجه معروف فعدت إلى
 مدينة بغداد واستوفيت ما أمر لي به السلطان وكان قد بقي لأوان سفر الركب أزيد من
 شهرين فظهر لي أن أسافر إلى بغداد وديار بكر لأشاهد تلك البلاد وأعود إلى بغداد في
 حين سفر الركب فأتوج إلى الحجاز الشريف فخرجت من بغداد إلى منزل على نهر دجيل
 وعوقف عن دجلة فيسقى فري كثيرة ثم زدت بعد يومين بقربة كبيرة تعرف بحربة
 مخضبة فسيحة ثم رحلتنا من أوصاف على شط دجلة بالقرب من حصن يسمى المعشوق
 وهو مبني على الدجلة وفي العبد والشرق من هذا الحصن مدينة سمر من رأى ونسعى
 أيضا سمارا إلى هلسام رادومناه بالمارية طريق سام وراهو الطريق وقد استولى
 الخراب على هذه المدينة فليبق منها إلا القليل وهي مستلة الهواء رائحة الحسن على ألبانها

ودروس معالمها وفيها أضياف منهم صاحب الزمان كما بالحلقة ثم سمرنا منهم رحلة ووصلنا إلى مدينة تكريت وهي مدينة كبيرة فساحة الأرجاء مديحة الأواق كثيرة المساجد وأهلها موصوفون بحسن الاخلاق والدجلة في الجهة الشمالية منها ولها إقامة حصينة على شاطئ الدجلة والمدينة عتيقة البناء عليها سور يطيف بها سور حائما منها رحلتين ووصلنا إلى قرية تعرف بالقرى عريضة الدخان وبها عازها ربه سابع محمد بن يوسف الخان يروى بخار الحيدل أراج وبها قوم حافل والقرى اعمدة من عازها من هات إلى النور من ثم رحلتا ونزلنا موضعنا عرف بالفيار بنقرية من حاضروا تلك أرض سوداء فيها عيون تتبع بالقار ويصنع لها حواض ويجمع فيها اقتراب شبه النعام على وجه الأرض حافات اللون صقيلا رطابا وله رائحة طيبة في حول تلك العيون ركة كبيرة سوداء لونها شبه الناطح لب الرقيق فتقذفه إلى حواضهم فيصير أينا قارا وعقربة من هذا الموضع عين كبيرة فاذا أرادوا نقل القار منها أوندوا عليها النار فتشبه النار مذهب من رطوبة مائة ثم يقطعونه قطعا وينقلونه وقد تقدم ذكر العين التي بين الكوفة والبصرة على هذا النحو ثم سافرنا من هذه العيون مرحتين ووصلنا بعد ما إلى الموصل

✽ مدينة الموصل ✽

وهي مدينة عتيقة كثيرة الحصب وقلمتها المعروفة بالحدا بعظيمة الشأن شهيرة الامتاع عاها سور محكم البناء شديد الروع وتتصل بهادور اسماخان وقه فصيل بينهما وبين البلد شارع متسع مستطيل من أعلى البلد إلى أسفله وعن ابلد سوران اثنان وثيقان ابراجهما كثيرة متقاربا وفي باطن السور بيوت بعضها على ماض مستديرة بجداره تتمكن تحتها فيه اسعته ولم اري أسوار البلاد مثله الا تسور الذي على مدينة دهلي حضرة ملك الهند وللموصل رضى كبير فيدالسا دوا الحسامات والاسواق وبه مسجد جامع على شط الدجلة تدور به شبائيك حديد وتكصن به محض تشراف على دجلة في النهاية من الحسن والاتقان امامه مارستان وبداخل المدينة جامعان أحدهما قديم والآخر حديث وفي ضمن الحديث منها قبة في داخلها حصرة مرفوعة على سارية رخام يخرج منها

الماء بقوة وانما جفرت فرفع مقدار المائة ثم ينكس فيكون له مرأى حسن وقياسارية
الموصل ما يهتج لها أبواب حديد ويدور سهاذا كين وبيوت بعضها فوق بعض متقنة البناء
وبهذه المدينة مشهد جرحيس النبي عليه السلام وعليه مسجد والقبر في زاوية منه عن يمين
الداخل اليه وهو فيما بين الجامع الجديد وباب الجسر وقد حصلت لنا زيارته والصلاة
بمسجده والحمد لله تعالى وهنالك تل يونس عليه السلام وعلى نحو ميل منه العين المنسوبة
اليه يقال انه أمر قوم به بالنظير فيها ثم صعدوا التل ودعوا دعوا فكشف الله عنهم العذاب
وبقرية منه قرية كبيرة تقرب منها خراب يقال انه موضع المدينة المعروفة بنينوي مدينة
يونس عليه السلام واثار السور المحيط بها ظهروا واضع الابواب التي هي متينة وفي التل
بناء عظيم ورباط فيه بيوت كثيرة ومقاصر ومطاهر وسقايات يضم الجميع باب واحد
وفي وسط الرباط بيت عليه ستر حريز وله باب مرصع يقال انه اوضع الذي به موقف
يونس عليه السلام ومحراب المسجد الذي بهذه الرباط يقال انه كان بيت متبذره عليه
السلام وأهل الموصل يخرجون في كل ايلة جمعة الى هذا الرباط يتعبدون فيه وأهل
الموصل لهم مكارم اخلاق واين كلامه وفضيلة ومحبة في الغريب واقبال عليه وكان أميرها
حين قدومي عليها السيد الشريف الفاضل علاء الدين علي بن شمس الدين محمد الملقب
بمحيدر وهو من الكرماء الفضلاء أنزاني بداره وأجرني على الاتفاق مدة مقامي عنده وله
الصدقات والايثار المعروفة وكان السلطان أبو سعيد يعظمه وفوض اليه في هذه المدينة
وما يبايها ويركب في موكب عظيم من محايكة وأجناده وجوهر أهل المدينة وكبارؤها
يأتون للسلام عليه غدوا وعشا وله شجاعة وهابة وولاه في حين كتب هذا في حضرة
فاس مستقر الغرباء وماوى الفرق ومحيط رحال الوفود زاده الله بسعادة أيام مولانا أمير
المؤمنين بهجة واشراقا وحرس ارجاءها ونواحيها ثم رحلتنا من الموصل ونزلنا قرية
تعرف بعين الرصد وهي على نهر عايسه جسر مني وبها خان كبير ثم رحلتنا ونزلنا قرية
تعرف بالموايحة ثم رحلتنا منها ونزلنا ساجزيرة ابن عمرو هي مدينة كبيرة حسنة محيط
بها الوادي ولذلك سميت جزيرة وأكثرها خراب ولها سوق حسنة ومسجد عتيق

مبنى بالحجارة محكم العمل وسور هامني بالحجارة أيضا وأهله فضلاء لهم محبة في الغرباء
ويوم نزولنا بهار أينا جيل الجودي المذكور في كتاب الله عز وجل الذي استوت عليه
سفينة نوح عليه السلام وهو جبل عال مستطيل ثم رحلنا منها مرحلتين ووصلنا إلى مدينة
نصيبين وهي مدينة عتيقة متوسطة قد خرب أكثرها وهي في بسط أفنخ فسيح فيه المياه
الجارية والبساتين المتنفة والأشجار المنتظمة والقواكه الكثيرة وبها مصنع ماء الورد الذي
لا نظير له في العطار والطيب ويدور به نهر يحلف عليها أنعطاف السوار ينبع من عيون في
جبل قريب منها وينقسم أقساما فيتخلل بساتينها ويدخل منه نهر إلى المدينة فيجري في
شوارعها ودورها ويحترق صحن مسجدها الأعظم وينصب فيه مريحين أحدهما في وسط
الصحن والآخر عند الباب الشرقي وبهذه المدينة مارستان ومدرستان وأهلها أهل
صلاح ودين وصدق وأمانة وقد صدق أبو نواس في قوله

طابت نصيبين لي يوما وطبت لها * ياليت حظي من الدنيا نصيبين

قال ابن جزي والناس يصنفون مدينة نصيبين بفساد الماء والوخامة وفيها يقول بعض
الشعراء

نصيبين قد عجبت وما في * دارها لي داع إلى العلات

يعدم الورد أحرا في ذراها * لسقام حتى من الوجنات

ثم رحلنا إلى مدينة سنجار وهي مدينة كبيرة كثيرة القواكه والأشجار والعيون المنطردة
والأنهار مبنية في سفح جبل تشبه بدمشق في كثرة أنهارها وبساتينها ومسجدها الجامع
مشهور بالبركة يذكر أن الداعية يستجاب ويدور به نهر ما يشق وأهل سنجار كرم
ولهم شجاعة وكرم ممن لقبته به الشيخ الصالح العابد الزاهد عبد الله الكردي أحد المشايخ
الكبار صاحب كرامات يذكر عنه أنه لا يفطر إلا بعد أربعين يوما ويكون أفطاره على نصف
قرص من الشعير لقيته برابطة بأعلى جبل سنجار ودعاني وزدوني بدرهم ثم نزل عندي
إلى أن سافني كفار الهنود ثم سافرنا إلى مدينة دارا وهي مدينة كبيرة يضاء أنظرها

قلعة مشرفة وهي الآن خراب لا تسمار بها وفي خارجها قرية معورة بها كان نزولنا ثم
رحلنا منها فوصلنا إلى مدينة ماردين وهي عظيمة في سطح جبل من أحسن مدن الإسلام
وأبدعها وأتقنها وأحسنها أسواقاً وبها تصنع الثياب المنسوبة إليها من الصوف المعروف
بالمرعز وله إقامة شهاء من مشاهير الدلاع في قنص حياها قل ابن جزري قلعة ماردين هذه
تسمى الشهباء وإياها عني شاعر الراق في الدين عبد العزيز بن سرائي الحلبي بقوله في
سمطه (سر لمع)

فرع ربوع الحلة الفيحاء * وازور بالميس عن الزوراء
ولا تقف بانفصال الحذاء * أن شهباء القاعة الشهباء
بحرق شيطان صروف الدهر *

وقلعة حاب تحي الشهباء أيضاً وهذه المدينة بدعة مدحها الملك المنصور سلطان ماردين
وكان كرمها شهير الفيت ولي الملك بها نحو خمسين سنة وأدرك أيام قازان ملك التتار وصاهر
السلطان خذاً بده بآية الدنيا خاتون

في ذكر سلطان ماردين في عهد دخولي إليها *

وهو الملك الصالح بن الملك المنصور الذي ذكرناه آنفاً ورث الملك عن أبيه وله المنكارم
اشهيرة وإيس بأرض العراق والشام ومصر أكرم من يقصده الشعراء والفقراء فيجزل
لهم العطايا جرياً على سنن أبيه قصده أبو عبد الله محمد بن جابر الاندلسي المروي الكفيف
ماداً فاعطاه عشرين ألف درهم وله الصدقات والمدارس والزوايا لأطعم الطعام وله
وزير كبير انقدر وهو الامام العالم وحيد الدهر وفريد العصر جمال الدين السنجاري قرأ
بمدينة تبريز وأدرك العلماء الكبار وقاضي قضاة الامام الكامل بهان الدين الموصلی وهو
ينسب إلى الشيخ الولي فتح الموصلی وهذا القاضي من أهل الدين والورع والفضل
يلبس الخشن من ثياب الصوف الذي لا تبلغ قيمته عشرة دراهم ويتم بخود ذلك وكثيراً
ما يجلس للأحكام بصحن مسجد خارج المدرسة كان يتعبد فيه فاذا رامه من لا يعرفه ظنه
بعض خدام القاضي وأعوانه

حكاية *

ذكر لي ان امرأة أتت هذا القاضي وهو خارج من المسجد ولم تكن تعرفه فقالت له يا شيخ
أين يجلس القاضي فقال لها وما تريد مني فقالت له ان زوجي ضربني وله زوجة ثانية وهو
لا يعدل بيننا في القسم وقد دعوتني الى القاضي فأبى وأنا فقبر قليس عندي ما أعطيه لرجل
القاضي حتي يحضره به جلسته فقال لها وأين منزل زوجك فقالت بقريه الملاحين خارج
المدينة فقال لها أنا ذهاب معك اليه فقالت والله ما عندي شيء أعطيك أيام فقال لها وأنا
لا آخذ منك شيئاً ثم قال لها اذهبي الى القريه وانتظريني خارجها فاني على أثرك فذهبت
كلأمرها وانتظرت فوصل اليها وليس معها أحد وكانت عاتمة ان لا يدع أحد يتبعه فجات به
الى منزل زوجها فلما رآه قال لها ما هذا الشيخ النحس الذي معك فقال له نعم والله أنا
كذلك ولكن أرض زوجك فلما طال الكلام جاء الناس فعرقوا القاضي وساءوا عليه
وخاف ذلك الرجل وخجل فقالت له القاضي لا عليك أصلح ما بينك وبين زوجك
فأرضها الرجل من نفسه وأعطاهما القاضي نفقة ذاك اليوم وانصرف لقيت هذا القاضي
وأضافني بداره ثم رحلت عائداً الى بغداد فوصلت الى مدينة الموصل التي ذكرناها
فوجدت ركباً بخارجها من وجهين الى بغداد وفيهم امرأة صالحة عابدة تسمى بالنس زاهدة
وهي من ذرية الخلفاء حجت مرار وهي ملازمة الصوم سلمات عليها وكانت في جوارها
ومعها جملة من الفقراء يخدعونها وفي هذه الوجهة توفيت رحمة الله عليها وكانت قائماً بزود
ودقت هنالك ثم وصلنا الى مدينة بغداد فوجدت الحاج في أعباء الرجيل فقصدت أميرها
معروف فواجهه فطلبت منه ما أمر لي به السلطان فعين لي شقة محارة وزادار بمئة من
الرجال وماءهم وكتبوا بذلك وجه عن أمير الركة وهو البهلولان محمد الخو شجاع وأوصاه
بي وكانت المعرفة بيني وبينه مقدمة فزادها ناكدا ولم أزل في جواره وهو يحسن الي
ويزيدي على ما أمر لي به وأصابني عند خروجه من الكوفة أسهال فكانوا ينزلونني من
أعلى الحمل مرات كثيرة في اليوم والامير يتفقد حالي ويوصيني ولم أزل مرصاً حتى
وصلت مكة حرم الله تعالى زادها الله شرفاً وتعظيماً وطف باليت الحرام كرمه الله تعالى
طواف القدوم وكنت ضعيفاً بحيث أؤذي المكتوبة قاعداً انطقت وسميت بين النسقة

والمروعة أكب على فارس الأمير الخويج المذكور ووقفنا تلك السنة يوم الاثنين فلما نزلنا منى
أخذت في الراحة والاستقلال من مرضى ولما أقضى الحاج أقت مجاوراً بمكة تلك السنة
وكانهم الأمير علاء الدين بن هلال شيد (مشد) الدواوين مقيماً بالمعارة دار الوضوء
بظاهر المطارين من باب بني شيبه وجاور في تلك السنة من أنصريين جماعة من كبارهم
منهم تاج الدين بن الكويك ونور الدين القاضي وزين الدين بن الأصيل وابن الحلبي
وناصر الدين الأسيوطي وسكنت تلك السنة بالمدرسة المخفقرية وعافاني الله من مرضي
فكنت في أفهم عيش وتفرغت لاطواف والعبادة والانتجار وأتي في أثناء تلك السنة حاجاج
الصعيد وقمع معهم الشيخ الصالح نجم الدين الأصفوني وهي أول حجة حجها والاكخوان
علاء الدين علي وسراج الدين عمر ابنا القاضي الصالح نجم الدين الباهلي قاضي مصر
وجاعة غيرهم في منتصف ذي القعدة وصل الأمير سيف الدين بالملك وهو من الفضلاء
وصل في صحبته جماعة من أهل طنجة بلدي حرسها الله منهم الفقيه أبو عبد الله محمد ابن
القاضي أبي العباس ابن القاضي الخطيب أبي القاسم الجراوي والفقيه أبو عبد الله بن عطاء
الله والفقيه أبو محمد عبد الله الحضري والفقيه أبو عبد الله المرسي وأبو العباس ابن الفقيه أبي
علي البلنسي وأبو محمد ابن القابلة وأبو الحسن البياري وأبو العباس بن تافوت وأبو الصبر
أيوب الفخار وأحمد بن حكامه ومن أهل قصر الجاز الفقيه أبو زيد عبد الرحمن ابن
القاضي أبي العباس بن خلف ومن أهل القصر الكبير الفقيه أبو محمد بن مسلم وأبو اسحق
أبراهيم بن يحيى ولده وصل في تلك السنة الأمير سيف الدين تغر دمور من الخاصكية
والأمير موسى بن قرمان والقاضي نحر الدين ناظر الجيش كاتب المعاليك والتاج أبو
سحق والسحق مريسة الملك الناصر وكانت لهم صدقات عميمة بالحرم الشريف
بما أكثرهم صدقة القاضي نحر الدين وكانت وقفتا في تلك السنة في يوم الجمعة من عام ثمان
وعشرين ولما أقضى الحج أقت مجاوراً بمكة حرسها الله سنة تسع وعشرين وفي هذه
السنه وصل أحمد ابن الأمير وميثه ومبارك ابن الأمير عطيفة من العراق بحجة الأمير محمد
علي الخويج والشيخ زاده الحر بازي والشيخ دانيال وأتاب صدقات عظيمة للمجاورين

وأهل مكة من قبل الساطن أبي سعيد ملك العراق وفي تلك السنة قد ذكر اسمه في الخطبة
بعسذ كر الملك الناصر ودعوا له بأعلى قبضة من مذكروا بعده ساطن اليمن الملك
المجاهد نور الدين ولم يوافق الأمير عطيفة على ذلك وبعث شقيقه منصور اليملم الملك
الناصر بذلك فأمره بشة برده فردبعته ثانية على طريق جدة حتى أعلم الملك الناصر
بذلك ووقعتا ثلث السنة وهي سنة تسع وعشرين يوم الثلاثاء ولما انتهى الحج اقت
محاور أبنة حرسها الله سنة ثلاثين وفي موسمها وقعت الفتنة بين أمير مكة عطيفة وبين
أيدمور أمير جندار الناصري وسبب ذلك أن تجار امن أهل اليمن سرقوا فذكروا إلى
يدمور بذلك فقال أيدمور لمبارك بن الأمير عطيفة أئت بهمؤلاء السراق فقال لا أعرفهم
فكيف تأتيهم وبعد فأهل اليمن تحت حكمنا ولا حكم عليهم لك أن سرق لا أهل مصر
والشام شيء فاطبني به فغشمت أيدمور وقال له يا قواد تقول لي هكذا وضر به على صدره
فسقط ووقعت عماته عن رأسه وغضب له عبيده وركب أيدمور يريد عسكره فأحرقه
مبارك وعبيده فقتلوه وقتلوا ولده ووقعت الفتنة بالرم وكان أمير أحمد بن عم الملك
الناصر ورعي الترك بالشاب فقتلوا امرأة قيل أنها كانت تحرض أهل مكة على القتال
وركب من الركب من الأتراك وأميرهم خاص ترك نفرج اليهم القاضي زلائمة
والجوارين وفوق رؤسهم المصاحف وحاولوا الصلح ودخل الحاج مكة فأخذوا
ما لهم بها وانصرفوا إلى مصر وبلغ الخبر إلى الملك الناصر فشق عليه وبعث العساكر إلى
مكة ففر الأمير عطيفة وابنه مبارك وخرج أخوه رميته وأولاده إلى وادي نخلة فلما وصل
العسكر إلى مكة بعث الأمير رميته أحداً وأولاده يطلب له الأمان ولولده فأمنوا وأتي رميته
وكفته في يده إلى الأمير فخلع عليه وسلمت إليه مكة وعاد العسكر إلى مصر وكان الملك
الناصر رحمه الله حليماً فاضلاً فخرجت في تلك الأيام من مكة شرفها الله تعالى قاصداً بلاد
اليمن فوصلت إلى جدة (بالحاء المهملة المفتوح) وهي نصف الطريق ما بين مكة وجدة
(بالحيم المضموم) ثم وصلت إلى جدة وهي بلدة قديمة على ساحل البحر يقال أنها من
عمارة الفرس وبخارجها مصانم قديمة وبها حياض للماء منقورة في الحجر الصلابة تصل

بعضها ببعض تقوت الاحياء كثرة وكانت هذه السنة قليلة المطر وكان الماء يحلب الى
جدة على مسيرة يوم وكان الحجاج يستلثون الماء من أصحاب البيوت ﴿حكاية﴾

ومن غريب ما اتفق لي بحجة انه وقف على بابي سائل أعني يطلب الماء بقوده غلام فسلم
علي وسألني باسمي واخذ يدي ولم أكن عرفته قط ولا عرفني فمجت من شأنه ثم أمسك
أصبعي بيده وقال ابن الترخه وهي الحاتم وكنت حين حروحي من مكة قد أقيني بعض
الفقراء وسألني ولم يكن عندي في ذلك الحين شيء قد فت له خاتمي فلما سألتني عنه هذا
الاعمى قالت له اعطيتته فقير فقال ارجع في طلبه فان فيه ماء مكتوبة فيها سر من الاسرار
فقال تعجب منه ومن معرفته بذلك كما والله أعلم بحاله وبجدة جامع يعرف بجامع الانبوس
معروف البركة يستجاب فيه الدعاء وكان الامير بها أبا يعقوب بن عبد الرزاق وقاضيا
وخطيبا والثقة عبد الله من أهل مكة شافعي المذهب واذا كان يوم الجمعة واجتمع الناس
للمصلاة أتى المؤذن وعد أهل جدة المقيمين بها فان كلوا أربعين خطبة وصلى بهم الجمعة
وان لم يبلغ مدهم أربعين صلى ظهرا أربعين ولا يعتبر من يس من أهلها وان كانوا عددا
كثيرا ثم ركبنا البحر من جدة في مركب يسمى بالجابية وكان رشيد الدين الابن ليني
الطيشي الاصل وركب الشريف منصور بن أبي نعي في جلبة أخرى ورغبني أن اكون
معه فلم أقبل لكونه كان معه في جلبته الجمال نفقت من ذلك ولم أكن ركبنا البحر
قبلها و كان هالك جملة من أهل اليمن قد جعلوا أزوادهم وأمتعته في الجاب وهم
متأهبون للسفر ﴿حكاية﴾

ولما ركبنا البحر أمر الشريف منصور أحد غلمان أن يأتيه بعد ديلة دقيق وهي نصف
حمل ويطأ سم يأخذها من جاب أهل اليمن فأخذها وأتى بها اليه فأتاني التجار
ياكبن وذكروا لي ان في جوف تلك الديلة عشرة آلاف درهم نقرة ورغبوا مني أن
أأكلها في ردها وان يأخذوها فأفأنته وكلته في ذلك وقتله ان لا تجار في جوف هذه
الديلة شيئا فقال ان كان سكرافلا أرده اليهم وان كان سمى ذلك فهو لهم ففتحوها
فوجدوا الدراهم فردها عليهم وقال لي لو كان عجلا نماردها وعجلان هو ابن أخيه رميته

وكان قد دخل في تلك الايام دار تاجر من أهل دمشق فصد اليه من فذهب بمغنام ما كان فيها وعجلان هو أمير مكة على هذا المهد وقد صاح صوته وأظهر العدل والفضل ثم سافرنا في هذا البحر بالريح الطيبة يومين وتغيرت الريح... ذلك وصعدت من السيل التي قصدناها ودخلت أمواج البحر معنا في المراكب واشتد الريح بالناس ولم نزل في أهوال حتى خرجنا في مرسى يعرف برأس دوائر فيما بين عيذاب وسواكن فنزلنا به ووجدنا بساحله صريش قصير على هيئة مسجد وفيه كثير من فتور يرض النعام مملوء من فئسرتنا منه وطبخنا ورأيت بذلك المرسى عجبا وهو خور مثل الزادى يخرج من البحر فكان للناس يأخذون الثوب ويسكون بأطرافه ويخرجون به ربحا متلا سحكا كل سحكة منها قدر الذراع ويعرفونه بالبورى فطبخ منه الناس كثيرا واستروا وقصدنا إلى ناخلة من البجاة وهم سكان تلك الأرض سودا لا نوازيهم إلا بالاحتياج ويشتدون على رؤسهم عصائب حرا في عرش الاصبع وهم أهل ثبات وشجاعة وسلاحهم الرماح والسيوف ولهم جمال يسمونها الذهب يركونها بالبروج فأكثر زناهم بالجمال وسافرنا معهم في برية كثيرة النزال واللبجاة لا يأكلونها فهي نأنس بالآدمي ولا نفر منه وبعد يومين من مسيرنا وصلنا إلى حي من العرب يعرفون بأولاد كاهل مختلطين بالبجاة عازفين بلسانهم وفي ذلك اليوم وصلنا إلى جزيرة سواكن وهي على نحو ستة أميال من البر ولا ما بها ولا زرع ولا شجر والماء يجلب اليها في القوارب وفيها صهارش يجتمع بهاماء المطر وهي جزيرة كبيرة وبها الخدم النعام والغزلان وحمر الوحش والتمزي عندهم كثير والالباز والسمن ودهنها يجلب إلى مكة وحبوبهم الجرجير هو نوع من الذرة كالحب يجلب منها أيضا إلى مكة

ذكر سلطانها

وكان سلطان جزيرة سواكن حين وصولي إليها الشريف زيد بن أبي نسي وابوه أمير مكة وأخواه أميرها بعده وها عطفة تورميثة الذين تقدم ذكرها وصارت إليه من قبل البجاة فانهم اخواله ومعه عسكر من البجاة وأولاده كاهل وعرب جهينة وركبنا البحر من جزيرة سواكن تريد أرض اليمن وهذا البحر لا يسافر فيه بالليل لكثرة أحجاره وانغسا سافرون

فيه من طنوع الشمس الى غروبها ويرسون وينزلون الى البر فاذا كان الصباح صعدوا الى
 المركب زهم يسمون رئيس المركب الربان ولا يزال أبدا في مقعد المركب ينصب صاحب
 السكن على الاحجار وهم يسمونها التيات وبه ستة أيام من خروجنا عن جزيرة سواكن
 وصلا الى مدينة حلى (وضبط اسمها بفتح الحاء المهمل وكسر الهمزة وتخفيفها)
 وتعرف باسم ابن يعقوب وكان من سلاطين اليمن ساكنها اقربها وهي كبيرة حسنة
 اعمارة يسكنها طائفتان من العرب وهم خو حرام وبنو كنانة وجامع هذه المدينة من
 أحسن الجوامع وفيه جماعة من الفقهاء المتقطين الى العبادة منهم الشيخ الصالح العابد
 الزاهد قبوله الهندي من كبار الصالحين باسمه مرقمة وقانسوة ابدوله خلوة صلة بالمسجد
 غرشنا ثم لم لا حصر بها ولا بساط ولما ربهنا حين انما لي شينا الا ابريق الوضوء وسنيرة
 من حوص اتخيل فيها كسر شعير يابسة وخفيفة فيها ملح وصعتر فاذا جاءه أحد قدم بين
 يديه ذلك ويسمع به احتياجه فيأتي كل واحد منهم بما حضر من غير تكلف شيء واذا صلوا
 انصراحتهم والذكر بين يدي الشيخ الى صلاة المغرب واذا صلوا المغرب اخذ كل
 واحد منهم موقفه لا تنقل فلا يزالون كذلك الى صلاة العشاء الآخرة فاذا صلوا العشاء
 الآخرة ما عني الذكر الى ثلث الليل ثم انصرفوا ويعودون في اول الثلث الثالث الى
 المسجد فيتمجدون الى الصبح ثم يذكرون الى ان يحين صلاة الاشراف فينصرفون
 بعد صلاتها ومنهم من يتيم الي أن يصلي صلاة الضحى بالمسجد وهذا دأبهم
 ولقد كنت أردت الإقامة معهم باقي عمري فلم أوفق لذلك والله تعالى يداركنا
 بأمره وتوفيقه

﴿ ذكر سلطان حلي ﴾

في سلطانه اعا من بن ذويب من بني كنانة وهو من الفضلاء الادباء الشراء محبته من مكة الى
 جعدة وكان قد حج في سنة ثلاثين ولما قدمت مدينته أنزلني وأكرمني وأقمت في ضيافته
 أياما وركب البحر في مركب له فوصل الى بلدة السرجة (وضبط اسمها بفتح السين
 المهمل واسكان الراء وفتح الحيم) بلدة صغيرة يسكنها جماعة من أولاد الهبي وهم طائفة

من تجار اليمن أكثرهم ساكنون بصدداء ولهم فضل وكرم واطعام لبناء السيل ويهتدون
الحجاج وبركوتهم في مراسيلهم ويزودونهم من أموالهم وقد صرّفوا بذلك واشتهروا
به وكثر الله أموالهم وزادهم من فضله وأعانهم على فعل الخير وليس بالارض من عائلهم
في ذلك الا الشيخ بدر الدين النقاش الساكن ببلدة القحمة قلّه مثل ذلك من المآثر
والاثر وأقننا بالمرجة ليلة واحدة في ضيافة المذكورين ثم رحلنا الى مرسى الحادث ولم
نزل به ثم الى مرسى الابواب ثم الى مدينة زبيدة مدينة عظيمة باليمن فيها وبن صناعاء
أربعون فرسخا وليس باليمن بعد صنعاء أكبر منها ولا أغنى من أهلها واسعة البساتين كثيرة
المياه ولقوا كثر من الموز وغيره وهي برية لاشطية إحدى قواعد بلاد اليمن (وهي بفتح
الزاي وكسر اليا والموحدة) مدينة كبيرة كثيرة العمارة من النخل والبساتين والمياه
أمنيع البساتين وأجاءها ولاهاها الطافة الشاملة وحسن الاخلاق وجمال الصور
وانسائها الحسن الفائق الفائق وهي وادي الخصب الذي يذكر في بعض الآثار ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما ذفي وصيته يا ما اذا ذجت وادي الخصب فهو رول
ولا. هذه المدينة سموت النخل المشهورة وذلك انهم يخرجون في أيام البسر والرطب في
كل سبت الى حدائق النخل ولا يبقى بالمدينة أحد من أهلها ولا من الغرياء ويخرج أهل
الطرب وأهل الأسواق الفواكه والخلاوات وتخرج النساء ممتطيات الجمال في المحامل
ولهم مع ما ذكرناه من الجمال الفائق الحسنة والمكارم وزفر بغير عندهم
مزية ولا يمنة من تزوجه كما يفعله نساء بلادنا فاذا أراد البسر خرجت معه وودعته وان كان
بينهما ولد فهي تكفيه وتقوم بما يجب له الى أن يرجع أبوه ولا تنظر اليه في أيام الفية بشفقة ولا
كسوة ولا. واهوا اذا كان مقبلا فهي تنفع منه بقليل الثقة والكسوة لكنهن لا يخرجن عن
بلادهن أبدا ولو أعطيت احداهن ماعسى ان تعطاه على أن تخرج من بلادها لم تفعل وعلما
تلك البلاد وفقهاؤها أهل صلاح ودين وأمانة ومكارم وحسن خلق لقيت بمدينة زبيدة
الشيخ العالم الصالح أبا محمد الصنعاني والفقير الصوفي المحقق أبا العباس الايباني والفقير
المحدث أبا علي الزبيدي ونزلت في جوارهم فأكرموني وأضافوني ودخلت حداثتهم

واجتمعت عندهم بالنعيق القاضي العالم أبي زيد عبد الرحمن الصوفي أحد فضلاء اليمن
ووقع عنده ذكر العابد الزاهد الحاشع أحمد بن المجيل اليمني وكان من كبار الزهاد وأهل
الكرامات

سيرة كرامته

ذكره ابن القيم الزيدية وكبراءهم أنوامة في زيارة الشيخ أحمد بن المجيل فجلس لهم
خارج الزاوية واستمعوا له وأجابوه ولم يرح الشيخ عن موضعه فساءوا عليه وصاحفهم
ورحب بهم ووقع بينهم الخلاف في مسألة القدر وكانوا يقولون إن لا قدر وإن المكلف يخاف
أفعاله فقال لهم الشيخ فإن كان الأمر على ما تقولون تقوموا على مكانكم هذا فأرادوا التمسك
فلم يستطيعوا فتركهم الشيخ على حالهم ودخل الزاوية وأقاموا كذلك واشتبه بهم الحر
ولحقهم وخرج أشموس وضجوا بمسازنةهم فدخل أصحاب الشيخ إليه وقالوا له إن هؤلاء
انقوم قد تابوا إلى الله ورجعوا عن مذهبهم الفاسد فخرج إليهم الشيخ فأخذ يأديهم
وعاهدهم على الرجوع إلى الحق وترك مذهبهم السيئ وأدخلهم زاويته فأقاموا في
ضيافته ثلاثاً وانصرفوا إلى بلادهم وخرجت لزيارة قبر هذا الرجل الصالح وهو بقربة
يقال لها غسانة خارج زينة رقيقة ولده الصالح أبو الوائيد اسمعيل بن شافعي وبنت عنده
وزرت شريفة شيخ وأقامت معه ثلاثاً وسافرت في صحبته إلى زيارة النعيق أبي الحسن الزبلي
وهو من كبار الصالحين ويقدم حجاج اليمن إذا وجهوا إلى الحج وأهل تلك البلاد وأعراسها
يعظمون ويؤتمنونه فوصلنا إلى جيله وهي بلدة صغيرة حسنة ذات نخيل وفواكه وأثمار فالما
سمع النعيق أبو الحسن الزبلي بقدم الشيخ أبي الوائيد أتته وأقبله وأقبلته وأقبلته وأقبلته
معه وأقامت عنده ثلاثة أيام في خير مقام ثم انصرفوا إلى بلادهم ثم أتته مرة أخرى إلى المدينة
فمن حضرته ملك اليمن (وضبط اسمها بفتح التاء المملوءة وكسر العين المملوءة وزاء) وهي
من أحسن مدن اليمن وأعظمها وأهاها ذوو وتجبر وتكبر وفظانلة وكذلك أنما على
البلاد التي يسكنها الملوك وهي ثلاث محلات أحدها يسكنها السلطان ومساكنه وحاشيته
وأرباب دولته وتسمى باسم لا أذكره والثانية يسكنها الأمراء والأجناد وتسمى عدينة
والثالثة يسكنها عامة الناس وبها السوق العظمى وتسمى المحاب

ذكر سلطان اليمن

وهو السلطان نجاهد نور الدين علي ابن السلطان المؤيد هزير الدين داود بن السلطان المظفر يوسف بن علي بن رسول شهر جده يسمى برَسُول لأن أحد خُلفاء بني العباس أرسله الي اليمن ليكون بها مبراً ثم استقل أولاده بالملك وله ترتيب عجيب في قعوده وركوبه وكنت لما وصات هذه المدينة مع الفقير الذي بعثه الشيخ النقيه أبو الحسن الزيلعي في صحبتي قصدني الى قاضي القضاة الامام المحمّد بن صفى الدين الطبري المكي فسامعنا عليه ورحب بنا وأقنا بداره في ضيافته ثلاثاً فلما كان في اليوم الرابع وهو يوم الخميس وفيه يجلس السلطان امامه الناس دخل في تاليه فسامت عليه وكيفية السلام عليه ان يمس الانسان الارض بسبائنه ثم يرفعها الى رأسه ويقول أدام الله عزك ففعلت كمثل ما فعله القاضي وقعد القاضي عن عين الملك وأمرني فتمعدت بين يديه فسأني عن بلادي وعن مولانا أمير المسادين جواد الاجواد أبي سعيد رضي الله عنه وعن ملك مصر وملك لمران وملك اللوز فأحبتني عمه سأل من أحوالهم وكان وزيره بين يديه مأمراً بأكراحي وإزالتي وترتيب قعوده هذا الملك انه يجلس فوق دكة مفروشة مزينة بثياب الحر يرو عن يمينه ويساره أهل السلاح ويديه منهم أصحاب السيوف والدرق ويليهما أصحاب القسي وبين يديهم في الميمنة والميسرة الحاجب وأرباب الدرة وكان ب"سر وأمر جندار علي رأسه والوشية وهم من الجنادة وقوف على يده فاذا قعد السلطان صاحوا صيحة واحدة باسم الله فاذا قام فعلوا مثل ذلك فيعلم جميع من بالمشور وقت قيامه ووقت قعوده فاذا استوى قاعد دخل كل من عادته أن يسلم عليه فلم يوقف حيث رسم له في الميمنة والميسرة لا يتعدى أحد مؤذعه ولا يتعدى الامن أمر بالعود يقول السلطان للامير جندار مصر فلا يبقه في تقدم ذلك المأمور بالعود عن موقفه قليلا ويوقه سعد على بساط هناك بين أيدي القائمين في الميمنة والميسرة ثم يؤتى بالطعام وهو طعامان طعام العامة وطعام الخاصة فأما الطعام الخاص فيأكل منه السلطان وقاضي القضاة والكبار من الشرفاء ومن الفقهاء والضيوف وأما الطعام العام فيأكل منه سائر الشرفاء والفقهاء والقضاة والمشايخ والامراء ووجود الاجناد ومجلس كل انسان للطعام معين

لا يعتمدوا ولا يراحم أحد منهم أحدًا وعلى مثل هذا الترتيب سواء هو ترتيب ملك الهند في
طعامه فلا أعظم أن سلاطين الهند أخذوا ذلك عن سلاطين اليمن أم سلاطين اليمن أخذوا
عن سلاطين الهند وأقتت في ضيافة سلطان اليمن أيما وأحسن إلى وأركبني وانصرفت
مسافرا إلى مدينة صنعاء وهي قاعدة بلاد اليمن الأولى مدينة كبيرة حسنة العمارة بناؤها
بالآجر والجص كثيرة الأشجار والفواكه والزروع معتدلة الهواء طيبة الماء ومن الغريب
أن المطر ببلاد الهندو اليمن والحشة تنسأ ينزل في أيام القيظ وأكثر ما يكون نزوله بعد
الغدير من كل يوم في ذلك الاوان فالسافرون يستعجلون عند الزوال لئلا يصيبهم المطر
بأهل المدينة ينصرفون إلى منازلهم لأن أمطارها وابلية متدفقة ومدينة صنعاء مفروشة
بها فاذا نزل المطر غسل جميع أزمتها وأنقاها وجامع صنعاء من أحسن الجوامع وفيه قبر
سبي من الانبياء عليهم السلام ثم سافرت منها إلى مدينة عدن مرعي ببلاد اليمن على ساحل
البحر الاعظم والخيال تخف بها ولا مدخل اليها الا من جانب واحد وهي مدينة كبيرة ولا
زرع بها ولا شجر ولا ماء وبها صهاريج يجتمع فيها الماء أيام المطر والماء على بعد منها فرعا
منه العرب وحواوين أهل المدينة ويذه حتى يصافوهم بالماء والنياب وهي شديدة الحر
وهي مرسى أهل الهند تأتي اليها المراكب العظيمة من كتيبات وتانه وكولم وقاقوط
وفندرايشه والشاليات ومنجرو وروفا كنور وهنور وسندابور وغيرها وتجار الهند
ساكنون بها وتجار مصر أيضا وأهل عدن مابين تجار ومابين حماليين وصديادين للسملك
وللتجار منهم أموال عريضة وريسا يكون لاحدهم المركب العظيم بجميع ما فيه لا يشاركه
فيه غيره لسة مابين يديه من الاموال ولهم في ذلك تفاخر ومباهات ﴿حكاية﴾
ذكر لي أن بعضهم بعث غلاما له يشترى له كبشاً وبعث آخر منهم غلاما له يرسم ذلك أيضا
فاتفق انه لم يكن بالسوق في ذلك اليوم الا كبش واحد فوقت المزايده فيه بين الغلامين
فاشبه ثمنه إلى أربع مائة دينار فأخذها أحدهما وقال ان رأس مالي أربع مائة دينار فان
أعطاني مولاي ثمنه فحسن والإدفعت فيه رأس مالي ونصرت نفسي وغلبت صاحبي وذهب
بالكشر إلى سده فلما عرف سبده بالقضبة أعتقه وأعطاه ألف دينار وعاد لا خرا إلى سيده

خائباً فضر به وأخذ ماله ونفاه عنه ونزلت في عدن عند تاجر يعرف بتناصر الدين الفارسي فكان يحضر طعامه كل ليلة نحو عشرين من التجار له غلمان وخدام أكثر من ذلك ومع هذا كله فهم أهل دين وتواضع وصلاح ومكارم أخلاق يحسنون إلى الغريب ويؤثرون على الفقير ويعلمون حق الله من الزكاة على ما يجب ولقيت بهذه المدينة قاضيها الصالح الميامن ابن عبد الله الهندي وكان والده من العبيد الخماليين واشتغل ابنه بالعلم قرأ وساد وهو من خيار القضاة وفنالاتهم أقمت في ضيافته أياماً وسافرت من مدينة عدن في البحر أربعة أيام ووصلت إلى مدينة زيلع وهي مدينة النبرية وهم طائفة من السودان شافعية المذهب وبلادهم صحراء مسيرة شهرين أو لها زيلع وآخرها مقدشو ومواسيهم الجمال وهم أغنام مشهورة السمن وأهل زيلع سودا لوان وأكثرهم رافضة وهي مدينة كبيرة هب سوق عظيمة لأنهم أقدر مدينة في العمور وأوحشها وأكثرها تنناً وسبب تننتها كثرة سمكها وودماء الابل التي تبحر ونها في الأزقة ولما وصلنا إليها اخترنا المبيت بالبحر على شدة هوله ولم نبت بها القدرها ثم سافرنا منها في البحر خمس عشرة ليلة وصلنا مقدشو (وضبط اسمها بفتح الميم واسكان القاف) وتبع الدال انهم مل والشين المعجم واسكان النوار) وهي مدينة متناهية في الكبر وأهلها لهم جمال كثيرة تبحرون منها المئين في كل يوم ولهم أغنام كثيرة وأهلها تجار أقوياء وبها تصنع الثياب المنسوبة إليها التي لا نظير لها ودونها تحمل إلى ديار مصر وغيره من عتدة أهل هذه المدينة أنه متى وصل مركب إلى المرسى تصعد الصنابق وهي القوارب الصغار إليه ويكون في كل صنبق جماعة من شبان أهلها يأتي كل واحد منهم بإطبق مغطى فيه الطعام فيقدمه للتاجر من تجار المركب ويقول هذا نزيل وكذلك يفعل كل واحد منهم ولا ينزل التاجر من المركب إلا إلى دار نزيله من هؤلاء الشبان الآمن كان كثير التردد إلى البلد وحصلت له معرفة أهله فانه ينزل حيث شاء فإذا نزل عند نزيله باع له ما عنده واشترى له ومن اشترى منه يخش أوباع منه بغير حضور نزيله فذلك البيع مردود عندهم ولهم منفعة في ذلك ولما صعد الشبان إلى المركب الذي كنت فيه جاء إلى بعضهم فقال له أحياني ليس هذا بتاجر وإنما هو فقيه فصاح بصحابه وقال لهم هذا نزيل القاضي وكان فيها:

أحد أصحاب القاضي فعرفه بذلك فأتى الى ساحل البحر في جملة من الطلبة وبعث الى أحدهم فنزلت أنا وأصحابي وسلمت على القاضي وأصحابه وقال لي باسم الله توجه لسلام على الشيخ فقلت ومن الشيخ فقال السلطان وعادتهم ان يقولوا للسلطان الشيخ فقلت له اذا نزلت توجهت اليه فقال لي ان العادة اذا جاء الفقيه أو الشريف أو الرجل انصالح لا ينزل حتى يرى السلطان فذهبت معهم اليه كطابوا

✽ ذكر سلطان مقدشو ✽

وسلطان مقدشو كما ذكرناه انتم يقولون له الشيخ واسمه أبو بكر بن الشيخ عمر وهو في الاصل من البربرة وكلامه بالمقدشي ويعرف اللسان العربي ومن عوائده انه متى وصل حرك يده اليه صنبوق السيفين فيسأل عن المركب من أين قدم ومن صاحبه ومن ربانه وهو الرئيس وما وسقه ومن قدم فيه من التجار وغيرهم فيعرف بذلك كانه ويعرض على السادة ان من استحق ان ينزله عنده انزاهه ولما وصلت مع القاضي المذكور وهز يعرف بابن البرهان المصري الاصل الى دار السلطان خرج بعض الفتية فسلم على القاضي فقال له بلغ الامانة وعرف مولانا الشيخ ان هذا الرجل قد وصل من أرض الحجاز فبلغ ثم عاد وأني بطبق فيه أوراق التنبول والفوفل فأعطاني عشرة أوراق مع قاييل من الفوفل وأعطاني لقاضي كذلك وأعطاني لأصحابي واطابة القاضي ما بقي في الطبق وجاء بقمة من ماء الورد الدمشقي فسكب على وعلى القاضي وقال ان مولانا أمر ان ينزل بدار الطلبة وهي دار معدة لضيافة الطلبة فأخذ القاضي يسيدي وحتا الى تلك الدار وهي بمقرعة من دار الشيخ مفروشة مرتبة بمحتاج اليه ثم أتى بالاطام من دار الشيخ ومعه أحد وزرائه وهو الموكل بالضيوف فقال مولانا يسلم عليكم ويقول لكم قد تم خير مقدم ثم وضع الطعام فأكلنا وطعامهم الأرض المطبوع بالسمن يحملونه في صحفة خشب كبيرة ويحملون فوقه صحاف الكوشان وهو الادام من الدجاج واللحم والحوت والبقول ويطحخون الموز قبل نضجه في اللبن الحليب ويحملونه في صحفة ويحملون اللبن المريب في صحفة ويحملون عايبه الليمون المصبر وعناقيد الفلفل المصبر المخلل والمملوح والزنجبيل الأخضر والعبا وهي مشد

التفاح ولكن لها نواة وهي اذا انضجت شديدة الحلاوة وتأكل كالفاكهة وقبل نضجها حامضة كالأيجون يصبرونها في الحل وهم اذا أكلوا القمه من الأرز أكلوا ويسدها من هذه المواحل والخمالات والواحد من أهل مقدشواً كل قدر مائتا كلة الجماعة مناعادتهم وهم في نهاية من ضخامة الجسم وسمنها ثم لما طعمنا انصرف عنا القاضي وأقننا ثلاثة أيام يؤني الينا بالظلمة ثلاث مرات في اليوم وذلك عادتهم فلما كان في اليوم الرابع وهو يوم الجمعة جاءني القاضي وانطبة وأحد وزراء الشيخ وآتوني بكسوة وكسوتهم فوطه خزيشدها الانسان في وسطه عوض السر او يمل فأنهم لا يمر فونها ودراعة من المقطع المصري معاملة وفرحية من التدمي مبعثنة وعمامة مصرية معاملة وآتوا لاجاني بكسي تناسبهم وآتينا الجامع فصاينا خلف المقصورة فلما خرج الشيخ من باب المقصورة سلمت عليه مع القاضي قرحوب وتكلم باسائهم مع القاضي ثم قال اللسان العربي قدمت خيرة قدم وشرفت بلادنا وآتستنا وخرج الى صحن المسجد فوقف على قبر والده وهو مدفون هناك فقرأ ودعا ثم جاء الوزراء والأمراء وجوه الأجناد فملأوا وعادتهم في السلام كما دأه أهل اليمن يضع سبابة في الأرض ثم يجعلها على رأسه ويقول أدام الله عزك ثم خرج الشيخ من باب المسجد فلبس نعاليه وأمر القاضي أن يتحمل وأمرني أن أتبع وتوجه الى منزله ماشياً وهو بالقرب من المسجد ومشى الناس كلهم حفاة ورفعت فوق رأسه أربع قباب من الحرير الملون وعلى أعلى كل قبعة صرورة طائر من ذهب وكان لباسه في ذلك اليوم فرجية قدسي أخضر وتحملها من ثياب مصر وطروحاتها الحسان وهو متقلد بقوطة حرير وهو معتم بعمامة كبيرة وضربت بين يديه الطبول والابواق والانتار وأمراء الأجناد امامه وخلفه والقاضي واقفهماء وانشر فامعه ودخل الى مشوره على تلك الهيئة وقعد الوزراء والأمراء وجوه الأجناد في سقفة هنالك وفرش للقاضي بساط لا يجلس معه غيره عليه والفقهاء وانشر فامعه معه ولم يزلوا كذلك الى صلاة العصر فلما صلو العصر مع الشيخ أتى جميع الأجناد وقفوا صفوفا على قدر مراتبهم ثم ضربت الاطبال والانفار والابواق والصرايات وعند ضربها لا يتحرك أحد ولا يتحرك عن مقامه ومن كان ماشياً وقف فلم يتحرك الي خلف ولا

الى امام فاذا فرغ من ضرب الطباخة سلموا بأصابعهم كاذكرناه وانصرفوا وتلك عادة لهم في كل يوم جمعة واذا كان يوم السبت يأتى الناس الى باب الشيخ فيقعدون في سقافهم خارج الدار ويدخل القاضي والفقهاء والشرفاء والصالحون والمشايخ والحجاج الى انشور الثاني فيقعدون على دكاكين خشب معدة لذلك ويكون القاضي على دكانة وحده وكل صنف على دكانة تخصهم لا يشاركونهم فيها سواء هم نجاس الشيخ أم جلسه ويذهب الى القاضي فيجلس عن يساره ثم يدخل الفقهاء فيقعد كبراً وهم بين يديه وسائرهم يسارون وينصرفون ثم يدخل الشرفاء فيقعد كبراً وهم بين يديه ويسلم سائرهم وينصرفون ون كانوا ضيوفاً جلسوا عن يمينه ثم يدخل المشايخ والحجاج فيجلس كبراً وهم ويسلم سائرهم وينصرفون ثم يدخل الوزراء ثم الأمراء ثم وجوه الأجناد طائفة بمسطائقه أخرى فيسلمون وينصرفون ويؤتى بالطعام ثانياً كل بين يدي الشيخ القاضي والشرفاء ومن كان قاعداً بالنجاس وبأكل الشيخ معهم وان أراد تشريف أحد من كبار أمرائه بمشيئته فأكل معهم وبأكل سائر الناس بدار العنعم وأكلهم على ترتيب مثل ترتيبهم في الدخول على الشيخ ثم يدخل الشيخ الى داره ويقعد القاضي والوزراء وكاتب السر وأربعة من كبار الأمراء لفصل بين الناس وأهل الشكايات فما كان متعلقاً بالاحكام الشرعية حكم فيه القاضي وما كان من سوي ذلك حكم فيه أهل الشورى وهم الوزراء والأمراء وما كان مختصراً الى مشورة السلطان كتبوا اليه فيه فيخرج لهم الجواب من حينه على ظهر البطاقة بياقة فضيه نظاره وتلك عادتهم دائماً ثم ركب البحر من مدينة مقدشو متوجهاً الى بلاد السواحل قاصداً مدينة كلوا من بلاد الزنوج فوصل الى جزيرة منبسى (وضيف اسمها ميم مقتوح ونون مسكن وباء موحدة مفتوحة وسين مهمل مفتوح وباء) وهي جزيرة كبيرة ينهاو بين أرض السواحل مسيرة يومين في البحر ولا بر لها وأنجارها الموز والليمون واللاترج ولهم فاكهة يسمونها الجمون وهي شبه الزيتون ولها نوى كنواهم إلا أنها شديدة الحلاوة ولا زرع عند أهل هذه الجزيرة وإنما يجلب اليهم من السواحل وأكثر طعامهم الموز والسكك وهم شافعية المذهب أهل دين وعفاف وصلا

ومساجدهم من الخشب محكمة الاتقان وعلى كل باب من أبواب المساجد البئر واثنان وعمق آبارهم ذراع أو ذراعان فيستقون منها الماء بقدر خشب قد غرز فيه عود رقيق في طول الذراع والارض حول البئر والمسجد مسطحة فن أراد دخول المسجد غسل رجليه ودخل ويكون على بابه قطعة حصير غليظ يتسحب به رجليه ومن أراد الوضوء أمسك القدح بين فخذه وصب على يديه يتوضأ وجميع الناس بمشون حفاة الا قدام وبتنا بهذه الجزيرة ليللة وركبنا البحر الى مدينة كلوا (وضبط اسمها بضم الكاف واسكان اللام وفتح الواو) وهي مدينة عظيمة ساحلية أكثر أهلها الزوج المستحكة والسواد ولهم شرطات في وجودهم كهي في وجود اليميين من جنادة وذكر لي بعض التجار أن مدينة سفالة على مسيرة نصف شهر من مدينة كلوا وان بين سفالة ويوفي من بلاد اليميين مسيرة شهر ومن يوفي يوثي بالنير الى سفالة ومدينة كلوا امن أحسن المدن وأتمتعها عمارة وكلها بالخشب وستف يوتها اللديس والامطار بها كثيرة وهم أهل جهاد لانهم في راحة متصلة مع كفار الزوج والغالب عليهم الدين والصلاح وهم شافعية المذهب

ذكر سلطان كلوا

وكان سلطانها في عهد دخولي اليها أبو المنقر حسن ويكفي أيضاً أبو المنواهب لكثرة مواهبه ومكارده وكان كثير انفر الى أرض الزوج يغير عليهم ويأخذ الفنائم فيخرج ختمها ويصرفه في مصارفه المعينة في كتاب الله تعالى ويجعل نصيب ذوى القربى في خزانة على حدة فاذا جاءه الشرفا دفع اليهم وكان الشرفاء يقصدونه من عراق والسيحاز وسواها ورأيت عنده من شرفاء ايجاز جماعة منهم محمد بن جازو ونور بن أبي بقرن أبي نعي ومحمد بن شملة بن أبي نعي وفتيت بمقدشوا تيل بن كيش بن جازو وهو يريد القدوم عليه وهذا السلطان له تواضع شديد ويحلس مع الفقراء ويأكل معهم ويعظم أهل الدين والشرف

حكاية من مكارمه

حضرته يوم جمعة وقد خرج من الصلاة قاصدا الى داره فتنرض له أحد الفقراء البنيين

فقال له يا أبا ماو اهب فقال ليك يا فقير ما حاجتك قال اعطني هذه الثياب التي عليك فقال له نعم أعطيكها قال الساعة قال نعم الساعة فرجع الى المسجد ودخل بيت الخطيب فلبس ثيابا سواها وخاع تلك الثياب وقال لا فقير ادخل نخذها فدخل الفقير وأخذها ووربطها في منديل وجعلها فوق رأسه وانصرف فعظم شكر الناس للسلطان على ما ظهر من تواضعه وكرمه وأخذ ابنه ولي عهد تلك الكسوة من الفقير وعوضه عنها بمسرة من العيدين وبلغ السلطان ما كان من شكر الناس له على ذلك فأمر لثقفير أيضا بعشرة رؤس من الرقيق وحملى من العاج ومعظم عطاياهم العاج وقلما يعطون الذهب ولما توفي هذا السلطان الفاضل الكريم رحمة الله عليه ولى أخوه داود فكان على الضد من ذلك إذا أتاه سائل يقول له مات الذي كان يعطى ولم يترك من بعده ما يعطى ويقم الوفود عنده الشهور الكثيرة وحينئذ يعطهم التنايل حتى انقطع الوفودون عن بابه ووركبنا البحر من كلوا الى مدينته ظفار الخوض (وضبط اسمها بفتح الظاء المعجم والفاء وآخره راء مبنية على الكسر) وهى آخر بلاد اليمن على ساحل البحر الهندي ومنها تحمل الخيل العتاق الى الهند ويقطع البحر فيما بينها وبين بلاد الهند مع ساعدة الريح في شهر كامل وقد قطت مرة من قاتقوط من بلاد الهند الى ظفار في ثمانية وعشرين يوما بالريح الطيبة لم ينقطع لتاجر بالليل ولا بالنهار وبين ظفار وعدن فى البر مسيرة شهر فى صحراء وبينها وبين حضرموت ستة عشر يوما وبينها وبين عمان عشرون يوما ومدينة ظفار فى صحراء متقطعة لا قرية بها ولا عمالة لها والسوق خارج المدينة برىض يعرف بالحر جاء وهى من أقدر الاسواق وأشدها تنافوا أكثرها ذبايا أكثر ما يباع بهام من الثمرات والسمك وأكثر سمكها النوع المعروف بالسردين وهوبها فى النهاية من السمك ومن المعائب ان دوابهم انما علفها من هذا السردين وكذلك غنمهم ولم أر ذلك فى سواها وأكثر باعها الخدم وهن يلبسن السواد وزرع أهلها الذرة وهن يسقونهم آبار بعيدة الماء وكيفية سقيهم انهم يصنعون دلوأ كبيرة ويجعلون لها حبالا كثيرة ويتخزم بكل حبل عبد أو خادم ويجرون الدلو على عود كبير مرتفع عن الأرض ويصبونها فى صهر يجسقون منه ولهم قبح يسمونه العلس وهو فى الحقيقة نوع من السلح

والأرض يجلب اليهم من بلاد الهند وهو أكثر طعامهم ودراهم هذه المدينة من النحاس
والقصدير ولا تتفق في سواها وهم أهل تجارة لا عيش لهم إلا منها ومن عادتهم أنه إذا وصل
مركب من بلاد الهند أو غيرهما خرج عبيد السلطان إلى الساحل وصعدوا في صندوق إلى
المركب ومعهم الكسوة الكاملة لصاحب المركب أو وكيله ولاربان وهو الرئيس والكراني
وهو كاتب المركب ويؤتي اليهم بثلاثة أفراس فيركبونها وتضرب أمامهم الأطباء
والأبواق من ساحل البحر إلى دار السلطان فيسلمون على الوزير وأمير جنود وتبعث
الضيافة لكل من المركب ثلاثاً بعد ثلاث يأكلون بدار السلطان وهم يفعلون ذلك
استحجالاً بالأصحاب المراكب وهم أهل تواضع وحسن أخلاق وفضيلة ومحبة للقرباء
وليأسهم القطن وهو يجلب اليهم من بلاد الهند ويشدون القوط في أوساطهم عوض
السروال وأكثرهم يشد فوطاً في وسطه ويجعل فوق ظهره أخرى من شدة الحر
ويغتسلون مرات في اليوم وهي كثيرة المساجد ولهم في كل مسجد مطهر كثيرة معدة
للإغتسال ويصنع بهائيات من الحرير والقطن والكتان حسان جداً والغالب عن أهلها
رجال ونساء المرضى المعروف بداء الفيل وهو اتفاخ القدمين وأكثر رجالهم ميتلون
بالأدور والعياذ بالله ومن عوائدهم الحسنة التصافح في المسجداً صلاة الصبح والمصر
يستند أهل الصف الأول إلى القبلة ويصافحهم الذين يلونهم وكذلك يفعلون بعد صلاة
الجمعة يتصافحون أجمعون ومن خواص هذه المدينة ومجاذباتها أنه لا يقصدوها أحد بسوء
الأعداء عليه مكره وحيل بينهم وبينها وذلك كقول السلطان قطب الدين تمهت بن طوران شاه
صاحب هرمز نازلها مرة في البر والبحر فأرسل الله سبحانه عليه ريحاً عاصفاً كسرت
مراكبه ورجع عن حصارها وصالح ملكها وكذلك كقول الملك المجاهد سلطان
الدين عيسى بن عم له بعسكر كبير برسم اتزاعها من يملكها وهو أيضاً ابن عمه فلما خرج
ذلك الأمير عن داره سقط عليه حائط وعلى جماعة من أصحابه فهلكوا جميعاً ورجع
الملك عن رأيه وترك حصارها وطلبها من الغرائب أن أهل هذه المدينة أشبه الناس
بأهل المغرب في شؤونهم نزلت بدار الخطيب بمسجده الأعظم وهو عليه بن علي كرم

القدر كريم النفس فكان له جوار مسميات بأسماء خدم المغرب احسداهن اسمها بخيته
والاخرى زاد المال ولم اسمع هذه الاسماء في بلد سواها رأ أكثر أهاهار و سهم مكشوفة
لا يجملون عليها العمامم وفي كندار من دورهم سجادة الخوص معاقة في البيت يصل علىها
صاحب البيت كما يفعل أهل المغرب وأكلهم الذرة وهذا التشبه كما يعقوى القول بأن
صنهاجة وسواهم من قبائل المغرب أصابهم من حبر و قرب من هذه المدينة بين بسايتها
زاوية الشيخ الصالح العابد أبي محمد بن أبي بكر بن عيسى من أهل ظفار وهذه الزاوية
معظمة عندهم يأتون اليهم غدوا وعشيا ويستجيرون بها فإذا دخلها المستجير لم يقدر
السلطان عليه رأيت بها شخصاً ذكر لي ان له بهامتين مستجير لم يتعرض له السلطان
وفي الايام التي كنت بها استجار بها كاتب السلطان وأقام فيها حجة فوقع بينهم الصلح أتيت هذه
الزاوية فبت بها في ضيافة الشيخين أبي العباس أحمد وأبي عبد الله محمد ابني الشيخ أبي بكر
المذكور وشاهدت لهما أفضلا عظاما لما غسانا يدنا من الضمام أخذنا أبو العباس منهما
ذلك الماء الذي غسلناه فشرب منه وبمس الخادم بياقيه الى أهله وأولاده فمضى به وكذلك
يفعلون بمن يتوسمون فيه الخير من الواردين عليهم وكذلك أنا فقي قاتني بها الصالح أبو
هاشم عبد الملك الزبيدي وكان يتولى خدمتي وغسل يدي بنفسه ولا يكل ذلك الي غيره
ويتمترة من هذه الزاوية تربة سلف السلطان الملك المنيف وهي معظمة عندهم ويستجير
بها من طاب حاجة تنقضي له ومن عادة الجسدانه اذ تم الشهر ولم يأخذوا أرزاقهم
استجاروا بهذه التربة وأقاموا في جوارها الى أن يعطوا أرزاقهم وعلى مسيرة نصف يوم
من هذه المدينة الاحقاف هي منازل عاتر هتالك زاوية ومجد على ساحل البحر
وحوله قرية لصيادي السمك وفي الزاوية قبر مكتوب عليه هذا قبر هو دين عابره عليه أفضل
الصلوات والسلام وقد ذكرت ان بمسجد دمشق موضعاً عليه مكتوب هذا قبر هو دين عابره
والاشبه أن يكون قبره بالاحقاف لانها بلاد الله أعلم ولهذا المدينة بسايتين فيها موز
كثير كبير الجرم وزن بمحضرى حبة منه فكان وزنها اثنتي عشرة أوقية وهو طيب المظم
شديد الحلاوة وبها أيضاً التبول والنار حيل المعروف ببجوز الهند ولا يكونان الا

ببلاد الهند وبمدينة ظفار هذه نشبها بالهند وقربها منها اللهم الآن في مدينة زيد في بستان
السلطان شجيرات من التار حيل واذ قد وقع ذكر التنبول والتار حيل فلقد ذكرهما وانذكر
خصائصهما

﴿ ذكر التنبول ﴾

والتنبول شجر يغرس كالتغرس دوالي الغناب ويصنع له معرشات من القصب كما يصنع لدوالي
الغناب أو يغرس في مجاورة شجر التار حيل فيصعد فيها كما تصعد الدوالي وكما يصعد
الفاصل ولا تثمر للتنبول وإنما المقصود منه ورقه وهو يشبه ورق العليق وأطيبه الأصفر
وتجتنى أوراقه في كل يوم وأهل الهند يعضمون التنبول تعظيماً عديداً وإذا أتى الرجل دار
صاحبه فأعطاه خمس ورقات منه فكأنما أعطاه الدنيا وما فيها لاسيما كان أميراً أو كبيراً
واعطاهم عندهم أعظام شاة وأدل على التكرامة من اعطاه الفضة والذهب وكيفية استعماله
أن يؤخذ قبله الفوفل وهو شبه جوز الباب في كسر حتى يصير أطرافاً صفراء ويحمله
الإنسان في فيه ويمسكه ثم يؤخذ ورق التنبول فيجعل عليها شيئاً من نورة ويضعفها مع
الفوفل وخاصيته أنه يطيب التنكهة ويذهب بروائح النعم ويهضم الطعام ويقطع ضرر شرب
الماء على الريق ويفرح آكله ويمين على الجماع ويحمله الإنسان عندراً سهلاً إذا استيقظ
من نومه أو أيقظته زوجته أو جاريته أو خدمته فيذهب بما في فيه من رائحة كريهة ولقد
ذكرني أن جواري السلطان والأمراء ببلاد الهند لا يأكلن غيره وسنذكره عند ذكر
بلاد الهند

﴿ ذكر التار حيل ﴾

وهو جوز الهند وهذا الشجر من أغرب الأشجار شأنها أعجب أمرها وشجره شبه شجر
النخل لا فرق بينهما إلا أن هذه ثمر جوز أو تلك ثمر تمر أو جوزها يشبه رأس ابن آدم
لأن فيها شبه العينين والفم وداخلها شبه الدماغ إذا كانت خضراء وعليها ليف شبه الشعر
وهم يصنعون منه حباً لا يخيطون به المراكب عوضاً من مسامير الحديد ويصنعون منه
الحبال للمراكب والجوزة منها وخصوصاً التي يجر أثريه المهمل تكون بمقدار رأس
الآدمي ويزعمون أن حكماً من حكماء الهند في غابر الزمان كان متصلاً بملاك من الملوك

ومعظمه لديه وكان للملك وزير ينه وبين هذا الحكيم معاداة فقال الحكيم للملك ان رأس
 هذا الوزير اذا قطع ودفن يخرج منه نخلة تمر بثمر عظيم يعود دفعه على أهل الهند سواهم
 من أهل الدنيا فقال له الملك فان لم يظهر من رأس الوزير ما ذكرته قال ان لم يظهر فاصنع
 برأسى كما صنعت برأسه فأمر الملك برأس الوزير فقطع وأخذ الحكيم وغرس نواة تمر في
 نماغه وعالجها حتى صارت شجرة وأنثرت بهذا الجوز وهذه الحكاية من الأكاذيب ولكن
 ذكرناها لشهرتها عندهم ومن خواص هذا الجوز تقوية البدن وإسراع السمن والزيادة
 في حرارة الوجه واما الاعانة على الباء ففعله فيها عجيب ومن عجائبه انه يكون في ابتداء أمره
 حضر فن قطع بالسكين قطعة من قشره وفتح رأس الجوز وشرب منها ماء في النهاية من
 الحلاوة والبرودة ومن أجبه حار معين على الباء فاذا شرب ذلك الماء أخذ قطعة النخلة
 وجعلها شبه المعلقة وجرد بها ما في داخل الجوزة من الطعم فيكون طعمه كطعم البيضة
 اذا شويت ولم يتم نضجها كل التمام ويغذى به ومنه كان غذائي أيام اقامتي بحجز أرذبية
 المهل مدة من عام ونصف عام ومن عجائبه انه يصنع منه الزيت والحليب والعسل فأما كيفية
 صناعة العسل منه فان خدام النخل منه ويسعون الفازانية يصعدون الى النخلة غدواً
 وعشيا اذا أرادوا أخذ ماؤها الذي يصنعون منه العسل وهم يسعون الاطواق فيقطعون
 المذق الذي يخرج منه الثمر ويتركون منه مقدار اصبعين ويربطون عليه قدر اصغيرة
 فيقطر فيها الماء الذي يسيل من المذق فاذا رطبها غمروا صعد اليها عشا ومعه قدحان
 من قشر الجوز المذكور أحدهما ملوء ماء فيصب ما اجتمع من ماء المذق في أحدهما القدحين
 ويفسله بأناء الذي في القدح الآخر ويجري من المذق فيلا ويرى له عليه القدر ثانية ثم
 يفعل غدوة كفعله عشا فاذا اجتمع له الكثير من ذلك الماء طبخه كما يطبخ ماء العنب اذا
 صنع منه الرب فيصير عسلا عظيم النفع طيبا فيشتره تجار الهندو والبن والصين ويحملونه الى
 بلادهم ويصنعون منه الحلواء وأما كيفية صنع الحليب منه فان بكل دار شبه الكرسى تجلس
 خوقة المرأة ويكون بيدها عصي في أحد طرفيها حديدة مشرفة فيقتحون في الجوزة مقدار
 ياتدخل تلك الحديدة ويجرشون ما في باطن الجوزة وكل ما ينزل منها يجتمع في صحيفة حتى

لا يبقى في داخل الجوزة شيء ثم يمرس ذلك الجريش بالماء فيصير كلون الحليب ياضاً ويكون طعمه كطعم الحليب ويأتم به الناس وأما كيفية صنع الزيت فأنهم يأخذون الخوز بعد نضجه وسقوطه عن شجره فيزيلون قشره وبقية طعمونه قطعاً ويجعل في الشمس فإذا ذبل طبعوه في الندور واستخرجوا زيته وبه يستعملون ويأتمون به ويجعله الساء في شعورهن وهو عظيم النفع

ذكر سلطان ظفار

وهو السلطان الملك المغيث بن الملك الفاتر ابن عم مالك اليمن وكان أبوه أميراً على ظفار من قبل صاحب اليمن وله عليه هدية يبعثها له في كل سنة ثم استبد الملك المغيث بملكها وامتنع من أرسل الهدية وكان من عزمه ملك اليمن على محاربتهم وتبين ابن عمه لذلك ووقوع الحائض عليه ما ذكرناه آنفاً وللسلطان قصر بداخل المدينة يسمى الحسن عظيم فسيح وأجامع يزاره ومن عادته أن تقرب الطبول والبوقات والأنفار والصرنايات على بابه كل يوم بعد صلاة الصلوة وفي كل يوم اثنين وخميس تأتي العساكر إلى بابه فيقفون خارج المشور ساعة وينصرفون والسلطان لا يخرج ولا يراد أحد إلا في يوم الجمعة فيخرج ناصلة ثم يعود إلى داره ولا يمتنع أحد من دخول المشور وأمير جند أرقاء دعي إلى بابه واليه ينتهي كل صاحب حاجة أو شكاية وهو يطالع السلطان ويأتيه الجواب للحين وإذا أراد السلطان الركوب خرجت مرأته من القصر وسلاحه ومعه اليك في خارج المدينة وأتى بحمل عليه محملاً مستوراً بستر أبيض منقوش بالذهب فيركب السلطان ونديمه في الحمل بحيث لا يرى وإذا خرج إلى بستانه وأحبر ركوب الفرس ركبه ونزل عن الجمل وعادته أن لا يمارسه أحد في طريقه ولا يقفل رؤيته ولا لشكاية ولا غيرهما ومن تعرض لذلك ضرب أشد الضرب فتجد الناس إذا سمعوا بخروج السلطان فروا عن الطريق وتحاموا ووزير هذا السلطان الفقيه محمد العدني وكان معلم صيدان فلم يفلح هذا السلطان القراءة والكتابة وعاهده على أن يستوزر من ملك فلما ملك استوزره فلم يكن يحسنها فكان الاسم له والحكم لغيره ومن هذه المدينة ركبنا البحر نريد عمان في مركب صغير لرجل يعرف بعلي بن إدريس

انصيري من أهل جزيرة مصيرة وفي الثاني لوكو بانزانا برسي حاسك وبه ناس من العرب
صيادة السمك ساكنون هنالك وعندهم شجر الكندر وهو دقيق الورق واذا شرب
الورق منه قطر منه ماء شبه اللبن ثم عاد صنفاء ذلك الصمغ هو اللبن هو كثير جداً هنالك
ولا يعيش لاهل ذلك المرسى الا من صيد السمك وسماكهم يعرف بالانجم (بخاء، جهم
مفتوح) وهو شبه كلب البحر يشرح ويقدد ويقتات به ويؤتم من عظام السمك
وسننا من جلود الجمل وسرنا من مرسي حاسك أو بهه أياه ووصلنا الى جبل لمان
(بنه، الام) وهو في وسط البحر وباعلامه رابطة مبنية باختدارة وسقفها من عظام
السمك وبخارجها غدير ماء يجتمع من المطر

هـ ذكروا لي فية بهذا الجبل به

وسرنا تحت هذا الجبل صعدنا الى هذه الرابطة فوجدنا بها شجرانما فسامنا عايه
فاستيقظ وأشار بر السلام فكلما ناد فكلما ناد وكان يحرك رأسه فأتاه أهل المركب بطعام
فأتي به فطبا من الداء فكان يحرك شفتيه ولا نعلم ما يقول وعاهيه مرقعة وقلنسوة ليد
وليس به ركوة ولا ابريق ولا عاكز ولا مل وقال أهل المركب لهم من أوه قط بهذا الجبل
وأقمتنا في الليلة بساحل هذا الجبل وولينا معه الحصر والمغرب ووجدنا بطعام فرد وأقام
عليه في المشاء الآخرة ثم أذن وصايناها معه وكان حسن الصوت بالقراءة مجيئدا لها
ونبشغ من صلاة المشاء الآخرة وأما الينا بالانصراف فوجدنا انصرافنا ونحن نحب
من . . . ثم اني أردت ان رجوع اليها انصرافنا فاما دنوت منه هبته وغلب على الخوف
ورجعت الى أصحابي فانصرفت معهم وركبنا البحر ووصلنا بسديو مين الى جزيرة الطير
وايست بها عمارة فارسينا وصعدنا اليها فوجدناها آتية بظيور تشبه الشقائق الا أنها
أعظم منها وجاءت الناس بيض تلك الطيور فطبخوها وأكلوها واصطادوا جملة من تلك
الطيور فطبخوها دون ذكاة وأكلوها وكان يجالسني تاجر من أهل جزيرة مصيرة ساكن
بظنار اسمه مسلم فرأيتني أكل معهم تلك الطيور فأنكرت ذلك عليه فاشتد خجله وقال لي
ظنات أنهم ذبحوها وانقطع عني بعد ذلك من الخجل فكان لا يقربني حتى أدعوه وكان

طساحي في تلك الايام بذلك المركب التمر والسّمك وكانوا يصطادون بالعدو والعشي سمكا يسمى بالفارسية شير ماعي ومعناه أسد السمك لان شير هو الاسد وماحي السمك وهو يشبه الحوت المسمي عندنا بازيت وهم يقطعونه قطعما ويشوونه ويعطون كل من في المركب قطعة لا يفضلون أحداً على أحد ولا صاحب المركب ولا سواه ويأكلونه بالتمر وكان عندي خبز وكعك استصحبتهما من ظفار فلما نفذت أقتات من تلك السمك في جملتهم وعيدنا عيد الاضحى على ظهر البحر وهبت علينا في يومه ريح عاصف بعد طلوع الفجر ودامت الى طلوع الشمس وكادت تغرقنا

﴿كرامة﴾

وكان معاني المركب حاج من أهل الهند يسمى بخضر ويدعي بولانا لانه يحفظ القبر آن ويحسن الكتابة فلما رأى هول البحر اعراسه بهاء فكانت له وتاوم فلما فرج الله ما نزل بنساقات له يامولنا خضر كيف رأيت قال قد كنت عند الهول أفتح عيني أنظر هل اري الملائكة الذين يقبضون الارواح جؤا فلا اراهم فأقول لقد لله لو كان الفرق لأتوا القبض الارواح ثم اساق عيني ثم أفتحها فانظر كذلك الى أن فرج الله عنا وكان قد تقدمت المركب لبعض التجار فغرق ولم ينج منه الا رجل واحد خرج عو ما بعد جهد شديد وأكلت في ذلك المركب نوعان من اعشاب لم آكله قبله ولا بعده صنع به بعض تجار عمان وهو من الذرة طبخها من غير طحن وصب عليها السيلان وهو عسل النحل واكناه ثم وصنا الى جزيرة مصيرة التي منها صاحب المركب الذي كنا فيه دهي على افظ مصير وزيادة ثاء التائت جزيرة كبيرة لا عيش لاهامها الا من السمك ولم نزل اليها بعد مرساها عن الساحل وكنت قد ذكرتهم لمسا رأيتهم يأكلون الطير من غير ذكاة وأقناها يوما وتوجه صاحب المركب فيه الي داره وعاد اليئناهم سرنا يوما وليلة فوصلنا الى مرسى قرية كبيرة على ساحل البحر تعرف بصور ورأينا منها مدينة قلماة في سفح جبل نخيل لئنا انها قريبة وكان وصولنا الى المرسى وقت الزوال وقبله فلما ظهرت لئنا المدينة أحيت المشى اليها والميت بها وكنت قد ذكرت صحبة أهل المركب فسألت عن طريقها فأخبرت أني أصل اليها عند العصر

فاكرتيت أحد البحريين يدلني على طريقهما وصحبي خضر الهندى الذي تقدم ذكره
وتركت أصحابي مع ما كان لي بالركب ليدعوا بي في غد ذلك اليوم وأخذت أنوابا كانت لي
قد فسد ذلك الدليل ليكفى مؤنة حملها وحملت في يدي رحما فاذا ذلك انديل يحب أن
يستولى على أنوابي فأني بنا إلى خليج يخرج من البحر فيه المد والجزر فأراد عبوره بالثياب
فقات له انما تعبر وحدك وتترك الثياب عندنا فان قدرنا على الجواز جزنا ولا الصعدنا
فطلب المجاز فرجع ثم رأينا رجا لا جازه واما فتحقنا انه كان قصده ان يفرقنا ويذهب
بالثياب حينئذ اظهرت النشاط وأخذت بالحزم وشدت وسطى وكنت أهرال رحمها بي
ذلك الدليل وصعدنا حتى وجدنا مجازا ثم خر جنالي بحرا لاما بها وعطشنا واشتد بنا
الامر فبعث الله لنا فارسا في جماعة من أصحابه ويبدأ أحدهم ركوة ماء فسقاني وسقى
صاحبي وذهبتا نحسب المدينة قريبة منا ويتناويناها فتدق فينا الاميال الكثيرة فلما
كان المشي أراد الدليل أن يميل بنا إلى ناحية البحر وهو لا طريق له لأن ساحله حجارة
فأراد أن ننشب فيها ويذهب بالثياب فقات له انما تمسنى على هذه الطريق التي نحن عاينها
ويتمها وبين البحر نحو ميل فلما أظلم الليل قال لنا ان المدينة قريبة منا فتعالوا تمسنى حتى نبيت
بجوار جهال الصباح نخفت ان تعرض لنا أحد في طريقنا ولم أحقق مقدار ما بقي اليها فقات
له انما الحق أن تخرج عن الطريق فتنام فاذا أصبحنا أتينا المدينة ان شاء الله وكنت قد
رأيت جملة من الرجال في سفح جبل هنالك نخفت أن يكونوا العوصا وقت التمسرت أولى
وغاب العطش على صاحبي فلم يوافق على ذلك فخرجت عن الطريق وقصدت شجرة من
شجر أرم غيلان وقد أعيت وأدركني الجهد لكي أظفر بقوة في تلك الخرف الدليل وأما
صاحبي فريض لا قوة له فجعلت الدليل بيني وبين صاحبي وجعلت الثياب بين نوبي وجسدي
وأمسكت الرحم بيدي وردد صاحبي وردد الدليل وبقيت ساهرا فكلما تحرك الدليل كلته
وأريتني مستيقظ ولم نزل كذلك حتى أصبح فخر جنالي الطريق فوجدنا الناس ذاهبين
بالمرافق إلى المدينة فبعث الدليل ليأتينا بماء وأخذ صاحبي الثياب وكان يتناوينا وبين المدينة
بهما وحتادق فأتانا بالنساء فشر بنا ذلك أو ان الحزن ثم وصلنا إلى مدينة قلها (وضبط

اسمها بفتح القاف واسكان اللام وآخره ثمانية) فأتيها ونحن في جهدها وكنت قد ضاقت فعلى على رجلي حتى كاد الدم أن يخرج من تحت أظفارها فلما وصلنا باب المدينة كان حتام المشقة أن قال لنا الموكل بالباب لا بد لك أن تذهب معي إلى أمير المدينة ليرف قضيتك ومن أين قدمت فذهبت معه إليه فرأيت فاضلا حسن الاخلاق وسأني عن جالي وأنزاني وأقت عنده ستة أيام لا قدرة لي فيها على النهوض على قدمي لمالحقها من الآلام ومدينة قاهات على الساحل وهي حسنة الاسواق ولها مسجد من أحسن المساجد حيطانه بالقاشاني وهو شبه الزليج وهو مرتفع ينظر منه إلى البحر والمرسى وهو من عمارة الصالحين يعني يبي عندهم الحرية وأكلت بهذه المدينة سمكاً كل مثله في إقام من الاقاليم وكنت أفضله على جميع الاحوم فلا كل سواه وهم يشوونه على ورق الشجر ويجعلونه على الارزوياء كلونه والارزوياء يلبس اليهم من أرض الهند وهم أهل تجارة ومهيشهم مما يأتي اليهم في البحر الهندي وإذا وصل اليهم مركب فرحوا به أشد الفرح وكلامهم ليس بالفصيح مع انهم عرب وكل كلمة يتكلمون بها يصلونها بالافق قولون مثلاً نأكل لنعش ولا نفعل كذا الاواكثرهم خوارج لكنهم لا يقدررون على اظهار مذهبهم لانهم تحت طاعة الساطان قطب الدين تمهت الملك هرمز وهو من أهل السنة وبقرية من قاهات قرية طيبي واسمها على نحو اسم الطيب اذا ضافه المتكلم لنفسه وهي من أجل القرى وأبدعها حسناً ذات أنهار جارية وأشجار ناضرة وبساتين كثيرة ومنها تجنب القوا كالحالي قاهات وبها الموز المعروف بالمروراري والمروراري بالفارسية هو الحومري (المرور الجوهري) وهو كثير بها ويحلب منها إلى هرمز وسواها وبها أيضاً التنبول لكن ورقته صغيرة والتي تجلب الي هذه الجهات من عمان ثم قصدنا بلاد عمان فسرنا ستة أيام في صحراء ثم وصلنا بلاد عمان في اليوم السابع وهي خصبة ذات أنهار وأشجار وبساتين وحدائق نخيل وفاكهة كثيرة مختلفة الاجناس ووصلنا إلى قاعدة هذه البلاد وهي مدينة نزوا (وضبط اسمها بنون مفتوح وزاي مسكن وواو مفتوح) مدينة في سفح جبل تحببها البساتين والأنهار ولها أسواق حسنة ومساجد معظمه نقية وعادة أهلها انهم يأكلون في صحون المساجد يأتي كل انسا

بما عنده ويحتمون الاكل في صحن المسجد وياكل معهم الوارد والصادر ولهم نجدة
وشجاعة والحرب قائمة فيما بينهم ابدا وهم اباضية المذهب ويصلون الجمعة ظهرا اربعا فاذا
فرغوا منها قرأ الامام آيات من القرآن ونثر كلاما شبه الخطبة رضي فيه عن أبي بكر وعمر
ويستكن عن عثمان وعلي وهم اذا ارادوا ذكر علي رضي الله عنه كنوا عنه بالرجل فقالوا
ذكر عن النبي أو قال الرجل ويرضون عن الشقي اللعين ابن ماجم ويقولون فيه العبد
الخالق قانع فقتلته ونساؤهم يكثرن الفساد ولا غيرة عندهم ولا انكار لذلك وسندكر
حكاية اثر هذا مما يشهد بذلك

ذكر سلطان عمان

وساطانها عربي من قبيلة الازديين تنوعت ويعرف بأبي محمد بن بهان وأبو محمد عندهم سمة
كل ساطان بني عمار كما هي أتابك عندهم وكما الوروعادة ان يجلس خارج باب داره في
عاه هناك ولا حاجر له ولا ويرى ولا يمنع أحدا من الدخول اليه من غرب أو غيره
كما المضيف على غدا العرب ويعين له حسيافة ويعطيه على قدره وله اخلاق حسنة
ويعمل على ما تدته لحب استمار الاسي وبيع اسوق لانهم قائلون بتخليد الوالكهم يخفون
ذلك عن الوارد عليهم ولا يظهر منه بمحضه ومن منن عمان مدينة زكي ثم أداها وهي
على ما ذكر لي مدينة عظيمة قومها اقربيات وشباب وكبا وخور فكان وصحار وكها ذات
اسم وحدثا ق وأشيء جار نخل وأكثر هذه بلاد في عمالةهم.

من حكاية

كنت يوما عنده هذا السلطان أبي محمد بن بهان فأتته امرأة صغيرة السن حسنة الصورة
نادية الوجه فوقفت بين يديه وقالت لي يا أبا محمد طفي الشيطان في رأسي فقال لها اذهبي
واطردى الشيطان فقالت له لا أستطيع وأتاني جوارك يا أبا محمد فقال لها اذهبي فافعلي
ما تبأت فذكر لي لما انصرفت عنه ان هذه ومن فعل مثل فعلها تكون في جوار السلطان
وتذهب للفساد ولا يقدر أبوها ولا ذوقها ان يغير واعياها وان تلوهما قتلوا بها لانها في
جوار السلطان ثم سافرت من بلاد عمان الى بلادهم مزوهر مز مدينة على ساحل البحر

وتسمى أيضا موغستان وتقالها في البحر من الجديدة ورينها في البحر ثلاثة فراسخ
 ووصلنا إلى هرمز الجديدة وهي جزيرة مدينتها تسمى جرون (بفتح الجيم والراء
 وآخر هانون) وهي مدينة حسنة كبيرة لها أسواق حافلة وهي مربى الهند والسند
 ومنها تحمل سلع الهند إلى العراقين وفارس وخراسان وهذه المدينة تسمى الساطان
 والجزيرة التي فيها المدينة مسيرة يوم وأكثرها سباح وجبل ملح وهو الملح الداراني ومن
 يصنعون الاواني لازينة والنتارات التي يصفون السج عليها وطعامهم السمك والتمر المجلوب
 اليهم من البصرة وعمان ويقولون بله انهم خرم ما ودهي نوت بادشاهي معناه بالعربي النذر
 والسمك طعام الملوك والماء في هذه الجزيرة له قيمة وبها عيون ماء وصهاريج مصنوعة
 يجتمع فيها ماء المطر وهي على بعد من المدينة ويأتون إليها قرب فيما تفرج و يرفعونها على
 ظهورهم إلى البحر يوسقونها في القوارب ويأتون بها إلى المدينة ورأيت من العجائب عند
 باب الجامع فيما بينه وبين السوق رأس سمكة كأنه رايصة وعينه كأنها بابان فترى الناس
 يدخلون من أحدها ويخرجون من الأخرى واقمت بهذه المدينة الشيخ صالح السائح
 الحسن الأقصاري وأصله من بلاد الروم فأضافني وزارني وأبسنى ثوبا وأعطاني كر
 الصبغة وهو يحتج به فيعين الجالس فيكون كأنه مسند أو أكثر فقرأ المجمع يقرأونه وعلى
 ستة أميال من هذه المدينة زارني نائب الخضر وأبسنى عليهم السلام ذكر اسمهم
 يصابيان فيه وظهرت له بركات وبراهين وهناك زاوية يسكنها أحد المشايخ يخدم بها التوارد
 والصادر وأقمت عنده يوما وقد نام هناك زيارة رجل صالح منقطع في آخر هذه الجزيرة
 قد شب سارا سكنه ذرية زو تيرجاس ودارس نيرة فيه جارية زله عبيد فخار الغمار
 يرعون بقر آلوه وغنما وكان هذا الرجل من كبار التجار فخرج البيت وقطع العلائق وانقطع
 هناك لا يادة ودفع ماله للرجل من أخوانه فحرك له به وبنا عند مليه فاحسن القرى وأجل
 رضي الله تعالى عنه وسيمه الخير والعبادة لاثمة عليه

تم ذكر سلطان هرمز

وهو السلطان قطب الدين محمد بن طوران شاه (وضبط اسمه بفتح التاءين العلوتين

وبينهم امم مفتوح وهاء مسكنة وآخرة نون) وهو من كرماء السلاطين كثير التواضع
حسن الاخلاق وعادته أن يأتي لزيارة كل من يقدم عليه من فقيه أو صالح أو شريف ويقوم
بحقه ويسادخلنا جزيرته وجدناه مهياً للحرب مشغولاً بهم مع اخيه نظام الدين فكان في
كل ليلة يتيسر للقتال والغلاء مستول على الجزيرة فأني التناويزه شمس الدين محمد بن علي
وقاضيه عماد الدين الشونكاري وجماعة من الفضلاء فاعتذروا بآهام عليه من مباشرة
الحرب وأقناعندهم ستة عشر يوماً فلما أردنا الانصراف قات بعض الاصحاب كيف
ينصرف ولا نري هذا السلطان فجتادار الوزير وكانت في جوار الزاوية التي نزلت بها
فقات له اني أريد السلام على الملك فقال باسم الله وأخذ يدي فذهب بي الي داره وهي على
ساحل البحر والاحقان مجلسه عندها فاذا شيخ عليه أقية شقيقة دنسة وعلى رأسه عمامة
وهو شدد والوسط بمندبل فلم عليه الوزير وسلمت عليه ولم أعرف انه الملك وكان الى
جانبه ابن اخته وهو علي شاه بن جلال الدين البكيهي وكانت بيني وبينه معرفة فاشتات
أحاديثه وأنا لأعرف انما في الوزير بذلك فحلت منه لاقبالي بالحديث على ابن اخته
دونته واعتذرت اليه ثم قام فدخل داره وتبعه الامراء والوزراء وأرباب الدولة ودخلت
مع الوزير فوجدناه قاعداً على سرير ماسك وثيابه عليه لم يبدلها وفي يده سبيحة جوهر لم تر
العيون مثلها لان فاصات الجوهر تحت حكمه فجلس أحد الامراء الي جانبه وجلس الي
جانب ذلك الامير وسأني عن حالي ومقدمي وعن لقيته من الملوك فاخبرته بذلك وحضر
العظام نأكل الحاضرون ولم يأكل معهم ثم قام فوادعته واصرفت وسبب الحرب التي
بينه وبين ابني أخيه انه ركب البحر مرة من مدينته الجديدة برسم الزهرة في هرمة القديمة
وبساتينها وبينهما في البحر ثلاثة فراسخ كاقدمناه فخالف عليه أخوه نظام الدين ودعى
لنفسه وبابعة أهل الجزيرة وبايته العساكر فخاف قطب الدين على نفسه وركب البحر
الي مدينته قلعات التي تقدم ذكرها وهي من جملة بلاد فاقام بها شهورا وجهاز المراكب
وأني الجزيرة فقاتله أهلها مع أخيه وهزموه وعا الى قلعات وفعل ذلك مراراً فلم تكن له
حيلة الا أن راسل بعض لساء أخيه فسمته ومات وأني هو الى الجزيرة فدخلها وفر ابنا

أخيه بالخزائن والاموال والعساكر الى جزيرة قيس حيث مغاص الجوهر وصاروا يقطعون الطريق على من يقصد الجزيرة من أهل الهند والسند ويغيرون على بلاده البحرية حتى تخرب معظمها ثم سافروا من مدينة جرون رسم لقاهر جبل الحبل خجج بال فاما عدتنا البحر اكثرينادواب من التركان وهم سكان تلك البلاد ولا يسافر فيها الا معهم لشجاعتهم ومعهم قهقريه بالدارق وفيها صحراء مسيرة أربع يقطع بها الطريق لصوص الاعراب وتهب فيها ريح السموم في شهري تموز وحزيران فمن صادفته فيها قتله ولقد ذكر لي ان الرجل اذا قتله تلك الريح وأراد أصحابه غسله يفصل كل عضو منه عن سائر الاعضاء وبها قبور كثيرة للذين ماتوا فيها بهذه الريح وكنا نسافر فيها بالليل فاذا طلعت الشمس نزلنا تحت ظلال الاشجار من أم غيلان ونرحل بعد العصر الى طلوع الشمس وفي هذه الصحرا وما والاها كان يقطع الطريق بها جمال اللك (اللوك) الشهير الاسم هنالك (حكاية) كان جمال اللك من أهل سجستان أعجبني الاصل (واللوك بضم اللام) متنا الا قطع وكانت يده قطعت في بعض حروبه وكانت له جماعة كثيرة من فرسان الاعراب والاعاجم يقطع بهم الطرق وكان يبنى الزوايا ويعطى الوارد والصادر من الاموال التي يسلمها من الناس ويقال انه كان يدعوا لا يسلط الاعلى من لا يزكى ماله وأقام على ذلك مدة أو كان يغير هو وفرسانه ويسلكون براري لا يعرفها سواهم ويدفنون بها قرب الماء ورواياه فاذا تبعهم عسكر السلطان دخلوا الصحراء واستخرجوا المياه ويرجع العسكر عنهم خوفا من الهلاك وأقام على هذه الحالة مدة لا يقدر عليه ملك العراق ولا غيره ثم تابوا وعبد حتى مات وقبره مزار سبله وسلكنا هذه الصحراء الى أن وصلنا الى كورستان (وضبط اسمه بفتح الكاف واسكان الواو وراء) وهو بلد صغير فيه الأنهار والبساتين وهو شديد الحر ثم سرنا ثلثة أيام في صحراء مثل التي تقدمت ووصلنا الى مدينة لار (وآخر اسمها واء) مدينة كبيرة كثيرة العيون والمياه المطردة والبساتين ولها أسواق حسان ونزلنا منها بزاوية الشيخ العابد أبي دلف محمد وهو الذي قصدنا لزيارته بمنجج بال وبهذه الزاوية ولد له أبو يزيد عبد الرحمن ومعه جماعة من الفقراء ومن عاديهم انهم يجتمعون بالزاوية بعد صلاة

انصر من كل يوم ثم يطوفون على دور المدينة فيعطاهم من كل دار الرغيف والرغيفان
فيطعمون منها الوارد والصادر وأهل الدور قد أنفوا ذلك فغيرهم يجتمعون في جملة قوتهم
ويعمدونهم اعانة على اطعام الطعام وفي كل ليلة جمعة يجتمع بهذه الزاوية فقراء المدينة
وصاحواؤها ويأتي كل منهم بما تيسر له من الدراهم فيجمعونها وينفقونها تلك الليلة
ويبيتون في عبادة من الصلاة والذكر والتلاوة وينصرفون بعد صلاة الصبح

ذكر سلطان لاري

وهذه المدينة سلطان يسمى بحلال الدين تركاني الأصل بمثل الشياطينة ولم يجتمع به ولا
رأيناه ثم سافرنا إلى مدينة خنج بال (وضبط اسمها بضم الحاء المهملة و قد يعوض منه
هاء واسكان النون وضم الجيم وباء معتودة وألف ولام) وبها سكنى الشيخ أبي دلف
الذي قصدنا زيارته وزاويته تزلنا ولما دخلنا ذات الزاوية رأينا قاعا بناحية منها على التراب
وعليه حبة صوف خضراء بالية وعلى رأسه عمامة صوف سوداء فسالت عليه فأحسن أنرد
وسألتني عن مقدمي وبلادي وأنزلني وكان يبعث إلى الطعام والفاكهة مع ولد له من
الصالحين كثير الخشوع والتواضع صائم الدهر كثير الصلاة لهذا الشيخ أبي دلف شأن
عجيب وأمر غريب فان نفقته في هذه الزاوية عظيمة وهو يعطى انعماء الخبز والسكر
الناس ويركبهم الخيل ويحسن لكل وارد وصادر ولم أرف في تلك الزاوية ولا أعلم له جهة إلا
ما يصله من الاخوان والاصحاب حتى زعم كثير من الناس أنه يتفق من يكون وفي زاويته
المنذورة قبر الشيخ الولي الصالح القطب دانيال وله اسم بتمك البلاد شهير وشأن في
انولاية كبير وعلى قبره دبة عظيمة بناها السلطان قطب الدين تيمور بن شاه وأقامت
عند الشيخ أبي دلف يوما واحدا الاستعجال الرفقة التي كنت في صحبتها وسمعت ان بمدينة
خنج بال المنذورة زاوية فيها جملة من الصالحين المتعبدين فرحت اليها بالسي وسلمت على
شيخهم وعليهم ورأيت جماعة مباركة قد أثرت فيهم العبادة فهم صفر الالوان نحاف الجسوم
كثير والبكاء غزير والدموع وعند وصولي اليهم أتوا بالطعام فقال كبيرهم ادعوا إلى ولدي
محمد او كان معترلا في بعض نواحي الزاوية فجاء الينا الولد وهو كائنما خرج من قبر عما نهكته

العبادة فسلم وقد فقال له أبو ديانى شارك هؤلاء الواردين فى الأكل كل قتل من بركاتهم وكان صائماً فأفطر معنا وهم شافعيمة أنذهب فإله فرغانة من أكل الطعام دعوا لنا وانصرفوا ثم سافرنا منها إلى مدينة قيس وأسمى أيضاً بسيراف وهي على ساحل بحر الهند المتصل ببحر الصين وفارس وعدادها فى كور فارس مائة ألفا أنفسا وسعة طيبة البقعة فى دورها بساكنين عجيبية فيها الرياحين والأشجار الناضرة وشرب أهلها من عيون منبعثة من جبالها وهم عجم من الفرس أشرف وفيهم طائفة من عرب بنى سفا و هم الذين يفوضون على الجوهر

❦ دسر مغاص الجوهر ❦

ومغاص الجوهر فيما بين سيراف والبحرين فى خوررا كد مثل الوادي العظيم فإذا كان شهر أبريل وشهر مايو تفي اليه التوارب الكثيرة فيها غرأصون وتجار فارس والبحرين والقطيف ويحمل الغواص على وجهه مهمأرأدان يفوض شيئاً يكسوهم من عظم الغنم وهي السمكة ويستمتع من هذا العظم أيده أسكلا شبه المتراعى يشد على أنفه ثم يربط حبلاً فى وسطه ويفوض ويتناوبون فى السبر فى الماء فمنهم من يصبر الساعة والساعتين فنادون ذلك فإذا وصل إلى قعر البحر يجدهم هناك فجاء بين الأحجار القار متبنا فى الرمل فيقتله يدهم أو يقطعه بمحديدة عددهم لذلك ويحملها فى مخلاة جلد منوطة بعنقه فإذا ضاق نفسه ترك الحبل فيحس به الرجل الممسك بالحبل على الساحل فيرده إلى القارب فتؤخذ منه المخلات ويفتح المدق فيوجد فى أجوافها قطع لحم تقطع بمحديدة فإذا باشرت الهواء جمدت فضاءت جوارح فيجمع جميعها من صغير وكبير فى خزانة لظن نفسه والى قى يشتريه التجار الحاضرون تلك القوارب وأكثرهم يكون له الدين على الغواصين فإخذ الجوهر فى دينه أو ما أحب له منه ثم سافرنا من سيراف إلى مدينة البحرين وهي مدينة كبيرة حسنة ذات بساكنين وأشجار وأنهار وماؤها قريب المؤنة يحفر عليه بالأيدي فيوجه وبها حدائق النخل والرمان والارج وزرعها النطن وهي شديدة الحر كثيرة

الرمال وربما غلب الرمل على بعض منازلها وكان فيما بينها وبين عمان طريق استولت عليه الرمال وانقطع فلا يوصل من عمان اليها الا في البحر وبالقرب منها جبلان عظيمان يسمى أحدهما بكسرو وهو في غربها ويسمى الآخر يور وهو في شرقها وبها مضرب المثل قليل كسرو و يور وكل غير خير ثم سافرنا الى مدينة القطيف (وضبط اسمها بضم القاف) كأنه تصغير قطف وهي مدينة كبيرة حسنة ذات نخل كثير يسكنها طوائف العرب وهم رافضية غلاة يظهرون ارفض جهار لا يتقون أحدا ويقولون قد ذهب في أذانه بعد الشهداء تين أشهد أن عليا ولي الله ويزيد بعد الحيلتين حتى على خير المعدل ويزيد بعد التكبير الأخير محمد وعلى خير البشر من خالفهما فقد كفر ثم سافرنا منها الى مدينة هجر وتسمى الآن بالحسا (بنتيج الحساء والسين واهمالها) وهي التي يضرب المثل بها فيقال كجأب التمر الى هجر وبها من التخييل ما ليس يلدسواها ومنه يملفون دوابهم وأهالها عرب وأكثرهم من قبيلة بدالقيس بن أفضي ثم سافرنا منها الى مدينة اليمامة وتسمى أيضا بحجر (بفتح الحاء المهملة وسكان الحيم) مدينة حسنة خصبة ذات أنهار وأشجار يسكنها طوائف من العرب أكثرهم من بني حنيفة وهي بلادهم قديما وأميرهم طفيل بن غام ثم سافرت منها في حجة هذا الامير برسم الحج وذلك في سنة ثنتين وثلاثين فوصلت الى مكة شرفها الله تعالى وحجج في تلك السنة الملك الناصر سلطان مصر رحمه الله وجملة من أمرائه وهي آخر حجة حجها وأجزل الاحسان لأهل الحرمين الشريفين ولله جاورين وفيها قتل الملك الناصر أمير أحمد الذي بذكراته ولده وقتل أيضا كبير أمرائه بكتومور الداتي ﴿حكاية﴾ ذكر ان الملك الناصر ذهب بكتومور الساقى جارية فلما أراد الدنو منها قالت له اني حامل من الملك الناصر فاعتزلها وولدت ولد اسماء بأمير أحمد ونشأ في حجره فظهرت نجابته واشتهر بابن الملك الناصر فلما كان في هذه الحجة تعاد على الفتك بالملك الناصر وان يتولى أمير أحمد الملك وحمل بكتومور معه العلامات والعبول والكسوات والاموال فخمى الخبر الى الملك الناصر فبعث الى أمير أحمد في يوم شديد الحر فدخل عليه وبين يديه أقذاح الشرب فنشرب بالملك الناصر قد حاولوا ناول أمير أحمد قد حان نيا فيه السم فشربه وأمر

بالرحيل في تلك الساعة يشغل لوقت فرحل الناس ولم يبلغوا المنزل حتى مات أميراً أحمد
فأكثرت بكتهم وولموتهم وقطع أنوابه وامتاع من الطعام والشراب وبلغ خبره إلى الملك
الناصر فأناه بنفسه ولاطفه وسلاطه وأخذ قدحاً فيه سم تناوله أيامه وقال له بحياتي عليك إلا
شربت فبردت نار قلبك فشر به ومات من حينه ووجد عنده خلع السلطنة والاموال
فنهضت ما نسب اليه من التمسك بالملك الناصر واما نقض الحجاج توجهت إلى جدة برسم
ركوب البحر إلى اليمن والهند فلم يقض لي ذلك ولا تأتي لي رفيق وأقت بجدة فحرار يمين
يوماً وكان بهامركب لرجل يعرف بعبد الله النوسي بروم السفر إلى القيصير من عمالة قوص
فصعدت إليه لأفطر حاله فلم ير ضفي ولا طابت نفسي بالسفر فيه وكان ذلك لطعام من الله
تعالى فإنه سافر فلما توسط البحر غرق بموضع يقال له رأس أبي محمد فخرج صاحبه وبعض
التجار في العشاري بمد جهده عظيم وأشرفوا على الهلاك وهناك بعضهم وغرق سائر الناس
وكان فيه نحو سبعين من الحجاج ثم ركب البحر بعد ذلك في صنبوق برسم عذاب فردتا
الريح إلى مرسى يعرف برأس دواتر وسافرنا منه في البر مع البجاة فسلكننا شجراً كثيرة
النعام والغزلان فيها عرب جهينة وبني كاهل وطاعتم للبجاة ووردنا ماء يعرف بمقروور
وماء يعرف بالحديد ونندزادنا فاشترينا من قوم من البجاة وجدناهم بالفلاة أغناماً وتزودنا
لحومها ورأيت بهذه الفلاة صيداً من العرب كلتي بالأسنان العربي وأخبرني أن البجاة أسروهم
وزعم أنهم منذ عام لم يأكل طعاماً عما يقتات بلبن الأبل ونفدنا بعد ذلك الناحم الذي
اشتريناه ولم يبق لنا زاد وكان عندي نحو حمل من التمر الصيحاتي والبرني برسم الهدية
لأصحابي ففرقته على الرفقة وتزودنا ثلاثاً وبعد مسيرة تسعة أيام من رأس دواتر وصلنا إلى
عذيباب وكان قد تقدم إليها بعض الرفقة فقلنا أهلها بالخبز والتمر والماء وأفتابها أياماً أكثرنا
الجمال وخرجنا صحبة طائفة من عرب دغيم ووردنا ماء يعرف بالجنيب ولعله (الحبيب)
وحللنا بحمير حيث قبرولي الله تعالى أبي الحسن الشاذلي وحصلت لنا زيارة ثانية وبتنا في
جواره ثم وصلنا إلى قرية العلوائي وهي على ضفة النيل مقابلة لمدينة أدفو من الصعيد
الأعلى وأجزنا لتبيل إلى مدينة اسنا ثم إلى مدينة أرمنت ثم إلى الأقصر وبرزنا الشيخ أبا

الحجاج الاقصرى ثانية ثم الى مدينة قوص ثم الى مدينة قناوزرنا الشيخ عبد الرحيم
القناوي ثانية ثم الى مدينة هو ثم الى مدينة اخيم ثم الى مدينة أسبوط ثم الى مدينة
منفلوط ثم الى مدينة منلوى ثم الى مدينة الاشعونين ثم الى مدينة منية ابن الحبيب ثم
الى مدينة البهنة ثم الى مدينة بوش ثم الى مدينة منية القائد وقد تقدم لنا ذكر هذه البلاد
ثم الى مصر وأقمت بها أياما وسافرت على طريق بلبيس الى الشام ورافقتي الحاج عبد الله بن
أبى بكر بن الفرخان التوزري ولم يزل في حقيق سنين الى ان خرجنا من بلاد الهند فتوفي
بستدابوروسنذكر ذلك فوصلنا الى مدينة غرة ثم الى مدينة الخليل عليه السلام
وتكررت لنا زيارته ثم الى بيت المقدس ثم الى مدينة الرملة ثم الى مدينة عكا ثم الى مدينة
طرابلس ثم الى مدينة جبلة وزورنا ابراهيم بن أدهم رضي الله عنه ثانية ثم الى مدينة
اللاذقية وقد تقدم لنا ذكر هذه البلاد كلها ومن اللاذقية ركبنا البحر في قرقورة كبيرة
للجنوبيين يسمى صاحبها بحر تلمين وقصدنا بر التركية المعروفة ببلاد الروم واتعنا سبب
الى الروم لانها كانت بلادهم في القديم ومنها الروم الاقدمون واليونانية ثم استفتحها
المسلمون وبها الآن كثير من الصاري تحت ذمة المسلمين من التركان وسرنا في البحر
عشر ابرمخ طيبة وأكرمنا النصايب ولم يأخذ منا نولا وفي العاشر وصلنا الى مدينة العالايا
وهي أول بلاد الروم وهذا الاقليم المعروف ببلاد الروم من أحسن أقاليم الدنيا وقد جمع
الله فيه ما تفرق من المحاسن في البلاد فآهله أجمل الناس صورا وأنظفهم ملابسا وأطيبهم
مطاعما وأكثر خلق الله شفقة ولذلك يقال في البركة في الشام والشفقة في الروم والله اعنى
به أهل هذه البلاد وكنائسنا به هذه البلاد زاوية أودار ابتفقد أحوالنا جيراننا من
الرجال والنساء وهن لا يحتججن فإذا سافرا ناعنهم ودعونا كنائسهم فأقربنا وأهلنا وترى النساء
يا كياتن فرأقناتنا سفات ومن عادتهم بتلك البلاد ان يخبزوا الخبز في يوم واحد من الجمعة
يبدون فيه مائة قوتهم سائر هافكان رجاكهم يأتون اليها بالخبز الحار في يوم خبز ومعه الادام
للحليب أطرافا لتبذلك ويقولون لئلا نال النساء بمثل هذا اليكم وهن يطلبن منكم الدعاء
بجميع أهل هذه البلاد على مذهب الامام أبى حنيفة رضي الله عنه مقيمين على السنة

لا قدر في فهمهم ولا رافضي ولا معتزلي ولا خارجي ولا مبتدع وتلك فضيلة خصهم الله تعالى بها الا انهم يأكلون الحشيش ولا يعيرون ذلك ومدينة العلاء التي ذكرناها كبيرة على ساحل البحر يسكنها التركان وينزلها تجار مصر واسكندرية والشام وهي كثيرة الخشب ومنها يحمل الي اسكندرية ودمياط ويحمل منها الي سائر بلاد مصر ولها قلعة باعلاها محمية منيعة بناها السلطان المعظم علاء الدين الرومي ولقيت بهذه المدينة قاضيها جلال الدين الارزنجاني وصعد معي الي القاعة يوم الجمعة فصلينا بها وأضاني وأكرمني وأضافني أيضاً به شمس الدين بن الرحيحاني الذي توفي أبوه علاء الدين بمالي من بلاد السودان

ذكر سلطان العلاء

وفي يوم السبت ركب معي القاضي جلال الدين وتوجهنا الى لقاء ملك العلاء وهو يوسف بك ومعني بك الملك ابن قرمان (بفتح القاف الراء) ومسكنه على عشرة أميال من المدينة فوجدناه قاعاً أعلى الساحل وحده فوق رابية هنالك والامراء والوزراء أسفل منه والاجناد عن يمينه ويساره وهو مخضوب الشعر بالسواد فسلمت عليه وسألني عن مقدمي فاخبرته عمماً سألت وانصرفت عنه وبعث الي احسانا وسافرت من هنالك الى مدينة انطالية (وضبط اسمها بفتح الهمزة واسكان النون وفتح الطاء المهمل وألف ولا م مكسور وياء آخر الحروف) وأما التي بالشام فهي انطاكية على وزنها الا ان الكاف عوض عن اللام وهي من أحسن المدن متناهية في اتساع الساحة والضخامة أجمل ما يري من البلاد وأكثرت عمارته وأحسنه ترتيباً وكل ثروة من سكانها منفردة بأنفسها عن الفرقة الاخرى فتجار التصاري ما يكون منها بالموضع المعروف بالميناء وعليهم سور تسد أبوابها عليهم ليلاً وعند صلاة الجمعة والروم الذين كانوا أهلها قد عيى ساكنون بموضع آخر ثم ردن به وعليهم أيضاً سور واليهود في موضع آخر وعليهم سور والملك وأهل دولته ومما يليه يسكنون ببلدة عليها أيضاً سور يحيط بها ويفرق بينها وبين ما ذكرناه من الفرق وسائر الناس من المسلمين يسكنون المدينة العظمى وبها مسجد جامع ومدرسة

وحمامات كثيرة وأسواق ضخمة مرتبة بإبدع ترتيب وعظيم اسور عظيم يحيط بها وبجميع
المواضع التي ذكرناها وفيها البساتين الكثيرة والقواكه الطيبة والشمس العجيب
المسمى عندهم بقمر الدين وفي نواته لوز حلوه وهو يبس ويحمل الي ديار مصر وهو بها
مستخرف وفيها عيون الماء الطيب العذب الشديد البرودة في أيام الصيف نزلنا من هذه
المدينة بمدرستهم شيخها شهاب الدين الحموي ومن عادتهم أن يقرأ جماعة من الصبيان
بالاصوات الحسان بعد العصر من كل يوم في المسجد الجامع وفي المدرسة أيضاً سورة الفتح
وسورة الملك وسورة عم

﴿ ذكر الاخيه الفتيان ﴾

واحد الاخيه أخى على لفظ الاخ اذا أضافه المتكلم الى نفسه وهم بجميع البلاد التركمانية
الرومية في كل بلد ومدينة وقرية ولا يوجد في الديار ما هم أشد احتلالاً بالغير بامه من اناس
واسرع الي اطعام الطعام وقضاء الحوائج والاخذ على أيدي الظلمة وتتل اشترط ومن
لحق بهم من أهل الشر والاحي عندهم رجل يجتمع أهل صناعته وغيرهم من الشبان
الاعراب والمتجدين ويندمون على أنفسهم وتلك هي الفتوة أيضاً ويبنى زاوية ويجعل
فيها فرش والسرجه وما يحتاج اليه من الآلات ويخدم أصحابه بالنهار في طاب معاشهم
ويأتون اليه بعد العصر بما يجتمع لهم فيشربون به القواكه والطعام الى غير ذلك مما ينفق
في الزاوية فان ورد في ذلك اليوم مسافر على البلد أنزلوه عندهم وكان ذلك ضيافته لديهم ولا
يزال عندهم حتى ينصرف وان لم يدوار داجتموا هم على طعامهم فأكلوا وغنوا
ورقصوا وانصرفوا الى صناعتهم بالغدو وأتوا بعد العصر الي مقدمهم فاستمتع لهم
ويسمون بالفتيان ويسمى مقدمهم كاذكرنا الاخى ولم ارفق الدنيا أجل افعلانهم
ويشبههم في افعلهم أهل شيراز وأصفها إلا أن هؤلاء أحب في الوارد والصادر وأعظم
أكراماله وشفقة علي وفي الثاني من يوم وصولنا الى هذه المدينة أتى أحد هؤلاء الفتيان الى
الشيخ شهاب الدين الحموي وتكلم معه باللسان التركي ولم أكن يومئذ أفهمه وكان عليه
آثواب خلقة وعلى رأسه قلنسوة لبد فقال لي الشيخ أنتم ما تقول هذا الرجل فقلت لأعلم

ما قال فقال لي انه يدعوك الى ضيافته أنت وأصحابك فعميت منه وقلت له نعم فلما انصرف قلت للشيخ هذا رجل ضعيف ولا قدرة له على تضييفنا ولا نريد ان نكلفه فضحك الشيخ وقال لي هذا أحد شيوخ الفتيان الاخيه وهو من الخرازين وفيه كرم نفس وأصحابه نحو مائتين من أهل الصناعات قد قدموا على أنفسهم وبنوا زاوية بضيافة وما يجتمع لهم بالهار انفقوه بالليل فلما صليت المغرب عاد الي ذلك الرجل وذهبا معه الى زاويته فوجدناها زاوية حسنة مفروشة بالبط الرومية الحسان وبها الكثير من ثياب الزحاح العراقي وفي المجلس خمسة من اليايس واليسوس شبه المنارة من النحاس له أربع ثلاث وعلى رأسه شبه جلاس من النحاس وفي وسطه أنبوب للفتيلة وبها من الشحم المذاب والى جانبه آنية نحاس ملاءة بالشحم وفيها مراض لاصلاح الفتيل وأحدهم موكل بها ويسمى بترهم الحراجي (الجراغجي) وقد اصطف في المجلس جماعة من الشبان واليايسهم الأقيين وفي أرجاءهم الأخفاف وكل واحد منهم متحزم على وسيله سكن في طول ذراعين وعلى رؤسهم فلانس يرض من الصوف بأعلى كل قانسوة قطعة موصولة بهافي طول ذراع وعرض اصبعين فاذا استقرهم المجلس رزع كل واحد منهم قانسوته ووضعها بين يديه وتبقى على رأسه قانسوة أخرى من الزرد خاني وسواء حسنة المنظر وفي وسط مجلسهم شبه مرتبة موضوعة لاواردين ولما استقر بها المجلس عندهم أتوا بالعلماء الكثيرين والماكنة والحلواء ثم أخذوا في الفناء والرقص فراقا حالهم طال عجبنا من سماحهم وكرم أنفسهم وانصر فناءهم آخر الليل وتركناهم بزوايتهم

﴿ ذكر سلطان انطاكية ﴾

وساطانا خضر بك ابن بونس بك وجدنا عند وصولنا اليها عيالا قد خلنا عليه بداره وهو في قراس المراض فكلمنا بلفظ كلام وأحسنه وودعناه وبث الينا باحسان وسافرنا الى بلدة بردور (وضبط اسمها بصم الباء الموحدة واسكان الراء وضم الدال المهملة وواو وراء) وهي بلدة صغيرة كثيرة البساتين والأنهار ولها قلعة في رأس جبل شاهق نزلنا بدار خطيبها واجتمعت الاخيه وأرادوا انزوانا عندهم فأبى عليهم الخطيب فصعدوا

ضيافة في بستان لأحدهم وذهبوا بنا إليها فكان من العجائب اظهارهم السرور بنا والاستبشار والفرح وهم لا يعرفون لساكناتنا ونحن لا نعرف لساكنهم ولا نرجحان فيما بيننا واقتناعدهم يوما انصرفنا ثم سافروا من هذه البلدة الى بلدة سمرتا (وضبط اسمها بفتح السين المهمل والباء الموحدة واسكان الراء وفتح اثناء المعلولة والف) وهي بلدة حسنة العمارة والاسواق كثيرة البساتين والأشجار لها قلعة في جبل شامخ وصلة إليها بالمشى وتزائنه قاضيها وسافروا من هنا الى مدينة أكر يدور (وضبط اسمها بفتح الهزة وسكون الكاف وكسر الراء وياء مدودال مهمل مضمووم وواو مدوراء) مدينة عظيمة كثيرة العمارة حسنة الاسواق ذات أشجار وبساتين ولها بحيرة عذبة الماء يسافرون ركب فيها يومين الى أمتهم وبقشرو غيرهما من البلاد والقرى وتزائنها بمدرسة تقابل الجامع الأعظم بها المدرس العالم الحاج المجاور الفاضل صاحب الدين قرأ بالديار المصرية وأنشام وسكن بالعراق وهو فصيح اللسان حسن البيان أطروفة من طرف الزمان أكر منا غاية الأكرام وقام بحقنا أحسن قيام

ذكر سلطان أكر يدور

وسلطانهم أبو اسحق بك ابن الدندار بك من كبار سلاطين تلك البلاد سكن ديار مصر أيام أبيه وحج وله سير حسنة ومن عاداته انه يأتي كل يوم الى صلاة العصر بالنسجدة الجامع فإذا قضيت صلاة العصر استند الى جدار القبلة وقعد القراء بن يديه على مصطبة خشب عالية فقرؤ سورة الفتح والملك وعم بأصوات حسان فعالة في النفوس تخشع لها القلوب وتقشع الجلود وتدمع العيون ثم ينصرف الى داره واظلتنا عنده شهر رمضان فكان يقعد في كل ليلة منه على فراش لاصق بالارض من غير سرير ويستند الى مخدة كبيرة ويجلس الفقيه صاحب الدين الى جانبه وأجلس الى جانب الفقيه ويايناأر باب دولته وأمرأه حضرتهم يؤتي بالطعام فيكون أول ما يفرط عليه ثريد في صحفة صغيرة عليه العدى مسقي بالسمن والسكر ويقدمون الثريد تبركا ويقولون أن النبي صلى الله عليه وسلم فضله على سائر الطعام فنحن نبدأ به لتفضيل النبي له ثم يؤتى بسائر الأطعمة وهكذا فعلهم في جميع ليالي رمضان

وتوفي بعض تلك الايام ولد السلطان فلم يزدوا على بكاء الرحمة كما يفعله أهل مصر والشام
 خلافا لما قدمته من فعل أهل اللور حين مات ولد سلطانهم فلما دفن أقام السلطان والطلبة
 ثلاثة أيام يخرجون الى قبره بعد صلاة الصبح وفي ثاني يوم من دفنه خرجت مع الناس
 فرآني السلطان ماشياً على رجلي فبعث لي بفرس واعتذر فلما وصلت المدرسة بعثت الفرس
 فردته وول انما أعطيته عطية لا عارية وبعث الى بكسوة ودرهم فانصرفنا الى مدينة قل
 حصار (وضبط اسمها بضم القاف واسكان اللام ثم جاءهم ملوك كسور وصادمهم مل
 وآخره راء) مدينة صغيرة فيها المياه من كل جانب قد نبئت فيها القصب في الاطريق لها الا
 طريق كالجسر مهياً ما بين القصب والمياه لا يسم الا فارساً واحداً والمدينة على تل في وسط
 المياه منيعة لا يقدر عليها ونزلنا بزاوية أحد الفتيان الأخية بها
 ذكر سلطان قل حصار

وسلطها محمد جلبي وجلبي (بحجم معقود ولام مفتوحين وباء موحد وياء) وتفسيره
 بلسان الروم سيدي وهو أخو السلطان أبي اسحق ملك أكر يدور ولما وصلنا بمدينة كانت
 غائبة عنها فأتيناها أياماً ثم قدم فأكرمنا واركننا وزودنا وانصرفنا على طريق قرا أغاج
 وقرا (بفتح القاف) تفسيره أسود (وأغاج بفتح الهمزة والغين المعجم وآخره جيم)
 تفسيره الخشب زهي صحراء خضرة يسكنها التركان وبعث معنا السلطان فرسانا يبلغوننا
 الى مدينة لازق بسبب ان هذه الصحراء تقطع الطريق فيها طائفة يال لهم الجرميان يذكر
 انهم من ذرية يزيد بن معاوية ولهم مدينة يقال لها كوتاهية فعمسنا الله منهم ووصلنا الى
 مدينة لازق (وهي بكسر الذا والمعجم بعده قاف) وتسمي أيضاً دون غزله وتفسيره
 بلد الخنازروهي من أبداع المدن وأضخمها وفيها سبعة من المساجد لاقامة الجمعة ولها
 البساتين الرائقة والانهار المطردة والعيون المتبعة وأسواقها حسان وتصنع بها ثياب قطن
 معلمة بالذهب لأمثل لها تظول أعمارها لصحة قطنها وقوة غزها وهذه الثياب معروفة
 بالنسبة اليها وأكثر الصنائع بها نساء الروم وبها من الروم كثير تحت الذمة وعليهم وظائف
 للسلطان من الجزية وسواها وعلامة الروم بها القلائس الطوال منها الحمر والبعض ونساء

الروم لمن عسانم كبار وأهل هذه المدينة لا يغيرون المنكر بل كذا أهل هذا الاقليم كله
وهم يشترون الجوارى الروميات الحسان ويتركونهن للفساد وكل واحدة عليها وظيف
بما نكحها تؤديه له وسمعت هناك أن الجوارى يدخلن الحمام مع الرجال فمن أراد الفساد
فمن ذلك بالحمام من غير منكر عليه وذكر لي أن القاضي بهال الجوارى على هذه الصورة
وعند دخوله المدينة مروا به وقيل فزل النار رجال من حوائتهم وأخذوا بأعنة
خيلنا ونازعهم في ذلك رجل آخرون وطال بينهم التزاع حتى سئل بعضهم السكاكين على
بعض ونحن لانعلم ما يقولون تخفنا منهم وظننا أنهم الجرميان الذين يقطعون الطرق وأن
تلك مدينتهم وحسبنا أنهم يريدون نهيبنا ثم بعث الله لنا رجلا حاجا يعرف الله العربى
فسأله عن مرادهم منافق ل أنهم من ائمتين واذ الذين سبقوا إلينا أولاهم أصحاب الفتى
أخي سنان والآخرون أصحاب الفتى أخي طومان وكل طائفة ترغب أن يكون نزولكم
عندهم فمجيئنا من كرم نفوسهم ثم وقع بينهم الصاح على المقارعة فن كانت قرعته نزلنا عند
أولافوق قرعنا أخي سنان وبأنه ذلك فأتى إلينا في جماعة من أصحابه فقاموا علينا
ونزلنا برأوية له وأتى بأنواع الطعام ثم ذهب بنا إلى الحمام ودخل معنا وتولى خدمته
بنفسه وتولى أصحابه خدمة أصحابي بخدمة ثلاثة والاربعة الواحد منهم ثم خرجنا من
الحمام فأتوا بطعام عظيم وحلواء وفاكة كثيرة وبعد افراغ من الاكل قرأ القراء آيات
من الكتاب عزير ثم أخذوا في السماع والرقص وأعدوا للمساعدين بخبرنا لما كان من
القدمت في طابنا بالمشى فتوجهنا إليه وإلى ولده كذا ذكره ثم عدنا إلى الزاوية فأتينا الأخي
طومان وأصحابه في انتظارنا فذهبوا بنا إلى زاوية ثم فذل لمرافق الطعام مثل
أصحابهم وزادوا عليهم أن صبوا علينا ماء الورد صبا بعد دخرو جئنا من الحمام ثم مضوا
بنا إلى الزاوية ففعلوا أيضا من الاحتفال في الاطعمة والحلواء والفاكة وقرأ القرآن بعد
الفراغ من الاكل ثم السماع والرقص كمثل ما فعله أصحابهم أو أحسن وأفتنا عندهم
بأن الزاوية أياما

وهو السلطان ينتج بك (واسمه يياه آخر الحروف مفتوحة ثم نونين أو لاهام مفتوحة
والثانية مسكنة وجم) وهو من كبار سلاطين بلاد الروم ولما نزلنا بزاوية أحي سنان
كما قد قدمناه بمثل الدنيا الواعظ المذكور العالم علاء الدين القسطنطين واستصحب معه خيلا
بمقدار ذلك في شهر رمضان فتوجهنا إليه وسلمنا عليه ومن عادة ملوك هذه البلاد
التواضع للواردين ولين الكلام وقلة العطاء فتعطيناهم المغرب وحضر طعامه فافطرناعنده
وانصرفنا وبعث اليانا بدراهم ثم بعث اليانا ولده مراد بك وكان ساكن في بستان خارج
المدينة وذلك في ايام الفاكهة وبعث أيضاً خيلا على عددنا كما فعله أبوه فأتينا بستانه وأقنا
عنده تلك الليلة وكان له فقيه يترجم بيننا وبينه ثم انصرفنا غدوة وأطلعنا عبيد الفطر بهذه
البلدة فخرجنا الى المعنى وخرج السلطان في عساكره والفتيان الاخيرة كلهم بالاسلحة
ولاهن كل صناعة الاعلام والبوقات والطبول والانفار وبسهم يقاخرهم ضاوي ياهيه في
حسن الهيئة وكال الشك وبخرج أهل كل صناعة معهم البقر والغنم وأحبال الخبز فيذبشون
انبياءهم بالمقابر ويتصدقون بها بالخبز ويكون خروجهم أولاً الى المقابر ومنها الى المعنى ولما
صاينا صلاة العيد دخلنا مع السلطان الى منزله وحضر الطعام فجعل لافقهاء والمشايخ
والفتيان سباط على حدة وجعل لافقراء والمساكين سباط على حدة ولا يردنلى بابه في
ذلك اليوم فقير ولا غني وأقنا بهذه البلدة مدة بسبب مخاف الطريق فتمهيات رقة فساقرنا
مهم يوم ما وبض ايسلة ووصلنا الى حصن طواس واسمه (بفتح الطاء وتخفيف الواو
وآخر سين مهمل) وهو حصن كبير ويذكر ان صهييا صاحب رسول الله صلى الله
عليه وسلم ورضى الله عنه من أهل هذا الحصن وكان ميّتا بخزجه ووصلنا بالعدالى بابه
فسألنا أهله من أعلى السور عن مقدمنا فخبروناهم وحينئذ خرج أمير الحصن الياس بك في
عسكره ليخبر نواحي الحصن والطريق خوفا من اغارة السراق على المشاة فلعما طافوا
بجبهاته خرجت مواشيهم وهكذا فاعلمهم أبدا ونزلنا من هذا الحصن بربعة في زاوية
رجل فقير وبعث اليانا أمير الحصن بضيافة وزادوا سفرنا منه الى منزلة (وضبط اسمها
بضم الميم واسكان الغين المعجم وفتح اللام) ونزلنا بزاوية أحد المشايخ بها وكان من الكرماء

بديعة الترتيب وأهل كل صناعة على حدة ويقال ان هذه المدينة من بناء الاسكندر وهي من بلاد السلطان بدر الدين بن قرمان وسند كرموق قد تغلب عليها صاحب العراق في بعض الاوقات لقربها من بلاد التي بهذا الاقليم نزلنا منها بزواية قاضيه او يعرف بابن قلم شاد وهو من الفتيان وزاوية من أعظم الزوايا له طائفة كبيرة من التلاميذ ولهم في الفتوة سند يصل الى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ولباسها عندهم الدر او يل كما تلبس الصوفية الخرقه وكان صنيع هذا القاضي في اكرامنا وضيافتنا أعظم من صنيع من قبله واجل وبعث ولده عوضا منه لدخول الحسام معنا وبهذه المدينة تربة الشيخ الإمام الصالح القطب جلال الدين المعروف بعولانا وكان كبير القدر وبأرض الروم طائفة يتمتعون اليه ويسرفون باسمه فيقال لهم الجلالية كما تعرف الاحدية بالعراق والحيدرية بنجر اسان وعلى تربته زاوية عظيمة فيها الطعام للورد والصادر ﴿حكاية﴾

يذكر انه كان في ابتداء أمره فقيها مدرسا يجتمع اليه الطلبة بمدرسته بقونية فدخل يوما الي المدرسة رجل يبيع الحلواء وعلى رأسه طبق منها وهي مقطوعة قطعاً يبيع القطعة منها بفلس فلما أتى مجلس التدريس قال له الشيخ هات طبقك فأخذ الحلواني قطعة منه وأعطاهم للشيخ فأخذها الشيخ بهدوء وأكلها فخرج الحلواني ولم يضم أحد سوى الشيخ فخرج الشيخ في اتباعه وترك التدريس فأبطأ على الطائفة وطال انتظارهم اياه فخرجوا في طلبه فلم يعرفوا له مستقراً ثم انه عاد اليهم بعد أعوام وصار لا يتدق الا بالشمع الفارسي المتعاق الذي لا يذوقه فكان الطلبة يتبعونه ويكتبونه ما يصدر عنه من ذلك الشعر وألقوا منه كتابا سموا بالمتنوي وأهل تلك البلاد يعظمون ذلك الكتاب ويعتبرون كلامه ويعامونه ويقرؤنه بزواياهم في ليالي الجمعات وفي هذه المدينة أيضاً قبر النقيه أحمد الذي يذكر انه كان معلماً لجلال الدين المذكور ثم سافر نالي مدينة اللارندة وهي (بفتح الراء التي بعد الالف) والنام واسكان اتون وفتح الدال المهمل) مدينة حسنة كثيرة المياه والبساتين

وساخطها الملك بدر الدين بن قرمان (بفتح الالف والراء) وكانت قبله اشقية موسى
فنزله عنها تاملًا ، التاصر وعوضه عنها بعوض وبعث اليها اميرا وعسكرا ثم تغلب عليها
السلطان بدر الدين وبنى به دارا على كنهه واستقام أمره بها ولقيت هذا السلطان خارج
المدينة وهو عائد من تصيده فنزلت له عن دابتي فنزل هو عن دابته وسلمت عليه وأقبل على
ومن عادة ملوك هذه البلاد انه اذا نزل لهم الوارد عن دابته نزلوا له وأعجبهم فعليه وزادوا
في اكرامه وان سلم عليهم راكبساء هم ذلك ولم ير ضهم ويكون سببا لخرمان الوارد وقد
جرى لي ذلك مع بعضهم وسأذكروه ولما سلمت عليه وركب وركبت سألتني عن حالى
وعن مقدمي ودخلت معه المدينة فأمر بانزالى أحسن نزل وكان يبعث الطعام الكثير
والفاكهة والخلوة في طباقير الفضة والشمع وكساوا ركب واحدا ولم يطل مقامنا عنده
والنصر فتأني مدينة أفر (وضبطها بفتح الهمزة وسكون القاف وفتح الصاد المهملة
والراء) وهي من أحسن بلاد الروم وأتمتعنا تحف بها البساتين والجارية والبساتين من
كل ناحية ويشق المدينة ثلاثة أنهار ويجرى الماء بدورها وفيها الاشجار ودوالي العنب
وداخلها بساتين كثيرة وتصنع بها البسط المنسوبة اليها من صوف الغنم لاملل لها في بلد
من البلاد ومنها تحمل الي الشام ومصر والامراق والهند والصين وبلاد الأتراك وهذه
المدينة في طاعة ملك العراق ونزلنا منها بزواية الشريف حسين النائب بها عن الأمير
أرتاوار تاهو النائب عن ملك العراق فيما تغلب عليه من بلاد الروم وهذا الشريف
من الفتيان وله طائفة كثيرة وأكرمنا اكراما متناهيا وفضل أفعال من تقدمه ثم رحلنا
الي مدينة نكد (وضبط اسمها بفتح النون واكان الكاف ودال المهملة مفتوح)
وهي من بلاد ملك العراق مدينة كبيرة كثيرة العمارة قد تحرب بعضها ويشقها النهر
المعروف بالنهر الاسود وهو من كبار الأنهار عليه ثلاث قناطر احداها بداخل المدينة
وتنتان بخارجها وعليه التوايع بالداخل والخارج منها تسقى البساتين والقواكه بها كثيرة
ونزلنا منها بزواية الفتي أخى جارق وهو الأمير بها فأكرمنا على عادة الفتيان وأقنابها
بجلائنا وسرنا منها بعد ذلك الي مدينة قيسارية وهي من بلاد صاحب العراق وهي إحدى

المدن العظام بهذا الاقليم بها عسكر أهل العراق واحدي خواتين الامير علاء الدين ارتما المذكور وهي من أكرم الخواتين وأفضلهن ولها نسبة من ملك العراق وتدعي أغا (بفتح الهمزة والفتحة المعجم) ومعنى أغا الكبير وكل من بينه وبين السلطان نسبة يدعي بذلك واسمها طغي خاتون وبخانا اليها أقامت لنا وأحسن السلام والكلام وأمرت بإحضار الطعام فأكلنا ولما انصرفنا بعثت لنا بفرس مسرج مажم وخلعة ودرهم مع أحد غلمانها واعتذرت ونزلت من هذه المدينة بزواية الفتى الأخي أمير علي وهو أمير كبير من كبار الأخية بهذه البلاد وله طائفة تتبعه من وجوه المدينة وكبرائها وزاوية من أحسن الزوايا فرشا وقناديل وطاماما كثيرا واتقانا والكبراء من أصحابه وغيرهم يجتمعون كل ليلة عنده ويفعلون في كرامة الواردا ضاعاف ما يفعله سواهم ومن عوائد هذه البلاد أنه ما كان منها ليس به سلطان فالأخي هو الحاكم به وهو ركب الوارد ويكسوه ويحس إليه على قدره وترتيبه في أمره ونهيه وركوبه ترتيب الملوك ثم سافرنا إلى مدينة سيواس (وضبط اسمها بكسر السين المهملة وياء مدوا آخره سين مهملة) وهي من بلاد ملك العراق وأعظم ماله بهذا الاقليم من البلاد وبها منزل أمراء وعماله مدينة حسنة العمارة واسعة الشوارع أسواقها غاصة بالناس وبها دار من المدرستين تسمى دار السيادة لا ينزلها الا الشرفاء ونفسيهم ساكن بها وتجري لهم فيها مدامة مقامهم الفرس والطعام والشمع وغيره فيزدودون اذا انصرفوا ولما قدمنا إلى هذه المدينة خرج الي اثنائنا أصحاب الفتى الأخي أحمد بحقجي وبحق بالتركية السكينة وهذا نسوب اليه والحيان منه معقودان بينهما قاف وباؤه مكسورة وكانوا جماعة منهم الركبان والمشاة ثم لقينا بعدهم أصحاب الفتى الأخي جلبي وهو من كبار الأخية وطبقته أعلى من طبقة أخي بحقجي فطلبوا ان نزل عندهم فلم يمكن لي ذلك لسبق الاولين ودخلنا المدينة معهم جميعا وهم يتفخرون والذين سبقوا اليان قد فرحوا أشد الفرح بنزولنا عندهم ثم كان من صنعهم في الطعام والحمام والمبيت مثله صنع من تقدم وأقنعنا عندهم ثلاثة في أحسن ضيافة ثم أتاانا القاضي وجعاعة من الطلبة ومعهم خيل الامير علاء الدين ارتثا نائب ملك العراق ببلاد الروم فركبنا اليه واستقبلنا

الامير الى دهليز داره فسلم علينا ورحب وكان فصيح اللسان بالعربية وسأثنى عن العراقيين
وأصحابان وشيخين وكرمان وعن السلطان أتابك وبلاد الشام ومصر وسلاطين التركان
وكان مراده أن أشكر الكركم منهم واذم البخيل فلم أقبل ذلك بل شكرت الجميع فسر بذلك
منى وشكرني عليه ثم أحضر الطعام فأكلنا وقل تكونون في ضيافتي فقال له الفتى أخى
جلي انهم لم ينزلوا بعد زوايتي فليكونوا عندي وضيافتك تصلهم فقال أقبل فانتقلنا الى
زايوته وأقمنا هناك في ضيافته وفي ضيافة لاميير ثم بعث الامير بفرس وكسوة ودرهم
وكتب لنوابه بالبلدان يضيّفوننا ويكرموننا ويزودونا وسافرنا الى مدينة مامسية (وضبط
اسمها بفتح الهمزة والميم وألف وصاد مهملة مكسورة) آخر الحروف مفتوحة (مدينة
كبيرة حسنة ذات أنهار وبساتين وأشجار ونواكه كثيرة ودلى أنهارها النواعير تسقى
جنتها ودورها وهي فسيحة الشوارع والأسواق وملوكها صاحب العراق وبقرّب منها
بلدة سوندي (وضبط اسمها بضم السين المهملة وواو مدوون مضمومة وسين مهملة
مفتوحة) وهي اصحاب العراق أيضاً وبها سكنى أولاد دولي الله تعالى أبى العباس أحمد
الرفاعي منهم الشيخ عز الدين وهو الآن شيخ الرواق وصاحب سجادة الرفاعي واخوته
الشيخ علي والشيخ اراهيم والشيخ يحيى أولاد الشيخ أحمد كوجك وممنه الصغيران
تاج الدين الرفاعي وزناى زايوتهم ورأينا لهم الضلع على من سواهم ثم سافرنا الى مدينة
كشم (وضبط اسمها بضم الكاف وكسر الميم وشين معجم) وهي من بلاد ملك العراق
مدينة كبيرة عامرة يأتها التجار من العراق والشام وبها معادن النضة وعلى مسيرة يومين
منها جبل شامخة عرصة أصل نياها وزناى منها زايوة الاخى محمد الدين وأقاربها ثلاثا
في ضيافته وفعل أقبل من قبله وجاء اليه نائب الامير أرتاوبت بضيافة وزاد وانصرفنا
على تلك البلاد فوصلنا الى أرزنجان (وضبط اسمها بفتح الهمزة واسكان الراء وفتح
الزاي وسكون التون وجيم وألف ونون) وهي من بلاد صاحب العراق مدينة كبيرة
عامرة وأكثر سكانها الارمن والمسلمون يتكلمون بها بالتركية ولها أسواق حسنة
الترتيب ويعصن بها ثياب حسان تنسب اليها وفيها معادن النحاس ويعصنون منه الاواني

والسياس التي ذكرناها وهي شبه المنار عند بناو نزلنا منها بزاوية الفتى أخيه سلام الدين وهو من أحسن الزوايا وهو أيضاً من خيار الفتى وكبارهم أضافنا أحسن ضيافة وانصرفنا إلى مدينة أرزروم وهي من بلاد ملك العراق كبيرة الساحة خرب أكثرها بسبب قننة وقعت بين طائفتين من الترك من هاتين هاتين ثلاثاً أنهار وفي أكثر دورها بساتين فيها الأشجار والدوالي ونزلنا منها بزاوية الفتى أخيه طومان وهو كبير السن يقال أنه أنف على مائة وثلاثين سنة ورأيت به تصرف على قديمه متوكئاً على عصا من الذهب موابضاً للصلاة في أوقاته لم تذكر من نفسه شيئاً إلا أنه لا يستطيع الصوم خدماً بنفسه في إتمام خدمته أو لاداء في الحسام وأردنا الانصراف عنه نأى يوم نزولنا فشق علينا ذلك وأبى منه وقال إن فقامت قصص حرمي وأنا أقل الضيافة ثلاث فاقبلت به ثلاثاً ثم انصرفنا إلى مدينة بركي (وضبط اسمها بيا موحدة مكسورة وكاف معقود مكسور بينهما ركن) ووصلنا إليها بعد انصراف لقيت بركي من أهلها فسالنا عن زاوية الأخي بها فقبل أن أدلكم عليها فاتبناه فذهب بنا إلى المنزل نفسه في بستان له فأنزلنا بأعلى سطح بيته ولاشجار مظلة وذلك أن أول الحرائش يدوان في البساتين وأحسرت في ضيافته وعاف دوابنا وبتنا عند ملك الالة وكان قد تم قننا من المدينة مدرسا فاستدعى به يحيى الدين فأبى شاذلك الرجل الذي ابتاعه وكان من العلية إلى المدرسة وإذا بالمرس قد أقبل راكداً على بغلة فارحة وممساكاً وحداً عن جنبه والطالبين يديه وعليه ثياب فرجة حسان معارضة بالذهب فسالنا عليه فراح بنا وأحس السلام والكلام وأمسك بيدي وأجاسني إلى جانبهم جاء القاضي عز الدين فرشق وبنى فرشق الملك لقب بذلك لديه وعافه ونضله فتمنع عن تعيين مدرس وأخذ في تدريس العلوم الأصلية ونفر عديم المسافر عن ذلك أتى دوبرة بالمدرسة فأمر بفرشها وأنزلني فيها وبث ضيافة حافلة ثم وجهنا إلى نائبه المقرب فضيعة إلى فوجدته في مجلس بستان له وهناك صهر بج ما يجدر إليه المساء من حصة خام أرض يدور بها القاشاني وبين يديه جملة من العلية وممساكاً وحداً وقوف

عن جانيبه وهو قاعد على مرتبة عليها أقطاع منقوشة حسنة خلفته لما شاهدته ملكا من
الملك فقام الي واستقبلني وأخذ يدي وأجلسني الى جانبه على مرتبة وأني بالطعام فاكلنا
وانصرف الى المدرسة وذكر لي بعض الطلبة ن جميع من حضر تلك الليلة من الطلبة عند
المدرس فادتهم الحضور لطعامه كل ليلة وكتب هذا المدرس الى السلطان بخبرنا وأثنى في
كتاباه والساكن في جبل هنالك يصيف فيه لاجل شدة الحر وذلك الجبل بارد وعادته ان
يصيف فيه

ذكر سلطان بركي

وهو السلطان محمد بن آيدن من خيار السلاطين وكرماهم وفضلاهم ولما بعث اليه المدرس
يعلمه بخبري وجهه نائبه الي لاتبه فأشار على المدرس ان أقسم حتي يبعث عنى ثانية وكان
المدرس اذا ذاك قد خرجت برجله قرح لا يستطيع الركوب بسببها وافتطع عن المدرسة
ثم ان السلطان بعث في طلبى ثانية ففتش ذلك على المدرس فقال ان لا يستطيع الركوب ومن
عمرضى التوجه معك لا فردد الى السلطان ما يجب انك ثم انه تحمل واسب على رجله خرقا
وركب ولم يضع رجله في الركاب وركبت أنا وأصحابي وصعدنا الى الجبل في طريق قد
عنت وسويت نوصانا الى موضع انه اطان عنه د الزوال فنزلنا على نهر ماء تحت ظلال
جرجوز وصعدنا الى اطان في قاق وشغلنا بسبب فراجه الا انه فرس ليان عنه الى
سهره السلطان أو خانها فلما بلغه خبر ووصونا بعث الينا ولديه خضر بك وعمر بك فسلما
على الفقيه وأمرهما بالسلاط عن فقهه لاذلك وسألاني عن حالي ومقدمي وانصرفا وبعث
خى بيت يسمي عند عم الخرقه (شركاء) وهو عصى من الخشب تجمع شبه القبة وتجعل
عليها اللبود وفتح اعلامه لدخول الفقه والريح مثل البادنج ويسمى احتيج الى سده
وأثواب الفرش ففرشوه وقعد الفقيه وقعدت معه وأصحابيه وأصحابي خارج البيت تحت
ظلال شجر الجوز وذلك الموضع شديد البرد ومات لي تلك الليلة فرس من شدة البرد ولما
كان من الغد ركب المدرس الى السلطان وتكلم في شأني بما اقتضته فضائله ثم عاد الى

الفقيه عن عيته والقاضي محمداً بن أبي الفقيه وأما علي القاضي وقد أقرأ أسفل المصطبة
والقراء لا يقرقونه حيث كان من مجالسه ثم جاؤا بصحاف من الذهب والفضة مملوءة
بالجلاجل المحلول فدعس فيه ماء الليمون وجعل فيه كعكان صغار مقسومة وفيها ملاحق
ذهب وفضة وجاؤا معها بصحاف صيني فيها مثل ذلك وفيها ملاحق خشب من توبيع
أستعمل صحاف الصيني وملاحق الخشب وتكلمت بشكر السلطان وأثبتت على الفقيه
وبالغت في ذلك فأعجب ذلك السلطان وسره ﴿حكاية﴾

وفي أثناء صعودنا مع السلطان أتى شيخ نبي رأسه عمامة لها ذؤابة فلم عليه وقام له القاضي
ورأى فقيه وقدم أمام السلطان فوق المصطبة وأقرأ أسفل منه فقلت للفقيه من هذا الشيخ
فنهضت وسكت ثم أعدت السؤال فقال لي هذا يهودي طيب وكان يحتاج إليه فلاجل هذا
فما نأمر أيت من القيام له فأخذني ماحبات وقسم من الامتناع فقلت له يهودي ياملون
بأن يملكون كيف تجلس فوق قراء القرآن وأنت يهودي وشتمته ورفعت صوته وفي فمجب
السلطان وسأل عن موعدي كلامي فأخبره الفقيه به و غضب اليهودي فخرج عن المجلس فلما
أنسوا حال ولما انصرفنا قال لي الفقيه أحسنت بارك الله فيك أنا أحسن أسوأك لا تخش
علي مخاطبته بذلك واتقد عرقه بنفسه

﴿حكاية أخرى﴾

جاءني السلطان في هذا المجلس فقل لي هل رأيت قط حجراً نزل من السماء فقد
مارأيت ذلك ولا سمعت به فقال لي أنه قد نزل بجحراج بلدنا هذا حجراً من السماء ثم
بلا وأمرهم أن يأتوا بالحجر فأتوا بحجر أسود أصم شديد الصلابة له بريق قدرت أن
تذته تبلغ قطاراً وأمر السلطان باحضار القطاعين فحضر أربعة منهم فامرهم أن يظروا
فحضروا عليه ضربة رجل واحد أربع مرات بمطارق الحديد فلم يؤثروا فيه شيئاً فامرهم
من أمرهم وأمرهم أن يأتوا به إلى حيث كان وفي ثالث يوم من دخولنا إلى المدينة مع السلطان
في ثالث يوم من دخولنا إلى المدينة قطعوا ووجوا أهل المدينة قطعوا ووجوا أهل المدينة قطعوا

البلقاء والشمع في كل ليلة ثم يبعث الى مائة من ثياب الذهب والفضة كسوة كاملة وفراشا
وعملوكا ورويا يسمى بيحائل ويبعث لكل من أصحابي كسوة ودرهم كل هذا بمشارطة
المدرس محي الدين جزاء الله تعالى خير اريد غنا وانصرنا وكانت مدة مقامنا عنده
بالجبل والمدينة أربعة عشر يوما ثم قصدنا مدينة تيرة وهي من بلاد هذا السلطان (وضبط
اسمها بكسر التاء المعلو ويا مدورا) مدينة حنة ذات أنهر وبساتين وفواكه نزلنا بها
بزاوية الفقي أخى محمد وهو من كبار الصالحين صائم الدهر وله أصحاب على طريقته فاضافنا
و عالت وسرنا الى مدينة نيا لوق (وضبط اسمها بفتح الهمزة والياء آخر الحروف
وبين مهمل مضوم ولا م مضوم وآخره قاف) مدينة كبيرة قديمة معظمه عند الروم
وفها كنيسة كبيرة مبنية بالحجارة الضخمة ويكون طول الحجر منها عشرة أذرع فها
دونها من حوطة أبدع نحت والمسجد الجامع بهذه المدينة من أبدع مساجد الدنيا لا نظير له في
الحسن وكان كنيسة ثروم معظمه عندهم يقصدونها من البلاد لما فتح هذه المدينة
جماها المسلمون مسجدا جاء او حيطانه من الرخام الملون وفرشه الرخام الأبيض وهو
مسقف بالرصاص وفيه إحدى عشرة قبة متنوعة في وسط كل قبة صهر بج ماء والنهر يشقه
وعن جانبي النهر الاشجار الخفيفة الاجناس ودوالي العنب ومعرشات الياسمين وله خمسة
عشر بابا وأمر هذه المدينة خضر بك ابن السلطان محمد بن آدين وقد كنت رأيته عنصا إليه
بيركي ثم تقيته بهذه المدينة خارجها فسامت عنده وانارا ك فكره ذلك متى وكان سبب
حرمانى لديه فان عادتهم اذا نزل لهم الوارد نزلوا له وأعجبهم ذلك ولم يبعث الى الاثواب واحدا
من الحرير المذهب يسمونه انخ (بفتح النون وخاء معجم) واشترت بهذه المدينة جارية
رومية بكر اباربعين دينار اذهبنا سرنا الى مدينة زمير (وضبط اسمها ياء آخر الحروف
مفتوحة وزاي مسكن وميم مكسور ويا مدورا) مدينة كبيرة على ساحل البحر
معظمها خراب ولها قلعة متصلة بأعلاها نزلنا بها بزاوية الشيخ يعقوب وهو من
الاحمدية صالح فاضل ولقينا بخارجها الشيخ عز الدين بن أحمد الرافعي ومعه زاده
الاخلاطي من كبار المشايخ ومعه مائة فقير من المولدين وقد ضرب لهم الامير الاخوية وصنع

لهم الشيخ يعقوب ضيافة وحضرتها واجتمعت بهم وأمير هذه المدينة عمر بك ابن السلطان
 محمد بن آدين المذكور آتفا وسكناء بقلعتها وكان حين قدومنا عليها غداً به ثم قدم بعد
 خمس من زولنسها فكان من مكارمه أن آتى إلى الزاوية فسلم على واعتذر وبث ضيافة
 عظيمة وأعطاني بعد ذلك مملوكاً وهو ياخاسيا اسمه نقوله وثوبين من الكمخا وهي ثياب
 حرير تصنع ببغداد وتبرزو نيسابور والعين وذكر لي الفقيه الذي يؤم به أن الأمير لم يبق
 له مملوك سوى ذلك المملوك الذي أعطاني بسبب كرمه رحمه الله وأعطاني أيضاً للشيخ عز
 الدين ثلاثة أفراس مجهزة وآنية فضة كبيرة تسمى عندهم المشربة مملوءة دراهم وثياباً من
 المنف والمرعز والتدسي والكمخا وحواري وغامانا وكان هذا الأمير كريماً صالحاً
 كثير الجهاد له أجنان غزوية يضرب بها على نواحي القسطنطينية العظمى فيسبي ويفسّم
 ويقبض ذلك كرم ما وجوداً ثم يعود إلى الجهاد إلى أن اشتدت على الروم وطأنه فرفعوا
 أهرهم إلى البسابا فمصر نصارى جنوباً وأفرا نسة بغزو وفزوه وجهز جيشاً من رومية
 وطرقوا مدينة ليلافي عدد كثير من الأجنان وملكوا المرسى وأندينة ونزل إليهم
 الأمير عمر من القلعة فقاتلهم فاستشهد هو وجاعة من ناسه واستقر انصارى بالبلد ولم
 تتركوا على القلعة لمنهم ثم سافروا من هذه المدينة إلى مدينة مغنيسية (وضبط اسمها
 حة وغين معجمة مسكنة ونون مكسورة ويا مدوسين مهمل مكسورة ويا آخر
 ة) ترانها عشي يوم عرفة بزاوية رجل من الفتيان وهي مدينة كبيرة
 سيطها كثير الأنهار والعون والبساتين والفواكه

ذكر سلطان مغنيسية

ولما وصلنا إلى هذه البلدة وجدناه بترية ولده وكان قد توفي
 ليلة العيد وصيحت بها بترية والولد قد صبر وجعل في تابوت
 وروعلق في قبة لاسقف لها لانه تذهب راحته وحينئذ
 حاهر أعلى وجه الأرض وتعمل ثيابه عليه وهكذا رأيت غيره
 لما عليه بذلك الموضع وصلينا معه صلاة العيد وعدنا إلى الزاوية

فأخذ الغلام الذي كان لي أفراسنا وتوجه مع غلام أبهض الأصحاب يرسم سقيها فأبطأ ثم لما كان العشي لم يظهر لهما أثر وكان بهذه المدينة الفقيه المدرس الناضل مصباح الدين فركب معي إلى السلطان وأعلمناه بذلك فبعث في طلبهما فلم يوجدوا اشتغل الناس في عيدهم وقصد أم مدينة للكفار على ساحل البحر تسمى فوجهة على مسيرة يوم من مغنيسية وهؤلاء الكفار في بلد حصين وهم يبعثون هدية في كل سنة إلى سلطان مغنيسية فيقنع منهم بها لحصانة بلدهم فلما كان بعد الظهر أتت بهم أبهض الأتراك وبالأفراس وذكروا أنهم اجتاز بهم عشية لتنهارة فأنكروا أمرهم واشتدوا عليهم حتى أقرأ بعض ما عليهم من القرار ثم سافروا من مغنيسية وبثالية عند قوم من التركان قد نزلوا في مرعى لهم ولم يجد عندهم ما تلطفوا بنا ملك الأيسلة وبنا أصحابنا يحترسون مداولة بينهم خوفاً من السرقة فأنت نوبة الفقيه عفيف الدين التوزري فسمعه يقرأ ورقة البقرة فقلت له إذا أردت الثوم فأعطني لأنظر من يجترس ثم تمت فبأقضى إلا صباح وقد ذهب السراق بقرس لي كان يركبه عفيف الدين بسرجه ولجاء وكان من جياد الخيل التي رتبته بأيا سلوق ثم رحلنا من الغد فوصلنا إلى مدينة برغمة وضبط اسمها بياء موحد مفتوحة وراء مسكنة وغبن معجزة مفتوحة وهي مفتوحة مدينة خربة لها إقامة عظيمة مبنية بأعلى جبل ويقال إن أنطاطون الحكيم من أهل هذه المدينة ودارد تشتهر باسمه إلى الآن ونزلنا منها بزاوية فقمر من الأحمدية ثم جاء أحد كبار المدينة فنقلنا إلى داردوا كرامنا كراما كثيراً

ذكر سلطان برغمة

وسلطانها يسمى يحنى خان بكسر الشين وخان عندهم هو السلطان ويحني (بياء آخر الحروف وخاء معجم وشين معجم مكسور) ومعناه جيد صادق فنادي في مصيف له فأعلم بقدهم نافيت بضايقة وثوب قدسى ثم أكثرينا من يدنا على الطريق وصرنا في جبال شامخة وعرة إلى أن وصلنا إلى مدينة لي كسرى (وضبط اسمها بياء موحد مفتوحة ولا م مكسور وياء مدوكاف مفتوح وسين مهمل مسكن وراء مكسور وياء) مدينة حسنة

كثيرة العمارات مديحة الاسواق ولا جامع لها يجمع فيه وأرادوا إنشاء جامع خارجها متصل بها فبنوا حيطانها ونحوها لواله سقفا وما وايصلون هو بمجمعون تحت ظلال الاشجار وتزلمان هذه المدينة بزواية الفتى أحيى ننان وهو من أقاندهم وأني الياناقضيها وخطبها عقيقه موسى

في ذكر سلطان بلي كسرى

ويسمى دمورجان ولاخريفه وأبوه هو الذي في هذه المدينة وكثرت عمارتها من لاخير في مدينته هذا والناس على دين الملك ورأيت به وبعت الي ثوب حرير واشترت هذه المدينة جارية ترومية اسمي مرغايلة ثم سرت الي مدينة برصي (وضبط اسمها بضم تاء الموحدة واسكان الراء ونجح الساد المهمل) مدينة كبيرة عظيمة حسنة الاسواق فسيحة الشوارع تحفها البساتين من جميع جهاتها والعيون الجارية وبحار جهها نهر شديد الحرارة يصيب في بركة عظيمة وبني عليها بيتان أحدهما للرجال والآخر للنساء والمرضى يسترون بهذه الحلة . يأتيون اليها من أقصى البلاد وهالك زاوية للواردين منزلون بها ويطعمون مدقة مقامهم وهي ثلاثة أيام عمر هذه الزاوية أحدهم ملوك التركمان وتزلزل في هذه المدينة زاوية الفتى أحيى شمس الدين من كبار النسيان ووافقنا عند مدوم عاشوراء فصنع شعاعا كثيرا ودعا وجوه الكرواهل المدينة ليلا وأفطروا عندهم بقرا بقرا بالاصوات الحسنة وتوخر المقيّة الواعظ محمد الدين القنوي ووعظ وذكر وأحسن ثم أخذوا في السماع والرقص وكانت ليلة عظيمة الشأن وهذا الواعظ من الصالحين يدور بالدهر ولا ينفطر الا في كل ليلة أيام ولايا كل الامن بكيمية ويقال له لم يأكل طعاما أحدا قط ولا منزل له ولا متاع الا مائة تربة ولا ينال الا في المنبرة ويعظ في المجالس ويذكر فيتوب على بدعيه في كل مجلس الجماعة من الناس طلبته بمذهبه الليلة فلم أجده وأتيت الحياة فلم أجده ويقال انه يأتيها بمدهجوع الناس في حكاية

لما حضر اليه عاشوراء بزواية شمس الدين وعظ بها محمد الدين من آخر الليل فصاح أحد الفقراء صيحة غشي عليه منها فصبوا عليه ماء الورد فم يفي فاعادوا عليه ذلك فلم يفي

واختلف الناس فيه فمن قائل انه ميت ومن قائل انه مغشى عليه وأتم الواعظ كلامه وقرأ
 القراء وصلينا الصبح وطاعت الشمس فاخبروا حال الرجل فوجدوه فارق الدينار حمله
 انما فاشغلوا بفلسه وتكلم به وكنت فيمن حضر الصلاة عليه ودفعه وكان هذا الفقير يسمى
 الصباح وذكروا انه كان يتميد به انه لا يك في جبل فقي علم ان الواعظ بحمد الدين يعظ
 قصده وحضر وعظه ولم يأكل طءامه أحد فاذا وعظ بحمد الدين يصيح ويغشي غايه ثم
 يفيق فيتوضأ ويدرك ركعتين ثم اذا سمع الواعظ صاح بفعل ذلك مراراً في الليلة وسعى
 الصباح لاجل ذلك وكان أعذر اليد والرجل لا قدرة له على الخدمة وكانت له
 والده تقوته من غزاهم فلما نوبت اقتات من نبات الارض ولقيت بهذه المدينة الشيخ
 الصالح عبد الله المصري الساخ وهو من الصالحين جال الارض الا انه لم يدخل الصين
 ولا جزيرة سرنيدب ولا المغرب لا الاندلس ولا بلاد السودان وقد زدت عليه بدخول
 هذه الاقاليم

ذكر سلطان برصي

وسماطه اختيار الدين أرخان بك وأرخان (يضم الهمزة وخاء معجم) ابن السلطان
 عثمان جوق (وجوق بجم معقود مضموم وآخره كاف) وتفسيره بالتركية الصغير وهذا
 السلطان أكبر ملوك التركان وأكثرهم مالا وبلاداً وعسكراً له من الحصون ما يقارب
 مائة حصن وهو في أكثر أوقاته لا يزال يطأرف عليه ويقوم بكل حصن منها أياماً بالاصلاح
 شأنه وتفقد حاله ويقال انه لم يقم قط شهراً كاملاً بلده ويقال الكفار ويحاصرهم والده
 هو الذي استفتح مدينة برصي من أيدي الروم ويقبر بمسجدها وكان مسجدها كنيسة
 للصاري ويذكر انه حاصر مدينة برتيك نحو عشرين سنة ومات قبل فتحها فحاصرها
 ولده هذا الذي ذكرناه ثم في عشرة سنة وافتحها وبها كان لقاقي له وبعث الى بدراهم
 كثيرة ثم سافر نالي مدينة يزنيك (وضبط اسمها بفتح الياء آخر الحروف واسكان
 الزاي وكسر النون وياء مدوكاف) وبتنا قبل الوصول اليها ليلة بقرية تدعى كركة زاوية
 فتي من الاخوة ثم سافر نالي هذه القرية يوماً كاملاً في أنهار ماء على جوانبها أشجار الرمان

الحلو والحامض ثم وصلنا الى بحيرة ماء تثبت القصب على ثمانية أميال من يزنك لا يستطيع
دخولها الا على طريق واحد مثل الجسر لا يسلك عليها الا فارس واحد وبذلك امتنعت
هذه المدينة والبحيرة بحيطه بهامن جميع الجهات وهي خاوية على عروشها لا يسكن بها
الا أناس قليلون من خدام السلطان وبها زوجت ييلون خاتون وهي الحاكمة عليهم امرأة
صالحة فاضلة وعلى المدينة أسوار أربعة بين كل سورين خندق وفيه الماء ويدخل اليها
على جسور خشب مقي أرادوار فهار فموها وبداخل المدينة البساتين والدور والارض
والأزراع فكل انسان دار ومزرعة وبستانه مجموعة وشربها من آبائها قريه وبها من
جميع أصناف الفواكه والجوز والقسطل عندهم كثير جد أرخص الثمن ويسمون
القسطل قسطنه بلون والجوز الزاق بالقاف وبها العنب العذاري لم أر مثله في سواها متاهي
الحلاوة عظيم الحرم صافي ابلون رقيق القشر للعبة منه نواة واحدة أنزلنا هذه المدينة الفقيه
الامام الحاج المجاور علاء الدين السلطاني وكى وهو من الفضلاء الكرام ما جئت قط الى
زيارته الا أحضر الطعام وصورته حسنة وسيرته أحسن وتوجه بي الى الخاتون المذكورة
فاكرمت وأضافت وأحسنّت وبمدق ومنايا إم وصل الى هذه المدينة السلطان أرخان بك
الذى ذكرناه وأقمت بهذه المدينة ليلة نحوار بعين يوم ما بسبب مرض فرس لي فلما طال على
المكث تركته وانصرفت وهي ثلاثة من أصحابي وجارية وغلaman وليس ههنا من يحسن
الانسان التركي ويترجم عناوكان لست أترجما هذه المدينة ثم خرجنا منها فبنا بقرية
يقال لها مكجا (بفتح الميم والكاف والجيم) بننا عندق بهما كرمنا وأضافنا
وسافنا من عندهم وتقدمت امرأة من الترك على فرس ومعهما خديهما وهي قاصدة مدينة
ينجاونحن في اتباع أثرها فوصلت إلى واد كبير يقال له سقرى كأنه نسب الى سقر أعاذنا الله
منها فذهبت تجوز الوادي فلما توسلته كادت الدابة تفرق بها وورمتها عن ظهرها وأراد
الحديد الذي كان معها استخلاصها فذهب الوادي بهما معا وكان في عنوة الوادي قوم
ومواياهم في أثرها سباحة فاخرجوا المرأة وبها من الحيات رملق ووجدوا الرجل قد
قضى نحبه رحمه الله وأخبرنا أولئك الناس ان المدينة أسفل من ذلك الموضع فتوجهنا اليها

وهي أربع خشبات مربوطة بالحبال يجعلون عليها سروج الدواب والمتاع ويجذبها الرجال
من العدو والاخرى ويركب عليها الناس ونحجز الدواب سباحة وكذلك فعلنا وصلنا
تلك الالة الى كاوية واسمها على مثال فاعلة من النكي نزلنا منها زاوية أحد الاخيه فكلعناه
بالعربية فلم يفهم عنا وكنا بالتركية فلم يفهم عنه فقال اطابو الفقيه فانه يعرف العربية فأني
الفقيه فكلعنا بالفارسية وكنا بالعربية فلم يفهمها منا فقال للفتي ايشان عربي كنهنا مي توان
(ميكويستد) ومن عربي نوميدانم وايشان معناه هؤلاء وكنهنا قديم وميقو ان يقولون
ومن انا نوجد يدوميدانم تعرف وانما اراد الفقيه بهذا الكلام ستر نفسه عن الفضيحة
حين ظنوا انه يعرف اللسان العربي وهو لا يعرفه فقال لهم هؤلاء يتكلمون بالكلام العربي
القديم وأنا لا أعرف الا الدربي الجديد فظن الفتى ان الامر على ما قاله الفقيه ونفعنا ذلك
عنده وبالغ في اكرامنا وقال هؤلاء تعجب كرامتهم لانهم يتكلمون باللسان العربي القديم وهو
لسان النبي صلى الله عليه وسلم تسليما وأحبابه ولم يفهم كلام الفقيه إذ ذلك لكنني حفظت لفظة
فلما تعلمت اللسان الفارسي فهمت مراده وبقنا تلك الالة بالزاوية وبعث متادليلا لي ينجا
وضبط اسمها (بفتح الياء آخر الحروف وكسر النون وجيم) بلدة كبيرة حسنة بختنا
بها عن زاوية الاخي فوجدنا أحد الفقراء الموليين فقلت له هذه زاوية الاخي فقال لي نعم
فسررت عند ذلك اذ وجدت من يفهم اللسان العربي فلما اختبرته أبرزا الغيب انه لا يعرف
من اللسان العربي الا كلمة نعم خاصة ونزلنا بالزاوية وجاء الينا أحد الطلبة بطعام ولم يكن
الاخي حاضر أو حصل الانس بهذا الطالب ولم يكن يعرف اللسان العربي لكنه تفضل
وتكلم مع نائب البلدة فأعطاني فارساً من أصحابه وتوجه معنا الى كسنوند (وضبط
اسمها بفتح الكاف وسكون الباء وضم النون) وهي بلدة صخرة يسكنها كفار الروم
تخبر ذمة المسلمين وليس بها غير بيت واحد من المسلمين وهم الحكام عليهم وهي من بلاد
السلطان أرخان بك فنزلنا بدار عجوز كافرة وذلك إبان الثاج والشتاء فأحسننا اليها وبقنا
عندها تلك الالة وهذه البلدة لا شجر بها ولا دوا الى الغيب ولا يزرع بها الى الزعفران
وأنتنا هذه المعجوز بن عفران كثير وظننت أننا نجار نشتره منها ولما كان الصباح ركبنا وأتانا

"فارس الذي بعثه الفتي معاً من كاوية فبعثه منافراً ساعياً غير ملي وصلنا إلى مدينة مطرني وقد
 وقع في تلك الليلة ثلج كثير عني الطريق فتقدمنا ذلك الفارس فبقينا متأثرين إلى أن وصلنا في
 نصف النهار إلى قرية لا تتركنا فاجابناهم فأكلنا منه وكلهم ذلك الفارس فركب معنا أحدهم
 وسلك بناً وعاراً وجالوا بحري ما تكرر لنا جوازاً من أزيد من الثلاثين مرة فلما خافنا
 من ذلك قال لنا ذلك الفارس أعطوني شيئاً من الدارهم فقلنا له إذا وصلنا إلى المدينة نعطيكم
 ونرضيكم فلم يرض ذلك منا له لم يغم عناقاً فبقينا قد قسنا بعض أصحابي ومضي غير بعيد ثم
 رجع فردنا القوس فأعطيه شيئاً من الدارهم فأخذها وهرب عنا وتركنا لا نعرف أين
 تقصد ولا طريق يظهر لنا فكنا نلتمح أثر الطريق تحت النايح ونسلكه إلى أن بلغنا عند
 غروب الشمس إلى جبل يظهر السريق به لكثرة الحجارة تخفت الحراك على نفسي ومن
 معي وتوقت نزول النايح إيلام لا عمارة هناك فإن نزلنا عن الدواب هلك أو أن سربنا
 لبيتنا لا نعرف أين تتوجه وكان لي فرس من الجياد فوصلت على الخيل وقلت في نفسي إذا
 سمعت أملي أحتال في سلامة أصحابي فكان كذلك واستودعهم الله تعالى وسرت وأهل
 تلك البلاد يبنون على الزبور بيوتاً من الحشب يظن رأيها أنها عمارة فيجدها قبوراً فظهر
 لي منها كثير فلما كان بعد العشاء وصلت إلى بيوت فمات اللهم اجعلها عامرة فوجدتها
 عامرة ووفقني الله تعالى إلى باب دار فرأيت عليها شيئاً فكلمت بالعربي فكلمت بالتركي
 رتشار إلى بالدخول فأخبرته بشأن أصحابي فلم يغم عني وكان من لطف الله أن تلك الدار
 زاوية للفقراء والواقف بالباب شيخها فلما سمع الفقراء الذين بداخل الزاوية كلامي
 مع الشيخ خرج بعضهم وكانت بيني وبينهم معرفة فلم على وأخبرته خبر أصحابي وأشرت
 إليه بأن يمضي مع الفقراء لاستخلاص الأصحاب ففعلوا ذلك وتوجهوا معي إلى أصحابي
 وجتاه جميعاً إلى الزاوية وحمدنا الله تعالى على أن سلامة وكانت ليلة جمعة فاجتمع أهل التربة
 وقطعوا إليهم بذكر الله تعالى وأتي كل منهم بما يتيسر له من الطعام وأرتفعت المشقة ورحلنا
 عند الصباح فوصلنا إلى مدينة مطرني عند صلاة الجمعة (وضبط اسمها بضم الميم والطاء
 المهملة واسكان الراء وكسر النون وياء مد) فنزلنا بزاوية أحد الفتيان الإخوة وبها جماعة

من المسافرين ولم نجد مرسى للدواب فصلينا الجمعة ونحرق في لكرثرة الحاج والبرد
وعدم المربط فلقينا أحدا للحجاج من أهلها فسلم علينا وكان يعرف اللسان العربي فسرور
برؤيته وطلبت منه أن يدنا عن مرسى الدواب بالكراء فقال أمار بطها في منزل فلا تفي
لأن أبواب دور هذه البلدة صناع لا تدخل عايتها الدواب واكتفى أداكم على سقفة بالسوة
يربط فيها المسافرين ودوابهم والذين يأتون لحضور السوق فدلنا عليها وربطناها دوا
ونزل أحدا لأصحاب بخانوت خال أزاها ليجرس الدواب ﴿حكاية﴾
وكان من غريب ما تلقى لنا أني بعثت أحدا للخدام ليشتري لبن للدواب وبشت أحده
يشتري السمن فأتني أحدهما باللبن والآخرون شيء وهو يضعحك فسأله عن سيد
ضحكه فقال أنا وقتنا لي دكان بالسوق فطلبنا منه السمن فأشار إلينا بالوقوف وكلموا
له فدفعت له الشراهم فأبطأ ساعة وأتى بالبن فأخذناه منه وقاتله أنا نريد السمن فقال ه
السمن وأبرز الغيب لهم يقولون لا بن سمن بلسان الترك ' ما السمن فيسمى عندهم ر
ولما اجتمعنا بهذا الحاج الذي يعرف اللسان العربي رغبناه أن يسافر معنا إلى قسطمو
وبيناها وبين هذه البلدة مسيرة عشرة وكسوة ثوباه مصريان نبي وأعطيته نفقة تركها له
وعينت له دابة لركوبه ووعده بالخير وسافر معنا فظهر لنا من حاله أنه صاحب مال كث
وله ديون على الناس غير أنه ساقط الهمة خسيس الطبع سبي الأفعال وتنازل عليه الدر
لنفقتنا فإخذنا مفضل من الخبز ويشتري به الأبرار والحضر والماعز ويمسك ثمن ذلك
وذكر لي أنه كان يسرق من دراهم النفقة في ذلك وكنا نحتمله لما كنا نكابد من
المعرفة بأسار الترك وانتهت حاله إلى أن نضامه وكنا نقول له في آخر انتهت رباح
سرقت اليوم من النفقة فويل كذا فضحك منه ورضى بذلك ومن أفعاله الخبيسة أنه
لثافرس في بعض المنازل فتولى سلع جلده يده وباعه منها ما نزلنا ليله عند أخذت له في
القرى فجاءت بطعام وفاكهة من الأجاص والتفاح والمشمس والخوخ كلها مبيسة و
في الماء حتى ترطب قوكل ويشرب ماؤها فأردنا أن نحسن إليها فلم بذلك فقال لا تمه
.....

وصلنا الى مدينة بولي (وضبط اسمها بباء موحدة مضمومة وكسر اللام) ولما
اتمهنا الى قريب منهم وجدنا راديا يظهر في رأى العين صغيرا فلما دخله بعض أصحابنا
وجدوه شديد الجربة والازعاج فجازوه جميعا وبقيت جارية صغيرة خافوا من تجوزها
وكان فرسى خير من أفراسهم فاردقها وأخذت في جواز الوادي فلما توسطته وقع في
الفرس ووقعت الجارية فأخزجهما أصحابي وبهارمق وخلصتا أنا ودخلت المدينة فقصدنا
زاوية أحد الفتيان الاخيرة ومن عواندهم انه لا تزال النار موقودة في زواياهم أيام الشتاء
أبدانهم لئلا يبرد في كل ركن من أركان الزاوية موقدانا لا يروى يصنعون لها منافس يصعد منها
الدخان ولا يؤذي الزاوية ويسمونها ^{الزوايا} واحدها بخيري قال ابن جزى وقد أحسن
صفي الدين عبدالعزيز من سرايا الحلبي في قوله ^{الزوايا} للزوايا موقد كرتة يذكركم البخيري

ان البخيري مذفوقه غدا * يحثو الرماد على كانه التراب

نوشتم انه يسمى أبالهب * جاءت بفالكهم حمالة الخطب

(رجع) قال فلما دخلنا الزاوية وجدنا النار موقودة فزعت ثيابي ولبست ثيابا سواها
لبيت بالشار وأتيت الأخي بالطعام والفاكهة وأكثر من ذلك فته درهم من طائفة
ما أكرم فوسهم وأشدد بشارهم وأعظم شفتهم على الغريب والطفهم بالوارد وأحبههم فيه
وأجملهم احتفالا بأمره فليس قدوم الانسان الغريب عليهم الا كقدومه على أحب
أهله اليه وبساتلك القليلة بحال رضية ثم رحلنا بالغداة فوصلنا الى مدينة كردي بولي
(وضبط اسمها بكاف معقودة وفتح الراء والدال المهملة وسكون الياء وباء موحدة
مضمومة وواو مدولام مكسورة وياء) وهي مدينة كبيرة في بسط من الارض حسنة
متسعة الشوارع والاسواق من أشد البلاد بردا وهي محلات مفترقة كل محلة تسكنها
طائفة لا يخاطبهم غيرهم

ذكر سلطانها

وهو السلطان شاه بك من ممتو سطر سلطان هذه البلاد حسنة العود والسرعة حمل

الفيق شمس الدين الدمشقي الحنبلي وهو من مستوطنينا منذ سنين وله بها أولاد وهو فقيه هذا السلطان وخطيبه ومسموع الكلام عنده ودخل علينا هذا لفيق بالزاوية فاعلمنا ان السلطان قد جاء لزيارته فاشكرته على قمله واستقبلت السلطان فسلمت عليه وجلس فسالني عن حالي وعن مقدمي وعن لقيته من السلاطين فاخبرته بذلك كله واقام ساعة ثم انصرف وبعث بدابة مجهزة وكسوة وانصرفنا الى مدينة برلو (وضبط اسمها بضم الباء الموحدة واسكان الراء وضم اللام) وهي مدينة صغيرة على تل تحتها خندق ولها قلعة بأعلى شاطئ نزلنا منها بمدرسة فيها حسنة وكان الحاج الذي سافر معنا يعرف مدرستها وطلبها ويحضر معهم الدرس وهو على علاقته من الطلبة خفي المذهب ودعانا أمير هذه البلدة وهو علي بك ابن السلطان المكرم سليمان بادشاه ملك قسطنطينية وسند كره فقدمنا اليه الى القاعة فسلمنا عليه فرحب بنا وأكرمنا وسألني عن اسفاري وحالي فأجبته عن ذلك وأجلسني الى جانبه وحضر قاضيه وكتابه الحاج علاء الدين محمد وهو من كبار الكتاب وحضر الطعمام فأكلنا ثم قرأ القراء بأصوات مبكية والحن عجيبة وانصرفنا وسافرنا بالندالى مدينة قسطنطينية (وضبط اسمها بقاء مفتوح وصاد مهمل مسكن وطاء مهمل مفتوح وميم مضمومة وواو ونون مكسورة وياء آخر الحروف) وهي من أعظم المدن وأحسنها كثيرة الخيرات رخيصة الاسعار نزلنا منها بزاوية شيخ يعرف بالاطروش لثقل سمعه ورأيت منه عجبا وهو ان أحد الطلبة كان يكتب له في الهواء وتارة في الارض بأصبعه فيفهم عنه ويحبيه ويحكي له بذلك الحكايات فيفهمها واقنا بهذه المدينة نحو أربعين يوما فكتنا نشترى طابق اللحم الفضي السمين بدرهمين ونشترى خبزا بدرهمين فيكفينا ليوما ونحن عشرة ونشترى حلواء العسل بدرهمين فنكفينا أجمعين ونشترى جوزا بدرهم وقسطلا بمثله فأكل منها أجمعون وينضل باقيها ونشترى حمل الحطب بدرهم واحد وذلك أو ان البرد الشديد ولم أر في البلاد مدينة أرخص أسعارها وليقت بها الشيخ الامام العالم المفتي المدرس تاج الدين السلطانيوكي من كبار العلماء قرأ

المدرس صدر الدين سايمان الفتيكي من أهل فنكيكة من بلاد الروم وأضاف في مبدوسه التي
يسوق الخيل ولقيت بها الشيخ المعمر الصالح دادا أمير علي دخات عليه بزاوته بمقرية من
سوق الخيل فوجدته مقيم على ظهره فأجلسه بهض خدامه ورفع بعضهم حاجيته عن
عينيه ففتحه وكلفني بالعربي الفصيح وقال قدمت خدمه قدوم سألته عن عمره فقَالَ
كنت من أصحاب الخليفة المستنصر بالله وتوفي وأنا ابن ثلاثين سنة وعمرى الآن مائة
وثلاث ورون سنة فطلبت منه الدعاء فدعا لي وانصرفت

ذكر سلطان نسطور في

وهو السلطان المكرم سايمان بادشاه (واسمه بيا معقودة والاسم دال مسكن) وهو
كبير السن يذيق على سبعين سنة حشر الوجه لمويل اللحية صالحة وقاروهية يجالسه
اللقهاء والصالحاء دخات عليه بمجلسه فأجلسني إلى جانبه وسألني عن حالى ومقدمى وعن
الحرمين الشريفين ومصر والشام فأجبت وأمر بانزلى على قربى واعضاني ذلك اليوم
فرسانتي قاطر طابى اللون وكسوة وعين لي نشفة وعانة وأمرني به ذلك بجمع وشهير
تفدى في قرية من قرى المدينة على مسيرة يوم من هنا فلم أحدهم يشترى لرخص
الاسعار فأعطيته لأحتاج لذي كان في محبة يوم من عادة هذه السلطان أن يجلس كل يوم
بمجلسه بعد صلاة العصر ويؤتي بالطعام فتفتح الأبواب ولا يجمع أحد من حضري أو بدوى
أو غريب أو مسافر من الأكل ويجلس في أول النهار جلوساً خدامه ويأتي ابنه فيقبل يديه
وينصرف إلى مجلس له ويأتي أرباب الدولة ثياباً يكون عنده وينصرفون من عادته في يوم
الجمعة أن يركب إلى المسجد وهو بعيد من داره المسجد المذكور وهو ثلاث طبقات من
الحشب فيصلى السلطان وأرباب دولته والقاضى والنتهاء ووجوه الأجناد في الطبقة
السفلى ويصلي الاقندى وهو أخو السلطان وأصحابه وخدامه وبعض أهل المدينة في
الطبقة الوسطى ويصلي ابن السلطان ولي عهده وهو أصغر أولاده وسمى الجواد وأصحابه
ومعاليكه وخدامه وسائر الناس في الطبقة العليا ويجمع القراء فيقعدون حلقة أمام الحراب
تقدمهم الخطب والقاضى ويكون السلطان بأزاء الحراب ويقرؤن سورة الكهف

بأصوات حسان ويكررون الآيات بترتيب عجيب فاذا فرغوا من قراءتها صعد الخطيب
 المنبر فخطب ثم صلى فاذا فرغوا من الصلاة تنفلوا وقرأ القارئ بين يدي السلطان عشرة
 وانصرف السلطان ومن معه ثم يقرأ القارئ بين يدي أخيه السلطان فاذا تم قراءته
 انصرف هو ومن معه ثم يقرأ القارئ بين يدي ابن السلطان فاذا فرغ من قراءته قام
 المعروف وهو المذكر فيمدح السلطان بشعر تركي ويمدح ابنه ويدعو لهما وينصرف ويأتي
 ابن الملك الى دار أبيه بسلطان يقبل يدهم في طريقه وعمه واقف في انتظاره ثم يدخلان
 الى السلطان فيقدم أخوه ويقبل يده ويجلس بين يديه ثم يأتي ابنه فيقبل يده وينصرف
 الى مجلسه فيقعده مع ناسه فاذا حانت صلاة العصر صلوها جميعاً وقبل أخو السلطان يده
 وانصرف عنه فلا يعود اليه الا في الجمعة الاخرى وأما الولد فانه يأتي كل يوم غدوة كما ذكرناه
 ثم سافرنا من هذه المدينة ونزلنا في زاوية عظيمة بأحدى القرى من أحسن زوايا قرأتها في
 تلك البلاد بناها أمير كبير تبارك الى الله تعالى يسمى نحر الدين وجعل النظر فيها للولد
 والاشرف لمن أقام بالزاوية من الفقهاء وفوائد القرية وقف عليها وبني بازاء الزاوية
 حماما لا يسيل يدخله الوارد والصادر من غير شيء يلزمه وبني سوقا بقرية ووقفه على
 المسجد الجامع وعين من أوقف هذه الزاوية لكل فقير يرد من الخرمين الشريفين أو من
 الشام ومصر والعراقين وخراسان وسواها كسوة كاملة ومائة درهم يوم قدومه وثلاثمائة
 درهم يوم سفره والشفقة أيام مقامه وهي الخبز واللحم والارز المطبوخ بالسمن والحلواء
 ولكل فقير من بلاد الروم عشرة دراهم وضيافته ثلاثة أيام ثم انصرفنا وبتنا ليلة ثالثة بزاوية
 في جبل شامخ لا عمارة فيه عمرها بعض الزمان الاخيرة ويعرف بنظام الدين من أهل
 قسطنطينية ووقف عليها قرية يتفق خراجها على الوارد والصادر بهذه الزاوية وسافرنا
 من هذه الزاوية الى مدينة صنوب (وضبط اسمها بفتح الصاد وضم التون وآخره باء)
 وهي مدينة حافلة جمعت بين التحصين والتحسين يحيط بها البحر من جميع جهاتها الا
 واحدة وهي جهة الشرق ولها هناك باب واحد لا يدخل اليها أحد الا بأذن أميرها وأميرها

ابراهيم بك ابن السلطان سليمان بادشاه الذي ذكرناه ولما استؤذن لنا عليه دخلنا البلد
 وزلنا برأوية عز الدين أخى جلبي وهي خارج باب البحر ومن هناك يصعد الى جبل داخل
 في البحر كمناسبتة فيه البساتين والمزارع والمياه وأكثر فواكه التين والنسب وهو جبل
 مانع لا استطاع الصعود اليه وفيه إحدى عشرة قرية يسكنها كفار الروم تحت ذمة المسلمين
 وباعلاء رابطة تنسب للخضر والياس عليهما السلام لا تخلو عن متعبو عندها عين ماء
 والدعاء فيها مستجاب ويسقح هذا الحبل قبر الولي الصالح الصحابي بلال الحبشي وعليه
 زاوية فيها الطعام للوارد والصادر والمسجد الجامع بمدينة صنوب من أحسن المساجد وفي
 وسطه بركة ماء عليها قبة تعلها أربع أرجل ومع كل رجل ساريتان من الرخام وفوقها
 مجلس يصعد له على درج خشب وذلك من عمارة السلطان بروانه ابن السلطان علاء الدين
 الرومي وكان يصلي الجمعة بأعلى تلك القبة وملك بعدها به غازي جلبي فلما ماتت تغلب عليها
 السلطان سليمان المذكور وكان غازي جلبي المذكور شجاعا مقداما ووهبه الله خاصية في
 الصبر تحت الماء وفي قوة السباحة وكان يسافر في الاجفان الحربية لحرب الروم فاذا كانت
 الملاقاة واشتغل الناس بالقتال غاص تحت الماء ويده آلة حديد يخرق بها أجفان العدو فلا
 يشعرون بمساحلهم حتى يدممهم الفرق وطرقت مرسى بلده مرة أجفان للعدو فخرقها
 واسر من كان فيها وكانت فيه كفاية لا كفاء لها الا انهم يذكرون انه كان يكثر أكل
 الحشيش وبسببه مات فانه خرج يوما للتصيد وكان مولما به فاتبع غزاله ودخلت له بين
 أشجار وزاد في ركض فرسه فمارضته شجرة فضربت رأسه فشدخه فمات وتغلب
 السلطان سليمان على العدو وجعل به ابنه ابراهيم ويقال انه أيضاً كل ما كان يأكله صاحبه
 على ان أهل بلاد الروم كلهم لا يشكرون أكلها ولقد مررت يوماً على باب الجامع بصنوب
 وبخارجة دكان كينة عند الناس عابها فرأيت نفر من كبار الاجناد وبين أيديهم خديم
 لهم يدهم شكايرة مملوءة بشي يشبه الخناء واحد منهم يأخذ منها بملقعة ويأكل وأنا نظرت اليه ولا
 علم لي بما في الشكايرة فسألت من كان معي فأخبرني انه الحشيش وأضافنا بهذه المدينة قاضيا
 ونائب الامير بها ومعلمه ويعرف بابن عبد الرزاق

لمادخلنا هذه المدينة رأنا أهلها ونحن نصلي مسبلي أيدينا وهم خفية لا يعرفون مذهب
مالك ولا كيفية صلاته والختار من مذهبه هو أسبال اليدين وكان بعضهم يرى الروافض
بالحجاز والعراق يصلون مسبلي أيديهم فاتهمونا بمذهبهم وسألونا عن ذلك فأخبرناهم أننا
على مذهب مالك فلم يقتنعوا بذلك منا واستقرت التهمة في نفوسهم حتى بدت إلينا نواب
الساطان بأرب وأوصى بعض خدامه أن يلازمنا حتى يرى ما نعمل به فذبحناء وطبخناه
وأكلناه وانصرف الخديم إليه وأعلمه بذلك فحينئذ ذلت عنا التهمة وبعثوا لنا بالضيافة
والروافض لا يأكلون الأرب وبعد أربعة أيام من وصولنا إلى صنوب توفيت أم الأمير
ابراهيم بها فخرجت في جنازتها وخرج ابنها على قدميه كاشفا شعره وكذلك الأمراء
والمماليك وبنابهم مقلوبه وأما القاضي والخطيب والفقهاء فاتهم قلوبنا بنابهم ولم يكشفوا
رؤسهم بل جعلوا عليهم مائد من الصوف الأسود عوضا عن العمامة وأقاموا يطعمون
الطعام أربعين يوما وهي مدة العزاء عندهم وكانت أقامت بها هذه المدينة نحو أربعين يوما
فتنظر تيسير السفر في البحر إلى مدينة القرم فأكثرتنا من كبا الروم وأقفا أحد عشر يوما
فتنظر مساءة الريح ثم ركبنا البحر فلما توسطناه بعد ثلاث هال علينا واشتد بنا الأمر
ورأينا الهلاك عيانا وكنت بالطارمة ومعي رجل من أهل المغرب يسمى أبابكر فأمرته أن
يصعد إلى أعلى المركب لينظر كيف البحر ففعل ذلك وأتاني بالطارمة فقال لي أستودعكم
ودعنا من الهول ما لم يهدم مثله ثم تفسرت الريح وردتنا إلى مقربة من مدينة صنوب التي
خرجنا منها وأراد بعض التجار النزول إلى مراسها ففتت صاحب المركب من أنزاله
ثم استقامت الريح وسافرنا فلما توسطنا البحر هال علينا وجري لنا مثل المرة الأولى ثم
سعدت الريح ورأينا جبال البروق صعدنا من يسمى الكرش فأردنا دخوله فأشار إلينا
أناس كانوا بالجليل أن لا ندخلوا فنفقنا على أنفسنا وظننا أن هناك أجفانا لعدو فرجعنا مع
البر فلما قربنا قلت لأصحاب المركب أريد أن أنزل ههنا فأنزني بالساحل ورأيت كنيسة
فقصدتها فوجدت بها رهاورايت في أحد حيطان الكنيسة صورة رجل عربي عليه
عمامة متقلد سيفاً ويده مرفوعة بين يديه سراج يقذف فتات للراهب ما هذه الصورة فقال له

هذه صورة النبي على فم جيت من قوله وبناتلك الالة بالكنيسة وطبعنا دجاجا فلم نستطع
أكلها إذ كانت مما استد حبنا في المركب ورائحة البحر قد غلبت دلي كل ما كان فيه وهذا
الموضع الذي نزلنا به هو من الصحراء المعروفة بدشت قفجق (والدشت بالشين المعجم
والتاء المشناة) بلسان الترك هو الصحراء وهذه الصحراء خضرة نضرة لا شجر بها ولا
جبل ولا تل ولا أنبسية ولا حطب وانما يوقدون الاروات ويسمونها الترك (بالزاي
المفتوح) فترى كبراءهم يلقطونها ويحملونها في أطراف ثيابهم ولا يسافر في هذه الصحراء
الا في العجل وهي مسيرة ستة أشهر ثلاثة منها في بلاد السلطان محمد أوزبك وثلاثة في بلاد
غيره ولما كان الغد من يوم وصولنا الى هذه المرسى توجه بعض التجار من أصحابنا الي
من بهذه الصحراء من الطائفة المعروفة بقفجق وهم على دين النصرانية فاكترى منهم
عجلة تجرها الفرس فركبناها ووصلنا الى مدينة الكفا (واسمها بكاف وقام مفتوحين)
وهي مدينة عظيمة مستطيلة على ضفة البحر يسكنها التصاري وأكثرهم الجنويون ولهم
أمير يعرف بالدمديرو نزلنا بها بمسجد المسلمين



ولما نزلنا بهذا المسجد أفتنا به ساعة ثم سمعنا أصوات النواقيس من كل ناحية ولم أكن
سمتها قط فهأتى ذلك وأمرت أصحابي أن يصعدوا الصومة ويقرأوا القرآن ويذكروا
الله ويؤذنوا ففعلوا ذلك فاذا برجل قد دخل علينا وعليه الدرع والسلاح فسلم علينا
واستفهمنا عن شأنه فأخبرنا أنه قاضي المسلمين هناك وقال ما سمعت القراءة والاذان
خفت عليكم فحشيت كما ترون ثم انصرف عنا ومارأينا الا خيرا ولم يكن من الغد جاءنا
الامير وصنع طعاما فأكلنا عنده وطفنا بالمدينة فرأيناها حنة الاسواق وكلهم كانوا نزلنا
الي مرساها فرأينا مرسى عجيبا به نحو مائتي مركب ما بين حربي وسفري صغير أو كبير أو هو
من مراسي الدنيا الشهيرة ثم اكترينا عجلة وسافرنا الى مدينة القرم وهي (بكسر القاف
وقح الراء) مدينة كبيرة حسنة من بلاد السلطان المعظم محمد أوزبك خان وعليها أمير
من قبله اسمه تلكتمور وضبط اسمه (بقاء مشاة مضمومة ولا مضموم وكاف مسكن
وتاء كالاولى مضمومة وميم مضمومة وواو وراء) وكان أحد خدام هذا الامر قد

صحبنا في طريقنا فعرّفه بقدر ما فُتحت إلى مع إمامه سعد الدين بفرس ونزلنا بزاوية شيخها
 زاده الخراساني فأكرمنا هذا الشيخ ورحب بنا وأحسن البنا وهو معظم عندهم ورأيت
 الناس يأتون للسلام عليه من قاض وخطيب وفتية وسواهم وأخبرني هذا الشيخ زاده
 أن بخارج هذه المدينة راهبا من النصارى في دير يتعبد به ويكثر الصوم وأنه انتهى إلى أن
 يواصل أربعين يوما ثم يفطر على حبة فول وأنه يكشف بالأمور ورغب مني أن أصحبه
 في التوجه إليه فأبيت ثم ندمت بعد ذلك على أن لم أكن رأيته وعرفت حقيقة أمره ولقيت
 به هذه المدينة قاضيا الأعظم شمس الدين السائي قاضي الخفية ولقيت بها قاضي الشافعية
 وهو يسمي بخضر والفقيه المدرس علاء الدين الأصم وخطيب الشافعية بابكر وهو الذي
 يخطف بالمسجد الجامع الذي عمره الملك الناصر رحمه الله بهذه المدينة والشيخ الحكيم
 الصالح مظفر الدين وكان من الروم فاسلم وحسن إسلامه والشيخ الصالح العابد مظفر
 الدين وهو من الفقهاء المعظمين وكان الأمير تملكتمور من يضا فدخلنا عليه فأكرمنا
 وأحسن البنا وكان على التوجه إلى مدينة السراخره السلطان محمد أوزبك فعلمت على
 السير في صحبته واشترت العجلات برسم ذلك

﴿ ذكر العجلات التي يسافر عليها بهذه البلاد ﴾

وهم يسمون العجلة عربة (بعين مهملة وراء وباء موحد مفتوحات) وهي عجلات
 تكون للواحدة منهن أربع بكرات كبار ومنها ما يجرح فرسان ومنها ما يجرح أكثر من ذلك
 وتجرها أيضاً البقر والجمال على حال العربة في ثقلها أو خفتها والذي يخدم العربة يركب
 إحدى الأفراس التي تجرها ويكون عليه سرج وفي يده سوط يحركها للمشى وعود كبير
 يصوبها به إذا حاجت عن القصد ويجعل على العربة شبه قبة من قضبان خشب مربوط
 بعضها إلى بعض بسور جلد رقيق وهي خفيفة الحمل وتكسى بالبدأو بالملف ويكون فيها
 طيقان مشبكة ويرى الذي بداخلها الناس ولا يرونه ويتقلب فيها كما يحب وينام ويأكل
 ويقرأ ويكتب وهو في حال سيره والتي تحمل الأثقال والأزواد وحزائن الأطعمة من
 هذه العربات يكون عليها شبه البيت كما ذكرنا وعليها قفص وجهازت لما أردت السفر

حربة تركوبى مقشاة باللبدومعى بها جارية لي وصربة صغيرة لرفيقى عفيف الدين اتوزرى
 وعجلة كبيرة لسائر الاصحاب يجرها ثلاثة من الجمال يركب أحدها خادم العربية وسرنا
 في صحبة الامير تلكتمور وأخيه عيسى وولديه قطلود مور وصار ربك وسافر أيضاً معه
 في هذه الوجهة امامه سعد الدين والحطيب أبو بكر والقاضي شمس الدين والفقيه شرف
 الدين موسى والمعرف علاء الدين وخطة هذا المعرف أن يكون بين يدي الامير في مجلسه
 فاذا أتى القاضي يقف له هذا المعرف ويقول بصوت عال باسم الله سيدنا ومولانا قاضى
 القضاة والحكام ميين الفتاوى والاحكام باسم الله واذا أتى فقيه معظم أو رجل مشار اليه
 قال باسم الله سيدنا فلان الدين باسم الله فيتهياً من كان حاضر الدخول الداخل ويقوم اليه
 ويسفح له في المجلس وعادة الاتراك ان يسيروا في هذه الصحراء سيرا كسير الحجاج في
 درب الحجاز رحلون بعد صلاة الصبح ويتزلون ضحى ويرحلون بعد الظهر ويتزلون
 عشياً واذا نزلوا حلوا الخيل والابل والبقر عن العربات وسرحوها للارعى الا انها اولاً
 يعانف أحدى ابناء السلطان ولا غيره وخاصة هذه الصحراء انباتها يقوم مقام الشعر
 للدواب وليست لغيرها من الابل هذه الخاصة ولذلك كثرت الدواب بها ودوا بهم لارعاة
 لها ولا حراس وذلك اشدأحكامهم في السرقة وحكمهم فيها انه من وجد عنده فرس
 مسروق كلف ان يردده الى صاحبه ويعطيه معه تسعة مثله فان لم يقدر على ذلك أخذوا لاده
 في ذلك فان لم يكن له أولاد ذبح كاندخ الشاة وهؤلاء الاتراك لا يأكلون الخبز ولا الطعام
 الغليظ وانما يصنعون طعاما من شي عندهم شبب الا نبي يسمونه لدرقي (بدال
 مهمل مضموم و او وقاف كسر ومعقود) يحملون على النار الماء فاذا غلى صبوا عليه
 شيئاً من الدقيق وان كان عندهم لحم قطعوه قطعاً صغاراً وطبخوه معه ثم يجعل لكل رجل
 نصيبه في صحفة ويصبون عليه اللبن الرائب ويشربونه ويشربون عليه لبن الخيسل وهم
 يسمونه القمز (بكسر القاف والميم والزاي المشددة) وهم أهل قوة وشدة وحسن مزاج
 ويستعملون في بعض الاوقات طعاما يسمونه البورخاني وهو عجبر يقطعونه قطعاً
 صغاراً ويشربون أو ساطها ويحملونها في قدر فاذا طبخت صبوا عليها اللبن الرائب وشربوها

ولهم نبيذ يصنونه من حب الدوقي الذي تقدم ذكره وهم يرون أن كل الحلواء عيبا ولقد حضرت يوما عند السلطان أوزبك في رمضان فأحضرت لحوم الخيل وهي أكثر ما يأكلون من اللحم ولحوم الاغنام والرشتا وهو شبه الاطرية يطبخ ويشرب باللبن وأتيته تلك الليلة يطبق حلواء صنعهما بعض أصحابي فقدمتها بين يديه فجعل اصبعه عليها وجعله على فيه ولم يزد على ذلك وأخبرني الامير تلكتمور أن أحد الكبار من مماليك هذا السلطان وله من اولاده وأولاد اولاده نحو أربعين ولدا قال له السلطان يوما كل الحلواء وأعتقكم جميعا فاني وقال لو قتلتي ما أكلتها ولما خرجنا من مدينة القرم نزلنا زاوية الامير تلكتمور في موضع يعرف بسجبان فبعث الى أن أحضر عنده فركب اليه وكان لي فرس معدل كوبي يقوده خديم العربية فاذا أردت ركوبه ركبته وأتيت الزاوية فوجدت الامير قد صنع بها طعاما كثيرا فيه الخبز ثم أتوا بماء أبيض في صحاف صفار فنسب القوم منه وكان الشيخ مظفر الدين بي الامير في مجلسه وأنا اليه فقلت له ما هذا فقال هذا ماء الدهن فلم أفهم ما قال فدقته فوجدت له حوضه فتركته فلما خرجت سألت شسبه فقالوا هو نبيذ يصنونه من حب الدوقي وهم حنفية المذهب والتبيذ عندهم حلال، ويسمون هذا التبيذ المصنوع من الدوقي البوزة (يضم الباء الموحدة وواو مدوزاى مفتوح) وأنا قال لي الشيخ مظفر الدين ماء الدهن ولسانه فيه اللسنة الاعجمية فطنت أنه يقول ماء الدهن وبعد مسيرة ثمانية عشر منزلا من مدينة القرم وصلنا الى ماء كثير نخوضه يوما كاملا وإذا كثر خوض الدواب والعربات في هذا الماء اشتد وحله وزاد صعوبة فذهب الامير الى راحتي وقدمني امامه مع بعض خدامه وكتب لي كتابا الى أمير أزاقي يعلمه أنني أريد القدوم على الملك ويحضه على أكرامي وسرنا حتى انتهينا الى ماء آخر نخوضه نصف يوم ثم سرنا بعده ثلاثا وصلنا الى مدينة أزاقي (وضبط اسمها بفتح الهمزة والزاي وآخره مقاف) وهي على ساحل البحر حسنة العمارة يقصدها الجنويون وغيرهم بالتجارات وسهامن القتيان أخى بمحقبي وهو من العظماء يطعم الوارد والصادر ولما وصل كتاب الامير تلكتمور الى أمير أزاقي وهو محمد خواجة الخوارزمي خرج الى استقبالي ومعه القاضي

والطلبة وأخرج الطعام فلماسلمنا عليه زلنا بموضع أكلنا فيه ووصلنا الى المدينة ونزلنا
بجارجها بمقربة من رابطة هنالك تنسب للحضر والياس عليهما السلام وخرج شيخ من
أهل ازاق يسمى برجب الزهر ملكي نسبة الى قرية بالعراق فأضافنا براوية له ضيافة حسنة
وبعد يومين من قدومنا قدم الامير تلكتمور وخرج الامير محمد للقائه ومعه القاضي
والطلبة وأعدوا له الضيافات وضربوا ثلاث قباب متصلا ببعضها ببعض احداها من الحرير
الملون عجيبة والثنتان من الكتان وأداروا عليها سراجة وهي المسماة عندنا أفراج
وخارجها الدهايز وهو على هيئة البرج عندنا ولما نزل الامير بسطت بين يديه شقائق الحرير
يمشي عليها فكان من مكارمه وفضله ان قدمني أمامه ليرى ذلك الامير من زلاني عنده ثم وصلنا
الى الخباء الاولى وهي المعدة لجلوسه وفي صدرها كرسي من الخشب لجلوسه كبير مرصع
وعليه مرتبة حسنة قد مدني الامير أمامه وقدم الشيخ مظفر الدين وصعد هو وجلس فيما
يتناوحن جميعاً على المرتبة وجلس قاضيه وخطيبه وقاضي هذه المدينة وطلبتها عن يسار
الكرسي على فرش فاخرة ووقف ولدا الامير تلكتمور وأخوه والامير محمد وأولاده
في الخدمة ثم أتوا بالاطعمة من لحوم الخيل وسواها وأتوا بألبان الخيل ثم أتوا بالبوزة
وبعد الفراغ من الطعام قرأ القراء بالاصوات الحسان ثم نصب منبر وصعدوا واعظ
وجلس القراء بين يديه وخطب خطبة بليغة ودعانا لسلطان والامير وللحاضرين يقول
ذلك بالعربي ثم يفسره لهم بالتركي وفي أثناء ذلك يكرر القراء آيات من القرآن بترجيح
عجيب ثم أخذوا في الغناء يغنون بالعربي ويسمونه القول ثم بالفارسي والتركي ويسمونه
الملمع ثم أتوا بطعام آخر ولم يزلوا على ذلك الى العشي وكلما أردت الخروج من بني الامير
ثم جاؤا بكسوة للامير وكسي لولديه وأخيه وللشيخ مظفر الدين ولي وأتوا بمشرقة أفراس
للامير ولأخيه ولولديه بستة أفراس ولكل كبير من أصحابه بفرس ولي بفرس والخيل
بهذه البلاد كثيرة جدا ونمنا نزرقيمة الخيل منها خمسون درهما وستون من دراهمهم
وذلك صرف دينار من دنائيرنا ونحوه وهذه الخيل هي التي تعرف بمصر بالا كاديش
ومنها ماشهم وهي بلادهم كالغتم ببلادنا بل أكثر فيكون للتركي منهم آلاف منها ومن عادة

الترك المستوطنين تلك البلاد أصحاب الخيل انهم يصنعون في العربات التي ركب فيها
نساؤهم قطعة لبد في طول الشبر مربوطة الى عود رقيق في طول الذراع في ركن العربة
ويحمل لكل ألف فرس قطعة ورأيت منهم من يكون له عشر قطع ومن له دون ذلك وتحمل
هذه الخيل الى بلاد الهند فيكون في الرقعة منها ستة آلاف وما فوقها وما دونها لكل تاجر
المائة والمائتان فسادون ذلك وما فوقه ويستأجر التاجر لكل خمسين منها راعيا يقوم
عليها ويرعاها كالغنم ويسمي عندهم القشي ويركب أحدها ويده عصي طويلة فيها حبل
فاذا أراد أن يقبض على فرس منها حاذاه بالفرس الذي هو رابكه ورعي الحبل في عنقه
وجذبه في رقبته ويترك الآخر لارعي واذا وصلوا بها الى أرض الهند أطعموها العلف
لان نبات أرض الهند لا يقوم مقام الشعير ويموت لهم منها الكثير ويسرق ويغرمون عليها
بأرض الهند سبعة دنانير فضة على الفرس بموضع يقال له ششبقار ويغرمون عليها بمائتان
قاعدة بلاد الهند وكانوا فيما تقدم يغرمون ربيع ما يجلبونه فرفع ملك الهند السلطان محمد
ذلك وأمر أن يؤخذ من تجار المسلمين الزكاة ومن تجار الكفار العشر ومع ذلك يبقى
للتجار فيها فضل كبير لانهم يبيعون الرخيص منها ببلاد الهند بمائة دينار دراهم وصرفها
من الذهب المغربي خمسة وعشرون ديناراً وربما عاها بضعف ذلك وضعفه وضعفه
والحياد منها تساوي خمسمائة دينار وأكثر من ذلك وأهل الهند لا يتبعونها للتجاري
والسابق لانهم يلبسون في الحرب الدروع ويدرعون الخيل وانما يتبعون قوة الخيل
واتساع خطاها والخيل التي يتبعونها للسابق تجلب اليهم من اليمن وعمان وفارس ويبيع
الفرس منها بألف دينار الى أربعة آلاف ولما سافر الامير تذكتمور عن هذه المدينة
أقبل بعدة ثلاثة أيام حتى جهز لي الامير محمد خواجه آلات سفري وسافرت الى مدينة
الماجروهي (بفتح الميم وألف وجيم مفتوح معقود وراء) مدينة كبيرة من أحسن
مدن الترك على نهر كبير وبها البساتين والفواكه الكثيرة نزلنا منها بزاوية الشيخ الصالح
العابد المعمر محمد البطليح من بطائع العراق وكان خليفة الشيخ أحمد الرفاعي رضي الله
عنه وفي زاوية نحو سبعين من فقراء العرب والفرس والترك والروم منهم المتزوج

والعزب وعيدهم من الفتوح ولاهل تلك البلاد اعتقاد حسن في الفقراء وفي كل ليلة يأتون الى الزاوية بالحل والبقرو الغنم ويأتي السلطان والخواتين لزيارة الشيخ والتبرك به ويمجلون الاحسان ويعطون المعطاء الكثير وخصوصاً النساء فانهن يكثرن الصدقة وتحرمين أفعال الخير وصليانهن في المساجد صلاة الجمعة فلما قضيت الصلاة صعدوا واعظ عز الدين المنبر وهو من فقهاء بخاري وفضلائها وله جماعة من الطلبة والقراء يقرؤون بين يديه ووعظ وذكر وأمر المدينة حاضروكم أوها فقام الشيخ محمد البطايعي فقال ان الفقيه الواعظ يريد السفر ونريد له زوادة ثم لمع فرجية من عن كان عليه وقال هذه مني اليه فكان الحاضرون بين من خلع ثوبه ومن أعطى فرسا ومن أعطى دراهم واجتمع له كثير من ذلك كله ورأيت بقية سارية هذه المدينة هو دياسلم علي وكنتي بالمرجة فسألته عن بلاده فذكر انه من بلاد الاندلس وانه قدم منها في السبر ولم يسلمك بحراً وأتى علي طريق القسطنطينية العظمى وبلاد الروم وبلاد الجركس وذكر ان عهده بالاندلس منذ اربعة أشهر وأخبرني التجار المسافرين الذين لهم المعرفة بذلك بصحة مقاله ورأيت بهذه البلاد عجباً من تعظيم النساء عندهم وهن أعلى شأن من الرجال فأما نساء الامراء فكانت أول رؤيتي لهن عند سدسروحي من القرم رؤيتهن الخاتون زوجة الامير سلطانية في عربة لها وكلها مجللة بالملف الازرق الطيب وطيقان البيت مفتوحة وأربعة وبن يديها أربع جوار فائتات الحسن بديعات اللباس وخلفها جملة من العربات فيها جوار يقيمنها ولما قربت من منزل الاميرة اتت عن العربية الى الارض ونزل معها نحو ثلاثين من الجوار يرفعون أذيالها ولا توابها عري تأخذ كل جارية بعرو وتورفعن الأذيال عن الارض من كل جانب ومشت كذلك متبخرة فلما وصلت الى الامير قام اليها وسلم عليها وأجلسها الى جانبه ودار بها جوار يهاجوا وبروايا القرفصبت منه في قدح وجلست علي ركبتيها اقدام الامير وناولته القمح فشرب ثم سقت أخاه وسقاها الامير وحضر الطعام فأكلت معه وأعطاهها كسوة وانصرفت وعلي هذا الترتيب نساء الامراء وسنذكر نساء الملك فيما بعد وأما نساء البساعة والسوقة فرأيتهن واحداهن تكون في العربية والخيل تجرها وبين يديها

الثلاث والاربع من الجوارى يرفعن أذيالها وعلى رأسها البغطاق وهو أقر وف مرصع بالجواهر وفي أعلاه ريش الطواريس وتكون طيقان البيت مفتحة وهي بذية الوجه لآن نساء الأتراك لا يحبجن وتأتي احدها على هذا الترتيب ومعهما عييدها بالغنم واللبن فتيمة من الناس بالسلع المطرية وربما كان مع المرأة منهن زوجها فيظنه من يرام بعض خدامها ولا يكون عليه من اثياب الافروة من جلد الغنم وفي رأسه قلنسوة تناسب ذلك يسمونها الكلاوتجيز نامن مدينة المساجرة قصد معسكر السلطان وكان على أربعة أيام من الماجر بموضع يقال له بش دغ ومعنى بش عندهم خمسة وهو (بكسر الباء وشين معجم) ومعنى دغ الجبل وهو (بفتح الدال المهمل وغين معجم) وبهذه الحبال الخمسة عين ماء حار يقتل منها الأتراك ويزعمون انه من اغتسل منها لم تصبه عاهة مرض وار تحاشا الى موضع المحلة فوصلناه أول يوم من رمضان فوجدنا المحلة قد رحلت فعدنا الى الموضع الذي رحلنا منه لان المحلة تنزل بالقرب منه فضربت يتي على تل هنالك وركزت العلم أمام البيت وجعلت الخيل والعربات وراء ذلك وأقبلت المحلة وهم يسمونها الأر دو بضم الهمزة فرأينا مدينة عظيمة تسير بأهلها فيها النساء جدوا الاسواق ودخان المطبخ صاعد في الهواء وهم يطبخون في حال حيلهم والعربات تجرها اخیل بهم فاذا بلغوا المنزل نزلوا اليوت عن العربات وجعلوها على الارض وهي خفيفة الحمل وكذلك يصنعون بالمساجد والخوانيت واجتاز بنا خواتين السلطان كل واحدة بتاسها على حدة ولما اجتازت الرابعة منهن وهي بنت الامير عيسى بك وسند كرها رأت البيت بأعلى التل والعلم امامه وهو علامة الوارث فبعثت الفتيان والجوارى فسلموا على وبلغوا اسلامها الى وهى واقفة تنتظرهم فبعثت اليها هدية مع بعض أصحابي ومع مسرف الامير تلك تيمور قفيلتها تبركا وأمرت ان أنزل في جوارها وانصرف وأقبل السلطان فنزل في محلة على حدة

﴿ ذكر السلطان اعظم محمد أوزبك خان ﴾

واسمه محمد أوزبك (بضم الهمزة وواو وزاى مسكن وباء موحدة مفتوحة) ومعنى خان عندهم السلطان وهذا السلطان عظيم المملكة شديد القوة كبير الشأن رفيع

المكان قاهر لا عداء الله أهل قسطنطينية العظمى مجتهد في جهادهم وبلادهم متسعة
 ومدنه عظيمة منها الكفار والقرم والمساجر وازاق وسرداق (سوداق) وخوارزم
 وحضرته السراوه وأحد الملوك السبعة الذين هم كبراء ملوك الدنيا وعظماءها وهم مولانا
 أمير المؤمنين ظل الله في أرضه أمام الطائفة المنتصرة الذين لا يزالون ظاهرين على الحق
 إلى قيام الساعة أي بالله أمره وأمر نصرته ووسلطان مصر والشام وسلطان العراق والسلطان
 أوزبك وهذا السلطان بلاد تركستان وماوراء النهر وسلطان الهند وسلطان الصين
 ويكون هذا السلطان إذا سافر في محلة على حدة معه محاليكو وأرباب دولته وتكون كل
 خاتون من خواتينه على حدة في محلها فإذا أراد أن يكون عندوا حدة منهم بمثل اليها معها
 بذلك فتشبه أولاده في قموده وسفره وأموره ترتيب عجيب بديع ومن عادته أن يجلس يوم
 الجمعة بعد الصلاة في قبة تسمى قبة الذهب مزينة بديعة وهي من قضبان خشب مكسوة
 بصفاق الذهب وفي وسطها سرير من خشب مكسوة بصفاق الفضة المذهبة وقوائمها فضة
 خالصة ورؤسها مرصعة بالجواهر ويقعد السلطان على السرير وعلى يمينه الخاتون تغطي
 وتليها الخاتون كبك وعلى يسارها الخاتون يلون وتليها الخاتون اردجي ويقف أسفل
 السرير عن اليمين ولد السلطان تين بك وعن الشمال ولده الثاني جان بك وتجلس بين يديه
 ابنته أيت كججك وإذا أتت أحدها من قام لها السلطان وأخذ يدها حتى تصعد على السرير
 وأما يطعني وهي الملكة واحفظا من عنده فانه يستقبلها إلى باب القبة فيسلم عليها ويأخذ
 يدها فإذا صعدت على السرير وجلست حينئذ يجلس السلطان وهذا كله على أعين الناس
 دون احتجاب ويأتي بعدهم لك كبار الأمراء فتصحبهم كراسيهم عن اليمين والشمال وكل
 إنسان منهم إذا أتى مجلس السلطان يأتي معه غلام بكرهه ويقف بين يدي السلطان أبناء
 الملوك من بني عمه وأخوته وأقاربه ويقف في مقابلتهم عند باب القبة أولاد الأمراء الكبار
 ويقف خلفهم وجوه المساكين عن يمين وشمال ثم يدخل الناس للسلام الأئمة
 فالأئمة ثلاثون فيسلمون وينصرفون فيجلسون على بعد فإذا كان بعد صلاة العصر
 انصرفت الملكة من الخواتين ثم ينصرف سائرهن فيتبعنها إلى محلها فإذا دخلت إليها

انصرفت كل واحدة الى محلته اراكية عريتها ومع كل واحدة نحو خمسين جارية راكبات على الخيل وامام العربات نحو عشرين من قواد النساء راكبات على الخيل فيما بين الفتيان والعربة وخلف الجميع نحو مائة مملوك من الصبيان وامام الفتيان نحو مائة من المعاليك الكبار ركباناً ومثلهم مشاة بأيديهم القضبان والسيوف مشدودة على اوساطهم وهم بين الفرسان والفتيان وهكذا ترتب كل خاتون منهن في انصرافها وبحيها وكان نزولها من المحلة في جوار ولد السلطان جان بك الذي يقع ذكره فيما بعد وفي الغد من يوم وصولي دخلت الى السلطان بمد صلاة العصر ودعج المشايخ والقضاة والفقهاء والشرفاء والفقراء وقد صنع طعاما كثيرا ووافطرنا بمحضرة وتكلم السيد الشريف نقيب الشرفاء ابن عبيد الحميد والقاضي حمزة في شأن بالخير وأشاروا على السلطان باكرامى وهؤلاء الاثراك لا يعرفون انزال الوارد ولا اجراء النفقة وانما يمشون له الغنم والخيل للذبح وروايا القمز وتلك كرامتهم وبعد هذا بانام صليت صلاة العصر مع السلطان فلما أردت الانصراف أمرني بالقدود وجاؤا بالطعام من المشروبات كما يصنع من الدوق ثم بالاحوم المسلوقة من الغنم والخيل وفي تلك الليلة أتيت السلطان بطبق حلواء فجعل اصبعه عليه وجعله على فيه ولم يزد على ذلك

﴿ ذكر الخواتين وترتيبهن ﴾

وكل خاتون منهن تركب في عربة وللايت الذي تكون فيه قبة من الفضة المموهة بالذهب أو الخشب المرصع وتكون الخيل التي تجر عريتها مجللة بأثواب الحرير المذهب وخديم العربية الذي يركب أحد الخيل فتى يدعى القشي والخاتون قاعدة في عريتها وعن يمينها امرأة من القواعد تسمى أولو خاتون (بضم الهمزة واللام) ومعنى ذلك الوزيرة وعن شمالها امرأة من القواعد أيضاً تسمى كجك خاتون (بضم الكاف والجيم) ومعنى ذلك الحاجبة وبين يديها ست من الجوارى الصغار يقال لهن البنات فانتقات الجمال متناهيات السكال ومن ورائها ثنتان منهن تستند اليهن وعلى رأس الخاتون البغطاق وهو مثل التاج الصغير مكلل بالجواهر وأعلىها ريش الطواويس وعليها ثياب حرير مرصعة بالجواهر

شبه المنوت (الملوطة) التي يلبسها الروم وعلى رأس الوزيرة والحاجة مقنعة حرير مزركشة الخواشي بالذهب والجوهر وعلى رأس كل واحدة من البنات الكلا وهو شبه الاقروف وفي أعلى دائره ذهب مرصعة بالجوهر وریش الطواويس من فوقها وعلى كل واحدة ثوب حرير مذهب يسمى الثخ ويكون بين يدي الخاتون عشرة أو خمسة عشر من الفتيان الروميين والهنديين وقد لبسوا ثياب الحرير المذهب المرصعة بالجواهر ويد كل واحد منهم عمود ذهب أو فضة أو يكون من عود ملبس بهما وخلف عربة الخاتون نحو مائة عربة في كل عربة ثلاث والاربع من الجوارى الكبار والصغار ثيابهن الحرير وعلى رؤسهن الكلا وخلف هذه البربات نحو ثلاثمائة عربة تجرها الجمال والبقر تحمل خزان الخاتون وأموالها وثيابها وأنماؤها وطلماها ومع كل عربة غلام موكل بهما متزوج بحاربية من الجوارى التي ذكرنا فان العادة عندهم انه لا يدخل بين الجوارى من الفلمن الا من كان له يمين زوجة وكل خاتون فهي على هذا الترتيب ولتذكرهن على الانفراد

❦ ذكر الخاتون الكبرى ❦

والخاتون الكبرى هي الملكة أم ولدي السلطان جان بث و تين بك وسنذكرهما وليست أم ابنته ليت كبحك وأما كانت الملكة قبل هذه واسم هذه الخاتون طيطفي (يفتح الطاء المهملة الاولى) واسكان اياء آخر الحروف وضم الطاء الثانية واسكان الفين المعجمة وكسر اللام وياء مد) وهي أحظي نساء هذا السلطان عنده وعند عسدها بيت أكثر ليليه ويعظمها الناس بسبب تعظيمها والانهي أنجل الخواتين وحديثي من أعتمده من العارفين بأخبار هذه الملكة ان السلطان يحبها بالخاصة التي فيها وهي انه يجدها كل ليلة كأنها بكر وذكري غديره انها من سلالة المرأة التي يذكر ان الملك زال عن سليمان عليه السلام بسببها ولما عاد اليه ملكة أمر ان توضع بصحراء لعمارة فيها فوضعت بصحراء قفقز وان رحم هذه الخاتون شبه الحلقة خنقة وكذلك كل من هو من نسل المرأة المذكورة ولم أر بصحراء قفقز ولا غيرها من أخبر ان رأى امرأة على هذه الصورة ولا سمع بها الا هذه الخاتون اللهم الا ان بعض أهل الصين أخبرني ان بالصين صنفان نساها

على هذه الصورة ولم يقع بيدي ذلك ولا عرفت له حقيقة وفي غدا اجتماعي بالسلطان دخلت الى هذه الخاتون وهي قاعة فيها بين عشرين النساء القواعد كانهن خديعات لها وبين يديها نحو خمسين جارية صفاراً يسمون البنات وبين أيديهن طيافير الذهب والنفضة مملوءة بحب الملوك وهن ثقيفه وبين يدي الخاتون صينية ذهب مملوءة به وهي ثقيفه فسلمنا عليها وكان في جملة أصحابي قارئ يقرأ القرآن على طريقة المصريين بطريقة حسنة وصوت طيب فقرأ ثم أمرت ان يؤتى بالقمر فأتى به في أقداح خشب لطاف خفاف فأخذت القدح يدها وناولتني إياه وتلك نهاية الكرامة عندهم ولم أكن شربت القمر قبلها ولكن لم يمكنني الا قبوله وذقه ولا خير فيه ودفعته لاحد أصحابي وسألتني عن كثير من حال سفرنا فأجبناهم انصرقنا عنها وكان ابتداءً وناهباً لجل عظمتها عند الملك

﴿ ذكر الخاتون الثانية التي تلي الملكة ﴾

واسمها بك خاتون (بنج الكاف الاولى وكسر الباء الموحدة) ومعناه بالتركية التخاله وهي بنت الامير تغطي (واسمه بنوب وغين معجمة وطاء مهملة مفتوحات وباء مسكنة) وأبوها حمى مبتلى بعله التقرس وقد رأيت به وفي غدد خولك ساعلى الملكة دخلنا على هذه الخاتون فوجدناها على مرتبة تقرأ في المصحف الكريم وبين يديها نحو عشرين من النساء القواعد ونحو عشرين من البنات يطرزن ثيابا فسلما عليها وأحسنن في السلام والكلام وقرأنا قرئنا فاستحسنته وأمرت بالقمر فاحضر وناولتني القدح يدها كمثل ما فعلته الملكة وانصرقنا عنها

﴿ ذكر الخاتون الثالثة ﴾

واسمها يلون (بياء موحدة وباء آخر الحروف كلاهما مفتوح ولا م مضوم وواو مد ونون) وهي بنت ملك القسطنطينية المظفى السلطان تكفور ودخلنا على هذه الخاتون وهي قاعة على سرير مرصع قوائمه فصة وبين يديها نحو مائة جارية روميات وتركيات ونوبيات منهن قائمات وقاعدات والفتيان دلى رأسها والحجاب بين يديها من رجال الروم فسألت عن حالنا ومقدمنا وبعداً وطاوتنا وبكت ومسحت وجهها بمنديل كأنه

بين يديها رقة منها وشفقة وأمرت بالطعام فأحضر وأكلنا بين يديها وهي تنظر إلينا ولما أوردنا
 الأنصراف قالت لا تتقطعوا عنا وترددوا إلينا وطالمونا بمحسبنا ثم أظهرت مكارم
 الأخلاق وبشت في أثرنا بطعام وخبز كثير وسمن وغنم ودرهم وكسوة جيدة وثلاثة
 من حياد الخيل وعشرة من سائرها ومع هذه الخاتون كان سفري إلى القسطنطينية
 العظمى كما ذكره بعد

﴿ ذكر الخاتون الرابعة ﴾

واسمها أردوجا (بضم الهمزة واسكان الراء وضم الدال المهمل وجم وألف) وأردو
 بلسانهم المحملة وسميت بذلك لولادتها في المحملة وهي بنت الأمير الكبير عيسى بك أمير
 الألوس (بضم الهمزة واللام) وممنه أمير الأمراء وأدركته حيا وهو متزوج ببنت
 السلطان إيت كججك وهذه الخاتون من أفضل الخواتين وأفضل السفهن شائل وأشققهن
 وهي التي بشت إلي المسارات يتي على التل عند جواز المحملة كما قدمنا دخلنا عليها فرأينا من
 حسن خاتنها وكرم نفسها ما لا مزيد عليه وأمرت بالطعام فأكلنا بين يديها ودعت
 بالخمز فشرب أصحابنا وسألت عن حالتها فأجبتناها ودخلنا أيضاً إلى أختها زوجة الأمير
 علي بن أرزق

﴿ ذكر بنت السلطان المعظم أوزبك ﴾

واسمها إيت كججك وإيت (بكسر الهمزة وياء مدونة متناة) وكججك (بضم الكاف وضم
 الجيمين) ومعنى اسمها الكلب الصغير فإن إيت هو الكلب وكججك هو الصغير وقد قدمنا
 أن الترك يسمون بالفسال كما تفعل العرب وتوجهنا إلى هذه الخاتون بنت الملك وهي في
 محلة منفردة على نحو ستة أميال من محلة والدها فأمرت بإحضار الفقهاء وحضر زوجها الأمير عيسى
 الشريف ابن عبد الحميد وجماعة الطلبة والمشايخ والفقهاء وحضر زوجها الأمير عيسى
 الذي بنته زوجة السلطان فقدمها على فراش واحد وهو مثل بالقرس فلا يستطيع
 التصرف على قدميه ولا ركوب الفرس وأما ركب العربية وإذا أراد الدخول على السلطان
 أنزله خدامه وأدخلوه إلى المجلس محمولاً وعلى هذه الصورة رأيت أيضاً الأمير تغلي وهو

أبو الخاتون الثانية وهذه العلة فاشية في هؤلاء الأتراك ورأينا من هذه الخاتون بنت
السلطان من المكارم وحسن الاخلاق ما لم نره من سواها وأجزلت الاحسان واقضت
حزها بالله خيراً

ذكر ولدي السلطان

وهما شقيقان وأمه اجبية المالكة طيطة على التي قد مناذكرها والا كبر منهما اسمها تين بك
(بناء معلومة كسورة وباء مدونون مفتوح) وبك معناه الامير وتين معناه الجسد فكان
اسمه أمير الجسد واسم أخيه جان بك (بفتح الجيم وكسر التون) ومعني جان الروح
فكانه يسمى أمير الروح وكل واحد منهما المعلقة على حدة وكان تين بك من أجل خلق
الله صورة وعهد له أبو بنالملك وكانت له الخطوة والتمتع عند مولد الله ذات فانه نب
مات أبوه ولي يسيراً ثم نزل لامور قيحية جرت له وولي أخوه جان بك وهو خير منه
وأفضل وكان السيد الشريف ابن عبد الحميد هو الذي تولى تربية جان بك وأشار على
والقاضي حمزة والامام بدر الدين اقوامي والامام المقرئ حسام الدين البيهقي
وسواهم حين قدومى أن يكون نزولى بمحلة جان بك المذكور ففضله فعملت ذلك

ذكر سفرى الى مدينة باغار

وكنتم سمعت بمدينة باغار فأردت اتوجه اليها لأرى ما ذكر عنها من انتهاء قصر المير
وقصر النهار أيضاً في عكس ذلك النعل وكان بينهما وبين محلة السلطان مسيرة عشر فسلبت
منه من يوصانى إليها فبثمت هي من أوصانى إليها وورثني اليها ووصالتي في رضاء فلما صابنا
المغرب أظفرتنا وأذن بأعشاء في أثناء إقامتنا فماتت أوصالتي أنزلت مع الشفع ولو
وطلع الفجر إثر ذلك وكذلك يقصر النهار بها في فصل قمره أيضاً وامت بها ثلاثاً

ذكر أرض الظلمة

وكنتم أردت الدخول الى أرض الظلمة والدخول اليها من باغار وبينهما أربعون يوماً ثم
أضربت عن ذلك اعظم المؤنة فيه وقلة الجدوى والسفر اليها الا يكون الا في عجالات صفار

تجرها كلاب كبار فان تلك المفازة فيها الجليد فلا تثبت قدم الاّ دمي ولا حافر الدابة فيها
والكلاب لها الاظفار تثبت اقدمها في الجليد ولا يدخلها الا الاقوياء من التجار الذين
يكون لاحدهم مائة بحجلة أو نحوها موفرة بطعامه وشرابه وحطبها فاتها لا شجر فيها ولا
حجر ولا مدور والدليل بتلك الارض هو الكلب الذي قد سار فيها مرارا كثيرة وتنعمي
قيمته الى ألف دينار ونحوه وتربط العربية الى عنقه ويقرن معه ثلاثة من الكلاب ويكون
هو المتقدم وتنبه سائر الكلاب بالمربات فاذا وقفت وقفت وهذا الكلب لا يضربه صاحبه
ولا ينهره واذا حضر الطعام أعظم الكلاب أو لا قبل بني آدم والاعضب الكلب وفرو ترك
صاحبه لا تلصق فاذا كانت لا سافرين هذه القلائد يرمون من حلة تزلوا عند الظلمة وترك
كل واحد منهم ما جاء به من المتاع هناك وعادوا الى منزلهم المعتاد فاذا كان من الفسدة عادوا
لثقتهم متاعهم فيجدون بازائه من السمور والسنجاب والقاقم فان أرضي صاحب المتاع
ما وجدته ازا متاعه اخذته وان لم يرضه تركه فيزدونه ويرمونه واما متاعهم أعنى أهل الظلمة
وركو امتاع التجار وهكذا يبيعهم وشرأؤهم ولا يعلم الذين يتوجهون الى هناك من
بيهم ويشأرهم أمن الجن هو أم من الانس ولا يرون أحدا والقاتم هو أحسن أنواع
النساء وتساوى الفروقة منه به بلاد الهند وألف دينار وصرقها من ذهبا مائتان وخمسون
وهي شديدة البياض من جلد حيوان صغير في طول الشبر وذنبه طويل يتركونه في الفروقة
على حاله والسمور دون ذلك تساوى الفروقة منه أربع مائة دينار فسادونها ومن خاصية
هذه الجلود انه لا يدخلها القمل وأسرأ الصبغ وكبارها يجعلون منه الجلد الواحد مئة صلا
يعروا تم عند العنق وكذلك تجار فارس والعراقين وعدت من مدينة بلخار مع الابر الذي
يمتعه السلطان في حجبتي فوجدت بحلة السلطان على الموضع المعروف ببش دغ وذلك في
الثامن والعشرين من رمضان وحضرت معه صلاة العيد وصادف يوم العيد يوم الجمعة

ذكر ترتيبهم في العيد

ولما كان صباح يوم العيد ركب السلطان في عساكره العظيمة وركبت كل خاتون عربتها
ومعها عساكرها وركبت بنت السلطان والتاج على رأسها ذهبي الممكة على الحقيقة ورثت

الملك من أمهات وركب أولاد السلطان كل واحد في عسكره وكان قد قدم لحضور العيد
قاضي القضاة شهاب الدين السائي ومعه جماعة من الفقهاء والمشايخ فركبوا وركب القاضي
حزقوة الامام بدر الدين القوامي والشريف ابن عبد الحميد وكان ركوب هؤلاء الفقهاء مع
تين بك ولي عهد السلطان ومعهم الاطبال والاعلام فوصل بهم القاضي شهاب الدين
وخطب أحسن خطبة وركب السلطان وانتهى الى برج خشب يسمى عندهم بالكشك
فجلس فيه ومعه خواتينه ونصب برج ثان دونه فجلس فيه ولي عهده وابنته صاحبة الساج
ونصب برجان دونهم سمعان يمينه وشماله فيهما أبناء السلطان وأقاربه ونصبت الكراسي
للأمراء وأبناء الملوك وتسمى الصندليات عن يمين البرج وشماله فجلس كل واحد على
كرسيه ثم نصبت طيالات للرمي لكل أمير طومان طيلة مختصة به وأمير طومان عندهم هو
الذي يركب له عشرة آلاف فكان الحاضرون من أمراء طومان سبعة عشر يقودون مائة
وسبعين ألفاً وعسكره أكثر من ذلك ونصب لكل أمير شعبة شبر فقام عليه وأصحابه
يلعبون بين يديه فكانوا على ذلك ساعة ثم أتى بالخلع فخلعت على كل أمير خلعة وعند ما يلبسها
يأتى الى أسفل برج السلطان فيخدم وخدمته ان يمس الارض بركبته اليمنى ويمد رجليه تحتها
والأخرى قائمة ثم يثني بفرس مسرج ملجم فيرفع حافره ويقبل فيه الأمير ويقوده
بنفسه الى كرسيه وهناك يرتبه ويقف مع عسكره ويفعل هذا الفعل كل أمير منهم ثم
ينزل السلطان على البرج ويركب الفرس وعن يمينه ابنته ولي العهد وتليه بنته المملوكيات
كجيجك وعن يسارها بنته الثاني وبين يديه الخواتين الابع في عربات مكسوة بأثواب
الحرير المذهب والخيول التي تجرها مجللة بالحرير المذهب وينزل جميع الأمراء الكبار
والصفار وأبناء الملوك والوزراء والحجاب وأرباب الدولة فيمشون بين يدي السلطان
على أقدامهم الى أن يصل الى الوطاق والوطاق (بكسر الراء) وهو أفراج وقد
نصبت هنالك باركة (باركاه) عظيمة والباركة عندهم بيت كبير له أربعة أعمدة من
الخشب مكسوة بصفاغ الفضة المموهة بالذهب وفي أعلى كل عامود جامور من الفضة
المذهبة له برقي وشمع وتظهر هذه الباركة على البعد كأنها ثنية ويوضع عن يمينها ويسارها

سقايف من القطن والكتان ويفرش ذلك كله بفرش الحرير وينصب في وسط البركة
 السرير الاعظم وهم يدعونه التخت وهم من خشب مرصع وأعواده مكسوة بصفاخ فضة
 مذهبة وقوائم من الفضة الخالصة المدوكة وفوقه ثرى من الذهب وفي وسط هذا السرير
 الاعظم مرتبة يجلس بها السلطان والخاتون الكبرى وعن يمينه مرتبة جلست بها ابنته إيت
 كجك ومعهما الخاتون اردو جاو عن يساره مرتبة جلست بها الخاتون يسلون ومعهما
 الخاتون بك و نصب عن يمين السرير كرسي قعد عليه تين بك ولد السلطان و نصب عن
 شماله كرسي قعد عليه جان بك و تيمور بك و نصبت كرسي عن اليمين والشمال جلس
 فوقها أبناء الملوك والامراء الكبار ثم الامراء الصغار مثل امراء هرات وهم الذين
 يقودون أنما ثم أتى بالطعام على موائد الذهب والفضة وكل مائدة يجلس عليها عشرة رجال
 وأكثر من ذلك وطعامهم لحوم الخيل والغنم ملوقة وتوضع بين يدي كل مائدة
 باقي الباورجي وهو قطع اللحم وغايه ثياب حرير وقدر يصط عليه الفوطه حرير وفي
 زامه حجلة سكاكين في أعصاهوا يمين كل أمير باورجي فاذا قدمت المائدة قعد بين
 يدي أمير مو يوثي بصحفة صغيرة من الذهب والفضة فيها ماء محلول بالماء فيقطع الباورجي
 اللحم قطعاً صغيراً أو لم في ذلك صنعة في قطع اللحم مختلطاً بالعظم فانهم لا يأكلون منه إلا
 ما اختلط بالعظم ثم يوثي بأواني الذهب والفضة للشرب وأكثر شربهم نبيذ عسل وهم
 خفية المذهب يحلون النبيذ فاذا أزال السلطان أن يشرب أخذت بانه القدح يدها
 وخدمت برجالها ثم ناوله القدح يشرب ثم تأخذ قدحاً آخر فناوله الخاتون الكبرى
 قدها رب منه ثم تناول سائر الخواتين على ترتيبهن ثم أخذوا ولي العهد القديح ويخدمه
 هيناوله أباه فيشرب ثم تناول الخواتين ثم أخته ويخدم الجميع ثم يقوم الولد الثاني فيأخذ
 القدح ويسقى أخاه ويخدمه ثم يقوم الامراء الكبار فيسقى كل واحد منهم ولي العهد
 ويخدمه ثم يقوم أبناء الملوك فيسقى كل واحد منهم هذا الابن الثاني ويخدمه ثم يقوم
 الامراء الصغار فيسقون أبناء الملوك ويفنون أثناء ذلك بالموالية وكانت قد نصبت قبة
 كبيرة أيضاً أزالها المسجد للقاضي والخطيب والشريف وسائر الفقهاء والمشايخ وأنا

معهم فأوتينا عوائد الذهب والفضة يحمل كل واحد قارضة من كبار الأثراك ولا يتصرف في ذلك اليوم بين يدي السلطان إلا الكبار فأيامهم يرفع ما أراد من الموائد إلى من أراد فكان من الفقهاء من أكل ومنهم من تودع عن الأكل في موائد الفضة والذهب ورأيت مدابصر عن الصين والشمال من العربات عليها وأيا القمز فأمر السلطان بتفريقها على الناس فأتوا إلى بصرة منها فأعطيت الحيران من الأثراك ثم أتينا المسجد فنظر صلاة الجمعة فأبطأ السلطان فمن قائل أنه لا يأتي لأن السكر قد غلب عليه ومن قائل أنه لا يترك الجمعة فلما كان بعد تمكن الوقت أتني وهو يسأل فسلم على السيد الشريف وتبسم له وكان يخاطبه بأخا وهو الأب لسان التركية ثم صليت الجمعة ونصرف الناس إلى منازلهم وانصرف السلطان إلى أنبار كه فبقى على حاله إلى صلاة العصر ثم انصرف الناس أجمعون وبقي مع الملك تلك الليلة خواتينه وبناته ثم كان رحيلنا مع السلطان والحلة لمسا نقضي العيد فوصلنا إلى مدينة الحاج ترخان ومعنى ترخان عندهم الموضع المحرر من المغارم (وهو بفتح التاء للتأفة وسكون الراء وفتح الحاء المعجم وآخره نون) والمنسوب إليه هذه المدينة هو حاج من الصالحين تركي نزل بموضعها وحرر له السلطان ذلك الموضع نصار قرية ثم عظمت وعمدنت وهي من أحسن المدن عظيمة الأسواق مبنية على نهر أتل وهو من أثمار الدنيا الكبار وهناك يقيم السلطان حتى يشتد البرد ويجمد هذا النهر ويجمد المياه المتصلة به ثم يأمر أهل تلك البلاد فيأتون بالآلاف من أحمال التين فيجعلونها على الجبال المنتهة فوق النهر والتين هنالك لا تأكله الدواب لأنه يضرها وكذلك ببلاد الهند وآنما أكلها الحشيش الأخضر خصب البلاد ويسافرون بالمرات فوق هذا النهر والمياه المتصلة به ثلاث مراحل وربما جازت القوافل فوقه مع آخر فصل الشتاء فيمرقون ويهلكون ولما وصلنا مدينة الحاج ترخان رغبت الخاتون ييلون ابنة ملك الروم من السلطان أن يأذن لها في زيارة أبيها فتضع حملها عنده وتود إليه فأذن لها ورغبت منه أن يأذن لي في اتوجه صحبتها لمشاهدة القسطنطينية العظمى فتعنى خوفها على فلاتقتها وقلت له أنما أَدْخُلُها في حرمك وجوارك فلا أخاف من أحد فأذن لي وودعناه ووصلني بألف وخمسمائة دينار وخلعة وأفراس كبيرة وأعطيني

كل خاتون منهن سيائك الفضة وهم يسمونها الصوم (بفتح الصاد المهملة) واحداً منها
صومة وأعطت بنته أكثر منهن وكسني وأركبني واجتمع لى من الخيل والثياب وفروات
السجاب والسمور جملة

﴿ ذكر سفرى الى القسطنطينية ﴾

وسافر نافي العاشر من شوال في حجة الخاتون ييلون ونحت حرمتها ورحل الساطان في
تشيدها من رحلة ورجع هو والمملكة وولى عهدده وسافر سائر الخواتين في صحبتها من رحلة
قانية ثم رجع وسافر صحبتها الامير يدرة في خمسة آلاف من عسكره وكان عسكر الخاتون
نحو خمسمائة فارس منهم خدامها من المماليك والروم نحو مائتين والباقون من الترك
وكان مهابا من الجوارى نحو مائتين أكثرهن وميات وكان لها من العربات نحو أربعين
عربة ونحو ألفي فرس لجرها وللا ركوب ونحو ثلاثمائة من البقر ومائتين من الجمال لجرها
وكان معها من الفتيان الروميين عشرون من الهندين مثلهم وقائدهم الاكبر يسمى بسبل
الهندي وقائدهم الروميين يسمى بمخايل ويقول له الاتراك لؤلؤ وهو من الشجعان
الكبار وترك أكثر جوارها وأتقاهما معجلة السلطان اذا كانت قد توجهت برسم الزيارة
ووضع الحمل وتوجهنا الى مدينة ألك وهي (بضم الهمزة وفتح الكاف الاولى) مدينة
متوسطة حسنة العمارة كثيرة الخيرات شديدة البرد ويتهالون السرا حاضرة السلطان
مسيرة عشر وعى مسيرة يوم من هذه المدينة جبال الروس وهم نصارى شقرا الشعوب
تزرع العيون قباج الصور أهل غدر وعذدهم معادن الفضة ومن بلادهم يؤتى بالصوم وهي
سيائك الفضة التي يبيع ويشترى في هذا الدلا ووزن الصومة منها خمس أو أثنى ثم وصلنا
بعد عشر من هذه المدينة الى مدينة سرداق (وضبط اسمها بضم السين المهملة وسكون
الراء وفتح الدال المهملة وآخره قاف) وهي من مدن دشت قفقجى على ساحل البحر
ومر ساها من أعظم المراسي وأحسنها وبخارجها البساتين والمياه وينزلها الترك وطائفة
من الروم تحت ذمتهم وهم أهل الصنائع وأكثر بيوتها خشب وكانت هذه المدينة كبيرة
تخرب معظمها بسبب فتنة وقعت بين الروم والترك وكانت الغلبة للروم فأنصر للترك

أصحابهم وقتلوا الروم شرقتة ونفوا أكثرهم وبقي بعضهم تحت الذمة إلى الآن وكانت
الضيافة تحمل إلى الخاتون في كل نزل من تلك البلاد من الخيل والغنم والبقر والدوق
والقمز وألبان البقر والغنم والسفر في هذه البلاد مضي ومشي وكل أمير بملك البلاد
يصحب الخاتون بمساكره إلى آخر حد بلاده تظاهرها لاختوافها لئلا تلك البلاد آمنة
ثم وصلنا إلى البلدة المعروفة باسم بابا سلطوق وبابا عدهم بمنا عند البربر سواء الأتيم
يفخمون الباء وساطوق (بفتح السين المهملة واسكان اللام وضم الطاء المهملة وآخره
قاف) ويذكرون أن سلطوق هذا كان مكاشفا لكن يذكره أشياء يشكرها للسر
وهذه البلدة آخر بلاد الأتراك بينها وبين أول عمالة الروم ثمانية عشر يوما في برية غير
معمورة منها ثمانية أيام لا ماء بها تزدلها الماء ويحمل في الروايا والقرب على العربات وكان
دخولنا إليها في أيام البرد فلم نحتاج إلى كثير من الماء والأتراك رنعوا الإبان في القرب
ويخاطونها بأدق المطبوع ويشربونها فلا يعطشون وأخذنا من هذه البلد في الاستعداد
للبرية واحتجت إلى زيادة فراس فأتيت الخاتون فأعلمتها بذلك وكنت أسلم عليها صاحبها
ومساء ومقيأتها ضيافة تبعث إلى الفرسين والثلاثة بالغنم فكنت أترك الخيل لأذبجها
وكان من ممي من الفلمان والحدا مياكلون مع أصحابنا الأتراك فاحتجع لي نحو فسين
فرسا وأمرت لي الخاتون بخمسة عشر فرسا وأمرت وكيانها ساروجة البرومي أن يجارها
سما من خيل المطبخ وقالت لا تخف فإن احتجت إلى غير هاز ذلك ودخان البرية في
منتصف ذي القعدة فكان سيرنا من يوم فارقنا السلطان إلى أول البرية تسعة عشر يوما
واقامتنا خمسة ورحلنا من هذه البرية ثمانية عشر يوما مضي ومشي وما رأينا إلا خبرا
والحمد لله ثم وصلنا بعد ذلك إلى حصن مهتولى وهو أول عمالة الروم (وضبط اسمه
بفتح الميم وسكون الهاء وضم التاء المعلوة وواو مد ولام مكسورة وياء) وكانت الروم قد
سمعت بقدوم هذه الخاتون على بلادها فوصاهن إلى هذا الحصن كفا في نقوله الرومي في
عسكر عظيم وضيافة عظيمة وجأت العواتين والدابات من دارأيها ملك القسطنطينية
ويزن مهتولى والقسطنطينية مسيرة اثنتين وعشرين يوما منها ستة عشر يوما إلى الخليج

وستة منه إلى القسطنطينية ولا يسافر من هذا الحصن إلا بالخيول والبغال وتترك العربات
 به لاجل الوعر والجبال وجاء كفال إلى المدكور ببغال كثيرة وبشت إلى الخاتون ستة منها
 وأوصى أمير ذلك الحصن بمن تركته من أصحابه وغلباني مع العربات والانتقال فأمر لهم
 أن يروا جوع الأمير بيدر: ساكره ولم يسافر مع الخاتون إلا ناسها وترك مسجدها
 بهذا الحصن. ارتفع حكم الأذان وكان يؤتى إليها بالخور في الضيافة فتسربها وبالختازير
 وأخبرني بعض خواصها أنها كتها ولم يبق معها من يسلي إلا بعض الأتراك كان يصلي معنا
 وتغيرت البواطن لدخولنا في بلاد الكفر ولكن الخاتون أوصت الأمير كفال بالكرامي
 ولقد ضرب مرة بعض من ذلكنا ضحك من صلاتنا ثم وصلنا حصن مساهة بن عبد الملك
 وهو بسفح جبل على نهر رحر يقف له اصغافلي ولم يبق من هذا الحصن إلا آثاره وبخارجه
 قرية كبيرة ثم سرتنيو مين ووصلنا إلى الخليج وعلى ساحله قرية كبيرة فوجدنا فيه المد
 واقفا حتى كان الجز. وخذنا ما عرضه نحو ميلين ومشينا أربعة أميال في مال ووصلنا
 الخليج الثاني فخذنا وعرضه نحو ثلاثة أميال ثم شينا نحو مياين في حجارة ورمل
 ووصلنا الخليج الثالث وقد شينا إذ قد عتافيه وعرضه ميل واحد فعرض الخليج كله
 مائة ويا بسا عشرة مائة واربعة ما كلفنا في أيام المطر فلا تخاف من الفي القوارب وعلى
 ساحل هذا الخليج اثنتان من مدنة القتيكة (واسمها بقاء مفتوحة ونون ويا ومدوكاف
 مفتوح) وهي صغيرة لكنها أحسن مائة وكنائسها وديارها حسان والأنهار تجري بها
 والبساتين تحفها ويدخل بها منب والاباص والتفاح والسفرجل من السنة إلى الأخرى
 وقام هذا المدنة ثلاثمائة الخاتون في سنة ثلاث مائة هـ ثم قدم أخوها شقية هاواسمه
 كفال إلى قراس في خمسة آلاف فارس شاكين في السلاح ولما أرادوا لقاء الخاتون ركب
 أخوها المدكور فرسا شهب وابس ثيابا بيضاء وجعل على رأسه مظلا مكلا بالجواهر
 وجعل عن يمينه خمسة من أبناء الملوك وعن يساره مثاهم لابسين البياض أيضا وعابهم
 مظلات مزركشة بالذهب وجعل بين يديه مائة من المشايين ومائة فارس قد أسبقوا
 الدروع على أنفسهم وخيلهم وكل واحد منهم يقود فرسا مسرجا مديرا عليه شكة فارس

من البيضة المجوهرة والدروع والتركش والقوس والسيف ويده في طرف رأسه راية وأكثر تلك الرماح مكسوة بصفائح الذهب والفضة وتلك الخيل المقودة هي سراكب ابن السلطان وقسم فرسانه على أفواج كل فوج فيه مائتا فارس ولهم أمير قد قدم أمامه عشرة من الفرسان شاكين في السلاح وكل واحد منهم يقود فرسا وخلفه عشرة من العساكر الملوثة بأيدي عشرة من الفرسان وعشرة أطباء يتقلدها عشرة من الفرسان ومعهم ستة يضربون الابواق والانقار والسرنايات وهي الغبطات وركبت الخاتون في مماليكها وجواردها وفتياتها وخدامها وهم نحو خمسمائة عليهم ثياب الحرير المزركشة بالذهب المرصعة وعلى الخاتون حلة يقال لها النخ ويقال لها أيضاً النسيج مرصعة بالجواهر وعلى رأسها تاج مرصع وفرسها مجمل بجمل حرير مزركش بالذهب وفي يديه ورجليه خلاخل الذهب وفي عنقه قلادة مرصعة وعظم السرج مكسو ذهباً مكمل جوهرها وكان التقاؤها في سبط من الأرض على نحو ميل من البلد وترجل لها أخوها لانه أصغر سناً منها وقبل ركابها وقبلت رأسه وترجل الأمراء وأولاد الملوك وقبلوا جميعاً ركابها وانصرفت مع أخيهافي غددلك اليوم وصلنا إلى مدينة كبيرة على ساحل البحر لا أثبت الآن اسمها ذات أنهار وأشجار نزلنا بخارجها ووصل أخو الخاتون ولي العهد في ترتيب عظيم وعسكر ضخم من عشرة آلاف مدرع وعلى رأسه تاج وعين يمينه نحو عشرين من أبناء الملوك وعن يساره مثلهم وقد رتب فرسانه على ترتيب أخيه سواء إلا أن الحفل أعظم والجمع أكثر وتلاقت معه أخته في مثل زيار الأول وترجل جميعاً وأوتي بخباء حرير قد خلا فيه فلا أعلم كيفية سلامهما ونزاعاً على عشرة أميال من القسطنطينية فلما كان بالغد خرج أهله من رجال ونساء وصبيان ركباناً ومشاة في أحسن زى وأجمل لباس وضربت عند الصبح الأطباء والابواق والانقار وركبت العساكر وخرج السلطان وزوجته أم هذه الخاتون وأرباب الدولة والخواص وعلى رأس الملك رواق يحمله جملة من الفرسان ورجال بأيديهم عصي طوال في أعلى كل عصي شبيه كرة من جلديد رفون بها الرواق وفي وسط الرواق مثل القبة يرفعهما الفرسان بالعصى ولما أقبل السلطان

احتلطت العساكر وكسر المعاج ولم أقدر على الدخول فيا بينهم فلزمنا أنقال الحاتون وأصحابها خوفا على نفسي وذكري أنها لم تقرب من أبوابها ترجلت وقبلت الأرض بين أيديها ثم قبلت حافري فرسيها. أو قل كبار أصحابها. مثل فعلها في ذلك وكان دخولنا عند الزوال أو به. إلى القسطنطينية العظمى وقد ضربوا نوقيسهم حتى ارتجت الآفاق لاختلاط أصواتها ووصلت الباب الأول من أبواب قصر الملك وجدنا به مائة رجل معهم قائد لهم فوق دكانه وسمعته يقولون سراكتو سراكتو ومعناه المسلمون ومنعونا من الدخول فقال لهم أصحاب الخاتون أنهم من جهة تافا قالوا لا يدخلون إلا بالاذن فأقمنا بالباب وذهب بعض أصحاب الخاتون فبحث من أعلمها بذلك وهي بين يدي والدها فذكرت له شأنا فافأمر بدخولنا وعين لنا دار بمقرية من دار الخاتون وكتب لنا أمرا بأن لا نعرض حيث نذهب من المدينة ونودي بذلك في الأسواق وأقمنا بالدار ثلاثا ثم بعث إلينا المضيف من الدقيق والخبز والقمح والدجاج والسمن والفاكهة والحوت والدرهم والفرس وفي اليوم الرابع دخلنا على السلطان

ذكر سلطان القسطنطينية

واسمه تكفور (بفتح التاء المثناة وسكون الكاف وضم الناء وواو وراء) ابن السلطان حرجيس وأبوه السلطان جرجيس بقاء الحياة لكنه ترهد وترهب وانقطع للعبادة في الكنائس وترك الملك ولولده وسنذكره وفي اليوم الرابع من وصولنا إلى القسطنطينية بعثت إلى الخاتون الفقي سنبل الهندي فأخذ بيدي وأدخاني إلى القصر فجزنا أبوابا في كل باب ستة أثمنهم وأرسلهم وقائدهم على دكانه مفروشة فقاموا صلا إلى الباب الخامس تركني الفقي سنبل ودخل ثم أتني وبعده أربعة من الفتيان الروميين ففتشوني لئلا يكون همي سكين وقال لي القائد تلك عادة لهم لا بد من تقبش كل من يدخل على الملك من خاص أو عام غريب أو بلدي وكذلك الفعل بأرض الهند ثم لمسا فتشوني قاموا وكل بالباب فأخذ بيدي وفتح الباب وأحاط بي أربعة من الرجال أمسك اثنان بكفي واثنان من ورائي فدخلوا بي إلى مشور كبير حيطانه بالفسيقساء قد نقش فيها صور الخلوقات من

الحيوانات والجمادات وفي وسطه ساقية ماء ومن جهتها الاشجار والناس واقفون يمينا ويسار اسكو تالاي تكلم أحد منهم وفي وسط المشور ثلاثة رجال وقوف أسلنى أولئك الاربعة اليهم فأمسكوا أيديهم كإني لا تفعل الآخرون وأشار اليهم رجل فقدموا بي وكان أحدهم يهوديا فقال لي بالرعي لا تخف فهكذا عادتهم ان يفعلوا بالوارد وأن الترحان وأصلى من بلاد الشام فسألته كيف أسلم فقال قل السلام عليكم ثم وصلت الى قبة عظيمة والسلطان على سرير موز وجسه أم هذه الخاتون بين يديه وأسفل السرير الخاتون وأخواتها وعن يمينه ستة رجال وعن يساره أربعة وكلهم بالسلاح فأشار الى قبل سلام والوصول اليه بالجلوس هنية ليسكن روعي ففعلت ذلك ثم وصلت اليه فسلمت عليه وأشار الى ان أجلس فلم أقبل وسأني عن بيت المقدس وعن الصخرة المقدسة وعن القمامة وعن مهد عيسى وعن بيت لحم وعن مدينة الخليل عليه السلام ثم عن دمشق ومصر والعراق وبلاد الروم فأجبت عن ذلك كله واليهودي يترجم بيني وبينه فأعجبه كلامي وقال لا ولادها كرموا هذا الرجل وآمنوه ثم خلع علي خاعة وأمر لي بفرس مسرج ملجم ومظلة من التي يجعلها الملك فوق رأسه وهي علامة الأمان وطلبت منه ان يعين من يركب معي بالمدينة في كل يوم حتي أشاهد عجائبها وغرائبها وأذكرها في بلادتي فعين لي ذلك ومن العوائد عندهم ان الذي يلبس خاعة الملك ويركب فرسه يعطاف به في أسواق المدينة بالابواق والانفار والاطبال ايراء الناس وأكثر ما يفعل ذلك بالترك الذين يأتون من بلاد السلطان أوزبك اثلا يؤذون فطافوا بي في الاواق

﴿ ذكر المدينة ﴾

وهي متناهية في الكبر منقسمة بقسمين بينهما نهر عظيم المد والجزر على شكل وادي سلا من بلاد المغرب وكانت عليه فيما تقدم قنطرة مبنية فخرت وهو الآن يعبر في القوارب واسم هذا النهر أبسعي (بفتح الهمزة واسكان الباء الموحدة وضم السين المهملة وكسر الميم وياء مد) وأحد القسمين من المدينة يسمى أضطبول (بفتح الهمزة واسكان الصاد وفتح الطاء المهملة) وسكون النون وضم الباء الموحدة وواو مد ولام) وهو بالعدوة

الشرقية من التهر وفيه سكنى السلطان وأرباب دولته وسائر الناس وأسواقه وشوارعه
 مشرشرة بالصفايح متسعة وأهل كل صناعة على حدة لا يشار إليهم سواهم وعلى كل سوق
 أبواب تسد عليه بالليل وأكثر الصنائع والباعة النساء والمدينة في سفح جبل داخل في
 البحر نحو تسعة أميال وعرضه مثل ذلك وأكثر وفي أعلاه قاعة صغيرة وقصر السلطان
 والسور يحيط بهذا الحبل وهو مانع لا يبيل لأحد إليه من جهة البحر وفيه نحو ثلاث
 عشرة قرية عامرة والكنيسة العظمى هي في وسط هذا القسم من المدينة وأما القسم الثاني
 منها فيسمى القلطة (يقين معجمة ولا م وظاء مهمل مفتوحات) وهو بالعسدية القرية
 من التهر شبيه برباط القنق في قرية من التهر وهذا القسم خاص بنصارى الافرنج يسكنونه
 وهم أصناف فمنهم الجنوبيون والبنادقة وأهل رومية وأهل أفرانسة وحكمهم إلى ملك
 القسطنطينية يقدم عليهم منهم من يرتضونه ويسمونهم القمص وعليهم وظيفة في كل عام
 لملك القسطنطينية ويربعا استصوا عاياه في حاربهم حتى يصلح بينهم البابة وجميعهم أهل
 نجارة ومرسأهم من أعظم المراسى رأيت به نحو مائة جفن من القراق وسواها من الكبار
 وأما الصغار فلا تحصى كثرة وأسواق هذا القسم حسنة إلا أن الاقدار غالبية عليها ويشقها
 نهر صغير قدر نجس وكنائسهم قدرة لا خير فيها

ذكر الكنيسة العظمى

وإنما نذكر خارجها وأما داخلها فلم أشاهده وهي تسمى عندهم يا صوفيا (بفتح الهمزة
 والياء آخر الحروف وألف وصاد مضموم وواو مدو فاء مكسورة دياء كالاولى وألف)
 ويذكرونها من بناء أصف بن برخيا وهو ابن خالة سليمان عليه السلام وهي من أعظم
 كنائس الروم وعاياها سور يطيف بها فكتابها مدينة وأبوابها ثلاثة عشر بابا وله أحرم هو
 نحو ميل عليه باب كبير ولا يمنع أحد من دخوله وقد دخلته مع والد الملك الذي يقع ذكره
 وهو شبه مشور مسطح بالرغام وتشقه ساقية تخرج من الكنيسة لها حائطان مرتفعان
 نحو ذراع مصنوعان بالرغام المزج المنقوش بأحسن صنعة والأشجار منتظمة عن جهتي
 الساقية ومن باب الكنيسة إلى باب هذا المشور مرش من الخشب مرتفع عليه دوالي

العنب وفي أسفله الياسمين والرياحين وخارج باب هذا المشورقة خشب كبيرة فيها طبلات خشب يجلس عليها خدام ذلك الباب وعن يمين القبة ساطب وحوانيت أكثرها من الخشب يجلس بها قضاةهم وكتاب دواوينهم وفي وسط تلك الحوانيت قبة خشب يصعد إليها على درج خشب وفيها كرسي كبير مطبق بالمفج يجلس فوقه قضاةهم وسنذكره وعن يسار القبة التي على باب هذا المشور سوق العطارين والساقية التي ذكرناها تنقسم قسمين أحدهما يمر بسوق العطارين والآخري يمر بالسوق حيث القضاة والكتاب وعلى باب الكنيسة مقائق يجلس بها خدامها الذين يقومون طرقها ويوقدون سرجها ويفلقون أبوابها ولا يدعون أحداً يدخلها حتى يجدنا صليب الأعظم عندهم الذي يزعمون أنه بقية من الخشبة التي صاب عليها شبيه عيسى عليه السلام وهو على باب الكنيسة مجعول في جميعه ذهب طولها نحو عشرة أذرع وقد عرشوا عليها جبة ذهب منها حتى صارت صليبا وهذا الباب مصفح بمصفحة الفضة ونذهب وحائنا من الذهب الخالص وذكر لي أن عدداً من بهذه الكنيسة من الرهبان والقسيسين ينتهي إلى آلاف وأن بعضهم من ذرية الحواريين وأن بداخلها كنيسة مختصة بالنساء فيهما من الأبنكار المنقطعات للعبادة أزيد من ألف وأمة القواعد من النساء أكثر من ذلك كله ومن عادة الملك وأرباب له وسائر الناس أن يأتوا كل يوم صباحاً إلى زيارة هذه الكنيسة ويأتى إليها إبانة مرة في السنة وإذا كان على مسيرة أربع من البلدي خرجوا إلى قنات ويترجل له وعند دخول المدينة يمشى بين يديه على قدبيه ويأتيه صباحاً ومساءلاً لسلام عليه طول مقامه بالقسطنطينية حتى يصرف

ذكر المانستارات في القسطنطينية

والمانستار على مثل لفظ المانستان الآن نونه متقدمة وراية متأخرة وهو عندهم شبه الزاوية عند الساميين وهذه المانستارات بها كنيسة فيها مانستار عمره الملك جرجيس والملك القسطنطينية وسنذكره وهو بخارج اصطبول مقابل الخلطة ومنها مانستار أن خارج الكنيسة العظمى عن يمين الداخل إليها وهما في داخل بستان يشقهما نهر ماء واحد هما اللرجان والآخري للتساوي في كل واحد منهما كنيسة ويدور بهما البيوت

للمتعبدين والمتعبدات وقد حبس على كل واحد منهم احباس لكسوة المتعبدين ونفقة
 بنائها أحد الملوك ومنها ما استاران عن يسار الداخل الى الكنيسة العظمى على مثل هذين
 الآخرين ويطلق بهما بيوت وأحد هما يسكنه العميان والثاني يسكنه الشيوخ الذين
 لا يستطيعون الخدمة ممن بلغ الستين أرغحوها ولكل واحد منهم كسوته ونفقته من أوقاف
 معينة لذلك وفي داخل كل مانستار منادويرة لتعبد الملك الذي بناه وأكثره ولأهل الملوك
 اذا بلغ الستين أو السبعين بنى مانستار أو ابس المسوح وهي ثياب الشمر وقلد وله الملك
 واشتغل بالعبادة حتى يموت وهم يحتفلون في بناء هذه المانستارات ويعملونها بالرخام
 والفسيفساء وهي كثيرة بهذه المدينة ودخلت مع الرومي الذي عينه الملك لار كوب معي
 الى مانستار يشقه نهر وفيه كنيسة فيها نحو خمسمائة بكر عليهم المسوح ورؤسهن محلوقة فيها
 قلائس اللبد ولهن جمال فائت وعليهن أثر العبادة وقد قدصني على منبري قرأهن الانجيل
 بصوت لم أسمع قط أحسن منه وحوله ثمانية من الصبيان على منابر ومعهم قسيهم فلما
 قرأ هذا الصبي قرأ صبي آخر وقال لي الرومي ان هؤلاء البنات من بنات الملوك وهن
 أنفسهن لخدمة هذه الكنيسة وكذلك لبيان القراء ولهم كنيسة أخرى خارج تلك
 الكنيسة ودخلت معها أيضاً الى كنيسة في سستان فوجدنا بها نحو خمسمائة بكر أو أزيد
 وصبي قرأهن على منبر وجماعة صبيان معه على منابر مثل الاولين فقال لي الرومي هؤلاء
 بنات الوزراء والأمراء يتعبدن بهذه الكنيسة ودخلت معها الى كنائس فيها آبكار من
 وجوه أهل البلاد والى كنائس فيها المعجز والقواعد من النساء والى كنائس فيها
 الرهبان يكن في الكنيسة منها مائة رجز وأكثر وأقل وأكثر أهل هذه المدينة رهبان
 ومتعبدون وقسيسون وكنائسها لا تحصى كثيرة وأهل المدينة من جندي وغيره صنفين
 وكبير يعملون على رؤسهم المظلات الكبار شتاء وصيفاً والنساء لهن عمام كبر

﴿ ذكر الملك المترهب جرجيس ﴾

وهذا الملك ولي الملك لابنائه واقطع للعبادة وبنى مانستاراً كاناه خارج المدينة على
 ساحلها وكنت يومامع الرومي المعين لار كوب معي فاذا بهذه الملك ماشياً على قدميه وعليه

المسوح وعلى رأسه قلنسوة لبدوله لحية بيضاء طويلة ووجهه حسن عليه أثر العبادة وخلفه
وامامه جماعة من الرهبان ويده عكاز وفي عنقه سبيحة فلما رآه الرومي نزل وقال لي انزل
فهذا والد الملك فلما سلم عليه الرومي سأله عنى ثم وقف وبمت عنى فبحث اليه فأخذ يدي
وقال لذلك الرومي وكان يعرف اللسان العربي قل لهذا السراكنو يعني المسلم أنا أصفح اليك
التي دخلت بيت المقدس والرجل التي مشيت داخل الصخرة والكنيسة العظمى التي تسمى
قسامة وبيت لحم وجعل يده على قدمي ومسح بها - ففجعت من اعتقادهم فيمن دخل
تلك المواضع من غير ملتهم ثم أخذ يدي ومشيت معه فسأني عن بيت المقدس ومن فيه
من التصاري واطال السؤال ودخلت معه الي حرم الكنيسة الذي وصفناه آنفا ولم
قارب الباب الاعظم خرجت جماعة من القسيسين والرهبان لاسلام عليه وهو من كبارهم
في الرهبانية ولما رآهم أرسل يدي فقلت له أريد الدخول مملك الى الكنيسة فقال للترجمان
قل له لا بدله اخذها من السجود لاصليب الاعظم فان هذا مماسته الاوائل ولا يمكن خلافه
فتركته ودخل وحده ولم أره بعدها

﴿ذكر قاضي القسطنطينية﴾

ولما فارقت الملك المترهب المذكور دخلت سوق الكتاب فرأيت القاضي فيعت الي أحد
اعوانه فسأل الرومي الذي معي فقال له انه من طلبية المسلمين فلما عاد اليه وأخبره بذلك بمت
الي أحد أصحابه وهم يسمون القاضي النجاشي كفا لي فقال لي النجاشي كذا لي يدعوك
فصعدت اليه الي انقبة التي تقدم ذكرها فرأيت شيخا حسن الوجه والامة عايل لباس الرهبان
وهو المؤلف الاسودوين يديه نحو عشرة من الكتاب يكتبون فقام الي وقام أصحابه وقال
أنت ضيف الملك ويجب علينا اكرامك وسأني عن بيت المقدس والشام ومصر وأطال
الكلام وكثر عليه الازدحام وقال لي لا بد لك أن تأتي الي دارى قاضيفك فانصرف عنه
وَمُ ألقه بعد

﴿ذكر الانصراف عن القسطنطينية﴾

ولما ظهر لمن كان في محبة الخاتون من الاتراك أنها على دين أبيها وراغبة في المقام معه طلبوا

منها الاذن في العودة الى بلادهم فأذنت لهم وأعطتهم عطاء جزيلًا وبعثت معهم من
يوصلهم الى بلادهم أميراً يسمى ساروجة الصغير في خدمة فارس وبعثت عنى قاعدتي
ثلاثمائة دينار من ذهبهم وهم يسكنون البريرة وليس بالطيب والى درهم بندقية وشقة
ملف من عمل البنات وهو أجود أنواعه وعشرة أبواب من حرير وكتان وصوف
وفرسين ذلك من عطاء أيها أو صت بي ساروجة وودعتها وانصرف ركانت مدة
مقامى عندهم شهر أو ستة أيام وسافرنا صعبة ساروجة فكان يكرمنى حتى وصلنا الى آخر
بلادهم حيث تركنا أصحابنا عرباتنا تركنا العربات ودخنا البرية ووصل ساروجة معنا
الى مدينة بابا اطوق وأقم بها ثلاثاً في الضيافة وانصرف الى بلاده وذاك في اشتداد البرد
وكنيت ألب ثلاث غزوات وسروا بين احدهما مبعطن وبجرى خف من سوف وفوقه
خف مبعطن يتوب كتان وفوقه خف من البرية الى وهو جلد الفرس مبعطن يسلد ذئب
وكنيت أتوضأ بالماء الحار بمقربة من النار فساقت من الماء قطرة الاحدث لحينها وإذا
غسلت وجهي بل الماء الى لطيف فيجمده ركانت يسقط منها شئ الملح والماء الذى
يتزل من الماء نجمد عنى اشارب وكنيت لأستطيع الركوب لكثرة ما عنى من الشيباب
حتى ركبت أصحابى ثم وصات الى مدينة الحاج ترخان حيث فارقت السلطان أوزبك
فوجدناه قد رحل واستقر بحضرة ملكه فسافرنا على نهرا تلى وماينا به من انياه ثلاثاً وهى
جمادى كذا إذا احتجنا الماء قطعنا قطعاً من الجلود وحمانا فى القدر حتى يصير ماء
فأشرب منه وعلبنا به ووصلنا الى مدينة اسرا (وضبط اسمها بـ) مبعطن مهمل وراء
معتوقين () وتعرف بـ اسرا () وهى حضرة السلطان أوزبك ودخنا على
السلطان قسماً لنعن كيفية سفرنا وعن ملك الر ومن مدينة فاعلمناه وأمر بأجراء النفقة
عائنا وانزلنا ومدينة السرا من أحسن المدن متناهية الكبر فى بساط من الارض قصص بأهلها
كثرة حسنة الاسواق متسعة الشوارع وركنا يومنا مع بعض كبرائنا ورضنا التطوف عليها
ومعرفة مقدارها وكان منزلنا فى طرف منها فركاننا به غدوة فساوولنا آخرها الا بعد
الزوال فسلينا الظاهر وأكلنا طعاماً فساوولنا الى المنزل الا عند المغرب ومشينا يوماً

صرهم اذاهين وراجهين في نصف يوم وذلك في عمارة متصلة الدور لا خراب فيها ولا
 بساين وفيها اثلاثة عشر مـجداً لاقامة الجمعة أحدها للشافعية وأما المساجد سوى ذلك
 فكثيرة جداً وفيها طوائف من اناس منهم المغبل وهم أهل البلاد والساكنين وبعضهم
 مسلمون ومنهم الاصر وهم مسلمون ومنهم القفقجق والجر كس والروس والروم وهم
 نصارى وكل طائفة تسكن محلة على حدة فيها أسواقها والتجار والغرباء من أهل العراق
 ومصر والشام وغيرها ساكنون بمحلة عليها سور واحتياطاً على أموال التجار وقصر
 الساطار بها يسمى الطون طاش والطنون (بفتح الهـزة وسكون اللام وضم الطاء المهمل
 وواو مدنون) ومعناه الذهب وطاش (بفتح الطاء المهمل وشين معجم) ومعناه
 حمجز وقاضى هذه الخضرة بدر الدين الاعرج من خيار القضاة وسهام من مدرسي الشافعية
 الفقيه الامام الفاضل صدر الدين سامان الكزري أحد الفضلاء وبهامن المالكية شمس
 الدين المصري وهو ممن يطعن في ديانتهم وبها زاوية الصالح الحاج نظام الدين أضافسها
 وأكرمنا وبها زاوية الفقيه الامام العالم نعمان الدين الخوارزمي رأيته بها وهو من فضلاء
 المشايخ حسن الاخلاق كريم النفع شديد التواضع شديد السطوة على أهل الدنيا يأتي اليه
 السلطان أو زبك زائر في كل جمعة فلا يستقبله ولا يقوم اليه ويقعد السلطان بين يديه
 ويكلمه العف كلاماً ويتواضع له والشيخ اضد ذلك وفعلاً مع الفقراء والمساكين
 والواردين خلاف فعله مع السلطان فإنه يتواضع لهم ويكلمهم بألطف كلام ويكرمه
 وأكرمه جزاء الله خير أو بعث الى بسلام تركي وشاهدت له بركة
 كنت أردت السفر من السرا الى خوارزم فنهاني عن ذلك وقال لي أقم أياماً وحينئذ سأفري
 فنازعني النفس ووجدت رفقة كبيرة آخذة في السفر فيهم تجار أعرفهم فاتفقت معهم على
 السفر في محبتهم وذكرت له ذلك فقال لي لا بد لك من الاقامة فعزمت على السفر فأبقي لي
 غلاماً أقت بسببه وهذه من الكرامات الغاهرة وما كان بعد ثلث وجده بعض أصحابي
 ذلك الغلام الا ببق عدينة الحاج ترخان فجاءه الي فحينئذ سافرت الى خوارزم ودينها وبين

حضره السرا صحرَاء مسير ءار بعين يوما لا تسافر فيها الخيل لقلة الكلأ وانما تجر العربات بها الجمال فسرنا من السرا عشرة أيا فوسلنا الى مدينة سراجوق وجوق (بضم الحيم المَعْقُود وواو وقاف) ومعنى جوق صغير فكأنهم قالوا سرا الصغيرة وهي على شاطئ نهر كبير زخاري يقال له ألوصو (بضم الهمزة واللام وواو ومد وضم الساد المهمل وواو) ومعناه الماء الكبير وعليه جسر من قوارب كجسر بغداد والى هذه المدينة انتهي سفرنا بالخيال التي تجر العربات وبناها بها تجر بحساب أربعة دنائير دراهم للفرس وأقل من ذلك لأجل ضعفها ورخصها بهذه المدينة واكثرنا الجمال لجر العربات وبهذه المدينة زاوية لرجل صالح معمر من الترك يقال له أضا (بفتح الهمزة والطاء المهمل) ومعناه الولد أضافها ودعانا وأضافنا أيضا قاضيها ولا أعرف اسمه ثم سرنا منها ثلاثين يوما سيرًا جادا لا نزل الا ساعتين احدها عند الصبح والاخرى عند المغرب وتكون الإقامة قدر ما يطبخون الدق ويغريونه وهو يتبخ من غلية واحدة ويكون معهم الخليع من الماحم يجعلونه عليه ويصبون عليه اللبن وكل انسان انما ينام أوياً كل في عربته حال السير وكان في عربتي ثلاث من الجوارى ومن عادة المسافرين في هذه البرية الاسراع لقلة أعشابها والجمال التي تقطعها يهلك معظمها وما بقي منها لا ينتفع به الا في سنة أخرى بعد ان يسمن ولما في هذه البرية في مناهل معلومة بعد اليومين والثلاثة وهو ماء المطر والحسيان ثم سلكنا هذه البرية وقطعناها كما ذكرناه وصلنا الى خوارزم وهي أكبر مدن الأتراك وأعظمها وأجملها وأضخمها لها الاسواق المايحة والشوارع الفسيحة والعمارة الكثيرة والمخاسن الاثير وهي ترشح بسكانها اكثرهم وتخرجهم موج البحر ولقد ركبت بها يوما ودخلت السوق فلما توسعته وباتت متهي الزحام في موضع يقال له الشور (بفتح الشين المعجم واسكان الواو) لم أستطع ان أجوز ذلك الموضع لكثرة الازدحام وأردت الرجوع فإما مكنتي لكثرة الناس فبقيت متحيرة وبعد جهد شديد رجعت وذكر لي بعض الناس ان تلك السوق يخف زحامها يوم الجمعة لانهم يسدون سوق القيسارية وغيره من الاسواق فركبت يوم الجمعة وتوجهت الى المسجد الجامع والمدرسة وهذه المدينة من

طاعة السلطان أو زبك وله فيه أمير كبير يسمى قطلو دمور وهو الذي عمر هذه المدرسة
 ومأمورها من المواضع المضافة وما المسجد فعمرة زوجته الخاتون الصالحة ترابك وترأ
 (بضم التاء المملوءة وقحج الراء وأنف) وبك (بفتح الباء الموحدة والكاف) وبخوارزم
 مارستان له طبيب شامي يعرف بالصهيوني نسبة إلى صهيون من بلاد الشام ولم أرق في بلاد
 الدنيا أحسن أخلاقاً من أهل خوارزم ولا أكرم نفوساً ولا أحب في الغرباء ولهم عادة
 جميلة في الصلاة لم أرها غيرهم وهي أن المؤذنين بمساجدها يطوف كل واحد منهم على دور
 حيران مسجدته مع لهلم بحضور الصلاة فمن لم يحضر الصلاة مع الجماعة ضربه الامام
 بمحضر الجماعة وفي كل مسجد درة معلقة برسم ذلك ويفرم خمسة دنانير تتفق في مصالح
 المسجد وأتطمع للفقراء والمساكين ويذكرون أن هذه العادة عندهم مستمرة على قديم
 الزمان وبخارج خوارزم نهر حيحون أحد الأنهار الأربعة التي من الحنة وهو يجتمع في
 أو أن البرد كما يجتمع نهر أتل ويسلك أناس عليه وتبقى مدة جود خمسة أشهر ورعا سلكوا
 عليه عند أخذهم في الذوبان فكانوا يسافرون فيه في أيام الصيف بالمرأك إلى ترمذ
 ويجلبون منها القمح والشعير وهي مسيرة عشرة ليل من بخارج خوارزم زاوية مبنية على
 تربة الشيخ نجم الدين النكبي وكان من كبار الصالحين وفيها طمام للوارد والصادر
 وشيخها المدرس سيف الدين من عصابة من كبار أهل خوارزم وبها أيضاً زاوية شيخها
 الصالح المجاور جلال الدين السمرقندي من كبار الصالحين أيضاً بناها وبخارجها قبر الامام
 العلامة أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري وعليه قبة وزمخشري قرية على مسافة أربعة أميال
 من خوارزم لمساكن هذه القرية ذات بخارج بناها وجهه بعض أصحابي إلى القاضي
 الصدر أبي حفص عمر البكري فبعث إلى نائبه نور الاسلام فسلم على نعم عادليه ثم أتى القاضي
 في جماعة من أصحابه فسلم على وهو في السن كبير الفعالي وله نائبان أحدهما نور الاسلام
 المذكور والآخرون الدين الكرمانى من كبار الفقهاء وهو الشديد في أحكامه القوي
 في ذات الله تعالى ولما حصل الاجتماع بالقاضي قال لي إن هذه المدينة كثيرة الرغام
 ودخولكم نهار الايتاني وسيأتي إليكم نور الاسلام لتدخلوا معه من آخر الليل فقمنا ذلك

ونزلنا بعد رسة جديدة ليس بها أحد ولم يكن بعد صلاة الصبح أتى إلينا القاضي المذكور
ومعه من كبار المدينة جماعة منهم مولانا همام الدين ومولانا زين الدين المقدسي ومولانا
رضي الدين يحيى ومولانا فضل الله الرضوي ومولانا جلال الدين العمادى ومولانا شمس
الدين السنجرى امام أميرها وهم أهل مكارم وفضائل وأنفالب على مذهبهم الاعتزال
لكنهم لا يظهرونه لأن السلطان أوزبك وأمير علي هذه المدينة قتلوه ودمروا من أهل
المنطقة وكنت أيام إقامتي بها أصلى الجمعة مع القاضي أبي حفص عمر المذكور بمسجده فاذا
فرغت الصلاة ذهبت مع أهلي داره وهي قريبة من المسجد فدخل معه إلى محاسنه وهو من
أبدع المحاسن فيه الفرش الخافلة وحيطانه مكسوة بالملف وفيه طيقان كثيرة وفى كل طاق
منها أواني الفضة الموهبة بالذهب والأواني العراقية وكذلك عادة أهل تلك البلاد أن
يصنعوا في سيوتهم ثم يأتي بالطعام الكثير وهو من أهل الرفاهية والمنازل الكثير والرباع
وهو سلف الأمير قتلوه ودمروا تزوج بأخت امرأته واسمها حبيبا وأبوهم هذه المدينة جماعة
من الوعاظ والمذكرين أكبرهم مولانا زين الدين المقدسي والخطيب مولانا حسام
الدين المشالي الخليلي الخليلي المذيع أجمع أحد الخطباء الأربعة الذين لم أسمع في الدنيا أحسن منهم
﴿ وأبى خوارزم ﴾

هو الأمير الكبير قتلوه ودمروا (يضم القاف وسكون الطاء المهملة وضم اللام)
ودهور (يضم الدال المهملة والميم وواو مدورا) ومعنى اسمه الحديد المبارك لأن
تطلوه المبارك ودهور هو الحديد وهذا الأمير ابن خالة السلطان المعظم محمد أوزبك
وأكبر امرأته وهو وانيه علي خراسار وولده هرون بك وتزوج بابنة السلطان المذكور
التي أمها الملكة طيغتلقي المتقدم ذكرها و امرأته الخاتون ترابك صاحبة المكارم الشهيرة
ولما أتاني القاضي مسلما على كاذبة قال لي إن الأمير قد علم بقدمك وبه بقية مرض
يتم من الأتيان إليك فركبت مع القاضي إلى زيارته وأتينا داره فدخلنا مشورا كبيرا
أكثر بيوت خشب ثم دخلنا مشورا صغيرا فيه قبة خشب زخرفة قد كسيت حيطانها
بأنف الملون وسقفها بالحزير المذهب والأمير علي فرش له من الحرير وقد غطي رجله

لما سبها من النقرس وهي علة فاشية في الترك فلمت عليه وأجاسنى الى جانبه وقد القاضى
والفقهاء وسألتني عن سلطانة الملك محمد أوزبك وعن الخاتون ييلون وعن أبيهما وعن
مدينة القسطنطينية فأعاطته بذلك كله ثم أتني بالموافاة فيها السهماء من الدجاج المشوية
والكرأكي وافرأخ الخمام وخبز معجون بالسمن يسمونه الكليجا والكمك والحلوات ثم
أتني بموائد أخرى فيها الفواكه من الرمان الحبيب في أواني الذهب والفضة ومعه ملاعق
الذهب وبضفي في أواني الزجاج العراقي ومعه ملاعق الخشب ومن العنب والبطيخ المنجيب
ومن عوائد هذا الأمير أن أتني القاضي في كل يوم الى مشوره فيجلس بمجلس معدله
ومعه الفقهاء وكتابه ويحلس في مقابله أحد الأمراء الكبراء ومعه ثمانية من كبراء أمراء
الترك وشيوخهم يسمون الارغجية (يارغوجي) ويتعالم الناس اليهم فما كان من
القضايا الشرعية يحكم فيها القاضي وما كان من سواها يحكم فيها أولئك الأمراء وأحكامهم
مضبوطة عادلة لا لهم لا يهتمون بميل ولا يقبلون رشوة ولما عدنا الى المدرسة بعد الخنوس
مع الأمير بحث البنا الارز والدقيق والغنم والسمن والازرار وأحمل الحطب وتلك البلاد
كلها لا يعرف بها الفحم وكذلك الهندو خراسان وبلاد المعجم وأما الذين فيوقدون فيها
حجارة تشتعل فيهم النار كما تشتعل في الفحم ثم اذا صارت رمادا عجنوه بالماء وجفوه
بالشمس وطبخوا بها نانية كذلك حتى يلاشا

﴿ حكاية ومكرمة لهذا القاضي والأمير ﴾

حلت في بعض أيام الجمع على عادتي بمسجد القاضي أبي حفص فقال لي ان الأمير أمر لك
بخمسة مائة درهم وأمر ان يصنع لك دعوة ينفق فيها الخمسة مائة درهم أخرى يحضرها المشايخ
والفقهاء والوجود فلما أمر بذلك أتني الأمير تصنع دعوة يا كل من حضرها القصة أو
لقمة تين لو جعلت له جميع المال كان أحسن له للنفع فقال أقل ذلك وقد أمر لك بالالف
كاملة ثم بعثها الأمير صعبة أمامه شمس الدين السنجري في خريطة يحملها غلامه
وصرفها من الذهب المغربي ثلاثمائة دينار وكنت قد اشتريت ذلك اليوم فرسا أدهم اللونه
بخمسة وثلاثين ديناراً وادراهم وركبته في ذهابي الى المسجد فبأعطيت ثمنه الأمن تلك

الالف وتكاثرت عندى الخيل بمذلك حتى انتهت الى عدد لا اذكره خيفة مكذب يكذب به ولم تزل حالى في الزيادة حتى دخلت ارض الهند وكانت عندى خيل كثيرة لكنى كنت أفضل هذا الفرس وأثره وأربطه امام الخيل وبقي عندى الى انقضاء ثلاث سنين ولما ملك تغيرت حالى وبعت الى الخاتون جيجانغا امرأة القاضي مائة دينار دراهم وصنعت لي أختها ربك زوجة الامير دعوة جمعت لها الفقهاء وجوه المدينة زوايتها التي يتها وفيها الطعام للوارث والصادر وبعثت الي بفرو سمور و فرس جيد وهى من أفضل النساء وأصلحهن وأكرهن جزاها الله خيرا ﴿حكاية﴾

ولما انفصلت من الدعوة التي صنعت لي هذه الخاتون وخرجت عن الزاوية تعرضت لي بالباب امرأة علمها ثياب دسنة وعلى رأسها قمعة ومعهما نسوة لا اذكر عددهن فسلمت على فرددت عليهن السلام ولم أقف معهما ولا التفت اليها فاما خرجت أدركنى بعض الناس وقال لي ان المرأة التي سلمت عليك هي الخاتون فخرجت عنى بذلك وأردت الرجوع اليها فوجدتها قد انصرفت فأبقت اليها السلام مع بعض خدامها واعتذرت عما كان مفي لعدم معرفتي بها ﴿ذكر بطيخ خوارزم﴾

و بطيخ خوارزم لا نظير له في بلاد الدنيا شرقا ولا غربا الا ما كان من بطيخ بخارى ويليه بطيخ أصفهان وقشمر أخضر وباطنه أحمر وهو صادق الحلاوة وفيه صلابة ومن العجائب انه يقدد وييسر في الشمس ويجعل في القواصر كما يصنع عندنا بالشريحة وبالتين لما تاتي ويحمل من خوارزم الى أقصى بلاد الهند والصين وليس في جميع القواكل اليابسة أطيب منه وكنت أيام اقامتي بدهلي من بلاد الهند متى قدم المسافرون بعت من يشترى لي منهم قديد البطيخ وكان ملك الهند اذا أتى اليه بشئ منه بعث الى بهلما يعلم من يحب فيه ومن عادته انه يعطى الغرباء بقواكل بلادهم ويتقدمهم بذلك ﴿حكاية﴾

كان قد صحبني من مدينة السرا الى خوارزم شريف من أهل كربلاء يسمى على بن منصور وكان من التجار فكنت أكلفه أن يشتري لي الثياب وسواها فكان يشتري لي الثوب بعشرة دنانير ويقول اشتريته بثمانية ويحاسبني بالثمانية ويدفع الدينارين من ماله

وأنا لا علم لي بفعله الي أن تعرفت ذلك على السنة الناس وكان مع ذلك قد أسلفني دنائير فلما
وصل الي احسان أمير خوارزم رددت اليه ما أسلفنيه وأردت أن أحسن بعده اليه مكافأة
لافعاله الحسنه فأني ذلك وحاف أن لا تفعل وأردت أن أحسن الي فني كان له اسم كافر
خلف أن لا أقبل وكان أكرم من لقيته من العراقيين وعزم على السفر معي الي بلاد الهند
ثم إن جماعة من أهل بلده وصلوا الي خوارزم برسم السفر الي الصين فأخذني السفر
معهم فقلت له في ذلك فقال هؤلاء أهل بلدي يهودون الي أهل وأقارب ويذكرون أني
سافرت الي الهند برسم الكدية فيكون سبة على لا أقبل ذلك وسافر معهم الي الصين فبلغني
بعد أن أبأرض الهند أنه لم يبلغ الي مدينه الماتق وهي آخر البلاد التي من عملة ما وراء
النهر وأول بلاد الصين أقام بها وبعث نفي له بما كان عنده من المتاع فأبطأ الفتي عليه وفي
أثناء ذلك وصل من بلده بعض التجار ونزل معه في فندق واحد فطلب منه الشريف أن
يسلفه شيئاً بخلاف ما يصل فقام فلم يفعل ثم أكد قبح ما صنع في عدم التسعة على الشريف
بأن أراد الزيادة علي في المسكن الذي كان له في الفندق فباع ذلك الشريف فأعظم منه ودخل
الي بيته فذبح نفسه فدرك وبه رمق واتهموا غلاما كان له بقله فقال لهم لا تطأوه وفاني
أنا فعلت ذلك بنفسى ومات من يومه غفر الله له وكان قد حكى لي عن نفسه أنه أخذ مرة من
بعض تجارده شق ستة آلاف درهم قرصاً فباعه ذلك التاجر بمدينة حماة من أرض الشام
فطلبه بالمال وكان قد باع ما اشترى به من المتاع بالدين فاستحيا من صاحب المال ودخل
الي بيته وربط عمامته بسقف البيت وأراد أن يخنق نفسه وكان في اجله تأخير فتذكر
صاحباً له من الصيارفة فقصده وذكر له القضية فسأله ما دفعه لتأخر ولم أأردت السفر
من خوارزم أكثر من جبالا واشترت محارة وكان عدلي به ساعيف الدين التوزري
وركب الخدم بعض الخيل ورجلنا باقيها لاجل البرد وخلص البرية التي بين خوارزم
ومخاري وهي مسيرة ثمانية عشر يوماً في رمال لا عمارتها بالبلدة واحدة فودعت الأمير
قطلوده وورخلع على خلعة وخلع على القاضي أخري وخرج مع الفقهاء لوداعي وسرنا
أربعة أيام ووصلنا الي مدينة الكات وليس بهذه الطريق عمارة سواها (وضبط اسمه)

فتفتح المهمة وسكون اللام وآخره ثمانية) وهي صغيرة حسنة نزلها خراجها على بركة ماء قد جددت من البرد فكان الصبيان يلعبون فوقها ويزلقون عليها وسمع قدومي قاضي الكات ويسمى صدر الشريعة وكنت قد لقيته بدار قاضي خوارزم فجاء الي مسلماً مع الطلبة وشيخ المدينة الصالح السابده محمود الخيوقي ثم عرض على القاضي الوصول الي أمير تلك المدينة فقال له الشيخ محمود القادم ينبغي له أن يزار وإن كانت لتساهمة نذهب الي أمير المدينة وتأثي به ففعلوا ذلك وأتي الأمير بعد ساعة في أصحابه وخدامه فسلمنا عليه وكان غرضنا تعجيل السفر فطلب مثالا ثمانية وصنع دعوة جمع لها الفقهاء ووجوه المساكين وسواهم ووقف الشمراء يمدحونه وأعطاني كسوة وقرسا جيدا وسرنا على الطريق المعروفة بسيديا وفي تلك الصحراء مسيرة ست دون ماء وصلنا بعد ذلك الي بلدة وبكنة (وضبط اسمها بفتح الواو واسكان اليا الموحدة وكاف ونون) وهي على مسيرة يوم واحد من بخارى بلدة حسنة ذات أنهار وبساتين وهم يدخرون العنب من سنة الي سنة وعندهم قهقهة يسمونها العلو (ألاول بالعين المهملة وتشديد اللام) فيبسونه ويحمله الناس الي الهند والصين ويجعل عليه الماء ويشرب ماؤهم أيام كونه أخضر حلوقاذا يبس صار فيه يسير حموضة وخميته كثيرة ولم أر مثله بالاندلس ولا بالمغرب ولا بالشام ثم سرنا في بساتين متصلة وأنهار وأشجار وعمارة يوما كاملا وصلنا الي مدينة بخارى التي ينسب اليها امام المحدثين أبو عبد الله محمد بن اسمعيل البخارى وهذه المدينة كانت قاعدة ما وراء نهر جيحون من البلاد وخربها النامين تكثير التترى جسد ملوك العراق فساجدها الآن ومدارسها وأسواقها خربة إلا القليل وأهلها ذلاء وشهادتهم لا تقبل بخوارزم وغيرها لا شتهارهم بالنصب ودعوى الباطل وانكار الحق وليس بها اليوم من الناس من يعلم شيئا من العلم ولا من له عناية به

ذكر أولية التتر ونخريهم بخاري وسوادا

كان تكثير خان حدا بأرض الخطا وكان له كرم ونفس وقوة وبسطة في الجسم وكان يجمع الناس ويطعمهم ثم صارت له جماعة فقدموه على أنفسهم وغلب على بلد وقوى واشتدت

شوكته واستفحل أمره فغلب على ملك الحظا ثم على ملك الصين وعظمت حيوشه
وتغلب على بلاد الحتن وكاشخر والمالقي وكان جلال الدين سنجر بن خوارزم شاه ملك
خوارزم وخراسان وماوراء النهر له قوة عظيمة وشوكة فهابه تنكيز وأحجم عنه ولم
يعرض له فاتفق أن يمت تنكيز تجار ابا معة الصين والحظا من الثياب الحريرية وسواها الى
بلدة أطرار (بضم الهمزة) وهي آخر عمالة جلال الدين فبعث اليه عامه عليها فلما
بذلك واستأذنه ما يفعل في أمرهم فكتب انيه بأمره أن يأخذ أموالهم ويقتل بهم ويقتطع
أعضائهم ويردهم الى بلادهم لما أراد الله تعالى من شفاء أهل بلاد المشرق ومحتهم رأيا
فأثلا ونديرا سيئاً مشؤماً فافما فعل ذلك تجهز تنكيز بنفسه في عساكر لا تحصى كثيرة
غزو بلاد الاسلام فلما سمع عامل أطرار بحركته بعث الجواسيس لياتوه بجبره فذكر أن
أحدهم دخل محلة بعض أمراء تنكيز في صورة سائل فلم يجد من يطعمه ونزل الي جانب
رجل منهم فلم ير عنده زاد ولا أطعمه شيئاً فلما أسيأ خرج مسرئاً ليايسة عنده فلبها بالماء
وفقد فرسه وماله بائس وهو عقد هاهو وشواها بالثار فكانت طسماه فعدا الى أطرار فأخبر
عاملها بأمرهم وأعلمه أن لاطاقة لاحد يقتلهم فاستمد ملكه جلال الدين فأمد به بستين
ألفاً زيادة على من كان عنده من العساكر فلما وقع القتال هزمهم تنكيز ودخل مدينة أطرار
بالسيف فقتل الرجال وسبي الذراري وأتى جلال الدين بنفسه لمحاربة فكانت بينهم وقائع
لا يعلم في الاسلام مثلها وآل الأمر الي أن تملك تنكيز ماوراء النهر وخرب بخارى وسرقند
وترمذ وغير النهر وهونهر جيحون الى مدينة بلخ فتملكها ثم الى الباميان (الباميان)
فتملكها وأوغل في بلاد خراسان وعراق المجمع فنار عايه المسلمون في بلخ وفي ماوراء
النهر ففكر عليهم ودخل بلخ بالسيف وتركها خاوية على عروشها ثم فعل مثل ذلك في ترمذ
نخرب ولم تمر بعدلكنها بنيت مدينة على ميلين منهاهي التي تسمى اليوم ترمذ وقتل أهل
الباميان (الباميان) وهدمها بأسرها الا صومعة جامعها وعنان أهل بخارى وسمرقند
ثم عاد بعد ذلك الى العراق وانتهى أمر الترحي فدخلوا حضرة الاسلام ودار الخلافة
بغداد بالسيف وذبحوا الخليفة المستعصم بالله العباسي رحمه الله

(قال ابن جزى) أخبرنا شيخنا قاضى القضاة أبو البركات ابن الحاج أعزاه الله قال سمعت الخطيب أبا عبد الله بن رشيد يقول لقيت بمكة نور الدين ابن الزجاج من علماء العراق ومعه ابن أخ له قفا ونا الحديث فقال لي هلاك في فتنة التتر بالرراق أربعة وعشرون ألف رجل من أهل العلم ولم يبق منهم غيرى وغير ذلك وأشار الى ابن أخيه

(رجع) قال ونزلنا من بخارى برضا المعروف بفتح آباد حيث قبر الشيخ العالم العابد الزاهد سيف الدين البخارى وكان من كبار الأولياء وهذه الزاوية المنسوبة لهذا الشيخ حيث نزلنا عظيمة لها أوقاف ضخمة يطعم منها الوارد والصادر وشيوخها من ذريته وهو الحاج السائح يحيى البخارى وأضافني هذا الشيخ بداره وجمع وجوه أهل المدينة وقرأ انقراء بالاصوات الحسان ووعظ الواعظ وغنوا بالتركي والفارسي على طريقة حسنة وصرت لنا هناك ليلة بديعة من أعجب الليالي واقبت بها الفقيه العالم الفاضل صدر الشريعة وكان قد قدم من هرات وهو من الصالحاء الفضلاء وزرت بخارى قبر الامام العالم أبي عبد الله البخارى مصنف الجامع الصحيح شيخ المسلمين رضي الله عنه وعليه مكتوب هذا قبر محمد بن اسمعيل البخارى وقد صنف من الكتب كذا وكذا وكذلك عن قبور علماء بخارى أسماءهم وأسماء تصانيفهم وكنت قديت من ذلك كثيراً وضع متي في جملة ماضع الى ماسا في كفار الهند في البحر ثم سافرنا من بخارى قاصدين معسكر السلطان الصالح المعظم علاء الدين طرهمشيرين وسند كره قرونا على نخشب البلدة التي ينسب اليها الشيخ أنوراب التحشي هي صغيرة تحف بها البساتين والبياد فزلنا بخارجها بدار لاميرها وكان عندي جارية تدقاربت الولادة وكنت أردت حملها الى سر قسندلدها فاتفق أنها كانت في الحمل فوضع الحمل على الجمل وسافر أصحابنا من الليل وهي معهم والزاد وغيره من أسباني وأتت أنا حتى ارتحل نهاراً مع بعض من هم في سدكوا طريقاً وسلكت طريقاً سواها فوصلنا عشية النهار على محلة السلطان المذكور وقد جئنا فنزلنا على بعد من السوق واشترى بعض أصحابنا مسدج وعتاوأغارنا بعض التجار خباء بتنا به تلك الليلة ومضى أصحابنا من أهد في البحث عن الجمال وبقي الاصحاب فوجدوهم عشياً وجأوا بهم وكلهم

السلطان غائباً عن المحلة في الصيد فاجتمعت بنائبه الامير تقيغاغانزني يقرب مسجد
وأعطاني خرقة (خرگاه) وهي شبه الحباء وقد ذكرنا صفاتها فيما تقدم فجعلت الجارية في
تلك الخرقة فولدت تلك الالة مولوداً وأخبروني أنه ولد ذكر ولم يكن كذلك فلما كان بعد
العقيقة أخبرني بعض الاصحاب ان المولود بنت فاستحضرت الجوارى فسألتهن فأخبرني
بذلك وكانت هذه البنت مولود في طالع سمد فرأيت كل ما يسرنى ويرضيني متولدت
وتوفيت بعد وصولي الى الهند بشهرين وسيدكر ذلك واجتمعت به سنة المحلة بالشيخ
الفقيه العابد مولانا حسام الدين الباغي (بالياء آخر الحروف والفين المعجمة) ومناه
بالتريكة الناثرو هو من أهل أطارو بالشيخ حسن صهر السلطان

﴿ ذكر سلطان ماوراء النهر ﴾

وهو السلطان المعظم علاء الدين طر مشيرين (وضبط اسمه بفتح ا ثم ا همل وسكون
الراء وفتح اليم وكسر الشين المعجم وياء مدورا مكسورا وياء مدنا تيمونون) وهو عظيم
المقدار كثير الحيوش والعساكر ضخم المماكة شديد القوة عادل الحكيم والادب
متوسطة بين أربعة من ملوك الدنيا الكبار وهم ملك الصين وملك الهند وملك العراق
والملك أوزبك وكلهم يهادونه ويعظمونه ويكرمونونه وولى الملك بعد أخيه الجبكتي
(وضبط اسمه بفتح الجيم المعقودة والكاف والطاء ا همل وسكون الياء) وكان الجبكتي
هذا كافراً وولى بعد أخيه الأكبر بك وكان بك هذا كافراً أيضاً لكنه كان عادلاً
الحكم منصفاً لالمظلومين يكرم المسلمين ويعظمهم ﴿ حكاية ﴾

بذكر ان هذا الملك بك تكلم يوم مع الفقيه الواعظ المذكور بدر الدين المياداني فقال له
أنت تقول ان الله ذكر كل شيء في كتابه العزيز قال نعم فقال ابن اسمي فيه فقال هو في قوله
تعالى في اى صورة ما شاء ربك فأعجبه ذلك وقال يخشى ومناه بالتريكة جيداً كرمه

﴿ حكاية ﴾

اكراما كثير أوزاد في تعظيم المسلمين
ومن احكام بك ما ذكر ان امرأة شكت له بأحد الامراء وذكرت انها فقيرة ذات اولاد
وكان لها ابن تقوتهم ثمه فاعتصبه ذلك الامير وشربه فقال لها انا اوسطه فان خرج الابن

من جوفه مضى اسيله والاولى سبطك بعده فقالت المرأة قد حللته ولا اطلبه بنبي فامر به
فوسط فخر الابن من بطنه ولم يلد كرا. لمطان طر مشيرين ولما اقت بالحقه وهم يسمونها
الاردو أياما ذهبت يوما للصلاة الصبح بالمسجد على عادتي فلما صليت ذكر لي بعض الناس
ان السلطان بالمسجد فلما قام عن مصلاه تقدمت لاسلام عليه وقام الشيخ حسن والفقيه
حسام الدين الباعجي واعلماء بحالي وقدموا منذ أيام فقال لي بالتريسة خشن ميسن يخشى
ميسن قطلو ابوسن ومعنى خشن ميسن في عافية انت ومعنى يخشى ميسن جيد انت ومعنى
يسئلوا بوسن مبارك قدومك وكان عليه في ذلك الحين قبا قدسي أخضر وعني رأسه شاشية
مائه ثم انصرف الى مجلسه راجلا والناس يتعرون له بالشمس كبايات فيقف لكل مشتت منهم
سائرا أو كبيراً اذ كرا أو أنثى ثم يمشي فوصلت اليه وهو في خرقة والناس خارجها
محنة وميسرة والامراء منهم على الكراسي واصحابهم وقوف على رؤسهم وبين ايديهم
اثرا الجدة وجسوا اصنفوا امام كل واحد منهم سلاحه وهم اهل التوبة يقعدون
هالك الى العصر ويأتي آخرون فيتمعدون الى آخر الليل وقد صنعت هنالك سقائف من
زيت القطن يكونون بها ولما دخلت الى الملك بداخل الخرقة وجده جاساعني كرسي
من المنبر مكسوبا بالحرير المزركش بالذهب بداخل الخرقة ملبس بثياب الحرير المذهب
هاتج المرصع بالجواهر والياقوت مما يقف فوق رأس السلطان بينه وبين رأسه قدر ذراع
والامراء الكبار على الكراسي عن يمينه ويساره وأولاد الملوك بأبدس المذاب بين يديه
وسد باب الخرقة النائب والوزير والحاجب وصاحب الصلاة وهم يسون آل طهني
وال (بفتح الحزة) معناه الاحمر وطهني (بفتح الطاء المهمل وسكون الميم والقين
العجم المفتوح) ومعناه العلامة وقام الي اربعتهم حين دخولي ودخلوا معي فسلمت عليه
وسألتني وصاحب الصلاة يترجم بيني وبينه عن مكة والمدينة والقدس شرفها الله وعن
مدينة الخليل عليه السلام وعن دمشق ومصر والملك الناصر وعن العراقيين وملكهما
وبلاد الاعاجم ثم اذن المؤذن بالظهور فانسرفنا وكنا نحضر معه الصلوات وذلك ايام
البرد الشديد المهلك فكان لا يترك صلاة الصبح والعشاء في الجماعة ويقعد لذكر التركيا

بعد صلاة الصبح الى طلوع الشمس ويأتي اليه كل من في المسجد فيصافحه ويشد يده على يده وكذلك يفعلون في صلاة العصر وكان اذا أتى بهدية من زبيب أو تمر أو تمر عنزير عندهم وهم يتبركون به يعطى منها يده لكل من في المسجد ﴿حكاية﴾ ومن فضائل هذا الملك انه حضرت صلاة العصر يوم لم يحضر السلطان فجاء أحد قضاياه بسجادة ووضعها قرب المذبح حيث حيرت عادته ان يسلمى وقال الامام حسام الدين الياعي ان مولانا يريد ان تنتظره بالصلاة قليلا رغبنا يتوضأ فقام الامام المذكور وقال عز وممتناه الصلاة برأى حدا أو برأى طرمشير بن أى الصلاة لله او طرمشير بن تم أمر المؤذن باقامة الصلاة وجاء السلطان وقد صلى منهارا كتمان فصلي الركعتين الاخرتين حيث انتهى به القيام وذلك في الموضع الذي تكون فيه أنملة الناس عند باب المسجد وقضى مافاته وتام الى الامام ليصافحه وهو يضحك وجلس قبالة المحراب والشيخ الامام الى جانبه وأنا الى جانب الامام فقال لي اذا مشيت الى بلادك فحدث ان فقير امن فقراء الاعاجم يفعل هكذا مع سلطان الترك وكان هذا الشيخ يعظ الناس في كل جمعة ويأمر السلطان بالمرور وفيما هم عن المنكر وعن الظلم ويفاظ عليه القول والسبحان ينصت لكلامه ويبيكون وكان لا يقبل من عطاء السلطان شيئا ولم يأكل قط من طعماء ولا لبس من ثيابه وكان هذا الشيخ من عباد الله الصالحين وكنت كثير ما أرى عليه قبعة تملن مبعطة بالقطن محشوبة وقد بلى وتمزق ودلى رأسه قانسوة بلديساوى مثله اقرباض ولا عمامة عليه فقات له في بعض الايام يأسى يدى ما هذا القباء الذي أنت لا بسه انه ليس بجيد فقال لي يا ارادى ليس هذا القباء لي وانما هو لابني فرغبت من ان يأخذ بعض ثيابي فقال لي عاهدت الله منذ خمسين سنة ان لا قبل من أحد شيئا ولو كنت أقبل من أحد لقبه لك ولمسا عزمت على السفر بعد مقامي عنده هذا السلطان أربعة وخمسين يوما أعطاني السلطان سبعة مائة دينار درهم وفروسة وسور تساوى مائة دينار طلبتها منه لاجل البرد وانا ذكرتها له اخذها كحامي وجعل يقبلها يده تواضعا من فضلا وحسن خلق وأعطاني فرسين وجملين وانا أردت وداعه أدركتني أثناء طريقه الي متصيده وكان اليوم شديد البرد

جـ دافو الله ما قدرت على ان أنطق بكلمة لشدة البرد ففهم ذلك وضحك وأعطاني يده
وانصرف وبعد سنتين من وصولي الى أرض الهند بلغنا الخبر بأن الملك من قومه وأمراته
اجتمعوا بأقصى بلاده المجاورة للصين وهناك معظم عساكره ويايعوا ابن عم له اسمه
بوزن أغلى وكل من كان من أبناء الملوك فهم يسعون أغلى (بضم الهمزة وسكون الفين
المعجمة وكسر اللام) وبوزن (بضم الباء الواحدة وضم الزاي) وكان مسلماً إلا انه
فاسد الدين سيئ السيرة وسبب يعتم لهم وخافهم طرمشيين ان طرمشيين خالف
أحكام جد هم تتكيزانمين الذي خرب بلاده الاسلام وقد تقدم ذكره وكان تتكيزانف
كتانافي أحكامه يسمى عندهم اليساق (بفتح الياء آخر الحروف والسين المهملة وآخره
قاف) وعندهم انه من خالف أحكام هذا الكتاب نجاهه واجب ومن جملته أحكامه انهم
يجمعون يوماً في السنة يسعون الطوى ومعتاه يوم الضيافة ويأتى أولاد تتكيزوا الامراء
من أطراف البلاد ويحضر الخواتين وكبار الاجناد وان كان سلطانهم قد غير شيئاً من تلك
الاحكام يقوم اليه كبارهم فيقولون له غيرت كذا وغيرت كذا وفعلت كذا وقد وجب
خلافك ويأخذون يده ويقيمونه عن سرير الملك ويقعدون غيره من أبناء تتكيزوا وان كان
أحد الامراء الكبار أذنب ذنباً في بلاده حكموا عليه بما يستحقه وكان السلطان طرمشيين
بداً بطل حكم هذا اليوم ومخارصه فانكره عليه أشد الانكار وأنكره واعليه أيضاً كونه
أقام أربع سنين فيما يلي خراسان من بلاده ولم يصل الى الجهة التي توالى الصين والسادة ان
الملك يقصد تلك الجهة في كل سنة فيختبر أحوالها وحال الجند بها لان أصل ملته منها
دار الملك هي مدينة المسالق فلما يبعوا بوزن أتى في عسكر عظيم وخاف طرمشيين على
نفسه من أمراته ولم يأتهم فركب في خمسة عشر فارساً يريد بلاد غزنة وهي من عماله
ووالها كبير أمراته وصاحب سره برنظيه وهذا الأمير محب في الاسلام والمسلمين قد
عمر في عماله نحو أربعين زاوية فيها العمام للوارد والصادر وتحت يده العساكر العظيمة
ولم أر قط فيمن رأيت من الآدميين بجميع بلاده الدنيا أعظم خلقه منه فلما عبر نهر جيحون
وقصد طريق بلخ رآه بعض الأتراك من أصحاب يتقي ابن أخيه بك وكان السلطان

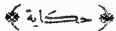
طر مشيرين المذكور قتل أخاه بك المذكور وبقي ابنه يتقى يلخ فلما أعلمه التركي بخبره
 قال ما قر إلا أمر حدث عليه فركب في أصحابه وقبض عليه وسجنه ووصل بوزن إلى
 سمرقند وبخارى فبايعه الناس وجاءه يتقى بطر مشيرين فيذكر أنه لما وصل إلى نفسه
 بخارج سمرقند قتل هنالك ودفن بها وخدم تربيته الشيخ شمس الدين كردن بريدا وقيل
 أنه لم يقتل كما سئد كره وكردن (بكاف معقودة وراء مسكن ودال مهملة مفتوح ونون)
 ومعناه العنق وبريدا (بضم الباء الموحدة وكسر الراء وباء مدودال مهملة) معناه المقطوع
 ويسمى بذلك الضربة كانت في عنقه وقد رأى به بارض الهند ويقع ذكره فيما بعد ولما ملك
 بوزن هرب ابن السلطان طر مشيرين وهو بشاى أغل (أغلى) وأخته وزوجها فيروز
 إلى ملك الهند فمظاهمهم وأنزلهم منزلة عليية بسبب ما كان بينه وبين طر مشيرين من انود
 والمكاتب والمهاداة وكان يخاطبة بالآخ ثم بعد ذلك أتى رجل من أرض السند وادعي أنه
 هو طر مشيرين واختلف الناس فيه فسمع بذلك عماد الملك سرتيز غلام ملك الهند
 ووالي بلاد السند ويسمى ملك عرض وهو الذي تعرض بين يديه عساكر الهند واليه
 أمرها وقره بملتان قاعدة السند فبعث إليه بعض الأتراك العارفين به فعادوا إليه وأخبروه
 أنه هو طر مشيرين حنفاً أمر له بالسراجه وهي أفرأج فضرب خارج المدينة ورتب له
 ما يرتب لملكه وخرج لاستقباله وترجل له وسلم عليه وأتى في خدمته إلى السراجه فدخلها
 راكباً كعادة الملوك ولم يشك أحد أنه هو وبعث إلى ملك الهند بخبره فبعث إليه الأمراء
 يستقبلونه بالضيافات وكان في خدمة ملك الهند حكيم عن خدم طر مشيرين فيما تقدم وهو
 كبير الحكمة بالهند فقبله لما أتى أن أتوجه إليه وأعرف حقيقة أمره فاني كنت عالجت له
 دماً لمحت ركبته وبقي أثره به أعرفه فأتى إليه ذلك الحكيم واستقبله مع الأمراء ودخل
 عايه ولازمه لسابته عتده وأخذ يغمر زجليه وكشف عن الأثر شتمه وقال له تريد أن
 تنظر إلى الدم الذي عالجت به ها هو ذا وأراه أثره فتحقق أنه هو وعاد إلى ملك الهند
 فأعلمه بذلك ثم إن الوزير خواجيه جهان أحمد بن اياس وكبير الأمراء قتلوا خان معلم
 السلطان أيام صغره ودخل على ملك الهند وقال له يا خوند عالم هذا السلطان طر مشيرين

قد وصل وصح ابه هو وهما من قومه نحو اربعين الفا وولده وصهره رأيت ان اجتمعوا عليه ما يكون من العمل فوق هذا الكلام بوقع منه عظيم وامر ان يؤتي بطر مشيرين معجلا فلما دخل عليه امر بالخدمة كسائر الواردين ولم يعظم وقال له السلطان يا مادركاني وهي شتمه قبيحة كيف تكذب وتقول انك طر مشيرين وطر مشيرين قد قتل وهذا خادم تربته عندنا - الله لولا المعرفة اقتلتك ولكن اعطوه خمسة آلاف دينار واذهبوا به الي دار بشاي اغني واخته ولدى طر مشيرين وقولوا لهم ان هذا الكاذب يزعم انه والديكم فدخل عليهم فمروهم بات دندهم والحراس يحرسونه واخرج بالغرو خافوا ان يهاكوا بسببه فانكروهم واتي عن بلاد الهندو "سند فسلك طريق كيچ ومكران واهل البلاد يكرمونه ويضيفونه ويهادونه ووصل الي شيراز فاكرمهم سلعانها ابواسحق وجرى له كفايته ولما دخلت عند وصولي من الهند الي مدينة شيراز ذكر لي انه باقى بها وارتدت لقائه ولم اقبل لانه كان في دار لا يدخل اليه احدا الا باذن من السلطان ابني اسحق فخرجت بها يتوقع بسبب ذلك ثم ندمت على عدم لقائه

(رجع الحديث الي بوزن) وذلك ان السلطان خشي على المسلمين وظلم الرعية وراح للنصارى واليهود عمارة كنائسهم فضج المسلمون من ذلك وتربصوا به الدوائر وانقل خبره بجنايل ابن السلطان اليسور المهزوم على خراسان فقصد ملك هرات وهو السلطان حسين ابن السلطان غياث الدين التتوري فأعلمه بما كان في نفسه وسأل منه الاغاثة بالعاكر والمال على أن يشاطره انك اذا استقام له فبعث معه الملك حسين عسكر اعقبا و بين هرات والترمذ تسعة ايام فلما سمع امرا السلطان يتقدم خليل تاقو بالسبع والغناصة والرغبة في جهاد العدو وكان أول قادم عليه علاء الملك خداوندزاده صاحب رمذ وهو أمير كبير شريف حسني النسب قاتما في أربعة آلاف من المسلمين فسر به وولاه وزارته وقوض اليه امره وكان من الابطال وجاء الامراء من كل ناحية واجتمعوا على خيلس والتقى مع بوزن فسالت العساكر الي خليل وأسلموا بوزن وأتوا به أسيرا فقتله خنقا وباو تار القسي وتلك عادة لهم انهم لا يقتلون من كان من أبناء الملوك الا خنقا واستأمر الملك لخليل وعرض

عساكره بسمرقند فكانوا ثمانين الفا عليهم وعلى خيلهم الدروع فصرف العسكر الذي
 جاءه من هرات وقصد بلاد المالك فقدم التتر على أنفسهم واحدا منهم والقوه على مسيرة
 ثلاث من المسالى بمقربة من اطاراز (طراز) وحمل التتال وصبر الفريقان فحمل الامر
 خد او نذزاده وزيره في عشرين الفا من المسلمين حملة لم يثبت لها التتر فانهمزمو واشتد
 فيهم القتل واقام خليل بالمالك ثلاثا وخرج الى استنصال من بقي من التتر فاذا عنوا له بالطاعة
 وجاز الى تخوم الخطا والصين وقبح مدينة قر اقم ومدينة بش بالغ وبعث اليه سلطان الخفنا
 بالعساكر ثم وقع بينه ما الصالح وعظم امر خليل وهابته الملوك واظهر العدل ورأى
 العساكر بالمالك وترك بها وزيره خد او نذزاده وانصرف الى سمرقند وبخاري ثم ان
 التتر أرادوا الفتنة فسموا الى خليل بوزيره المذكور وزعموا انه يريد الثورة ويقول
 به أسبق بالملك لقرايته من النبي صلى الله عليه وسلم وكرمه وشجاعته فبعث واليا الى المالك
 عوضا عنه وامره ان يقدم عليه في نفر يسير من اصحابه فلما قدم عليه قتله عند وصوله من
 غير تثبيت فكان ذلك سبب خراب ملكه وكان خليل لما عظم أمره نبى على صاحب هرات
 الذي أوره الملك وجهزه بالعساكر والمال فكتب اليه ان يحطب في بلاده باسمه ويضرب
 الدنانير والدراهم على سكتة ففاظ ذلك الملك حسينا واتق منه وأجابه بأقبح جواب
 فتجهز خليل لقتاله فلم توافقه عساكر الاسلام ورأوه باغيا عليه وبلغ خبره الى الملك حسين
 فجهز العساكر مع ابن عمه ملك ورنالوا التتال الجمعان فانهمز خليل وأوتى الى الملك حسين
 أسرا فنف عليه بالبقاء وجعله في دار وأعطاه جارية واحرى عليه التفقة وعلى هذا الحاله
 تركته عنده في أواخر سنة سبع وأربعين عند خروجه من الهند ولما دلى ما كنا بسيله
 ولما وادعت السلطان طر مشيرين سافرت الى مدينة سمرقند وهي من أكبر المدن
 وأحسنها وأتمها جالامنية على شاطئ وادي يعرف بوادي القهارين عليه التواغير تسقى
 البساتين وعنده يجتمع أهل البلد بعد صلاة العصر للنزهة والفرج ولهم عليه مساطب
 وبحال يسعدون عليها ودكاكين تباع بها الفاكهة وسائر المأكولات وكانت على شاطئه

قصور عظيمة وعمارة تاني عن علومهم أهلها قد ترا كثير ذلك وكذلك المدينة خرب
 كثير منها ولا سور لها ولا أبواب عليها وفي داخلها البساتين وأهل سمرقند لهم مكارم
 اخلاق ومحبة في الغريب وهم خير من أهل بخارى وبخارج سمرقند قبر قثم بن العباس بن
 عبد المطلب رضي الله عن العباس وعن ابنه وهو المستشهد حين فتحها ونخرج أهل
 سمرقند كل ليلة اثنين وجمعة الى زيارته والتتر يأتون لزيارته وينذرون له النذور العظيمة
 ويأتون اليه بالبقرة والغنم والدرهم والدنانير فيصرف ذلك في النفقة على انوار والصادر
 وخدام الزاوية والقبر المبارك وعليه قبة قائمة على أربع أرجل ومع كل رجل ساريان من
 الرخام منها الخضرة والسود والبيض والحمر ويطان القبة بالرخام المجزع المنقوش بالذهب
 وسقفها مصنوع بالرصاص وعلى القبر خشب الالبوس المرصع مكسو الاركان بالفضة
 وفوقه ثلاثة من قناديل الفضة وشرش القبة بالصوف والقطن وخارجها نهر كبير يشق
 الزاوية التي هنالك على حافته الاشجار ودوالي العنب والياسمين وبالزاوية مساكن
 يسكنها الوارد والصادر ولم يغير التتر أيام كفرهم شيئا من حال هذا الموضع المبارك بل
 كانوا يتركونه لما يرون له من الآيات وكان الناظر في كل حال هذا الضريح المبارك وما
 يليه حين نزولنا به الامير غياث الدين محمد بن عبدالقادر بن عبد العزيز بن يوسف بن
 الخليفة المستنصر بالله العباسي قدمه لذلك السلطان طر مشيرين لما قدم عليه من العراق
 وهو الآن عند ملك الهند وسيا تي ذكره ولقيت بسمرقند قاضيها المسيحي عندهم صدر
 الجهان وهو من الفضلاء ذوى المكارم وسافر الى بلاد الهند بعد سفرى اليها فأدركته
 منيته بمدينة ملتان قاعدة بلاد الهند



نسأمت هذا القاضى بملتان كتب صاحب الخبر بأمره الى ملك الهند وانه قدم يرسم بابه
 فاخترم دون ذلك فلما بلغ الخبر الى الملك أمر ان يبعث الى أولاده عدد من آلاف الدنانير
 لاذكره الآن وأمر ان يعطى لاصحابه ما كان يعطى لهم لو وصلوا معه وهو بقيد الحياة
 وملك الهند في كل بلد من بلاده صاحب الخبر يكتب له بكن ما يجري في ذلك البلد من
 الامور ومن يرده عليه من الواردين واذا أتى الوارد كتبوا من أى البلاد وردوا كتبوا

سمنه ونعته وثيابه وأصحابه وخيله وخدامه وهيئته من الجلوس والمأكل وجميع شؤنه
وتصرفاته وما يظهر منه من فضيلة أو ضدها فلا يصل الوارد الي الملك الا وهو عارف
بجميع حاله فتكون كرامته على مقداره ما يستحقه وسافرنا من سمرقند فاجتزنا ببلدة
نصف واليه ينسب أبو حنن عمر النسفي مؤلف كتاب المنظومة في المسائل الخلافية بين
الفقهاء الاربعه رضي الله عنهم ثم وصلنا الى مدينة ترمذ التي ينسب اليها الامام أبو عيسى
محمد بن عيسى بن سورة الترمذي مؤلف الجامع الكبير في السنن وهي مدينة كبيرة حسنة
العمارة والاسواق تخرقها الانهار وبها البساتين الكثيرة والغنب والسفرجل بها كثير
متناهي الطيب والاحوم بها كثيرة وكذلك الالبان وأهلها يفسلون رؤسهم في اللحم باللبن
غوضاً عن العفل ويكون عند كل صاحب حمام أوعية كبار مملوءة لبناً فاذا دخل الرجل
الحمام أخذ منها في اناء صغير ففصل رأسه وهو يرطب الشعر ويصقله وأهل الهند يجمعون
في رؤسهم زيت السمسم ويسمونه الشيراج ويفصلون الشعر بده بالطفل فينعم الجسم
ويصقل الشعر ويظليه وبذلك طالت لحي أهل الهند ومن سكن معهم وكانت مدينة ترمذ
القديمة مبنية على شاطئ جيحون فلما خربها تسكيزت هذه المدينة على ميلين من النهر
وكان نزولنا بها براوية الشيخ الصالح عزيزان من كبار المشايخ وكرماتهم كثير المسالمة
والرباع والبساتين يتفق على الوارد والصادر من ماله واجتمعت قبل وصولي الي هذه
المدينة بصاحبها علاء الملك خداوندزاده وكتب لي اليها بالضيافة فكانت تحمل التأيام
مقامنا بها في كل يوم ولقيت أيضاً قاضياً قوام الدين وهو متوجه لرؤية السلطان
طرمشيرين وطالب للاذن له في السفر الى بلاد الهند وسيأتي ذكر لقائي له بذلك
ولاخويه ضياء الدين وبرهان الدين بملتان وسفرنا جيماً الي الهند وذكر أخويه
الأخرين عماد الدين وسيف الدين ولقائي لهما بحضرة ملك الهند وكرولديه وقدومهما
على ملك الهند بقتل أبيهما وتزويجهما بنتي الوزير خواجة جهان وما جرى في ذلك كله
ان شاء الله تعالى ثم اجزنا نهر جيحون الي بلاد خراسان ومبرنا بعد انصوافنا من ترمذ
واجازة الوادي بومانو نصف يوم في صحراء ورمال لا عمارة بها الي مدينة بلخ وهي

خاوية على عروشها غير عامرة ومن رآها ظنها عامرة لا تقان بنائها وكانت ضخمة فسيحها
ومساجدها ومدارسها باقية الرسوم حتى الآن وقوش مانيها مدخلة باصبة اللازورد
والناس ينسبون اللازورد الى خراسان وانما يجلب من جبال بدخشان التي ينسب اليها
ألقا قوت البدخشي والامة يقولون البلخشي وسيأتي ذكرها ان شاء الله تعالى وخرب
هذه المدينة تكيز الامين وهدم من مسجدها نحو الثلث بسبب كنز ذكر له انه تحت سارية
من سواريه وهو من احسن مساجد الدنيا وانسحقها ومسجد رباط الفتح بالمغرب يشبهه
في عظم سواريه ومسجد شيخ اجل منه في سوى ذلك ﴿حكاية﴾

ذكر لي بعض أهل التارخ ان مسجد باخ بنه امرأة كان زوجها امير باخ لي المباس
يسمي داود بن علي فاتفق ان الخليفة غضب مرة على أهل باخ لحادث أحدثوه فبعث اليهم
من يرميهم مفرقا فادحا فلما بلغ الي باخ أتى نساؤه ووصيائهم الى تلك المرأة التي بنت
المسجد وهي زوج أميرهم وشكوا حالهم ومالحتهم من هذا المفرم فبعث اليه الامير الذي
قدم برسم تفرغهم ثوب مله مرصع بالجواهر قيمته أكثر مما أمر بتفريقه فقالت له اذهب
هذا التوب الى الخليفة فقد أعطيت صدقة عن أهل باخ اضف حالهم فذهب به الى الخليفة
وألقى التوب بين يديه وقص عليه القصة فحجل الخليفة وقال أتكون المرأة أكرم منا وأمر
برفع المنرم عن أهل باخ وبالعودة اليها ليرد لامرأة نوبها وأسقط عن أهل باخ خراج سنة
فصاد الامير الى باخ وأتى منزل المرأة وقص عليها ما قاله الخليفة ورد عليها التوب فقالت له
أوقع بصر الخليفة على هذا التوب قال نعم قالت لا البس توب باوقع عليه بصر غير ذي عرم وفي
وأمرت بيبه فبقي منه المسجد والزاوية ورباط في مقابله مبنى بالكندان وهو عامر حتى
الآن وفضل من التوب مقدار ثلثه فذكر انها أمرت بدفنه تحت بعض سوارى المسجد
ليكون مثلك متيسرا ان احتسج اليه خرج فأخبر تكيز بهذه الحكاية فأمر بهدم سوارى
المسجد فهم منها نحو الثلث ولم يجد شيئا فترك الباقي على حاله وبخارج باخ قبر يذكر انه قبر
عكاشة بن محسن الاسدي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما الذي يدخل الجنة
بلا حساب وعليه زاوية مظلمة بها كان نزولنا وبخارجها بركة ماء عجيبة عليها شجرة جوز

عظيمة ينزل الواردون في الصيف تحت ظلالها وشيخ هذه الزاوية يعرف بالحاج خرد وهو الصغير من الفضلاء وركب معنا وأرانا مزارات هذه المدينة منها قبر حزقيل النبي عليه السلام وعليه قبة حسنة وزرناها أيضاً قبورا كثيرة من قبور الصالحين لأاذكرها الآن ووقفنا على دار ابراهيم بن آدم رضي الله عنه وهي دار ضخمة مبنية بالصخر الأبيض الذي يشبه الكذبان وكان زرع الزاوية مقترنا بها وقد سدت عليه قلم ندخلها وهي بمقربة من المسجد الجامع ثم سافرنا من مدينة بلخ فمرنا في جبال قوه استان (قهستان) سبعة أيام وهي قرى كثيرة عامرة بالماء الجارية والأشجار المورقة وأكثرها شجر التين وبها زوايا كثيرة فيها الصالحون المنتظمون إلى الله تعالى وبعد ذلك كان وصولنا إلى مدينة هرات وهي أكبر المدن العامرة بخراسان ومدن خراسان العظيمة أربع مئتان عامرتان وهما هرات ونيسابور ومئتان خريتان وهما بلخ ومرو ومدينة هرات كبيرة عظيمة كثيرة العمارة لاهلها صلاح وعفاف وديانة وهم على مذهب الامام أبي حنيفة رضي الله عنه وبلدهم طاهر من الفساد

﴿ ذكر سلطان هرات ﴾

وهو السلطان المعظم حسين بن السلطان غياث الدين الغوري صاحب الشجاعة الماثورة والتأييد والسعادة ظهر له من انجاده الله تعالى وتأييده في موطين اثنين ما يقضي منه العجب أحدهما عنده لاقاة جيشه لاسلطان خليل الذي بني عليه وكان منتهى أمره حصونه أسير في يديه والموطن الثاني عند ملاقاته بنفسه لمسمود سلطان الرافضة وكان منتهى أمره تبديده وفراره وذهاب ملكه وولي السلطان حسين المالك بعد أخيه المروفي بالحفاظ وولي أخوه جدي غياث الدين

﴿ حكاية الرافضة ﴾

كان بخراسان رجلا أن أحدهما يسمى بمسمود والآخر يسمى بمحمد وكان لهما خمسة من الأصحاب وهم من الفتاك ويعرفون بالمرافق بالشطار ويعرفون بخراسان بسر بداران (سر بداران) ويعرفون بالمغرب بالصقورة فاتفق سبعة منهم على الفساد وقطع الطرق وسلب الأموال وشاع خبرهم وسكنوا أجلا منيا بمقربة من مدينة يهق وتسمى أيضا

مدينة سيزار (سيزوار) وكانوا يكمنون بالتهار ويخرجون بالليل والعشي فيضربون
على القرى ويقطعون الطرق يأخذون الاموال واتال عليهم أشباههم من أهل الشر
والفساد فكثر عددهم واشتدت شوكتهم وهابهم الناس وضرربوا على مدينة يهق فلكوها
ثم ملكوا سواها من المدن واكتسبوا الاموال وجندوا الجنود وركبوا الخيل وتسمى
مساعد بالسلطان وصار العبيد يفرون من مواليهم اليه فكل عبده فر منهم يعطيه الفرس
والمال وان ظهرت له شجاعة أمره على جماعة فعظم حيشه واستفحل أمره وتمذهب
جميعهم بمذهب الرض وطاعوا الى استئصال أهل السنة بخراسان وان يجعلوها كلمة
واحدة رافضية وكان بمشهد طوس شيخ من الرافضة يسمى بحسن وهو عندهم من
المصاحبة فوافقه على ذلك وسماه بالخليفة وأمرهم بالعدل فظفروه حتى كانت الدراهم
والدينار تسقط في مسكرهم فلا ياتقطنها احد حتى يأتي ربها فيأخذها وغلبوا على
نيسابور وبث اليهم السلطان خفيتمور بالمساكر فمزموها ثم بث اليهم نائبه أرغون
شاه فمزموه وأمره ومنوا عليه ثم غزاهم طفيتمور بنفسه في خمسين ألفا من التتر
فهمزموه وملكوا البلاد وتقلبوا على سرخس والزاوره وطوس وهي من أعظم بلاد
خراسان وجعلوا خليفتهم بمشهد على بن موسي الرضي وتقلبوا على مدينة الجام ونزلوا
بمخارجها وهم قاصدون مدينة هرات ويذها وينهم مسيرة ست فلما بلغ ذلك الملك حسينا
جميع الامراء والمساكر وأهل المدينة واستشارهم هل يقيمون حتى يأتى القوم او يعضون
اليهم فيحتاجونهم فوقع اجماعهم على الخروج اليهم وهم قبيلة واحدة يسمون القورية
ويقال انهم منسوبون الى غور الشام وان اصلهم منه فجهازوا اجمعون واجتمعوا من
اطراف البلاد وهم ساكنون بالقرى وبصحراء مرغيس (بدغيس) وهي مسيرة أربع
لايزال عشبها أخضر ترعي منه ماشيتهم وخيلهم واكثر شجرها الفستق ومنها يحمل الي
أرض الرارق وعضدهم أهل مدينة سمنان ونقروا جميعاً الى الرافضة وهم مائة وعشرون
ألفا مائة ورجالة وفرسان يقودهم الملك حسين واجتمعت الرافضة في مائة وخمسين ألفا
من الفرسان وكانت الملاقاة بصحراء بوشنج وهو بر الفریقان معا ثم كانت الدائرة على

الرافضة وفرسلطانهم مسعود وثبت خليفتهم حسن في عشرين ألفاً حتى قتل وقتل أكثرهم وأسرمهم نحو أربعين ألفاً وذكري بعض من حضر هذه الواقعة ان ابتداء القتال كان في وقت الضحى وكانت الهزيمة عند الزوال ونزل الملك حسين بعد الظهر فصلى وأتى بالطعام فكان هو وكبراء أصحابه يأكلون وسائرهم يضربون أعناق الأُسرى وعاد الى حضرته بع. هذا الفتح العظيم وقد نصر الله السنة على يديه وأطفأ نار الفتنة وكانت هذه الواقعة بعد خروجه من الهند عام ثمانية وأربعين ونشأ بهرات رجل من الزهاد والصالحاء الفضلاء واسمه نظام الدين مولانا وكان أهل هرات يحبونه ويرجعون الى قوله وكان يعظهم ويذكرهم وتوافقوا معه على تغيير المنكر وما قدمهم على ذلك خطيب المدينة المعروف بملك ورناء هو ابن عم الملك حسين ومتزوج بزوجته والده وهي من أحسن الناس صورة وسيرة والملك يخافه على نفسه وسنذكر خبره وكانوا في علموا بمنكره ولو كان عند الملك غيره

﴿ حكاية ﴾

ذكر لي أنهم تعرفوا يوماً ما بان بدار الملك حسين منكر افاجتمعوا لتغييره وتحصن منهم بداخل داره فاجتمعوا على الباب في ستة آلاف رجل تخف منهم فاستحضر الفقيه وكبار البلد وكان قد شرب الخمر فاقاموا عليه الحد بداخل قصره انصرفوا عنه

﴿ حكاية هي سبب قتل الفقيه نظام الدين المذكور ﴾

كانت الأتراك المجاورون لمدينة هرات الساكنون بالصجراء وملكمهم طغتمور الذي مر ذكره وهم نحو خمسين ألفاً يخافهم الملك حسين ويهدى لهم الهدايا في كل سنة ويدارهم وذلك قبل هزيمته للرافضة وأما بعد هزيمته للرافضة فتقلب عليهم ومن عادة هؤلاء الأتراك التردد الى مدينة هرات ويربما شربوا بها الخمر وأنها بعضهم وهو سكران فكان نظام الدين يحد من وجد منهم سكراناً هؤلاء الأتراك أهل نجدة وبأس ولا يزالون يضربون على بلاد الهند فيسبون ويقتلون ويربما سبوا بعض المسلمين اللاتي يكن يارض الهند ما بين الكفار فاذا خرجوا بهن الى خراسان يطلق نظام الدين المسلمين من أيدي الترك وعلامة النسوة المسلمين يارض الهند ترك نقب الاذن والكافرات آذانهم من مقويات

فاتفق مرة ان أمير امن أمراء الترك يسمى تمور الطي سبي امرأتوك فبها كلفا شديدا
فذكرت انها مسلمة فانتزعها الفقيه من يده فباع ذلك من التركي مبلغا عظيما وركب في آلاف
من أصحابه وأغار على خيبل هرات وهي في مرعاها بصحراء مرغيس (بدخيس)
واحتملوها فلم يتركوا الا اهل هرات مايركون ولا ما يحاون وصمدوا بها الى جبل هنالك
لا يقدر عليهم فيه ولم يجد السلطان ولا جنده خيلا يتبعونهم بها فبعث اليهم رسولا يطالب
منهم رد ما أخذوا من الماشية والحيل ويذكرهم العهد الذي بينهم فاجابوا بانهم لا يردون
ذلك حتى يتكنا ومن الفقيه نظام الدين فقال السلطان لاسبيل الى هذا وكان الشيخ أبو
أحمد الجسقي حفيد الشيخ مودود الجسقي له بخر اسان شان عظيم وقوله معتبر لديهم فركب
في جراحة خيل من أصحابه ومما ليكه فقال أنا أأجل الفقيه نظام الدين معي الى الترك ليرضوا
بذلك ثم أردته فكان اناس مالوا الى قوله ورأى الفقيه نظام الدين اتفاقهم على ذلك فركب
مع الشيخ أبي أحمد ووصل الى الترك فقام اليه الامير تمور الطي وقال له أنت أخذت
امرأتي مني وضربه بدبوسه فكسر دماغه فخر ميتا فسقط في أيدي الشيخ أبي أحمد
وانصرف من هنالك الى بلده ورد الترك ما كانوا أخذوه من الحيل والماشية وبدمدة
قدم تلك التركي الذي قتل الفقيه على مدينة هرات فلقية جماعة من أصحاب الفقيه فقدموا
اليه كأنهم مسلحون عابيه وتحت ثيابهم السيوف فقتلوه وفر أصحابه ولما كان بعد هذا بعث
الملك حسين ابن عمه ملك ورنال الذي كان رفيق الفقيه نظام الدين في تفسير المنكر رسولاً
الى ملك سجستان فلما حصل بها بعث اليه أن يقيم هنالك ولا يعود اليه فقصده بلاد الهند
ولقيته وأنا خارج منها بمدينة سيروستان من السند وحوأ أحد الفضلاء وفي طبعه حب الرياسة
والصيد والبزاة والحيل وانما ليك والاصحاب واللباس الملوكي الفاخر ومن كان على هذا
الترتيب فانه لا يصلح حاله بأرض الهند فيكن من أمره ان ملك الهند ولام بلاد صغيرا وقتله
به بعض أهل هرات المقيمين بالهند بسبب جارية وقيل ان ملك الهند دس عليه من قتله
يسمي الملك حسين في ذلك ولا جله خدم الملك حسين ملك الهند بعد موت ملك ورنال
المذكور وهذا ملك الهند وأعضاء مدينة بكار من بلاد السند ومجاهاا خسون ألفا من

دنانير الذهب في كل سنة (وابتعد) الى ما كنا بسيله فنقول سافرنا من هرات الى مدينة
الجام وهي متوسطة حسنة ذات بساتين وأشجار وعيون كثيرة وأنهار وأكثر شجرها
التوت والحريير بها كثير وهي تنسب الى الولي العابد الزاهد شهاب الدين أحمد الجامي
وسند ذكر حكاياته وحفيدة الشيخ أحمد المعروف بزاوية التي قلها ملك الهند والمدينة الآن
لاولاده وهي محررة من قبيل الساطان وانهم بها نعمة وثروة وذكر لي من أتق به ان
السلطان أباسيد ملك العراق قدم خراسان مرة ونزل على هذه المدينة وبها زاوية الشيخ
فأضافه ضيافة عظيمة وأعطى لكل خباء بمحلتها رأس غنم ولكل أربعة رجال رأس غنم
والكل دابة بالحلقة من فرس وبغل وحمار علف ليلة فلم يبق في الحلقة حيوان الا وصلته ضيافة

﴿ حكاية الشيخ شهاب الدين الذي تنسب اليه مدينة الجام ﴾

يدكرانه كان صاحب راحة يكثر من الشرب وكان له من التمداء نحو ستين وكانت لهم
عادة أن يجتمعوا يومافى منزل كل واحد منهم فتدور التوبة على أحدهم بعد شهرين وبقوا
على ذلك مدة ثم ان التوبة وصلت يومالى الشيخ شهاب الدين فعقد التوبة ليلة التوبة وعزم
على اصلاح حاله مع ربه وقال فى نفسه ان قلت لاصحابى انى قد تبعت قبل اجتماعهم عندي
ظنوا ذلك عجزا عن مؤتتهم فأحضر ما كان يحضر مثله قبل من مأكولات ومشروبات
وجعل الخمر فى الزقاق وحضر أصحابه فلما أرادوا الشرب فتحوا زقاقا فذاقه أحدهم
فوجد حلاوا ثم فتحوا نائفا فوجدوه كذلك ثم ثالثوا فوجدوه كذلك فكلعوا الشيخ
فى ذلك فخرج لهم عن حقيقة أمره وصدقهم من بكره وعرفهم بتوبته وقال لهم والله ما هذا
الا الشرب الذى كنتم تشربونه فيما تقدم فتباوا جميعا الى الله تعالى وبشواتك الزاوية
وانقطعوا بها العبادة الله تعالى وظهر لهذا الشيخ كثير من الكرامات والمكاشفات ثم
سافرنا من الجام الى مدينة طوس وهي من أكبر بلاد خراسان وأعظمها بدار الامام الشهير
أبي حامد الغزالي رضي الله عنه وبها قبره ورحلنا منها الى مدينة مشهد الرضى وهو على بن
موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين الشهيد ابن
أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضى الله عنهم وهي أيضاً مدينة كبيرة ضخمة كثيرة

الفواكه والمياه والارحاء الطاخنة وكان بها الطاهر محمد شاه والطاهر عندهم بمعنى التقيب عند أهل مصر والشام والعراق وأهل الهند والسند وتر كستان يقولون السيد الاجل وكان أيضاً بهذا المشهد القاضي الشريف جلال الدين لقيته بأرض الهند والشريف علي وولده أمير هندو ودولة شاه وصحبوني من ترمذ الى بلاد الهند وكانوا من الفضلاء والمشهد المكرم عليه قبة عظيمة في داخل زاوية تجاورها مدرسة ومسجد وجميعها مديح البناء مصنوع الخيطان بالقاشاني وعلى القبر دكانة خشب منبسة بصفايح الفضة وعليه قناديل فضة معلقة وعتبة باب القبة فضة وعلي بابها ستر حرير مذهب وهي مبسوطة بأنواع البسط وازاء هذا القبر قبر هارون الرشيد أمير المؤمنين رضي الله عنه وعليه دكانة يضعون عليها الشمعدانات التي يرفعها أهل المغرب بالحسك والمتائر وإذا دخل الرافضي للزيارة ضرب قبر الرشيد برجله وسلم على الرضي ثم سافرنا الى مدينة سرخس واليه ينسب الشيخ الصالح لقمان السرخسي رضي الله عنه ثم سافرنا منها الى مدينة زاوية وهي مدينة الشيخ الصالح قطب الدين حيدر واليه تنسب طائفة الحيدرية من الفقراء وهم الذين يحملون حلق الحديد في أيديهم وأغناقهم وآذانهم ويحملونها أيضا في ذكورهم حتى لا يتأني لهم التكاح ثم رحلنا منها فوصلنا الى مدينة نيسابور وهي إحدى المدن الأربع التي هي قواعد خراسان ويقال لها دمشق الصغيرة لكثرة فواكهها وبساتينها ومياهها وحسنها وتخترقها أربعة من الأنهار وأسواقها حسنة متسعة ومسجدها بديع وهو في وسط السوق ويبلغ أربع من المدارس يجري بها الماء الغزير وفيها من الطلبة خلق كثير يقرؤون القرآن والفقه وهي من حسان مدارس تلك البلاد ومدارس خراسان والعراقيين ودمشق بغداد ومصر وإن بافت الغاية من الاتقان والحسن فكلها تقصر عن المدرسة التي عمرها مولانا أمير المؤمنين المتوكل على الله المجاهد في سبيل الله عالم الملوك واسطة عقد الخلفاء العاديين أبو عنان وصل الله سعيده ونصر جتده وهي التي عند القصبة من حضرة فاس حرسها الله تعالى فانها لا نظير لها سعة وارتفاعا ونقش الجص بها لا قدرة لأهل المشرق عليه ويصنع بنيسابور ثياب الحرير من التنخ والكعجاء وغيرها وتحمل منها الى الهند وفي هذه المدينة زاوية الشيخ الامام العالم القطب

العابدة قطب الدين النيسابوري أحد الوعاظ العلماء الصالحين نزلت عنده فأحسن القرى.
وأكرم ورأيت له البراهين والكرامات العجيبة

﴿كرامة له﴾

كنت قد استريت بنيسابور غلاماً تركياً فقرأه معي فقال لي هذا الغلام لا يصح لك فيه
فقلت له نعم وبعث الغلام في غد ذلك اليوم واشترأه بعض التجار وادعت الشيخ وانصرفت
قالما حلت بمدينة بسطام كتب الى بعض أصحابي من نيسابور وذكر ان الغلام المذكور قتل
بعض أولاد الأتراك وقتل به وهذه كرامة واضحة لهذا الشيخ رضي الله عنه وسافرت
من نيسابور الى مدينة بسطام التي ينسب اليها الشيخ العارف أبو يزيد البسطامي الشهير
رضي الله عنه وبهذه المدينة قبره ومعها في قبة واحدة أحداً ولا جمع من الصادق رضي الله عنه
وبسطام أيضاً قبر الشيخ الصالح الولي أبي الحسن الخزقاني وكان نزولي من هذه المدينة
يزاوية الشيخ أبي يزيد البسطامي رضي الله عنه ثم سافرت من هذه المدينة على طريق هند
خير الى قدوس وبغلان وهي قرى فيها مشايخ وصالحون وبها البساتين والأنهار فترانا
يقعدوس على نهر ماء به زاوية لأحد شيوخ الفقراء من أهل مصر يسمى بشير سياء ومع
ذلك الاسد الأسود وأضافنا بها والى تلك الأرض وهو من أهل الموصل وسكناء بستان
عظيم هنالك وأقنابنا خرج هذه القرية نحو أربعين يوماً لري الجمال والحيل وبها مرامي طيبة
واعشاب كثيرة والأمن بها شامل بسبب شدة أحكام الأمير نطيه وقد قدمنا أن أحكام
الترك في من سرق فرساً أن يعطى معه تسعة مثله فإن لم يجد ذلك أخذ فيها أولاده فإن لم يكن
له أولاد جح ذبح الشاة والناس يتركون دوابهم مهملة دون راع بعد أن يسم كل واحد
دوابه في اغذاها وكذلك فعلنا في هذه البلاد واتفق أن تفقدنا خيلنا بعد عشر من نزولنا بها
فقدناها ثلاثاً أفراس ولما كان بعد نصف شهر جاءنا التبر بها الى منزلنا خوفاً على أنفسهم
من الأحكام وكان ربط في كل ليلة إزاء اخيتنا فرسين لما عسى أن يقع بالليل ففقدنا
الفرسين ذات ليلة وسافرنا من هنالك وبعد ثنتين وعشرين ليلة جاؤا بهما إلينا في أثناء
طريقنا وكان أيضاً من أسباب اقامتنا خوف الثلج فان بئساء الطريق حياً لا يقال له هندوكوش

هو معناه قاتل الخنود لان العبيد والجواري الذين يؤتى بهم من بلاد الهند يموت هنالك
الكثير منهم لشدة البرد وكثرة الثلج وهو مسيرة يوم كامل وأقناحي تمكن دخول
الحر وقطنا ذلك الجبل من آخر الليل وسلكنا به جميع نهارنا الى الغروب وكنا نضع اليد
بين أيدي الجبال نغطا عليها لئلا تفرق في الثلج ثم سافرنا الى موضع يعرف بأندرو وكانت
هنالك فيما تقدم مدينة عتي رسمها وتزلنا بقربة عظيمة فيها زاوية لأحد الفضلاء ويسمي
بمحمد المهر وي وتزلنا عنده وأكرمنا وكان متى غسلنا أيدينا من الطعام يشرب الماء الذي
غسلنا به لحسن اعتقاده وفضله وسافر معنا الى ان صعدنا جبل هندو كوش المذكور
ووجدنا بهذا الجبل عين ماء حارة فغسلنا منها وجوهنا فتشربت وتأنلنا لذلك ثم تزلنا بموضع
يعرف ببنج هير ومعنى بنج خيمة وهير الجبل فعناء خمسة جبال وكانت هنالك مدينة حسنة
كثيرة العمارة على نهر عظيم أزرق كأنه بحر ينزل من جبال بدخشان وبهذه الجبال يوجد
التياقوت الذي يعرفه الناس بالبخش وخرب هذه البلاد تسكن ملك التتر فلم تعمربعد
وبهذه المدينة عزار الشيخ سعيد المكي وهو معظم عندهم ووصلنا الى جبل بشاي (وضبطه
بفتح الباء المعقودة والشين المعجم والف وياء ساكنة) وبه زاوية الشيخ الصالح أطا أولياء
وأطا (بفتح الهمزة) معنا بالتركية الأب واولياء باللسان العربي فعناء أبو الاولياء ويسمي
أبنا سيصد صاله وسيصد (بسين مهملة مكسورة وياء مدو صادمهمل مفتوح ودال
مهملة) ومعناه بالفارسية ثلاثمائة وصاله (سأله) (بفتح الصاد المهملة والنلام) معناه
عام وهم يذكرون ان عمره ثلاثمائة وخمسون عاما ولهم فيه اعتقاد حسن ويأتون لزيارته من
البلاد والقرى ويقصده السلاطين والحواريين وأكرمنا وأضافنا وتزلنا على نهر عند زاويته
ودخلنا اليه فسلمت عليه وعانقني وجسمه رطب لم أر ألين منه ويظن رأيته ان عمره خمسون
سنة وذكر لي انه في كل مائة سنة ينبت له الشعر والاسنان وانه رأى أبا رهم الذي قبره بملتان
من السند وسأله عن رواية حديث فأخبرني بحكايات وشككت في حاله والله أعلم بصدقه
ثم سافرنا الى برون (وضبطها بفتح الباء المعقودة وسكون الراء وفتح الواو آخر هانون)
وفيها القيت الامير برنطيه (وضبط اسمه بضم الباء وضم الراء وسكون النون وفتح الطاء

المهمل وباء آخر الحروف مسكن وهاء) وأحسن الى وأكرم في وكتب الي نوابه بمدينة غزنة في اكرامى وقد تقدم ذكره وذكر ما أعطي من البسطة في الجسم وكان عنده جماعة من المشايخ والفقراء أهل الزوايا ثم سافر نالي قرية الجرخ (وضبط اسمها بفتح الجيم المعقودة واسكان الراء وخاء معجم) وهي كبيرة لها بساتين كثيرة وفواكها طيبة قدمناها في أيام الصيف ووجدناها جماعة من الفقراء والطلبة وصلينا بها الجمعة وأضافنا أميرها محمد الجرخي ولقيته بعد ذلك بالهند ثم سافر نالي مدينة غزنة وهي بلد السلاطان المجاهد محمود بن سبكتكين الشهير الاسم وكان من كبار السلاطين يا قب جبين الدولة وكان كثير الغزو والي بلاد الهند وفتح بها المدن والحصون وقبره بهذه المدينة عليه زاوية وقد خرب معظم هذه البلدة ولم يبق منها الا يسير وكانت كبيرة وهي شديدة البرد والساكنون بها يخرجون عنها أيام الب دالى مدينة القندهار وهي كبيرة محسنة ولم دخلها وبينهما مسيرة ثلاث ونزلنا بخارج غزنة في قرية هنالك على نهر ماء تحت قلعتها وأكرمنا أميرها مر ذلك أغا ومر ذلك (بفتح الميم وسكون الراء وفتح الذال المعجم) ومعناه الصغير وأغ (بفتح الهمزة والغين المعجم) ومعناه الكبير الاصل ثم سافر نالي كابل وكانت فيما سلف مدينة عظيمة وبها الآن قرية يسكنها طائفة من الاعاجم يقال لهم الافغان ولهم جبال وشعاب وشوكة قوية وأكثرهم قطاع الطريق وجباةم الكبير يسمى كوسليمان ويذكر ان نبي الله سليمان عليه السلام صعد ذلك الجبل فنظر الى أرض الهند وهي مظلمة فرجع ولم يدخلها فسمي الجبل به وفيه يسكن ملك الافغان وبكابل زاوية الشيخ اسماعيل الافغانى تلميذ الشيخ عباس من كبار الاولياء ومنهار حلنا الى كرماش وهي حصن بين جبلين تقطع به الافغان وكنا حين جوازنا عليه تقاطعناهم وهم بسفح الجبل ونرميهم بالنشاب فيفرون وكانت رفقنا مخفة ومعهم نحو أربعة آلاف فرس وكانت لى جمال انقطعت عن القافلة لاجلها ومضى جماعة بعضهم من الافغان وطرحنا بعض الزاد وتركنا احوال الجمال التي أعيت بالطريق وعادت اليها خيلنا بالهند فاحتلناها ووصلنا الى القافلة بعد العشاء الآخرة فبقينا بمنزل شتغلوا وهي آخر العبارة ممسايلى بلاد الترك ومن ههناك دخلنا البرية الكبرى وهي مسيرة خمس

عشرة لا تدخل الا في فصل واحد وهو بعد نزول المطر بارض السند والهند وذلك في
 أوائل شهر يولييه ونهب في هذه البرية ريح السموم القاتلة التي تعمق الجسوم حتى ان الرجل
 اذا مات تنفسخ أعضاؤه وقد ذكرنا ان هذه الريح تنهب أيضا في البرية بين هرمز وشيراز
 وكانت تقدمت امام نار فقة كبيرة فيها خد او نذاز ادم قاضي رمدفات لهم جمال وخيل كثيرة
 ووصلت رفقتنا سلمة بحمد الله تعالى الي بنج آب وهو ماء السند وبجنج (بفتح الباء
 الموحدة وسكون النون والحيم) ومعناه خمسة وآب (بهمزة مفتوحة بمدودة وباء
 موحدة) ومعناه الماء فمعنى ذلك الاودية الخمسة وهي تصب في النهر الاعظم وتسقى تلك
 التواحي وسند كر ها ان شاء الله تعالى وكان وصولنا لهذا النهر سلخ ذى الحجة واستهل
 علينا تلك الليلة هلال المحرم من عام أربعة وثلاثين وسبعمائة ومن هنالك كتبنا تخبرون
 بخبرنا الي أرض الهند وعرفوا ملكها بكيفية أحوالنا وههنا ينتهي بنا الكلام في هذا السفر
 والحمد لله رب العالمين

تم الجزء الاول ويليه الجزء الثاني *

صفحة الهندى

(تذييل) يقول مصححه وحيث انتهينا من رحلة الشيخ المغربي المعروف بابن بطوطة الى هذا الحد وهو أول جلد وقد شرع رحمه الله تعالى في ذكر ما شاهدته من العجائب والغرائب ببلاد الهند وهو ثاني جلد رأينا من المفيد ان نورد هنا عبارة توجد في مقدمة ابن خلدون رحمه الله تعالى مما يتعلق بهذا القصد تسميا لفائدة وتقييد للاشارة ونصها بقصصها وفصلها * ورد على المغرب لعمد السلطان أبي عنان من ملوك بني مرين رجل من مشيخة طنجة يعرف بابن بطوطة كان قد رحل منذ عشرين سنة قبلها الى المنرق وتلب في بلاد العراق واليمن والهند ودخل مدينة دهلي حاضرة ملك الهند واتصل بملكها لذلك العهد وهو السلطان محمد شاه وكان له منه مكان واستعمله في خطبة القضاء بمذهب المالكية في عمله ثم انقلب الى المغرب واتصل بالسلطان أبي عنان وكان يتحدث عن شأن رحلته وما رأى من العجائب بممالك الارض وأكثر ما كان يتحدث عن دولة صاحب الهند ويأتى من أحواله بما يستعجب به السامعون مثل ان ملك الهند اذا خرج للسفر أحصى أهل مدينته من الرجال والنساء والولدان وفرض لهم رزق ستة أشهر يدفع لهم من عطاءه وانه عند رجوعه من سفره يدخل في يوم مشهود يبرز فيه الناس كافة الى صحراء البلد يطوفون به ويتصب امامه في ذلك الحفل من جننيات على الظهر يرمي بها شكاثر الدراهم والدنانير على الناس الى ان يدخل ابوابه وأمثال هذه الحكايات فتناجي الناس في الدولة بتكذيبه واقيت أباي مؤثقي بعض الايام وزير السلطان فارس بن ودرار البعيد الصيت ففاوضته في هذا الشأن وأدركه انكار أخبار ذلك الرجل لما استفاض في الناس من تكذيبه فقال الوزير فارس اياك ان تستنكر مثل هذا من أحوال الدول بما أنك لم تره فتكون كابن الوزير التاشي في السجن وذلك ان وزيرا اعتقله سلطانه فكس في السجن سنين ربي فيها ابنة في ذلك الحبس فلما أدرك وعقل سأل عن الماحمان التي كان يتغذى بها فاذا قال له أبوه هذا لحم الغنم يقول وما الغنم فيصفها له أبوه بشبها ونوعا فيقول يا أبت تراها مثل الفأر فينكر عليه ويقول أين الغنم من الفأر وكذا في لحم البقر والابل اذ لم يماين في محبة الالفأر فيحبسها كلها أبناء جنس للفأر وهذا كثير أما يعترى الناس في الاخبار كما يعترهم الوسواس في الزيادة عنده

قصد الاغراب كما قدمناه أول الكتاب فليرجع الانسان الى أصوله وليكن مهيمنا على نفسه ويميز بين طبيعة الممكن والمتنع بصريح عقله ومستقيم فطرته فما دخل في نطاق الامكان قبله وما خرج عنه رفضه وليس مرادنا الامكان العقلي المطلق فان نطاقه أوسع شئ فلا يفرض حدا بين الواقعات وانما مرادنا الامكان بحسب المادة التي لاشئ فاذا نظرنا أصل الشئ وجنسه وفصله ومقدار عظمه وقوته أجرينا الحكم في نسبة ذلك على أحواله وحكمنا بالامتناع على ما خرج عن نطاقه قل رب زدني علما (اهـ بحروفه)

To: www.al-mostafa.com